

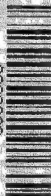
الجمال

في حكاية الفخر والكرامه ونفوس

طه حسين
مكتبة



Bibliotheca Alexandrina



0090828

العُملَةُ

في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده

المجلد الأول

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيق، القَيَّرَوَانِي، الأَزْدِيُّ

٣٩٠ - ٤٥٦ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ مُحَمَّدِي بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ

عَمَّا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ !

دار الجيل

طُبِعَتْ فِي طَبْعَةِ الدَّارِ الْجِيلِ بِطَبْعَةِ الدَّارِ الْجِيلِ

طَبْعَةُ الدَّارِ الْجِيلِ

ص. ٨٧٣٧

الطبعة الخامسة
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

جميع الحقوق محفوظة

يطلب هذا الكتاب من « دار الجيل » بنائه صالحة وصمدي
- الطابق الثالث - شارع سوريا - ص.ب ٨٧٢٧ - تلفون ٢٥٨٦٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دل على وجوده بجلوه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
منار الحق ونعموده ، وعلى آله وصحبه القاميين بالحق من بعده .

أما بعد ، فهذا كتاب « العمدة » ، في محاسن الشعر وآدابه ، تصنيف أبي
علي الحسن بن رشيق ، الأزدي : المولود في عام ٣٩٠ من الهجرة (٩٩٩ م)
والتوفى في ليلة السبت غرة ذي القعدة من عام ٤٥٦ من الهجرة ^(١) (١٠٦٤ م) وهو
الكتاب الذي « جُمع أحسن ما قاله كل واحد من صنف في معاني الشعر
ومحاسنه وآدابه ، وعُمل مؤلفه فيه على قريحة نفسه ، ونتيجة خاطره ؛ خوف
التكرار ، ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ، وضبطته الرواية ؛ فإنه لم يغير
شيئا من لفظه ولا مثناه ؛ ليؤتى بالأمر على وجهه » ^(٢) .

وقد صنفه كمادة أكثر العلماء لأبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب
« زعيم الكرم » ، وواحد القنم ، الذي نال الرياسة ، وحاز السياسة ، واغرد
بالبسطة والقبح ، واتحد في الإبرام والنقض . . . إلخ » ^(٣) وأبو الحسن هذا
رجل في نظر ابن رشيق قد جمع هذه الخلال ، وزاد عليها « سلامة طبعه واندفاعه ،
وقررت لفظه واتساعه ، ورقته ممان وإرهانها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ،
مع لطف مواقعها من القلوب ، وسرعة تأثيرها في النفوس » ^(٤) فهو أديب

(١) احتضن الملاء في تاريخ وفاة ابن رشيق ، حكى ابن حلسكان ثلاثة أقوال ،
وبعضها ياقوت على هذا الذي ذكرناه ، وعبارته تدل على غريبه وقصده
إلى التمهيق .

(٢) انظر (ص ٤) من الجزء الأول من هذا الكتاب ، والأرقام التي تذكرها
في هذه الإحالات روحه عام هي أرقام الطبعة الأولى بتحقيقنا

(٣) انظر (ص ٢٢٨ ج ٢) من هذا الكتاب .

وشاعر عظيم ، وابن رشيق مَفْتُون به وبأدبه ، وَقَلَّما خلا بابٌ من أبواب كتابه من غير أن يختار من شعره ما يناسب هذا الباب [انظر شاهد ذلك ص ١١٢ و ١١٣ من الجزء الأول ، وص ١٠٦ و ١٠٧ من الجزء الثاني] .

والذى يظهر أن هذا الكتاب لى - منذُ ظهر للناس بعضه - إقبالا وذبوعا جعل بعضَ خُصُومِ المؤلفِ يَحْمَدُون عليه وينقصون من قيمته : تارة بالخطئة ، وأخرى بادعاء الانتحال والسرقة ، حتى اضطر المؤلف إلى أن يبيتهم ، ويُرَوى عليهم ، وينال من أعراسهم ، ويدعوم إلى الإتيان بمثله ، أو ببعضه ؛ فهو يقول ^(١) « وكَم في بلدنا هذا من الخُفَّاتِ ^(٢) قد صاروا ثَمَّابِينَ ، ومن البِغاثِ قد صاروا شَوَاهِينَ ، إن البِغاثِ في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعرَفوا بعد اليوم بتخليد ذكركم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جلة من يُعدُّ خَطْلُهُ ، ويُحصى زلله ؛ لَذَكَرت من لحن كل واحد منهم ، وتصحيفه ، وفساد معانيه ، وركاكة لفظه ؛ ما يدلك على مرتبته من هذه الصناعة التى ادَّعَوْها باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا . وقد بلغت أن بعض من لا يتورع ^(٣) عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أنى أَخَذْتُ عنه مسائلَ من هذا الكتاب لو سُلَّ عنها الآب ماعلها ، والامتحانُ يقطع الدَّعْوَى ، كما قال بعض الشعراء :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَاهَوْ فَمِـهِ فَصَحَّ الإِمْتِحَانُ مَا يَدَّعِيهِ

وكت غَنِيًّا عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه ، أنفاً من ذكره ، وعزُّوقاً بهمتي عن الانحطاط إلى مساواته ، ولكفى رأيت السُّكُوت عنه عَجْزاً وتقصيراً » .

(١) انظر (ص ٢٢٨ ج ٢) من هذا الكتاب .

(٢) الخفات - بوزن الغراب - حية تنفع ولا تؤذى ، قاله الجوهري .

(٣) لعله يريد ابن شرف القيروانى ؛ فهو قريبه ؛ وكانت بينهما ملاحاة ومحادة على

ما ستعرف فى ترجمته .

وأنت إذا قرأت هذا الكتاب اشتدلت على فضل الرجل ، وسمة اطلاعه ، وحسن تحريجه ، وإن كان يتقيد برأى قدامى العلماء : لا يخرج عنهم ، ولا يرضى بتقدمهم وإن ظهر له وجه النقد ؛ فهو يجري في بحثه على قاعدة « كلام العقلاء مصون عن الخطأ » وهو - في هذا الكتاب - رجل هادى النفس ، وادع الخلق ، طويل الأناة : يعرض له الرأى يخالف فيه رأى المتقدمين بتخطئة ماصووا أو تصويب ماخطأوا أو بيان وجه من التأويل فيه غاب عن أذهانهم فيجأوه لك في أسلوب لا تسكاد تقرأ حتى تلمس رزأته وهذوه طبعه ، وهو - بعد ذلك كله - صاحب آراء لو شاء أن يدعى أنه منشئها وأبو عذرتها ، ثم يباهى بأهلها شأنًا وأهونها خطرًا كدأب أكثر الأدباء في عصرنا ودأب كثير من أدباء عصره ؛ لما أعوزته الحاجة ، ولا غاب عنه البرهان . انظر إليه وهو يقول ^(١) : « وقد نصّ ابن الرومي في بعض تسطيراته على محمد بن أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر * فله شهامة . . . البيت * وذكر قول حبيب [أبي تمام] :

يحوافر حفرٍ وصلبٍ صلبٍ

فخل به ، واعتذره ، وخرّج التخارج الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب والحافر المقعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة تبطية لآتى بها ، والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه أحزم ؛ غير أنني لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه - إن المعنى الذى أراده وأشار إليه من جهة الطائي إغماها معنى الصنعة

(١) انظر (ج ١ ص ١١١) من هذه المطبوعة .

كالنطق والتجسس وما أشبههما لا معنى للكلام الذى هو رُوحه ، وإن اللفظ الذى ذكر أنه لا يبالى به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، وبذلك على صحة ما ادعيت على ابن الرومى قوله : إن الحافر الوأب وللقب أشرف فى اللفظ من الحافر الأحفر ؛ فكلامه راجع إلى ما قلته فى الطائى ، غير مخالف له ، وإن كان فى الظاهر على خلافه ؛ لينساخ ، إلا أن أكثر الناس على ما قال ، وإنما هذا مَعرَض للكلام ، لا مخالفة له ، ومثل ذلك فى أضعاف الكتاب كثير لا أحب أن أفك على جميعه ، ولكنى أنبك فى هذه الكلمة إلى قوله « ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه » وقوله فى آخرها « وإنما هذا معرض للكلام ، لا مخالفة » بعد قوله « إلا أن أكثر الناس على ما قال » ثم أدعك بعد ذلك تستبسط من هذا الكلام ما تشاء .

ولقد طبع كتابه هذا كاملاً مرتين فى مصر ، وطبع نصفه فى تونس ، وكل هذه الطبعات قليل الفناء عديم الجدوى ؛ فإن التصحيف والتحريف لَيَفْشُوَانِ فيها ، وإن نظام وضعها وتلاحق مباحث الكتاب — مع تشعبها وكثرة فنونها — ليأبعد بينك وبين الإفادة منه ، وهذه العيوب فاشية فى مطبوعاتنا العربية ، وقلما يخلو منها — مع الأسف الذى يقطع نياط قلوبنا — كتاب من كتب هذه اللغة للمسكينة ، وبخاصة كتب أسلافنا المتقدمين ، وليس من علة لانصراف الناشئة العربية — فيما نعتقد — عن هذا التراث الثمين إلا هذا التشويه الغريب الذى يُظهِرُ الناشرون عليه كتب آبائنا الذين لم يُقَصِّرُوا فى توريثنا أعظم تراث على ، ولم يألو جهداً فى تهيئة أنفسهم مما جعل الله فى أعناقهم من ميثاق العلم أن يبنوه للناس ولا يكتموه ، ونحن نعتقد عقيدة لا تدخلنا فيها خلبة شك أن الحرف الصغير والورق الأصفر وحرم التجار على ظهور الكتاب فى أقرب وقت وفى أقل ما يمكن من عدد الصفحات ،

كل أولئك أكَثَرُ القوارق بين الكتب المصرية الشيقة الأسلوب المتسلطة على قلوب المشّاء ، و بين كتب العصر القديم ، والآيات على ذلك كثيرة ، والشواهد أكثر من أن يحيط بها العدد .

وقد خلق الله في نفسى حب السلف ، والتفانى في البطء من علومهم وأفكارهم ، والحرص على إزاحة فضلهم وعظيم منّهم علينا وعلى من يأتي بعدن الأجيال المتلاحقة ، ولست أدري سرّ ذلك كله ، غير أنى لا أشك في أن بين يدينا ثروة يحس بها المستشرقون أكثر مما يحس بها نحن أبناء هؤلاء اللورئين ، وأنا نضع هذه الثروة بأحد سببين لا ثالث لهما : أولهما : الانصراف عنها إلى الافتتان بالغرب وعلوم الغرب ، وردّ كل نبوغ وفوق إلى نبوغ الغرب وفوقه ، وثانيهما : الاقتناع من باعة الكتب بأن يظهروا لنا كتب أسلافنا على صور مشوهة ممسوخة لاتسد نهمة ولا تبلى أواما ، ولو أننا أزعقناهم على أن يظهروها مواظقة لروح العصر الحديث لاستعلمنا أن نفيد ، وأن نجد في ميراثنا النفع والفناء .

لهذا كله حرصت كل الحرص على مراجعة هذا الكتاب على أصوله التى أمكن الوقوف عليها ، ثم معاودة هذه المراجعة ، حتى أخرجته لك من بين قرث ودم لبناً خالصاً سائفا للشار بين .

في دار الكتب المصرية بالقاهرة نسختان خطيتان كاملتان من الكتاب إحداها مكتوبة بقلم النسخ ، كتبها محمد بن أحمد الخلوحة ، فرغ من كتابتها في عصر يوم الأحد الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ من الهجرة ، والثانية : مخطوطة بقلم معتاد بخط السيد أحمد بن محمد بن عبده . . . الديروطى فرغ من كتابتها ومقابلتها في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة

١٢٩٨ من الهجرة ، وهذه النسخة الثانية مكتوبة ومقابلة على النسخة الأولى ، ولم يصلح كاتبها ومقابلها أغلوطاً واحدة من الأغاليط الكثيرة في سابقتها . وفي الخزانة التيمورية نسخة خطية كاملة أقدم من هاتين عهداً ، وأسبق منهما تاريخاً ، كتبت بخط ممتاز ، وفرغ من كتابتها في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩٩٣ من الهجرة ، وهي أقل من نسختي الدار خطأ ، فلم يكن لي بد من مراجعة هذه المطبوعة على هذه النسخ الثلاث ، وعلى النسختين المطبوعتين بمصر ، ومراجعة النصف الأول — مع ذلك — على مطبوعة تونس ، ولم وجدت في هذه النسخ جميعها من أغاليط كانت تضطرنني في أكثر الأحيان إلى مراجعة الأمهات والأصول التي نقل عنها المؤلف ، وإلى مراجعة دواوين الشعراء الكثيرة بنوع خاص ، ولو أنني أردت أن أحدثك عن المراجع التي استخلصت لك الصواب من بينها لما لك الأمر ، وخرج الحال في نظرك عن حد المستساغ القبول ، ولسكنتها على أية حال الحقيقة التي لا غلو فيها ولا إغراق ، وستقف بنفسك حين تقرأ في المصكبات بعد هذا آثار ما كابدت من المتأمل والمشتقة ، ولم كنت أحب أن أذكر لك عند كل تصويبة أصلاً في خطأ أصول الكتاب وكيف أصلحت ومصدر إصلاحها ، ولكنني اكتفيت بالتنبيه على بعض ذلك ، وتركت بعضه لملي أن ذلك لا يعني به غير نفر قليل من القراء ، وهؤلاء يكتفون باللمعة ، ويمتثلون بالنهي .

وكان لا بد أن أجد في بعض النسخ زيادة عما في بعضها الآخر ، أو أعر على سقطة في كلام نقله المؤلف عن كتاب آخر مد مراجعة هذا النقل ؛ فاهتمت لذلك ، ووضعت الزائد بين قوسين على هذه الصورة [] ثم قد أنه على موطن الزيادة ، وقد أترك التنبيه مكتفياً بعلم القارئ ذلك لمن سياة الكلام .

والله المستول أن يثيبني عليه ، وينقزلى ولوالدىؑ والمؤمئين يوم يقوم الحساب ؟

ربيع الثاني ١٣٥٣
أغسطس ١٩٣٤

ترجمة المؤلف

(١)

قال صاحب الخلل السندسية في كلامه على القَيْرَوَان :
ومن بلاء القيروان وأبنائها الحسن بن رَشِيق ، أحدُ البلاء الأفاضل ،
الشعراء ، ولد بالمسيكة ، وتأدَّب بها قليلا ، ثم ارتحل إلى القَيْرَوَان سنة ست
وأربعمائة . كذا قال ابن بسم ، وقال غيره : ولد بالمحمدية سنة تسعين
وثلاثمائة ، وأبوه مملوك رومي من مَوَالِي الأَزْدِ ، وتوفى سنة ثلاث وستين
وأربعمائة^(١) ، وكانت صنعة أبيه في بلده المحمدية الصياغة ، فعله أبوه صنعة ،
وقرأ الأدب بالمحمدية ، وقال الشعر ، وتآقت نفسه إلى التزويد منه وملافة
أهل الأدب ، فرحل إلى القَيْرَوَان ، واشتهر بها ، ومدح صاحبها [المزعز بن
باديس بن المنصور] ولم يزل بها إلى أن هجم العربُ عليها وقتلوا أهلها
وخربوها ، فانتقل إلى صقلية وأقام بجازر إلى أن مات ، ومازر : قرية بمزيرة
صقلية منها للزري رحمه الله ، واختلف في تاريخ وفاته . قال ابن خلكان :
رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، قال :
وقيل : إنه توفى ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين^(٢) . ومن شعره :
يَا رَبَّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَبِكَ اسْتَعْنَتْ عَلَى الضَّعِيفِ الْمَوْذَى
مَالِي بَمَثَلِ أَلْفِ مَوْضِعٍ وَبَمَثَلِ وَاحِدَةٍ إِلَى نَمُودِ
وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف
القيرواني مناقضات ومهاجاة ، وصنف عدة رسائل في الرد عليه ، منها :
(١) الأكترون على أن مولده في سنة ٣٩٠ ، وقد حكى ابن خلكان (١/٣٦٦
بتحقيقنا) في وفاته هذا القول ، وحكى قولين آخرين : أحدهما أنه توفى في سنة ٤٥٦
بجازر ، وثانيهما أنه توفى في ليلة السبت غرة ذي القعدة من سنة ٤٥٦ والفرق بين
القولين أن الأول لم يحدد يوم الوفاة ولا الشهر ، وذكر ياقوت القول بأنه توفى
في سنة ٤٥٦ .

رسالة سماها ساجور الكلب ، ورسالة نجح الطلب ، ورسالة قطع الأنفاس ، ورسالة : نقض الرسالة الشعوزية ، والتقصيدة الدحية ، والرسالة المنقوضة ، ورسالة رفع الإشكال ودفع المحال ، وله كتاب أعمدج الشعراء شعراء القيروان ، ورسالة قراضة الذهب ، والعمدة في معرفة صناعة الشعر وقده وعيوبه ، وهو كتاب جيد ، وغير ذلك .

(٢)

وقال صاحب الواقى ما نصه :

وقد وقت على هذه المصنفات والرسائل للذكورة جميعها ، فوجدتها نذل على
تبخير في الأدب ، وإطلاع على كلام الناس ، ونقله لمواد هذا الفن ، وتبحره في
النقد ، وله كتاب في شذوذ اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .
ومن شعره :

| | |
|------------------------|------------------------|
| أحب أخى وإن أعرضتُ عنه | وقل على مسامحه كلامى |
| ولى فى وجهه تطليب راضٍ | كما قطبت فى وجهه للذام |
| ورب قطب من غير بنف | وبنف كامن تحت ابتسام |

ومنه :

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| إذا ما خففت أهد الصبا | أبت ذلك الخس والأربعونا |
| وما قللت كثيرا وما طاقى | ولكن أجره ورأى السنين |

ومنه :

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| وقائلة : ماذا الشحوب وذ الضنى ؟ | قللت لما قول للشوق التيم : |
| هواك أتانى ، وهو ضيف أعزّه ، | فأطعمته لحي ، وأسقيته ديمى |

ومنه :

| | |
|------------------------|-----------------------|
| ذمت لمينك أعين التزلان | قمر أقر لحسنه القمران |
|------------------------|-----------------------|

وَمَشَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا حَفَّ الْفَقَا
وَوْنُ الْمَلَاخَةِ غَيْرَ أَنْ دِيَا تَنِي
وماه في المدح :

يَا بَنَ الْأَعْرَقِ مِنْ أَكْبَرِ حَبِيرٍ
مَنْ كُلِّ أَبْلَجٍ أَمْرٍ بِلِسَانِهِ
وماه :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُزْتَجَى نَفْسُهُ
كَالْمُودِ لَا يَطْمَحُ فِي طَيْبِهِ
وماه :

أَقُولُ كَالْمَأْسُورِ فِي لَيْلَةٍ
يَا لَيْلَةَ الْمَجْرِيَةِ الَّتِي لَيْلُهَا
مَا أَحْسَنَتْ هَنْدًا، وَلَا أَجَلَتْ
وماه :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ غُنْدَى لَيْلَةٍ
خَالُوْنَا بِهَا نَفَقَى الْقَذَى عَنْ عُمُوتِنَا
وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ النُّجُورِ وَلَتَنِمَا
قال الأبيوردى : وما هذا بأحسن من قول ابن المعتز :

كَمْ مِنْ عَيْنَايَ لَنَا وَمِنْ قَبْلِي
نَفَرِ الْعَصَافِيرِ، وَهِيَ خَائِفَةٌ
مِنْ النُّوَاطِيرِ، يَأْنَعُ الرُّطْبِ

قال في الوافي : قلت : مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق ؛ لأن ابن
ارشيقي ذكر أنه في ليلة أمن ، وهي عنده من حسنات الدهر ؛ فلهذا حسن
تشبيه التقبيل مع الأمن بالتقاط الطير الحب ؛ لأنه يتوالى دفعة بعد دفعة ،

وأما ابن المعتز فإنه كان خائفاً مختلس التنبيل ويسرته ، كما يفعل المصنوع في
نقر الرطب البانح ؛ لأنه يقدم جازعاً خائفاً من الناطور ، فلا يطمن فيها يلتسمه ،
ألا ترى الآخر كيف قال فأحسن :

أقبله على جزي كشرّب الطائر الفزع
رأى ماء فواقه وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيقي :

قد أحكت مني التجا رب كل شيء غير جودي
أبدأ أقول : لأن كسبت لأقبض يدئ شديد
حتى إذا أريت عذت إلى الساحة من جديد
إن المقام بمنزل حا لي لا يتم مع القمود
لا بد لي من رحلة تدني من الأمل البعيد

ومنه :

مُعْتَمِدَةٌ يعلو الحجاب متونها فتحبسها فيها نثير جنان
رأت من بلين راحة لديرها فطافت له من عسجد بينان

وذكر له في المعجب (ص ٧٠) بيتين مشهورين ، وتري كثيراً من شعر
ابن رشيقي في تضاعيف هذا الكتاب ، وفي عامة فنون القول ، نرشدك في ذلك
إلى (ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٤) .

(٣)

وله سوى ما ذكر هؤلاء المترجمون له من الكتب كتاب نادر في باب
يصفه لنا في كتاب العمدة (ج ٢ ص ٢٢٩) فيقول : « على أن المحدثين قد
شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحقّ بالتقدمة
فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقها ، والسحب وما فيها من البروق
والرعود ، والفيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ،

ولكنى أفردله كتاباً قائماً بنفسه ، أذكر فيه ما افرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون » ويذكره مرة أخرى فيقول (ج ٢ ص ٢٩٢) « وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه ، إن شاء الله تعالى » فهل عاقبه الصروف من تأليفه ؟ أو ألغى كما شرط ولكنه ضاع فيما ضاع من كتب المتقدمين ؟ علم ذلك عند الله تعالى !

وأخذ ابن رشيقي الأدب عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني الفحوى من أهل القيروان ، وعن الأديب أبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم التمشلي ، وله في كتاب العمدة قول كثيرة عنهما وعن غيرها من أدباء عصره وعلمائه ، رحمهم الله تعالى .

(٤)

وإذا أحببت للزيد في ترجمة ابن رشيقي - وما نحسبك تجد إلا تكراراً لهذا الكلام أو بعضه - فارجع إلى المصادر الآتية :

(١) بنية الوعاة للسيوطي ٢٢٠ .

(٢) الحلل السندسية ١٠٠

(٣) شذرات الذهب لابن العماد ٢٩٧/٣

(٤) معجم الأدباء لياقوت الرومي ١١٠/٨

(٥) كشف الظنون لحاجي خليفة ١٨٥ و ٣١٠ و ٩٧٣ و ١٠٢٩ و ١١٦٩

و ١٩٠٧ و ١٩١٨

(٦) الإنباه للقفاي ٢٩٨/١

(٧) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٦٦/١ بتحقيقنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله أهل الحمد ومستحقه ، وصلاته على صفوته من خلقه : محمد خيرته ،
وعلى أبرار عترته ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ جَنَى ثَمَر الألباب ، واقتطف زهر الآداب ، متزهاً
في عقول الحكماء ، متفكهاً في أفانيل العلماء ، بالفاً بهيمته أعلى المراتب ، خاطباً
لنفسه أسنى المطالب ، مستقزاً في أرفع ذِرْوَةٍ ، متمسكاً بأوثق هُرْوَةٍ ، مَنْ عَرَفَ
للمحلم حقّه وفضله ، وسلك به طريقه وسبله ، وأكرم في الله مثواه ونزله ، وخص
بالقرب ذويه وأهله ؛ فاستوجب من جميل الذكر ، وجزيل الذُّخْر ؛ ما هو أزين
في الدنيا ، وأبقى في الأخرى : كالسيد الأئمة ، والنذ الأواحد ، حَسَنَةِ الدنيا ،
وعَلَمِ العِلْمِ ، وباني المسكارم ، وآبِي المظالم^(١) ، رجل اُلْخُطِبَ ، وفارس السُّكُتِ :
أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ، زعيم الكرم ، وواحد القمم ، الذي نال
الرياسة ، وحاز السياسة ، وانفرد بالبسط والقبض ، واتحد في الإبرام والتقص ،
عن سعى مشكور ، وفضل مشهور ، وعلم بالموارد والمصادر ، ونظر في الأوائل
والأواخر ، وتبع لأَنَارَ مَنْ سلف ، من أهل القدر^(٢) والشرف ؛ وتقلب في
مجالس الحكم ، بين ذوى الأقدار والهمم ؛ إلى أن صار نسيجَ وَخْدِهِ ، وقرِيعَ
دَهْرِهِ ؛ غير مُدَافِعٍ عن ذلك ، ولا متنازع فيه .

فالحمد لله الذي اختصه بالجلالة ، واستخلصه لشرف الحالة ، وقدمه على

(١) آبي المظالم : أى المنتنع عن قبولها ، وفي نسخة « ودارى . المظالم »

. أى : دافعيها .

(٢) في نسخة « الأخطار » وهو جمع خطر بفتحين .

المقدمين في الرتب ، وأقام به سوق العلم والأدب ، وجعل ذكره باقياً ، وجده سامياً ، وأبده من النصر والتوفيق ، بما فيه رضا الخالق والخلق ، فضلاً من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

وأنا — أطال الله بقاء السيد محروس النعمة ، مَرْهُوبَ النعمة ، مُوَفَى في دنياه ودينه ، منتفعاً بقلته وبقينه ، قليل الأنداد ، كثير الحساد — وإن لم أعلق من العلم إلا بمحاشية ، ولا أخذت منه إلا في ناحية ؛ لسوء المكان ، وقلة الإمكان ، وَزَمَانَةِ الزمان ، وحدث الحدثن ، قبل أن أعلق بحبل عنايته ، وأحفظ وأصير في حرم حمايته ، قد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرى أن تُقبل شهادته ، وتُثبت إرادته ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر ^(١) لحكماً » وروى « الحكمة » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « نعم ما تعلمته العربُ الأبياتُ من الشعر يُقَدِّمُها الرجلُ أمام حاجته : فيستزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم ^(٢) » . مع ما للشعر من عظيم اللزجة ، وشرف الأبيّة ، وعز الأنفة ، وسلطان القدرة ، ووجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه : يقدمون ويؤخرون ، ويقولون ويكثرون ، قد بوبوه أبواباً مبهمه ، ولقبوه ألقاباً متهمه ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة ، وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه ، وشاهد دَعْوَاهُ ، فجمعت أحسن ما قاله كل واحدٍ منهم في كتابه ؛ ليكون (العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه) ، إن شاء الله تعالى .

(١) قال ابن الأثير : « أي : إن من الشعر كلاماً نافعا يمنع من الجهل والسهو وينهى عنهما ، قيل : أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس ، والحكم : العلم ، والقلته ، والقضاء بالعدل ، وهو مصدر حكم بحكم ، وروى : إن من الشعر لحكمة ، وهي بمعنى الحكم » اهـ ، وانظر ص ٣٧ من هذا الجزء . قد فسر المؤلف . (٢) في التونسية « يستزل بها اللئيم ، ويستعطف بها الكريم » .

وعولت في أكثره على قريحة نفسي ، ونتيجة خاطري ؛ خَوَفَ التكرار ،
ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ، وَصَبَطَتُهُ الرواية ، فإنه لا سبيل إلى تغيير
شيء من لفظه ولا معناه ؛ ليؤتى بالأمر على وجهه ، فكل ما أُسْنِدَهُ إلى رجل
معروف باسمه ، ولا أَحَلْتُ فيه على كتاب بعينه ؛ فهو من ذلك ، إلا أن
يكون متداولاً بين العلماء ، لا يختص به واحد منهم دون الآخر ، وربما
نحلت أحد العرب ، وبعض أهل الأدب ، تسترأ بينهم ، ووقعوا دونهم ، بعد أن
قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع إلى أصله ، وبيئت للناس المبتدئ
وجه الصواب فيه ، وكشفت عنه لَبَسَ الارتياب به ، حتى أعرف باطله من
حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أُسمِ كتابي هذا باسم السيد — زاده الله
تعالى سُموً — لأكون كجالب النمر إلى هَجَرٍ^(١) ، ومهدى الوشي إلى عَدَنٍ^(٢) .
ولكن تزيينا باسمه الشريف ، وذكره الطيب ، واستسلاماً بين يدي علمه الطائل
وأدبه الكامل :

إِنْ قَصَرْتُ عَنْ بَعْضِ رَمِيَّةٍ أَوْ زَلَّ فِكْرُ أَوْبَى خَاطِرٍ
لَأَتْنِي فِيهِ — عَلَى نِيَّةٍ يُخَيِّرُ عَنْ بَاطِنِهَا الظَّاهِرُ

(١) هجر — بفتح الهاء والجيم جميعاً — بلدة باليمن ، ولفظه مذكر مصروف ،
وقد يؤنث ويمنع ، وقد يطلق هذا الاسم على جميع أرض البحرين ، وقال ابن
الأثير : بلد معروف بالبحرين ، وقال غيره : هي قصبة بلاد البحرين ، وللثلث الذي
ذكره المؤلف مشهور ، وقد ذكره الجوهري بلفظ « كبضع النمر إلى هجر » ونحوه
في المعنى قولهم « كجالب النمر إلى البحر » .

(٢) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهي بلدة
تجارة ، وهي مرفأً مراكب الهند ، وهي أقدم أسواق العرب ، وإلى اليمن عامسة
تنسب برود وجبر وأنواع من الوشي .

ولما عدلت في الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعني الإجلال من
مناسبة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقي إلى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصي
على تلك للشاهد العظيمة ، وعلت أن لا بد لي منه ، ولا غنى لي عنه ، إلا ما
حجز دونه آثماً من خدمة مولانا — خلد الله ملكه — لما غرني من فضله ،
وقيدني من إحسانه :

وَمَنْ وَجَدَ الْأَخْصَانَ قَيْدًا تَقِيدًا^(١)

نفضت جِرَابَ صدرى ، واستقدت كنز معرفتى ، وأيقنت أن صورة
الإنسان ، فضلةٌ عن القلب واللسان^(٢) ، وأن استحقاقه للفضل ، إنما هو من
جهة النطق والقل ، فثقلت له نفسى ، وأهديتها إليه ، ومثلت بها حقيقة بين
يديه ؛ إذ كانت الأنفاس متوطة بالأنفس ، واللره لولاهما مَوَاتٌ مُتَقَي لا خير
فيه ، ولا نفع عنده ، وأيضاً فإن النفس تقوت الحس ، وإنما تَدْرُكُ بالبصائر
لا بالأبصار ، والسيد — أدام الله عزه — أعلم بمعدرتى ، وأفومُ بحجتي ،
من أن أعرض خَزَنِي على جوهره ، أو أقيسَ وَشَلِي بأبصره ، بل أستقيه
وأسترشه ، وأستغنيه وأستنجديه ، ثم إنى لا أظهر حرفاً من كتابي هذا
إلا عن أمره وبعد إذنه ؛ لأكون به أقوى ثقة ، وله أشد مَقَّةً^(٣) ، فإن

(١) هذا عجز بيت لأبى الطيب المتنبي ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بن
حمدان ، وسدره :

* وَقَيْدَتْ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ حَبِيَّةٌ *

(٢) يشير بهذه العبارة إلى قول الشاعر :

لِسَانُ النَّفْسِ نِصْفٌ ، وَنِصْفُ فُؤَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ النَّحْمِ وَالْدَّمِ

(٣) اللقة : الحب ، وفضله ومقه يقفه بوزن وعده يعله .

وقع منه بموقع ، وحل من قبوله في موضع ؛ بلغت الإرادات ، ورجوت الزيادات :

وَأَرْزَقُ الْفَجِيرَ يَذُوقُ بَلَّ آبَيْهِهِ وَأَوَّلُ التَّيْتِ قَطْرُهُمْ يَنْسَكِبُ

والاسترة ستر العورة ، وطرحته طرح القلامة ، لعل الله يحدث بعد ذلك .
أمراً ، أسأله حسن التوفيق والمداية ، وأرغب إليه في العصمة والكفاية ، بمنه وقدرته ، ولطفه ورحمته .

(١) - باب في فضل الشعر

العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم ؛ لفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتحان الجسد ؛ إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ؛ إذ لا بد للانسان من أن يكون تَوَلَّى ذلك بنفسه ، أو احتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه .

وكلام العرب نوعان : منظوم له منشور . ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، وردثة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر ، وتساوتا في القيمة ، ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى - كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ؛ لأن كل منظوم أحسن من كل منشور من جنسه في معترف المادة ، ألا ترى أن الدر - وهو أخو اللفظ ونسيبه ، وإليه يقاس ، وبه يُشَبَّه - إذا كان منشوراً لم يؤمن عليه ، ولم يُلتَمَع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ؛ وإن كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منشوراً تبدد في الأسماع ، وتدرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا للفرطة في اللفظ وإن كانت ^(١) أجله ، والواحدة من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة

(١) لعل الصواب « إن كانت أجله » بدون واو .

للموصوفة ؛ فكم في سَقَط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يُعْبَأ به ، ولا يُنْظَر إليه ، فإذا أخذهُ سَلَك الوزن ، وعقد القافية ؛ تألقت أشتاته ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذهُ اللابس جالا ، وللدخُرُ مالا ، فصار قِرْطَةَ الآذَان ، وقلائد الأعناق ، وأمانى النفوس ، وأكاليل الرؤوس ، يَقلِّبُ بالأسن ، ويُنْجِبُ في القلوب ، مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والنصب .

وقد اجتمع الناس على أن للنثور في كلامهم أكثر ، وأقل جيداً محفوفاً ، وأن الشعر أقل ، وأكثر جيداً محفوفاً ؛ لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد للنثور

وكان الكلام كله منشوراً فاحتاجت العرب إلى الفناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أغراضها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفسانها الأنجاد ، ومُحَامِلُها الأجواد ؛ تهز أنفسهم إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهوا أعاريض جملوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ؛ لأهم شعروا به ، أى : فطنوا .

وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد للنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ؛ فلم يحفظ من للنثور عُشْرُهُ ، ولا ضاع من للموزون عُشْرُهُ .

ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر ، الطاعنين على الشعر ، يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منشورٌ ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر ؛ لقول الله تعالى : (وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له) ويرى أنه قد أبلغ في الحاجة ، وبلغ في الحاجة ، والذي عليه في ذلك أكثر مما له ؛ لأن الله تعالى إنما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك ، حين استوت الفصاحة ، واشتهرت البلاغة ؛ آيةً للنبوة ، وحجة على الخلق ، وإعجازاً للمتساطين ، وجعله منشوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون

قادراً على ما يحبه من الكلام ، وتحدّى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك ، كما قال الله تعالى : (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمترسلين وليس بترسل ، وإعجازه الشعراء أشدّ برهاناً ، ألا ترى كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم ؟ فقالوا : هو شاعر ، لما في قلوبهم من هبة الشعر وفخامته ، وأنه يقع منه مالا يُلحَقُ ، وللشعر ليس كذلك ، فن هنا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ ، وَمَا يَنْبِئُ لَهُ ﴾ أى : لتقوم عليكم الحجة ، ويصح قبلكم الدليل ، ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال : معناه ما الذي علمناه شعراً ، وما ينبئ له أن يبلغ عنا شعراً . وقال غيره : أراد وما ينبئ له أن يبايع عنا ما لم نعلمه ، أى : ليس هو ممن يفعل ذلك ؛ لأمانته ومشهور صدقه . ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد .

واحتج بعضهم بأن الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ، ولا تجمد^(١) كاتباً يخدم شاعراً ، وقد عيّنت عليهم الأنباء ، وإنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه ، مدلل بما عنده على الكاتب وللكاتب ؛ فهو يطلب ما في أيديهما ويأخذه ، والكاتب بأى آية يُفَضَّلُ^(٢) الشاعر فيرجو ما في يده ؟ وإنما صناعته فضلة عن صناعته ، على أن يكون كاتب بلاغة ، فأما كاتب الخدمة في القانون وما شاكلة فصانع

(١) في نسخة « يجمدون » .

(٢) في نسخة « يقصد » .

مستأجره ، مع أنه قد كان لأبي تمام والبحترى قهارة^(١) وكتاب ، وكان من عيان الشعراء كتاب أزمة كبشار^(٢) وأبي على البصير ، وكان ابن الرومي من أكبر كتاب النواوين ، فغلب عليه الشعر ؛ لأنه غلاب . وكانجد من مدح السوق في الشعراء فكذلك تجدد للسوق كتاباً ، وللتجار الباعة ، في زمننا هذا وقيله . ولم أجمع بهذا الرد ، وأورد هذه الحجة ، لولا أن السيد - أبقاه الله - قد جمع النوعين ، وحاز الفضيلتين ، فهما قطعتان من بحر ، ونورأتان^(٣) من زهره ، وسيرد في أضاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلاً على صدق ما قلته ، إن شاء الله تعالى .

ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه ، وينسب إلى أمه ، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقل السوق ؛ فلا ينكر ذلك عليه ، بل يراه أوكد في المدح ، وأعظم اشتهاً للمدح ، كل ذلك حرص على الشعر ، ورغبة فيه ، ولبقائه على مرّ الدهور واختلاف المصور ، والكاتب لا يفعل ذلك إلا أن يفعله منظوماً غير منشور ، وهذه مزية ظاهرة وفضل بين

ومن فضائله أن الكذب - الذي اجتمع الناس على قبحه - حسن فيه ، وحسبك ما حسن الكذب ، واغتر له قبحه ، فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بـجـيـر ينهـاء عن الإسلام ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه ، فأرسل إليه أخوه « ويحك ! إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (١) قهارة : جمع قهرمان - بفتح القاف وسكون المـاء وفتح الراء - قال في اللسان : هو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمر الرجل ، بلغة الفرس .

(٢) قال الجاحظ : « كان بشار خطيباً صاحب منشور ، ومزدوج ، وسجع ، ورسائل ، وهو من اللطوبعين ، أصحاب الإبداع والاختراع ، المتفنين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه » ١ هـ

(٣) واحدهما نورة - بضم النون ، وتشديد الواو - والجمع نوار مثل رمان

عليه وسلم أوعذك لما بلغه عنك ، وقد كان أوعد رجالاً بمكة من كان يهجوهم ويؤذيه يقتلهم - يعني ابن خَطَلٍ^(١) وابن حُبَابَةَ^(٢) - وإنَّ من بقي من شعراء قريش كابن الزُّبَيْرِ وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لا يقتل من جاء تائباً ، وإلا فأنج إلى نجائك ؛ فإنه والله فأتاك ، فضاعت به الأرض ، فأنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متكرراً ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً ، أفتؤمنه فأتيك به ؟ قال : هو آمن ، فحسرت كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله [هذا] مكان المأذِرِ بك ، أنا كعب بن زهير ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشد كعب قصيدته التي أولها :

(١) ابن خطل - بفتح كل من الحاء والطاء - قيل : اسمه عبد الله بن خطل وقال الزبير بن بكار : اسمه آدم ، القرشي الأدمي ، وهو من ولد تميم بن غالب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لارتداده مشركاً ، وأنه كان بأمر قينتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد قتله أبو رزة الأسلمي يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة .

(٢) ابن حباب - بضم الحاء المهملة - وكان في الأصول بضاد معجمة ، وفي سيرة ابن هشام بصاد مهملة ، والصواب ما أثبتناه ، وهو مقيس - بزنة منبر - أحد بني كلب بن عوف من الدئل ، وقد قتله غيلة بن عبد الله - وهو رجل من قومه - يوم فتح مكة ؛ لأنه كان قد قتل رجلاً من المسلمين ثم ارتد مشركاً ، فأهدر النبي دمه .

(٣) في نسخة « فصر » وهي رواية شرح قصيدة كعب لابن هشام ، ورواية السيرة كما أثبتنا :

بَآتَ سَعَادُ صَلَّى الْيَوْمَ مَتْبُولٌ مَتِّمٌ لِمَرَّهَا لَمْ يُقَدْ مَكْبُولٌ
يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه وَجَلَّهِ :

أُبَشِّرُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْفَوْعُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَنْصِيلٌ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ فَلَمْ أَذْنِبْ ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
فَلَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ ، وَمَا كَانَ لِيُوعِدَهُ عَلَى بَاطِلٍ ،
بَلْ تَجَاوَزَ عَنْهُ وَوَسَّيَ لَهُ بُرْدَتَهُ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ مَعَاوِيَةُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَقَالَ
الْقَتِيبِيُّ ^(١) بِشَرِّينَ أَلْفًا ، وَهِيَ الَّتِي يَتَوَارَثُهَا الْخُلَفَاءُ يَلْبَسُونَهَا فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ
تَبَرَّكَابَهَا .

وذكر جماعة - منهم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر - أنه أعطاه
مع البردة مائة من الإبل ، قال : وقال الأحموس يَذْكُرُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْمَزِينِ عَطِيَّةَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعْبًا ، وَقَدْ تَوَقَّفَ فِي عَطَاءِ الشُّعْرَاءِ :

وَقَبْلَكَ مَا أُعْطِيَ هَنْيِدَةً ^(٢) جَلَّةً عَلَى الشُّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلٍ
رَسُولُ الْإِلَهِ الْمُسْتَضَاءِ بِنُورِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
وَاعْتَفَرَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِفْكَ بِقَوْلِهِ لَمَّا نَشَأَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي
أَيَّامٍ مَدَحَهَا بِهَا :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُرْنُ بَرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غُرْنِي مِنْ لَحْمِ الْفَوَافِلِ
يقول فيها :

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَتْ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي
ثم يقول :

(١) في نسخة « القتيبي » .

(٢) هنيئة : اسم لمائة من الإبل ، ويقال « سديس » للناقعة إذا كانت في
السنة الثامنة ، والبازل : فوق السديس .

فإن الذي قد قيل ليس بلاطلاً^(١) ولكنه قولُ امرئ بنِ ماحلٍ
فاتخذت كما تراه مغالطاً في شيء نفذَ فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحدِّ ، وزعم أن ذلك قولُ امرئ ماحِلٍ ، أى : مُكَايِدٌ ، فلم يعاقب لما يرون
من استخفاف كذب الشاعر ، وأنه يحتج به ولا يحتج عليه .

وسئل أحدُ المتقدمين عن الشعراء فقال : ما ظنك بقوم الاتصاف محمود إلا
منهم ، والكذب مدموم إلا فيهم .

حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابورى أن كعب الأحمار قال له
عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر : يا كعب ، هل نجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟
فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون
بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا تعلمهم إلا العرب .

وقيل : ليس لأحد من الناس أن يُطَرِّىَ نفسه ويمدحها ، في غير منافرة ،
إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر ، غير مَمِيحٍ عليه .

وقال بعضهم — وأظنه أبا العباس الناشئ — العلم عند الفلاسفة ثلاث
طبقات : أعلى ، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك بالقل أو القياس ، وأوسط ،
وهو علم الآداب النفيسة التي أظهرها العقلُ من الأشياء الطبيعية كالأعداد
والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون ، وأسفل ، وهو العلم بالأشياء الجزئية
والأشخاص الجسمية ، فوجب — إذا كانت العلوم أفضلها ما لم تشارك فيه
'الجسوم' — أن يكون أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات ، وإذا كانت

(١) في نسخة : ليس بمقولى ، وما أثبتناه هو رواية الديوان ، وقوله « ليس
بلاطلاً » معناه : ليس بلازم ولا لاصق ، وتقول : هذا القول لا يلوط بملان ، بمعنى
لا يلصق به ، والماحل : الذي يحشى بالقيمة ويسعى إلى السلطان ، وتفسير المؤلف له
قريب من هذا .

البحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذى هو أحد قسمى الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة ، فكان أعظم من الذى هو أعظم أركان الفلسفة ، والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام للنقول عنه مختصراً وليس نصاً .

فإن قيل فى الشعر : إنه سبب التكلف ، وأخذ الأعراض ، وما أشبه ذلك ؛ لم يلحقه من ذلك إلا ما يلحق للنثور .

ومن فضائله أن اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التى يعشى ذهابها ، فكيف ظنك بالرب الذى هو غزرها العظيم وقسطاسها المستقيم ؟

وزعم صاحب الموسيقى أن ألد الملاذ كلها اللحن ، ومن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان ، والأشعار معايير الأوتار لا محالة ، مع أن صنعة صاحب الألحان واضحة من قدره ، مستخدمة له ، نازلة به ، مُستَظَفة لمرودته ، ورتبة الشاعر لا تَهَانة فيها عليه ، بل تكسبه مهابة العلم ، وتكسوه جلالة الحكمة .

فأما قيامه^(١) وجلس صاحب البحون فلأن هذا منشوف إليه ، يجب إسماع مَنْ بحضرته أجمعين ، بغير آلة ولا مُعِين ، ولا يمكنه ذلك إلا قائماً أو مشرفاً ، وليلد على نفسه ، ويُعلم أنه التكلّم دون غيره ، وكذلك الخطيب ، وصاحب البحون لا يمكنه القيام لما فى حجره كرامة منه^(٢) على القوم ، على أن منهم مَنْ كان يقوم بالدف والمزهر .

(١) يريد أن الشاعر ينشد شعره وهو قائم ، وصاحب الألحان يطرب وهو جالس .

(٢) هكذا فى الأصول كلها ، ونعتقد أن الصواب « لا كرامة به على القوم » .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحسماً » وقيل « لحكمة » : قرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حُكماً ؛ لأن الشعر يُخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه ، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل ، والباطل بصورة الحق ؛ لركة معناه ، ولطف موقعه ، وأبلغ اليبائين عند العلماء الشعر بلا مدافعة ، وقال ^(١) رؤبة :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا

قرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك اللمة ، ويروى أيضاً * لقد حسنت * بسين مضمومة غير معجمة ، ونون ، والتاء مفتوحة .

(٢) - باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما الشعر كلامٌ مؤلفٌ فوافق الحق منه ^(٢) فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه » ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الشعر كلامٌ ، فمن الكلام خبيثٌ وطيبٌ » ، وقالت عائشة رضى الله عنها : الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن وأترك القبيح ، ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بقى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ، وقال

(١) في ديوان أراجيز رؤبة أرجوزة طويلة على هفم القافية ليس فيها هذا البيت .

(٢) في الصريتين « عنه » وليس بشيء .

على بن أبي طالب رضى الله عنه : الشعر ميزان القول ، ورواه بعضهم : الشعر ميزان القوم .

وروى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها ، وتسل به الضفائير من بينها » وأنشد ابن عائشة قول أعشى بني قيس بن ثعلبة :

قَلَدْتُكَ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا قَائِشَ ، وَالشَّيْءَ حَيْثُ مَا جُعِلَ (١)
وَالشَّعْرُ يُسْتَنْزَلُ الْكَرِيمَ كَمَا يُنْزَلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلَا

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت : مرّ الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحصان ينشدم ، وهم غير آذنين (٢) لما يسمعون من شعره ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريمة ؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ، ويميززل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا أنشده .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أرغلا كرهاه البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما تغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : مرّ من قبلك بتعلم الشعر ؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب .

(١) البيتان في ديوان الأعشى (ص ١٧٥) ويروى في البيت الأول « يا سلامة ذا الفضل » ويروى « يا سلامة ذا التقصار » وهي القلائد ، ويروى في الثاني « كما استنزل رعد » والسبل — بفتحيتين — المطربين السحاب والأرض .
(٢) غير آذنين : أى غير منصتين .

وقال معاوية رحمه الله : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب الأدب .

وقال : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الحرير بصفين - وقد أتيت بفرس أغرٍّ مُحَجَّلٍ بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الحرب لشدة البلوى - فما حلني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أَبْتُ لِي يَهْمِي وَأَبِي بَلَاءِي وَأَخَذِي الْحَدَّ بِالْمَنِّ الرِّيحِ
وإفحاني على المكروه نفسي وصربي هامةَ البطولِ المُشِيمِ
وقولي كلما جشأت وجاشت : مكانك نُحْمَدِي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأخشي بعدُ عن عرضٍ صحيح

ويروى أن أعرابياً وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : إن لي إليك حاجة رعتها إلى الله قبل أن أرفضها إليك ، فإن أنت قضيتها حدثتُ الله تعالى وشكرتك ، وإن لم تقضها حدثتُ الله تعالى وعذرتك ، فقال له علي : خُطُّ حاجتك في الأرض ، فإني أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابي على الأرض « إني فقير » فقال علي : يا فقير ! ادفع إليه حلتي العلانية ، فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حُلَّةً تَبْكِي مُحاسِنُهَا فسوف أكون من حسن التناحلا
إن الثناء لي يحيي ذكر صاحبه كالنَّيْتِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ
لا تزهدي الدهر في عُرفٍ بدأت به فكلُّ عبدٍ سيجزَى بالذي فعلا

فقال علي : يا فقير ، أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فله أنتك ، وأما الدنانير فلا دبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنزلوا الناس منازلهم »

وقيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً بال عراق يكرهون الشعر ، فقال : نسكوا نسكاً أجمعياً

سعيد بن المسيب
يعيب من يكره
الشعر

رأى ابن سيرين في الشعر ، وكذلك ما يفتح منه . وقال ابن سيرين : الشعر كلام عقد بالقوافي ، فما حسن في الكلام حسن في الشعر . وسئل في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان - وقد قال قوم : إنها تنقص الوضوء - فقال :

تُبَيِّنْتُ أَنْ قَنَاءَ كُنْتُ أَخْطِبُهَا عُرُوقُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ
ثُمَّ قَامَ فَأَمَّ النَّاسَ ، وَقِيلَ : بَلْ أَنْشُدْ :
لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسٌ ^(١) الْفَرَزْدَقُ فَاثْرًا

ولو رَضِيتُ رُمُحَ أَسْتَه لَا سَقَرْتُ

والعمرى يحض على رواية الشعر . وقال الزبير بن بكار : سمعت العمرى يقول : رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشَّعْرَ ؛ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ عُنْدَ اللِّسَانِ ، وَيَشْجَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ ، وَيَطْلُقُ يَدَ الْبَخِيلِ ، وَيَحْضُ عَلَى الْخَلْقِ الْجَمِيلِ .

ابن عباس وسئل ابن عباس : هل الشعر من رَفَثِ القول ؟ فَأَنْشَدَ :
وَهَنْ يَمْشِينَ بِنَا كَهَيْسَا إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ تَنِيكَ لَيْسًا
وقال : إنما الرفث عند النساء ، ثم أحرم للصلاة .

وكان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ؛ فإن الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً .

عائشة وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر . يقال : إنها كانت كثيرة الرواية للشعر . تروى جميع شعر لبيد .

وردى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتدع العربُ الشعرَ حتى تدعَ الأبلُ الحثينَ » .

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجه .

وكان أبو السائب الخزومي - على شرفه ، وجلالته ، وفضله في الدين والعلم - أبو السائب الخزومي يقول : أما والله لو كان الشعر مُحرَّمًا لوردنا الرحبة كل يوم مراراً . والرحبة : الخزومي وجهه للشعر
الموضع الذي تقام فيه الحدود ، يريد أنه لا يستطيع الصبر عنه فيُحتد في كل يوم مراراً ولا يتركه .

فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغي) والشعراء يتبعهم الرد على حجة التأويل ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط ، وسوء تأويل ؛ لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومُسُوهُ بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فتبر داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ، وجميعون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت ، وكمب بن مالك ، وعبد الله بن رَوَاحَة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء النفر أشد على قريش من نضج^(١) النبل » ، وقال لحسان بن ثابت « أَهْجُهُمْ - يعني قريشا - فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ، في غَلَسِ الظلام ، أَهْجُهُمْ ومَلِكُ جبريل روح القدس ، وألقى أبا بكر يعلك تلك الكُنَات » فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يتبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ، ويسمعه منهم .
وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا^(٢) حَقِي

(١) نضج النبل : الرمي بها .

(٢) القيح : اللدة ، وقد قاحت القرحة ، وتقيحت . وقال الجوهري : وري القيح جوفه يريه ، أكله ، وقال قوم : معناه أصاب رثته ، وأنكره آخرون ؛ لأن الرثة مهموزة فإذا بنيت منها فصلا قلت : رآه .

يَرِيَهُ خَيْرُ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا ۖ فَإِنَّمَا هُوَ مَنْ غَلِبَ الشَّعْرُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَلَكَ
نَفْسَهُ حَتَّى شَغَلَهُ عَنْ دِينِهِ وَإِقَامَةِ فَرُوضِهِ ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ
الْقُرْآنِ ، وَالشَّعْرِ وَغَيْرِهِ ۚ — بِمَا جَرَى هَذِهِ الْحَجَرُ مِنْ شَطَرِنَجٍ وَغَيْرِهِ — سَوَاءٌ .
وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مَنْ يَتَخَذُ الشَّعْرَ أَدْبَاءً وَفِكَاهَةً وَإِقَامَةً مَرُوءَةً فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ وَقَدْ
قَالَ الشَّعْرُ كَثِيرٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَالْجُلَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ
لِلشُّعْبِيِّينَ ، وَسَاءَ ذِكْرُ مَنْ ذَلِكَ طَرَفًا يَقْتَدِي بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى .

(٣) — بَابُ فِي أَشْعَارِ الْخُلَفَاءِ ۖ وَالْقَضَاءِ ۖ وَالْفُقَهَاءِ

مَنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ^(١) : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالُوا : وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عُمَانَ ، وَيُقَالُ : عَتِيقُ لِقَبِّ لَهُ — قَالَ فِي غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، رَوَاهُ ابْنُ
إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ :

شعر ينسب
لأبي بكر
الصدِّيق

أَمِنْ طَيْفٍ سَلَى بِالْبَطْلِحِ السَّمَائِثِ أُرْقَتْ ، أَوْ أَمْرٍ فِي الْمَشِيرَةِ حَادِثٍ ؟؟
تَرَى مِنْ لَوْىِ فِرْقَةٍ لَا يَصُدُّهَا عَنْ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا بَعْثٌ بَاعِثٌ
رَسُولٌ أَنَّهُمْ صَادِقٌ فَتَكْذِبُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَسْتَ فِينَا بِمَآكِلٍ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا وَهَرُّوا هَرِيرَ اللَّجَجَرَاتِ ^(٢) اللَّوَاهِثِ

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » ۖ وَقَالَ السَّهْبِيُّ : « وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ لَهُ
مَارُودِي عَبْدِ الرَّزَاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَذَبَ مَنْ
أَخْبَرَكَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَيْتَ شَعْرٍ فِي الْإِسْلَامِ » ۖ ۱

(٢) كَانَ فِي الْأَصُولِ لِلطَّبُوعَةِ « الْحَجَرَاتِ » بِتَحْدِيدِ الْمُهَمِّدِ ، وَالتَّصْوِيبِ عَنْ
سَيِّدَةِ ابْنِ هِشَامٍ (ج ٢ ص ٣ بُولَاق) وَعَنْ الرُّوضِ الْأَنْفِ (ج ٢ ص ٥٥)

فَكَمْ قَدْ مَتَّعْنَا^(١) فِيهِمْ قِرَاءَةَ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَصَوَقَهُمْ
وَلَنْ يَرْجِعُوا حَفِيَّانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ مِنْ ذَوَابَةِ غَالِبٍ
قَالُوا رَبِّ الرَّاغِبَاتِ عَشِيَّةً
كَأَدَمٍ ظَبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكُفٍ
لَنْ لَمْ يَفْقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
لَتَبْتَدِرْ رَنَّهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مُصَدِّقٍ
تَقَادِرُ قَتْلَ تَمَصُّبِ الطَّيْرِ حَوْلَهُمْ
فَأُبْلَغَ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
فَإِنْ تَشْعُو أَعْرَضَ عَلَى سُوءِ رَأْيِهِمْ

ومن شعر عمر بن الخطاب رضى الله عنه - وكان من أقصد أهل زمانه للشعر
وأفذهم فيه معرفة - وروى للأعور الشقي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِأَتَيْكَ مَنِّهَا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

ومن شعره أيضا - وقد لبس برداً جديداً فنظر الناسُ إليه - وقد روى
لورقة بن نوفل في أبيات :

- (١) في الطبوعتين «مثنائنا» وهو خطأ، والتصويب عن السيرة في السكان السابق
- (٢) في الطبوعتين «الثالث» وهو خطأ.
- (٣) في الطبوعتين «ماجت» ،
- (٤) رواية هذا البيت في السيرة :

فَإِنْ تَشْعُو أَعْرَضَ عَلَى سُوءِ رَأْيِهِمْ
(٣ - المدة ١)

أبيات تنسب
لعمر بن
الخطاب

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
لم تُفني عن هُرمي يوماً خزانته
ولا سلبان ؛ إذ تجرى الرياح له
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ
ومن شعره أيضاً رضى الله عنه :

توعدني كعبٌ ثلاثاً يسدّها
وما بى خوفُ اللوت ؛ إني لميتٌ
ولا شك أن القول ماقال لي كعبٌ
ولكن خوف الذنب يبقه الذنب

ومن شعر عثمان بن عفان رضى الله عنه :

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها
وما عسرة - فاصبر لها إن لقيتها -
وإن عَصَبًا حتى يضربها الفقرُ
بكائنة إلا سيتبها يُسرُّ

ومن شعر علي بن أبي طالب رضى الله عنه - وكان مجوداً - ماقاله يوم صفين

يذكر همدان ونصرهم إياه :

ولما رأيتُ الخيلَ ترجمُ بالقنا
وأعرضَ تقعُ في السماء كأنه
ونادى ابنُ هندى الكلاع وحير
تيممت همدان الذين هم هم
فجاوبني من خيل همدان عصبة
فخاضوا ألقاها واستطاروا شرارها
فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ
وهو القاتل بصفين أيضاً :

لمن راية سحره^(١) يخفق ظلها
إذا قلتُ قدّمها حصينُ تقدما

من شعر ينسب
لعثمان بن عفان

من شعر
علي بن أبي طالب

فيوردها في الصف حتى يَرِدَ بها حياضَ النايَا تَطْرُقُ للوْتِ والدمَا
فهؤلاء الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم : مامنهم إلا من قال الشر ،
وخامسهم الحسن بن علي رحمه الله ، وهو القائل - وقد خرج على أصحابه مختصبا -
من شعر
لحسن بن علي
رواه للبرد :

نَسُوْدُ أَعْلَاهَا ، وتَأْبَى أَسْوَلُهَا ، فليت الذي يَنْسُوْدُ منها هو الأصل ^(١)
ومن شعر معاوية بن أبي سفيان رحمه الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن من شعر لمعاوية
عبد الرحمن المدني ، قال : لما حضرت معاويةَ الوفاةَ جعل يقول :
إِنْ تَنَاقَشَ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَارَبَّ عَذَابًا ، لَا طَوْقَ لِي بِالْمَذَابِ ^(٢)
أَوْ تَجَاوَزْ فَأَنْتَ رَبُّ رَهَوْفٍ عَنْ مَسِيءِ ذُنُوبِهِ كَالْثَرَابِ
وروي في غير موضع واحد :

فَقَدَرْتُ سَفَاهَتِي ، وَأَرْحَتُ غَمِّي وَفِيَّ عَلَى تَحْلِيٍّ اغْتِرَاضُ
حَلِي أَنِي أَجِيبُ إِذَا دَعَتْنِي إِلَى حَاجَتِهَا الْخَلْقُ الْمُرَاضُ
ومن قوله أيضًا ، وهو لائق به ، دالٌّ على صحة ناقله :

إِذَا لَمْ أَجِدْ بِالْحِلْمِ مِنِّي عَلَيْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَمْدِي بِؤْمُلُ الْحِلْمِ ؟ !
خَذِبْهَا هَنْبًا وَادْكُرْ فَمَلَّ مَا جِدَّ حَبْلُكَ عَلَى حَرْبِ الدَّوَاوِرِ بِالسَّلْمِ
وأما يزيد بن معاوية فَمَنْ بَعْدَهُ فكثير شعرهم مشهور .

ومن شعر الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله من شعر
الحسين بن علي
في امرأته :

لِعَمْرِكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَارًا تَحُلُّ بِهَا سُكْنِيَّةُ الرَّبَّابِ

(١) يريد أنه يسود أطراف شعره والظاهر منه بالخضب ، ولكن جنود الشعر
تأبى إلا البقاء على الشيب ١١ .
(٢) لا طوق لي : أي لا طاقة لي ، يريد أنه لا يحتمله .

أخيهما وأبذل جلّ مالى وليس لِلأُمَيّ عندي عتاب

وليس من بنى عبد المطلب رجالاً ونساء مَنْ لم يقل الشعر ، حاشا للنبي صلى الله عليه وسلم : فن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه في قصيدة تركت أكثرها اختصاراً :

| | | |
|------------------------------|--|--|
| من شعر حمزة ابن عبدالمطلب | عشية صاروا جاشدين وكلنا فما تراءينا أناخوا فقلوا وقلنا لهم: حبل الإله نصيرنا فأرأبوجهل هنالك ياغيأ وما نحن إلا في ثلاثين راكبا | مراحله من غيظ أصحابه تفلى مطايا وعقلنا مدى غرض النبل وما لكم إلا الضلالة من حبل غلب ، ورد الله كيد أبي جهل وم ماثان بد واحدة فصل |
|------------------------------|--|--|

وأما العباس فكان شاعراً مقلداً حسن التهديى : من ذلك قوله رحمه الله
يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من شعر
العباس بن
عبد المطلب

ألا هل أتى عزمى مكررى وموقفى
وقولى إذا ما النفس جاشت لما قدى
وكيف رددت الخليل وهى متيرة
فصرنا رسول الله فى الحرب سبية^(١)
بوادى حنين والأسنة تُشرع
وهام تدهدى والتواعد تقطع
بزوراء تعطى باليدى وتمنع
وقد فر من قد فر عنه فأقشوا

ومن شعر عبد الله بن عباس رضى الله عنه :

(١) أثبت التاريخ أن المسلمين في غزوة حنين لما انهزموا أمام هوازن وقصيب ومن لف لفهم من الأعراب ، بقى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية رجال هم : أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وأبوسفيان ابن الحارث ، وأخوه ربيعة بن الحارث ، ومعتب بن أبي لهب ، وكان رسول الله أركبه بقلته ، والعباس أخذ بلجامها ؛ وأبوسفيان أخذ بالركاب .

إذا طارقات الهم ضاجت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرنى فى حاجة لم يجد بها سوى ولا من نكبة الدهر ناسر
فرجبت بمالى هـ من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل على بظنه بى الخير ؛ إلى الذى ظن شاكر
ومن شعر جعفر بن أبى طالب ذى الجناحين رضى الله عنه قوله يوم موته وفيه
بن أبى طالب
قتل رحمة الله عليه :

يا حبذا الجنة واقتربا طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها على إذ لاقيتها ضرابها
وشعر أبى سفيان بن الحارث مشهور فى الجاهلية والإسلام . فأما أبو طالب
ومن شاكله فلم أذكر لهم شيئا ، خلا يتيين لمهد الله بن عبد المطلب أنشداهما
من شعر عبد الله
بن عبد المطلب
القاضى أبو الفضل ، وهما :

وأخوّر مخضوب البنان محجب دعانى فلم أعرف إلى مادعا وجهه^(١)
بخلت بنفسى عن مقام يشينها فلست مريداً ذلك طوعاً ولا كرهاً
وكانت فاطمة رضى الله عنها تقول الشعر ، رويت لها أشياء كثيرة .
ثم نرجع إلى الخلفاء المرضيين : قال عمر بن عبد العزيز ، رواه الأوزاعي عن
من شعر عمر
بن عبد العزيز
محمد بن كعب :

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم ؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم ؟
فلو كنت يقظان النداة لخرقت جفونا لعينيك النموع السواجم
نهارك يامرور سهو وغفلة وليك نوم ، والردى لك لازم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم
ومما أنبته حماد الراوية من شعره :

(١) الأحور : الذى فى عينه الحور ، وهو شدة يياض يياض العين مع شدة
سواد سوادها ، وأراد امرأة ، ولكنه ذكر لكونه قصد شخصا .

إِنَّهُ الْقَوَادُّ عَنِ الصَّبَا وَعَنِ اتِّقْيَاكَ لِلْهَوَى^(١)
 فَلَعَمْرُكَ إِنَّ فِي شَيْبِ الْمَفَارِقِ وَالْجَلَا
 لَكَ وَاعْظًا لَوْ كُنْتَ تَتَّعِظُ انْتِظَا ذَوَى النَّهَى
 حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي ؟ وَإِلَى مَتَى ؟ وَإِلَى مَتَى ؟
 بَيْتِ الشَّبَابِ وَأَنْتِ إِنَّ حُمُرَتْ رَهْنٌ لِلْبَيْتِ
 وَحَكْنِي بِذَلِكَ زَاغِرًا لِلْمَرْءِ مِنْ غَيْرِ ، كَفَى

ومن شعره أيضًا أنشده ابن داود القياسي في كتابه :

وَلَوْلَا النَّهْيُ ثُمَّ التَّقَى خَشْيَةَ الرَّدَى لَمَاصَيْتُ فِي حَبِّ الصَّبَا كُلَّ زَاغِرٍ
 صَبَاً مَا صَبَاً فِيمَا مَضَى ثُمَّ لَا تُرَى لَهُ صَبَوَةٌ أُخْرَى إِلَّا بَالِي الْفَوَارِ

ومن قول عبد الله بن الزبير قوله - وقد ولي الحرمين مدة ، ودعى بأمر
 للمؤمنين ما شاء الله حتى قتل ، رحمة الله عليه - وقد روى لعبد الله بن الزبير -
 بفتح الزاي وكسر الباء - :

من شعر
عبد الله
ابن الزبير

لَا أَحْسَبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يَفَارِقُنِي وَلَا أَحْزُ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
 وَمَا لَقِيتُ مِنْ الْمَكْرُورِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا
 ومن قوله المشهور عنه :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَرَادَ مَسَاقِي بَغِيْبٍ ، وَلَوْ لَاقَيْتُهُ لَتَسَدَّمَا
 كَثِيرٍ أَلْمَنَّا حَتَّى إِذَا مَا لَقَيْتَهُ أَصْرًا عَلَى إِمِّمْ وَإِنْ كَانَ أَقْسَمَا

وحسبك من القضاة شريح بن الحارث : كان شاعراً مجوداً ، وقد استقضا
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتب إلى مؤدب ولده - وقد وجده وقت

(١) في المطبوعتين «وعن اتقياده» وبنازحه سكون الهاء - وهي ضمير الغائب -
 في غير موقف ، وليس بشيء ، والأفضل ما أثبتناه .

الصلاة يلعب بجزو كلب ، وأودع الأبيات رقمةً وأنفذها مع ولده غنومة
إلى المؤبد - :
من شعر
القاضي شريح

ترك الصلاة لأكلب يسى بها طلب الميراث مع الفتوة الرجس
فليأتينك غدوةً بصحيفة كتبت له كصحيفة للتلس
فإذا هممت بضربه فيدرّة وإذا بلغت به ثلاثاً فاحس
واعلم بأنك ما أتيت نفسك مع ما يُجرّعي - أعز الأنفس

فهذا شريح ، وهلم جرا إلى حيث شئت ، ومن الفقهاء عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود ، قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة فقتن بها الناس
ورغبوا فيها خاطبين :

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم الوليد مؤلمي شهيدى أبو بكر فنعم شهيد
ويعلم وجدى قاسم بن محمد وعروة ما أخفى بكم وسعيد
ويعلم ما ألقى سليمان عليه وخارجة يدي بنا ويعيد
مضى تسأل عما أقول تخبري فله عندي طارف وتليد

هؤلاء الستة الذين ذكرهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وسعيد بن
المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبيد الله صاحب
هذا الشعر هو سابعهم ، وهم فقهاء المدينة ، وأصحاب الرأي الذين هم
عليهم المدار .

وقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس يرون الفناء بغير آفة جائزاً ،
وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ، والفناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويلاً ،
ومحال أن يحرم الشعر من يحل الفناء به .

من شعر الإمام الشافعي وأما محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتناناً في الشعر ، وهو القائل :

وَمُتِمِّبِ الْعَيْسِ مَرْتاحاً إِلَى بَلَدٍ وَالْمَوْتُ يُطْلِبُهُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ
وَضاحِكٍ وَلِلنَّايَا فَوْقَ مَفْرَقِهِ لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدِ
مَنْ كَانَ لَمْ يُوْتِ عِلْماً فِي بَقَاءِ غَدِ مَاذَا تَفَكَّرُهُ فِي رِزْقٍ بَعْدَ غَدِ
ومن قوله أيضاً في غير هذا المعنى :

الْجَدُّ يَدْنِي كُلَّ شَيْءٍ شَاسِعٍ وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مَغْلَقِ
فَإِذَا سَمِعْتَ أَنَّ مَجْلُوداً حَوَى عُوْدًا فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْهِ فَصَدَّقِ
وَإِذَا سَمِعْتَ أَنَّ مَحْرُومًا أَتَى مَاءَ لِيَشْرِبَهُ خَفَّ خَفًّا فَخَفِّقِ
وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْهَمِّ امْرُؤُ ذَوْ هَمَةٍ يُنْبِلُ بِرِزْقٍ ضَيْقِ
وَلَرْبِمَا عَرَّضْتَ لِنَفْسِي فِكْرَةً فَأَوْدَمْنَاهُ — أَنِّي لَمْ أُخْلِقِ

وهذا باب لو تقتصيته لاحتمل كتاباً مفرداً ، ولكنني طبقت للفصل ، وذكرته بعض المشاهير من الناس .

(٤) — باب من رفعه الشعر ، ومن وضعه

الشعر يرفع وبضع الشعر يرفع إما قيل في الشعر « إنه يرفع من قدر الوضع الجاهل ، مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل ، وإنه أسنى مروءة الدنيا ، وأدنى مروءة السرى » لأمر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل ، وظنه مثلبة وهو منقبة ، وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به ، مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتخذ مكسباً ، كاللذى يؤثر من سقوط النابذة الذي ياني بامتداحه النعمان بن النذر ، وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان أشرف بني ذبيان ،

هذا ، وإنما امتدح قاهر العرب ، وصاحب اليؤس والنعم^(١) .. وكاشتهار عرابة الأوسى بشعر الشماخ بن ضرار ، وقد بذل له في سنة شديدة وشق يسير تمراً ، فقال :

رأيتُ عرابةَ الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطعَ القرن
إذا مارايةٌ رفت لمجد تلقّاها عرابة باليمن

حتى صار ذلك مثلاً سائراً ، وأراً باقياً ، لا تثبلى جدُّه ، ولا تنغير بهجته ، وقدح ذلك في مروءة الشماخ ، وحط من قدره ؛ لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوى الأقدار .

فأما من صنع الشعر فصاحةً ولأسنا ، واقتضاراً بنفسه وحسبه ، وتخليداً لما أثر قومه ، ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ، ولا مدحاً ولا هجاءً ، كما قال واحدٌ دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله إليه وإلينا فيه :

وجدتُ طريقَ البأس أسهلَ مسلكاً وأحرى بنجاح من طريق الطامع
فلستُ بمطيرٍ ما حيت أخا ندى ولا أنا في عرض البخیل بواقع
فلا نقص عليه في ذلك ، بل هو زائد في أدبه ، وشهادةً بفضلِهِ ، كما أنه نباهة في ذكر الخامل ، ورفع لقدر الساقط ، وإنما فضل امرؤ القيس - وهو من هو - لما صنع بطبعه ، وعلا بسجيته ، عن غير طمع ولا جزع .

حكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء التقدمين رأى لعل في امرئ القيس ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجزوا معاً علنا من السابق منهم ، وإذ لم

(١) في ظاهر العبارة أن المؤلف يعتبر بمدوح النابغة صاحب يومى اليؤس والنعم ، وهذا باطل ؛ فإن بمدوح النابغة هو النعمان بن النضر ؛ وصاحب اليومين هو المنذر بن ماء السماء .

يكن قالى لم يقل رغبة ولا رهبة ، قليل : ومن هو ؟ فقال : السكندى ، قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيتهم نادراً ، وأسبغهم بادرة .

على بن الجهم
يصف ما دعاه
لقول الشعر
وقال على بن الجهم فى مدح المتوكل :
وما الشعرُ عما أَسْتَظِلُّ بظله ولا زادنى قدراً ، ولا حط من قدرى
ثم قال :

ولكن " إحصان الخليفة جعفر دعاى إلى ما قلت فيه من الشعر
فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر ، أى : لا يتكسب به ، وأنه لم يزد قدراً
لأنه كان نايه الذكر قبل عمل الشعر ، ثم قال * ولا حط من قدرى *
فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر ، يقول : ليس الشعر ضعة فى نفسه ، ولا
صنمته فيمن دون الخليفة ، وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه يلزاه الخليفة ، بل
مكافئاً له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً
ولا مجتدياً .

أبو تمام يقول
فى اللقى
وقال الطائي (١) فى هذا اللقى لمحمد بن عبد الملك الزيات ، على ما كان فيه
من الكبر والإعجاب ، وهو حينئذ الوزير الأكبر :

لقد زدت أوصاحى امتداداً ، ولم أكن بهياً ولا أرضى من الأرض بجَهلاً
ولكن أيار صدادفنى جرسائها أغرَّ قَوَّافَتِى (٢) أغرَّ محبلاً
فطمح بنفسه إلى حيث ترى ، وجعل النرة من كسبه - وهى فى الوجه
مشهورة - والتججيل من زيادات المدوح ، وهو فى القوائم .

أبو نخيلة
السابق إلى
ذلك
وقد سبق إلى هذا اللقى أبو نخيلة السعدى فقال يمدح مسجلة بن
عبد الملك :

(١) هرا أو تمام حبيب بن أوس ، وانظر ديوانه (ص ٢٥٢)
(٢) فى الأصل « فوفتقى » وهو خطأ ، وفى الديوان « فألفت بى » .

وأحييت من ذكرى ، وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبئه من بعض
وقد حكى أن امرأ القيس فكاه أبوه لما قال الشعر ، وغفل أكثر الناس عن
السبب ، وذلك أنه كان خليفاً ، متهتكاً ، شَبَّ بنساء أبيه ، وبدأ بهذا الشعر
العظيم ، واشتغل بالغمر والزنا عن الملك والرياسة ، فكان إليه من أبيه ما كان ، ليس
من جهة الشعر ، لكن من جهة النى والبطالة ؛ فهدى العلة ، وقد جازت كثيراً
من الناس وموت عليهم صَفْحاً^(١) .

وأما تفسير القول الآخر فى السرى والدى ؛ فإنه إذا بلغت بالدى نفسه ،
وطمحت به همته إلى أن يصنع الشعر - الذى هو أخو الأدب ، وتجارة العرب ،
تُكَافَأ به الأيادى ، ويُحَلَّ به صدر النادى ، ويرفع صوته على من فوقه ، ويزيده
فى القدر على ما استحقه - فقد صار سرياً ، على أنه القائل ، فإن كان للقول له
فذلك أعظم مزية ، وأشرف خطة ومنزلة ، وإذا انحطت بالسرى همته ، وقصرت
مروءته ، إلى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافئ به الأيادى دون غيره -
وهو يعلم أنه أبقى من المال ، وأغنى ذخائر الرجال ، وأنه إن خاطب به من فوقه
فقد رضى بالضرعة ، وإن خاطب به كفاه ونظيره فقد نزل عن المساواة ، وإن
خاطب به من دونه سقط جملة - ذلك على أن يكون شعره مَزْحاً^(٢) أو عتاباً ، وأما
أن يكون هجاء فأبقى نلزه وأضل لسميه .

وسأذكر من رفضه أو ممن وضعه ما قال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر
الناس ؛ ثلثاً أخلى الكتاب من ذلك ، وإن كنت حريصاً على الإيجاز والاختصار .
فمن رفضه ما قال من القدماء الحارث بن حِزَّةَ اليشكرى ، وكان أبرص ،
فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته :

• أَذْنَتُنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ •

(١) فى المطبوعتين « صلحا » وهو خطأ كما ترى .

(٢) ربما قرئت هذه الكلمة « مدحا » .

بعض من
رفضه الشعر

و بينه وبينه سبعة حُجُب ؛ فما زال يرفهما حجاباً حجاباً لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ، ثم أدناه وقر به ، وأمثاله كثير .
ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله ، لم تكن له مائة ولا سابعة في الجاهلية والإسلام إلا شعره ، وقد بلغ من رضا الله عز وجل ورضا نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .

ومن القحول المتأخرين الأخطل - واسمه غياث بن غوث ، وكان نصرياً من تغلب - بلغت به الحال في الشعر إلى أن نادى هبّ للثلاث بن مروان ، وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الخَطَلَفِي ، وهو تقي مسلم ، وقيل : أمره بذلك بسبب شعر فاخره^(١) فيه بين يديه وطوّّل لسانه ، حتى قال بمجاهراً^(٢) : لعنة الله عليه ، لا يستتر في العلم على الدين والاستخفاف بالمسلمين :

ولستُ بصائمٍ رمضان طَوَّعاً ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بزاجرٍ عَنَساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنباح
ولستُ منادياً أبداً بليلاً كمثل التير «حَيَّ على الفلاح»
ولكني سأشربها شَمُولاً وأسجد قبل منبج الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة غريبة حملت من للساحة في الدين على مثل ما نسمع ولللوك ملوك بزعمهم . وهجا الأنصار ليزيد بن معاوية ، لما شبَّ عبدُ الرحمن بن حسان بن ثابت بعته فاطمة بنت أبي سفيان - قيل : بل بأخته هند بنت معاوية - قيل : ولولا شعره لقتل دون أقل من ذلك .. وقد ردَّ على جرير أقبح رد ، وتناول من أعراض المسلمين وأشرفهم ، ما لا يتجومع مثله علوي ، فضلاً عن نصرائي . ومن المحدثين أبو نُوَاس ، كان نديماً للأمين محمد بن زُبَيْدَةَ طولَ خلافته ..

(١) في المطبوعتين « خار » وهو غير مؤد إلى معنى

(٢) في نسخة « مجاهد »

والم بن الوليد صريح النوائى ، اتصل بذى الرياستين^(١) ومات على جرجان وكان تولاها على يديه . . . والبيجبرى ، وكان ندما للتوكل لا يكاد يفارقه ، وبحضره قتل للتوكل . وكثير من أكتفى بهؤلاء عن ذكره .

النبى وكافور

وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة إلى كافور الإخشيدي ، فوعده بها وأجابه إليها ، ثم خافه لما رأى من تعامله وكبره ، واقتضاه أبو الطيب مراراً ، وعاتبه فذا وجد عنده راحة . . فن ذلك قوله^(٢) يقتضيه :

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفى على مقدار كفىك تطلب
إذ لم تنطى ضيمة أو ولاية فجودك يكسوفى وشنك يسلب
وقوله^(٣) يقتضيه أيضا وعاتبه من قصيدة مشهورة :

زلى عند هذا الدهر حق يلقه وقد قلّ إعتاب وطال عتاب^(٤)
ثم قال بعد أبيات :

أرى لى بربى منك عينا قريرة وإن كن قريبا بالبعاد يشاب
وهل ناصى أن ترقع الخجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب
أقول سلامى حب ماخف عنكم وأسكت كما لا يكون جواب
وفى النفس حاجات وفيك فطاة سكوتى بيان عندها وخطاب

(١) هو الفضل بن سهل ، وكان السبب فى قوله أن مسلما دخل على الفضل . . . ثمرا ، فقال : أيها السكول أى أهلك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بل . . . ثم سمى بأن تسمع . . . ثم تشده ، فقال له الفضل : إني أهلك عن الشعر . . . ول : فسمع . . . ثم حدث من عملك ، فوله البريد بحر حن .

(٢) شعر النبى (ج ١ ص ١٢٧)

(٣) شعر النبى (ج ١ ص ١٢٧)

(٤) شعر النبى (ج ١ ص ١٢٧) وقوله « قل إعتاب » معناه أنه لم ير صا

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يُبغى عليه ثوابُ
وما شئتُ إلا أن أدلَّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلمُ قوما خالفوني فشرقتوا وغربتُ أنى قد ظفرتُ وخابوا
فهمؤلاء رفيعهم ما قالوه من الشر؛ فقالوا الرتب، واتصلوا بالملك، وليس
ذلك يبدع للشاعر ولا عجيب منه . وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عن
أمره المالى زاده الله علواً :

الشر شيء حسنٌ ليس به من حرج
أقلُّ ما فيه ذمُّ ب' المم عن نفس الشجي
يُحكِّمُ في لطافة حلِّ عقود الحبيج
كم نظرة حسنها في وجهه عنر سميج
وحرقة بردها عن قلب صب منضج
ورحة أوقها في قلب قاسي حرج
وحاجة يسرها عند غزال قبيح
وشاعر مطرح مطلق باب الفرج
قرَّبه لسانه من ملك متوج
فصلوا أولادكم عمار طِبُّ للهمج

بعض الدين وطائفة أخرى نطقوا في الشر بالفاظ صارت لهم شهرة بلبسونها ، وألقاباً
لقبوا بشيء يُدْعَوْنَ بها فلا ينكرونها^(١) : منهم عائذ الكلب ، واسمه عبد الله بن مصعب ،
من الشعر قالوه كان والياً على المدينة الرشيد ، أحب بذلك لقوله :

مالى مرضتُ فلم يعذني عائذُ منكم، ويعرضُ كلِّكم فأعود؟!

(١) ومنهم الأسعر بن أبي حمران الجففى ، وسيتعرض له المؤلف في باب
« اللقلين من الشعراء » وسنبين لك هناك اسمه والشعر الذى من أجله جرى عليه
لقب الأسعر .

والمزني ، واسمه شاس بن نهار ، لقب بقوله لعمر بن هند :
فإن كنت ما كولا فكن أنت آكلِي وإلا فأدركني ولما أمرني
وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتب بها إلى
علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولقب مسكين الدارمي - واسمه ربيعة ، من ولد عمرو بن ^(١) عمرو بن علس
ابن زيد بن عبد الله بن دارم - بقوله :

أنا مسكينٌ لمن أبصرني ولئن حاورني ^(٢) جدُّ نطق
فلما سُمِّيَ مسكيناً قال :

وسميت مسكيناً وكانت لجاجة وإني لمسكينٌ إلى الله راغبُ
وإني امرؤ لا أسأل الناس مالهم بشعري ، ولا تسمى على الكاسب
وإنما هذا لكان الشر من قلوب العرب ، وصرعة ولُويج في آذانهم ،
وتعلقه بأنفسهم .

وممنهم من سُمي بلفظة من شره لشناعتها ، مثل النابغة الذبياني - واسمه زياد
ابن عمرو - وسُمي نابغة لقوله :

﴿ قَدْ نَبَّهْتُ لَنَا مِنْهُمْ شُئُونُ ﴾

(١) في جميع الأصول « من ولد عمر بن عمر » بدون واو ، والتصويب عن
الأغاني ، وبذلك لصحته قول مسكين يخاطب القرزديق :

بخيبي بعم مثل عمي أو أب كئل أبي ، أو خال صدق تكاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارة ذي الندى أو البشر ، من كل فرعت الروايا

(٢) يروي « ولئن يبرقني جد نطق » ويجد هذا البيت قوله :

لا أبيع الناس عرضي إني لو أبيع الناس عرضي لنفق

وأما الجملي - واسمه قيس بن عبد الله - فأما بلغ بالشعر بعد أربعين سنة
فسي ثابتة لذلك .

وجِرَانُ المَوْدِ، سمي بذلك لقوله :

عمدلت لمود فالتحيت جِرَانَهُ وَلَكَيْسُ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
حَذَا حَذْرًا يَا خَلْقِي ^(١) فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ المَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ
يَخَاطِبُ إِسْرَائِيهَ ، وَقَدْ تَرَكَتَاهُ وَنَشَرْتَا عَلَيْهِ ؛ فَزِمَهُ هَذَا الْإِسْمُ وَذَهَبَ
إِسْمُهُ كَرَاهًا .

وكذلك أبو العيال ، لا يعرف له اسم غير هذا ؛ لقوله :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا مِنْ لَالٍ ؛ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مُطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عَذْرًا أَوْ يَصِيبَ رَغِيبةً وَمُبْلَغٌ نَفْسٍ عَذْرَهَا مِثْلُ مُنْجَحٍ
وَأَمَّا لَهُمْ مِنْ ذِكْرِهِ لِلْمُؤَلَّفُونَ لَا يَحْصُونَ كَثْرَةً ، وَلَيْسُوا مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي
شَيْءٍ ؛ لِأَنَّ غَلْبَةَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِمْ لَيْسَتْ شَرَفًا لَهُمْ وَلَا ضَمَّةً ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ
جِهَةِ الشَّنَاعَةِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ الْكَلَامُ [ذُو] شَجُونٍ .

ومن ههنا عظم الشعر ، وتهيب أهله ، خوفًا من بيت سائر مُخَذِّى به الإبل ،
أو لفظة شاردة يضرب بها المثل ، ورجاء في مثل ذلك ؛ فقد رفع كثيراً من الناس
ما قيل فيهم من الشعر بعد التحول والاطراح ، حتى افتخروا بما كانوا يميرون به
ووضع جماعة من أهل السوابق والأقذار الشريفة حتى عيَّبوا بما كانوا يقتخرون به .
فمن رُفِه ما قيل فيه من الشعر بعد التحول الخلق ، وذلك أَنَّ الْأَعشى قدم
مكة وتسامع الناس به ، وكانت للمعلق امرأة عاقلة - وقيل : بل أم - فقالت له :
إِنَّ الْأَعشى قدم ، وهو رجل مُفَوَّهٌ ، مجذود في الشعر ، ما مدح أحدًا إلا رُفِه ،

الأعشى
والمعلق

(١) في إحدى روايات الديوان «يا جارتى» ثنية جارة .

ولا هجأ أحداً إلا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر فو بنات ،
وعندنا لتحة نعيشُ بها ، فلو سبقت الناسُ إليه فدعوتهُ إلى الضيافة ونموت له ،
واحتلتُ لك فيها تشتري به شراباً يتعاطاه ؛ لَرَجَوْتُ لك حسن العاقبة ، فسبق
إليه الحلق ، فأنزله ونمير له ، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نخباً فيه من
وجاءت بوطب لبن ، فلما أكل الأعمى وأصحابه ، وكان في عصابة قيسية ،
قدم إليه الشراب ، واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما جرى
فيه الشرابُ وأخذت منه الكأس سألهُ عن حاله وعياله فصرف اليأس في كلامه ،
وذكر البنات ، فقال الأعمى : كفيت أمرهن ، وأصبح بكمال ينشد قصيدته :
أرقت وما هـ ذا السهاد للورق^(١) وما بى^(٢) من شمر وما بى مَشَقُّ
ورأى الحلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدري أين يريد الأعمى
بقوله ، إلى أن سمع :

| | |
|--|---|
| نقى الذم عن آل الحلق جفنة ^(٣) | كناية الشيخ العراقي تفوق ^(٤) |
| ترى القوم فيها شارعين ، وبينهم | مع القوم ولدان من النسل دَرَدَقُ |
| لمرى لقد لاحت عيون كثيرة | إلى ضوء نارٍ باليفاج تحرقُ |
| تُسب بقرورين يعطليانها | وبات على النار الندى والحلق |
| رضيقتى لباب ندى أم تحالفا | بأسحمت داج عَوْضُ لا تفرقُ |
| ترى الجودى يمرى ظاهراً فوق وجهه | كأزان متن الهندواي زونقُ |

فإنتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى الحلق يهنئونه ، والأشراف من كل
قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته ؛ لمكان شعر الأعمى ، فلم تَمْسِ منهن
واحدة إلا في عصمة رجل أفضّل من أيها ألف ضعف .

(١) يروى « أرقت » على الخطأ ، « وما بك » في اللوحين ، وما أبتناه
رواية الديوان .

(٢) يروى « كناية »

(٤ - المدة ١)

الخطبة
وبنو أنف
الناقة

وكذلك بنو أنف الناقة ، كانوا يُفَرَّقُونَ من هذا الاسم ، حتى إن الرجل منهم يسأل : بمن هو ؟ فيقول : من بني قريع ، فيتجاوز جعفر أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك ويلقى ذكره فراراً من هذا اللقب ، إلى أن نقل الخطبة - واسمه جرّول بن أوس - أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه قال :

سيرى أُمَامَ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَاً وَالْأَكْرَمِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا
قَوْمٍ هُمُ الْأَنْفُ ، وَالْأَذَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يَسَاوِي أَنْفَ النَّاقَةِ الْتَبَا ؟
فصاروا يتناولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة .

وإنما سمى جعفر أنف الناقة لأن أباه قسم ناقة جزوراً ونسبه ، فبعثته أمه ولم يبق إلا رأس الناقة ، فقال له أبوه : شأنك بهذا ، فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يحمره ، فسمى بذلك .

ومثل هاتين القصتين قصة عرابة الأوسى مع الشيخ ، وقد تقدم ذكرها .
ومن وضعه ما قيل فيه من الشر حتى انكسر نسبه ، وسقط عن رتبته ، وعيب بفضيلته - بنو نمير ، وكانوا تجرّ من جحرات العرب ، إذا سئل أحدهم : بمن الرجل ؟ تخم لفعله ومدّ صوته وقال : من بني نمير ، إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبّيد بن حصّين الراعي ، فسر لها ، وطالت ليلته إلى أن قال :

فمنّ الطرف إنك من نمير فلا كميّاً بلغت ولا كلابا

فأطفا سراجَه ونام ، وقال : قد والله أخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرضوا رأساً بعدها إلا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة متاراً فيصيح به بنو نمير : يا جواذب^(١) باهلة ، قصص الخبير على مواليه وقد ضجر من ذلك ، فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فمنّ الطرف إنك من نمير فلا كميّاً بلغت ولا كلابا

(١) الجواذب : شجع النمل ، وكان في الأصول « يا جوداب » تحريف .

جرير
وبنو نمير

وسر بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنتسبه ، فقال : غَمَضَ وَإِلَّا جَاءَكَ مَا تَكْرَهُ ، فكفوا عنه ولم يرضوا له بعدها .

وسرت امرأة يبيض بمجالس بنى نعيم فأداموا النظر إليها ، فقالت : قبحكم الله يا بنى نعيم ! ما قبلتم قول الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَتُخَذُونَ مِنْ آبَائِهِمْ أَوْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ إِسْوَءِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ولا قول الشاعر :

فغض الطرف إنك من نعيم فلا كميًا بلغت ولا كلابا

وهذه القصيدة تسميها العرب القاضحة ، وقيل : سماها جرير الدماغة ، تركت بنى نعيم ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة ، ويتجاوزون أباهم نعيمًا إلى أبيه ، هربا من ذكر نعيم ، وفرارا مما وُسمَ به من الفضيحة والوصمة .

والربع بن زياد ، كان من ندماء النعمان بن المنذر ، وكان غاشقا هبابا بذيا الربيع بن زياد وليد سبابا لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان ، فرُوي بليد وهو غلام مراعق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان ، وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته ، فقام لبيد فقال مرتجلا :

يَا رَبُّ هَيْبَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا نَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعِ

وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامِرُ بْنُ صَمْعَةَ لِلطَّمُومِ الْجَفْنَةِ الْمُدْهَمَةِ

وَالضَّارِبُونَ الْمَاهِمَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ مَهْلًا أَيْتَ الْلَمَنِ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

فقال النعمان : وله ؟ فقال :

* إِنَّ أَسْتَهَ مِنْ بَرَصٍ مُلْتَمَّةٌ *

فقال النعمان : وما علينا من ذلك ؟ فقال :

* وَإِنَّهُ يُولِجُ فِيهَا إِصْبَتَهُ *

يُولِجُهَا حَتَّى يَوَارِيَ أَشْجَتَهُ كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا أَوْ دَعَا

ويروى « أطمه » ^(١) فرفع النعمان يده عن الطعام ، وقال : ما تقول يا ربيع ؟

فقال : أَيْتَ الْلَمَنِ كَذَبَ الْغَلَامُ ، فقال لبيد : مره فليجب ، فقال النعمان : أجبه

ياربيع ، قال : والله لما تَسَوَّمِي أَنْتِ مِنَ الْخَسَفِ أَشَدُّ عَلَى مَعَصَمِي بِهِ الْفَلَامُ ،
فُجِبَهُ بِذَلِكَ ، وَسَقَطَتْ مَنْزِلُهُ ، وَأَرَادَ الْاعْتِذَارَ ، قَالَ النِّعَانُ :
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنَّ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ قَوْلِ إِدَا قِيلَا ؟؟

وَبَنُو الْعَبَّالَانِ ، كَانُوا يَفْخَرُونَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِقِصَّةِ كَانَتْ لِصَاحِبِهِ فِي تَعَجِيلِ
قِرَى الْأَصْيَافِ ، إِلَى أَنْ هَجَاهُمْ بِهِ النِّجَاشِيُّ فَضَجِرُوا مِنْهُ ، وَسُبُّوا بِهِ ، وَاسْتَعْدَّوْا
[عَلَيْهِ] عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَجَانَا ، فَقَالَ :
وَمَا قَالَ ؟ فَأَنْشَدُوهُ :

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرَقَةٍ فَصَادَى بَنِي عَجَلَانَ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ : إِنَّمَا دَعَا عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّهُ لَا يَجِبُ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ قَالَ :
فُجِبْتُ لَا يَمْتَدُّونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
فَقَالَ هَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْتَنِي مِنْ هَؤُلَاءِ ، أَوْ قَالَ : لَيْتَ آلَ الْخَطَّابِ كَذَلِكَ ،
أَوْ كَلَامًا يَشَبْهُ هَذَا ، قَالُوا : فَإِنَّهُ قَالَ :

وَلَا يَرْدُونَ لِلْهَاءِ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنُومٍ
فَقَالَ عَمْرُ : ذَلِكَ أَقْلُ لِسْكَكَ ، يَعْنِي الزَّحَامَ ، قَالُوا : فَإِنَّهُ قَالَ :
تَعَافَى الْكَلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحُومِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ مَنْ عَوَفَ وَنَهَشَلُ
فَقَالَ عَمْرُ : كَفَى ضِيَاعًا مَنْ تَأْكُلُ الْكَلَابُ لَحْمَهُ ، قَالُوا : فَإِنَّهُ قَالَ :

وَمَا سَمَى الْعَبَّالَانِ إِلَّا الْقَوْلُ هُمْ خَذَلْتُمُ وَاحِلَبُ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْمَلُ
فَقَالَ عَمْرُ : كُلُّنَا عَبْدٌ ، وَخَيْرُ الْقَوْمِ خَلْدُمُهُمْ . فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَجَانَا ،
فَقَالَ : مَا أَسْمَعُ ذَكَ ، قَالُوا : فَاسْأَلْ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : مَا هَجَاهُمْ
وَلَكِنْ سَلَحَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ هَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبْصَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ النِّجَاشِيُّ ،
وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْدُرَ الْخُدَّ بِالشَّبَهَاتِ ، فَلَمَّا قَالَ حَسَانُ مَا قَالَ سَجَنَ النِّجَاشِيُّ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ حَدَّثَهُ .

وهذه جملة كافية ، ونبذة مقنعة ، فيما قصدت إليه من هذا الباب .

• — باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه

أُشْدُ النَّابِئَةِ الْجُمْدَى بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَةً الرَّسُولِ يَعْنِي
يَقُولُ فِيهَا:

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عَقَّةً وَتَكْرَمًا^(١) وَإِنَّا لَنَبْنِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
فَنَضُفُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : أَيْنَ لِلْمَظْهَرِ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ قَالَ :
الْجَنَّةُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
فَقَضَيْتُ لَهُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ شَعْرُهُ .

وَأُشْدُهُ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ حِينَ جَاوَبَ عَنْهُ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بِقَوْلِهِ :
هَجَرْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
ابْنُ ثَابِتٍ

فَقَالَ لَهُ : جَزَاؤُكَ عِنْدَ اللَّهِ الْجَنَّةُ يَا حَسَانَ ، فَلَمَّا قَالَ :

فَإِنْ أُمِّي وَوَالِدَهُ وَهَرَجِي لِمَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَالَ
قَالَ لَهُ : وَقَالَ اللَّهُ حَرَّ النَّارِ ، فَقَضَى لَهُ بِالْجَنَّةِ مَرَّتَيْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَسَبَبَ
ذَلِكَ شَعْرُهُ .

وَلَمَّا تَنَافَرَ عَامِرُ بْنُ الطَّقِيلِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَلَانَةَ أَفَامَا عِنْدَ هَرَمِ بْنِ قُطَيْبَةَ^(٢) مِنْ سِنَانِ الْأَعَشَى
سَنَةً لَا يَقْضِي لِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْأَعَشَى — وَكَانَتْ لِعَامِرٍ
عَلَامَةٌ ، وَعَامِرُ
ابْنُ الطَّقِيلِ

عَلَّقَمَ مَا أُنْتُ إِلَى عَامِرِ النَّاقِصِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
إِنْ تَسُدُّ الْحَوْصَ فَلَمْ تَمُدُّهُمْ وَعَامِرُ سَادَ بَنِي عَامِرٍ
حَكَمُوهُ فَقَضَى بَيْنَهُمَا أَزْهَرُ مِثْلِ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ

(١) يَرُوي « عَلَوْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَسَنَاوْنَا » .

(٢) وَيُقَالُ « هَرَمُ بْنُ قُطَيْبَةَ بْنِ سِنَانَ » فِي الْأَسْوَالِ « سِيَار » تَصْغِيفٌ .

لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر^(١)
فرواه الناس ، واقتروا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره ،
وكان في رأي هرير على قول أكثر الناس خلاف ذلك .
وإلى هذا وأشباهه أشار أبو تمام الطائي بقوله في صفة الشعر :

يُرَى حِكْمَةٌ مَا فِيهِ وَهُوَ فَكَاكُهُ وَيُقَضَّى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ
وكانت لرجل شهادة عند أبي دلامة ، فدعاه إلى تبليغها عند القاضي ابن أبي
آئيل ، فقال له : إن شهادتي لا تنفك عنده ، فقال الرجل : لا بد من شهادتك ،
فشهد عند القاضي وانصرف وهو يقول :

أبو دلامة
والقاضي ابن
أبي آئيل

إذا الناس غطوني تغطيتُ دونهم وإن بحثوا عني فقيم مباحث
فقضى القاضي على اتلصم بشهادة أبي دلامة ، وقبض للشهود له المال ،
وغرمه القاضي للشهود عليه تمرجا من غلله ، ويقال : إنما شهد لطبيب عاجل
وله من علة به ، وأمره أن يذبح على من شاء بألف درهم ، ففعل الطبيب وشهد
أبو دلامة ، وهذا أشبه بمجونه من الأول .

وذكر المتي أن رجلا من أهل المدينة ادعى حقا على رجل ، فدعاه إلى ابن
حنطب قاضي المدينة ، فقال : مَنْ يشهد بما تقول ؟ فقال : زنتقة ، فلما ولي قال
القاضي : ما شهادته له إلا كشهادته عليه ، فلما جاء زنتقة القاضي قال له : فذاك
أبي وأمي ، أحسن والله الشاعر حيث يقول :

من الحنطيين الذين وجوههم دنانير مما شيف في أرض قيصر

(١) يروى في البيت الأول * علقم لالست إلى عامر * وروى في البيت الثاني
* سدت بني الأحوص لم تمنهم * وروى في البيت الثالث * حكمتوني قضي بينكم
أبلغ * وروى في البيت الرابع * لا يأخذ . . . إلخ .

فأقبل القاضي على الكاتب ، فقال : كبير ورب السماء ، ما أحسبه شهيداً بالحق
فأجزَّ شهادته .

وخاصم جرير بن الخطمي الجاني الشاعر إلى قاضي اليمامة ، فقال في أبيات
رجز بها :
جرير والحناني
الشاعر بين
يدي قاضي
اليمامة

أعوذ بالله العلي تهّاز من ظلم حنّان وتحويل المدار
فقال الحناني مجيباً له :

مَا لِكَلْبَيْنِ مِنْ يَحْيَ وَلَا دَارَ غَيْرُ مَقَامِ أَتْنِ وَأَعْيَارَ
• قُبُ البطون داميّات الأظفار •

وبروى • قيس الظهور داميّات الأظفار • قال جرير : مقام أتني وأهيار
لا أريد غيره ، وقد اعترف به ، فقال القاضي : هي لجرير ، وقضى على الحناني
بشعره الذي قال .

وكان الفرزدق يجلس إلى الحسن البصري ، فجاءه رجل فقال : يا أبا سعيد ، الحسن البصري
يقضي بقول
الفرزدق في
شعره
لأنا نكون في هذه البهوث والسرّايا فنصيب المرأة من المدو وهي ذات زوج
أفتحل لنا من قبل أن يعالقتها زوجها ؟ فقال الفرزدق : قد قلت أنا مثل هذا في
شعري ، فقال الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

وَذَاتِ حَلِيلٍ أُنْكَحْتَنَا رَمَحْنَا حَلَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تَعْلَقْ
فقال الحسن : صدق ، لحكم بظاهر قوله ، وما أعلن الفرزدق — والله أعلم —
أراد الجهاد في المدو المخالف للشريعة ، لكن أراد مذهب الجاهلية في السّبايا .
كأنه يشير إلى العزة وشدة البأس .

وقيل : إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :
فإن الحقَّ مَقْلَعُهُ ثَلَاثُ أَدَاءٍ أَوْ نَارٍ أَوْ جَلَاءٍ
وسمى زهير « قاضي الشعراء » بهذا البيت ، يقول : لا يقطع الحق إلا الأداء ،
عمر يتعجب
من بيت زهير

أو النفار — وهو الحكومة — أو الجلاء — وهو المنذر الواضح — ويروى *
 يمين أو نفار * وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال ، على أنه جاهل ،
 وقد وكدها الإسلام .

٦ — باب شفاعات الشمراء ، وتحريضهم

قال عبد الكريم : عَرَضَتْ قَتِيلَةُ بِنْتِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 قَتِيلَةُ بِنْتِ
 النَّضْرِ تَتَبَّعَ
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 وسلم وهو يطوف ، فاستوقفته ، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وقد كان قتل
 أبها^(١) ، فأنشدته :

يا راكباً أن الأئيلَ مَطْنَةً من صبح خاسة ، وأنت موفق
 أبلغ به ميماً بأن قصيدة ما إن تزال بها الركائب تحفقى^(٢)
 مئى إليه ، وعسيرة مسفوحة جادت لمأبجها وأخرى تحفقى^(٣)
 فليسمعن النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق^(٤)
 ظلت سيوفُ بى أبيه تنوشه لله أرحامُ هناك تُشَقِّقُ
 قسراً يقاد إلى النسبية متعباً رَسَفَ اللَّقَيْدِ وهو عانٍ مَوْقٍ^(٥)
 أحمدها أنت نجل نجبية من قومها والفعلُ لخلٍ مُعْرِقٍ^(٦)
 ما كان ضرك لو مننت ، وربما من الفقى وهو للفيظ المحقق

(١) ويقال : إن القتول أخوها .

(٢) يروى * بأن تحية التعائب

(٣) يروى * جادت بدرتها (٤) البيت يروى هكذا :

هل يسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت لا ينطق .

(٥) يروى * صبرا يقاد *

(٦) يروى * ولأنت ضنء نجبية . . . في قومها

والنضر أقرب من قَتَلَتْ وسيلةً وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق^(١)
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت سمعتُ شعرها هذا ما قتلتها.

ولما قتل الحارثُ بن أبي شمر النضريّ للنذر بن ماء السماء - وهو النذر الأكبر، وماء السماء أمه - أسرجاعة من أصحابه، وكان فيمن أسر شاس بن عبدة في سبعين رجلاً من بني تميم، وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس، وهو معروف بعلقمة الفحل، فقصد الحارث متمدحاً بقصيدته المشهورة التي أولها:

طَاحَ بِكَ قَلْبُ الْحَسَنِ^(٢) طَرُوبُ بُعَيْدِ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبِ
فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ:

إِلَى الْحَارِثِ الرِّهَابِ أَعْلَمْتُ نَاقَتِي لَكُنْ كُلُّهَا وَالْقُصْرَيْنِ وَجِيبُ
إِلَيْكَ - أَيْتِ اللَّحْنِ - كَانَ وَجِيفُهَا^(٣) بِمَشْتَبِهَاتِ هَوْلَمِنْ مَهِيبِ
هَدَانِي إِلَيْكَ الْفَرَقْدَانِ وَلَا حَيْبُ لَهُ فَوْقَ أَعْلَامِ^(٤) لِلتَّانِ طُوبِ
فَلَا تَحْرَمْنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ فَإِنِ امْرُؤُ وَسَطَ الْقِيَابِ غَرِيبِ
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبِطَتْ بِنَسَمَةٍ فَحَقُّ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْوبُ
فَقَالَ الْحَارِثُ: نَعَمْ وَأَذِنْتُ، وَأَطْلَقَ لَهُ شَاسًا أَخَاهُ، وَجَاعَةً أَسْرَى بَنِي تَمِيمٍ،
وَمَنْ سَأَلَ فِيهِ أَوْ عَرَفَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

(١) يروى « والنضر أقرب من أخنت بز »

(٢) في الديوان « في الحسان »

(٣) هذه رواية الديوان، وكان في الأصول « وجيها »

(٤) في الديوان « أسواء التان » وترتيب هذه الأبيات على ما هنا مخالف لموقعها من النصيدة مع أن اللؤلؤ ترك كثيرا من الأبيات بين بعضها وبعض.

أمية بن حرمثان (١) وكان لأمية بن حرمثان (١) ولَدَ اسمُه كلاب ، هاجر إلى البصرة في خلافة عمر
يقفع عند
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال أمية :

سأستمدى على القاروق ربًّا له حمدَ الحبيج إلى بساق (٢)
إن القاروق لم يردُّدْ كلابًا على شيخين هاممًا زواق
فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب ، فاشترى أمية إلا به
يقرع الباب .

وما زالت الشعراء قديمًا تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائها وذوي قرابتها ،
فيشفعون بشفاعتهم ، ويتألون الرتب بهم .

ودخل المعاني الشاعر - وهو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيهي - على الرشيد ،
المعاني يقفع
عند الرشيد فأنشده أرجوزة يقول فيها :

قل للامام للقتدى بأش (٣) ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه
* فقد رضينا قَمَ فَسَمِهِ *

فقال الرشيد : ما رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجل ، فقال له :
يا أمير المؤمنين ، ما أردت قيام جسم لكن قيام عَزمٍ ، فأمر الرشيد بإحضار القاسم

(١) أمية بن حرمثان بن الأسكر البجلي ، من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة :
شاعر حضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وابنه
كلاب أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه . وكان ابنه قد سأل عمر رضي
الله عنه أن يخرجه فأغراه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلفطالت عليه غيبة
ابنه قال هذا الشعر .

(٢) في اللطوعتين «سباق» بتقديم السين ، ويساق - بزنة غراب - جبل يعرفات
وبه بالحجاز .

(٣) أمة - شتخ الهزمة وتشديد الليم - قصده ، وأراد نهجه وسيرته .

وليه ، ومَرَّ العاني في إنشاده يَهْدِرُ ، فلما فرغ قال الرشيد للقاسم : أما جائزة هذا الشيخ فضليك ، وقد سألتنا أن نوليكَ العهد ، فأجبتاه .

الطائي يشفع
عند المعتصم

وَشَفَعَ الطائي لوائق عند أبيه المعتصم في أن يوليه العهد ، قال :
 فاشدُّ بهارونَ الخلافة ؛ إنه مَسْكَنٌ لوَحِشَتْها ودارُ قرار
 يَفْقَى بهنِ العباس والقمر الذي حَفَّتْهُ أجمُ يَمْرُوبٍ ووزار
 كرمُ السومة والخلوة مجبه سَلَفًا قريشٍ فيه والأنصار
 هو نَوْهٌ بمن منكم وسعادهٍ وسراجُ ليلٍ فيكم ونهار
 فاقع شياطين النفاق بمهتدٍ ترضى البرية هَدْيَهُ والباري
 ليسير في الآفاق سيرة رافة ويسوسها بسكينةٍ ووفار
 فالصين منظوم بأندلس إلى حيطان روميةٍ فلك ذمار
 ولقد علمت بأن ذلك مَقْصُومٌ ما كنتُ تفرَّكه بشير سوار

واستعطف مالك بن طوق لقومه بني تغلب - وكانوا أفسدوا في عمله ويستعطف
 الطرق ، فخافوه واستشفعوا بأبي تمام - فقال في قصيدة مشهورة يخاطب مالك بن طوق
 بها مالكا :

ورأيت قومك والإساءة منهم جَرَحَى بظفرٍ للزمان وناب
 هم صيروا تلك البروق صواعقا فيهم ، وذلك المغو سوط عذاب
 فأقلن أسامة جرمها ، واصفع لها عنه ، وهب ما كان لوهاب
 رَدَدوك في يوم الكلاب ، وشققوا فيه المزاد مجفول كلاب
 وهم بعين أبلغ راشوا لوعى سَهْمِيكَ عند الحارث الحراب
 وليسال الثرثار والحشاك قد جلبوا الجياد لواحق الأقرب
 ففقت كهولهم ، ودبر أمرهم أحداهم تديير غير صواب
 لارقة الحفتر اللطيف غزتهم وتباهدوا عن فطنة الأهراب

فإذا كشفتهم وَجَدْتَ لِيهِمْ كَرَمَ النفوس وقلة الآداب
لك في رسول الله أعظم أسوة وأجلها في سنة وكتاب
أعلى للؤلؤة القلوب رضاهم كرمًا ، وردَّ أخاذَ الأحزاب

فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجل موقع
فأجزل ثوابه عليها ، وقبل شفاعته ، وردَّ القوم إلى رتبهم ومنزلتهم ، من بعد
اليأس للمستحکم ، والمداوة الشديدة .

أبو قابوس وكان أبو قابوس الشاعر رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً إلى البراسكة ،
يشفع عند الرشيد فلما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبو قابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل
ابن يحيى :

أمين الله هبَّ فضل بن يحيى لنفسك ، أيها الملك الميام
وما طلبي إليك العفو عنه وقد قد الرشاة به وقاموا
أرى سبب الرضا عنه قوياً على الله الزيادة والتمام
نذرت على فيه صيام شهر فإن تم الرضا وجب الصيام
وهذا جعفر بالحجر تمحو محاسن وجهه ربح قتام
أما والله نولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلنا كما فئاس بالحجر استلام
وما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما قداه السيف الحسام
عقاب خليف الرحمن خرو لمن بالسيف حاقبه الحمام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويهِ ومعناه : أحدهما لأشجع
السلي ، والآخر لسليمان أخى صريح ، فالناس فيه مختلفون ، وهذه صمته . فانظر
إلى تجاسره على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرئاء .

واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبني كلاب وقد أغار عليهم فغنم الأموال

وسقى الحرِيم ، فأنى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ، ويشفع
لبنى كلاب
عند سيف
الدولة
فيهم - فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه :

ترقى أيها الولي عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب
فإنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لناثية أجابوا
وعين الخطئين هم ، وليسوا بأول معسر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لم عقاب
وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مؤلدة دلائل وكم بيد مؤلدة اقتراب
وجرم جرّه سفهاء قوم وحلّ بنير جارمه المذاب

وهذا من أفعال الشراء قديم مشهور . وقد افتخر به البحترى فقال في

قصيدة له طويلة :

إن أبق أو أهلك قد نلت التي ملأت صدور أقرابي وعدائي
وغيت ندمان الخلائف : نايها ذكرى ، وناعة بهم تشواني
وشفت في الأمر الجليل إليهم بسد الجليل ، فأعجموا طلباني
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رفد طلاب وفك عناة

وكان أبو عزة كثيراً ما يستنفر المشركين ، ويمرض فربشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسرى يوم بدر ، وحسب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكا إليه
الفقر والعيال ، فرق له ، وخطى سبيله بعد أن عاهدته ألا يمين عليه بشعره ، وأمسك
عنه مدة ، ثم عاد إلى حاله الأولى ، فأسرى يوم أحد ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل خطابه الأول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسمح عارضيك بمكة
تقول خدعت محمداً مرتين ، ثم قتله صبراً ، وقال : « لا يلسع ^(١) المؤمن من
جحر مرتين » .

(١) يروى « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وللنبي واحد .

أوس بن حجر يحرض على بني حنيفة
وقال أوس بن حجر يفرى النعمان بن المنذر بن حنيفة ؛ لأن شمر بن عمرو السعيمي قتل للمنذر ، وهو حيثئذ مع الحارث بن أبي شمر النعماني ، وقال ابن جني : إنما قتل ابن النعمان :

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَدْخَلُوا أَيْيَاتِهِمْ تَامُورَ قَلْبِ الْمُنْذِرِ

ويروى « أن بني سحيم » فترام النعمان ، وقتل فيهم وسبي ، وأحرق نخلهم ، ويقال : إنما أغرى بهم عمرو بن هند .

سديف يحرض السفاح على بني أمية
ودخل سديف بن ميمون على أبي العباس السفاح ، وعنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك وأبناءه ، وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولده له ، وفي رواية ثالثة إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، فأنشده سديف :

لَا يَمُرُّ نَفْسٌ مَا تَرَى مِنْ أَنْسَإٍ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ السُّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُومِيًّا

فقال سليمان : قَتَلْتَنِي يَا شَيْخَ قَاتَلَكَ اللَّهُ . ونهض أبو العباس فوضع المنديل في عنق سليمان ، وقتل من ساعته .

شبل بن عبد الله يحرض على بني أمية
ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي ، وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضاً على بني أمية ، وعنده منهم ثمانون رجلاً :

أَقْصَمِهِمْ أَيْهَا الْخَلِيفَةُ وَأَقْطَعُ هَكَ بِالسَّيْفِ شَاةَ الْأَرْجَاسِ
ذُلًّا أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهَا وَلَهَا مِنْكُمْ كَحَزُّ الْوَأَمِيِّ
وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سِوَايَ قُرْبَاهَا مِنْ تَمَارِقِ وَكَرَامِي
أَزْلَوْهَا بِمِثِّ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِدَارِ الْمَوَانِ وَالْإِنْسَانِ
وَإِذَا كَرَوَا تَصْرَعُ الْحُسَيْنُ وَزَيْدٍ وَقَتِيلَا بِجَانِبِ الْمُرَاسِ
وَالْقَتِيلَ الَّذِي يَحْرَأَنَّ أُمِّي ثَلَاوِيًّا بَيْنَ غَرِيَّةٍ وَتَمَاسِي

فلما سمع بذلك تنكر، وأمر بهم يقتلوا، وألقى عليهم البساط، وجلس للغذاء وإن بعضهم يسمع أنه لم يمض بعد، نحى ذلك جماعة من المؤمنين، واختلقوا في رواية الشعر وحده؛ فأكثر الروايات موضع البيت الأول:

لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِشَارًا واقطعن كل رَقْلَةٍ وَأَوَسَ

ويروى «وغراس» وبعضها على ما في النسخة، ولا أدري كيف صحت ذلك، وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة، اللهم إلا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور. وأكثر الناس يروى هذه الأبيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا الباس السفاح، غير أن في الرواية الأولى:

نعم^١ شبل المراس مولاك شبل لو نجما من حبات الإفلاس
وهو يشهد لما روى [أولا].

وحكى غيرهم قال: دخل العبدى الشاعر على عبد الله بن علي بن فلسطين،
وقد دعى به، وعنده من بني أمية اثنان وثمانون رجلا، والفر من يزيد بن
عبد الملك جالس معه على مُصَلٍّ، قال العبدى: فاستشدنى عبد الله بن علي
فأنشدته قولى:

* وَتَفَّ المَتَيْمُ في رُسُومِ دِيَارِ *

وهو مُضْغِرٌ مطرق حتى انتهت إلى قولى:

أما الدُّعَاةُ إلى الجَنَانِ فهَاشِمٌ وبنو أمية من دعاة النار
وبنو أمية دوحه^(١) ملعونة وَلَهَاشِمٌ في الناسِ حُودُ نَضَارِ
أُنْمَى مَالِكٌ من قراري الخلق بالجنِّ صاغرة بأرض وبَارِ
ولئن رحلت لترحلن ذمية وكذا المقام بذلة وصغار

قال: فرقع القمر رأسه إلى، وقال: يابن الزانية مادعاك إلى هذا؟ وضرب
عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الأرض، وكانت العلامة بينه وبين أهل

(١) في نسخة «دولة».

خراسان ، فوضوا عليهم المد حتى ماتوا ، وأمر بالعمر فضربت عنقه صبراً .
 وكان ابن حزم أميراً على المدينة ، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملاً شديداً ،
 فشخص إلى الوليد بن عبد الملك ، فأشده قصيدة ينتدحه فيها ، فلما بلغ إلى قوله
 كالذي يشتكي ابن حزم وعقله :

الأحوص
 يفرى بأل
 ابن حزم

لازريق لحزمي ظفرت به يوماً ولو ألقى الحزمي في النار
 الناصحين لمروان بذى خشب والداخلين على عثمان في الدار
 فقال له الوليد : صدقت والله ، لقد غفلنا^(١) عن حزم وآل حزم ، ثم كتب
 بهذا لعثمان بن حيان الرمي على المدينة ، وعزل ابن حزم ، وأمر باستئصال أموالهم ،
 وإسقاطهم جميعاً من الديوان .

أبن الزيات
 يفرى للمأمون
 بعمه إبراهيم
 ابن المهدي
 ولما وثب إبراهيم بن المهدي على المأمون باقتراض من التجار مالا كثيراً ،
 فكان فيه لبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار ، فلما لم يتم أمره تولى التجار
 أموالهم ، فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، منها قوله :

تذكر أمير المؤمنين قيامه بأيمانه في الحزل منه وفي الجسد
 إذا هز أعراد المنابر باسته تنفى بليلى أو بمجة أو هند
 ووالله ما من توبة نزعته به إليك ، ولا ميل إليك ، ولا ود
 وكيف بمن قد بايع الناس ، والتفت بينه الركبان غروراً إلى نجد ؟
 ومن حك تسليماً الخلقة سمه ينادى بها بين السماطين عن بعد
 وأى أمرى سمي بها قط فسه فغارها حتى يغيب في الحد ؟

وعرضها على إبراهيم - وهو حينئذ حامل الذكر لم يتلق بعد بالخدمة تعلقاً
 ينفع - فسأله [إبراهيم] كتابتها ، واستحلفه على ذلك ، وأدى مال أبيه دون
 سائر التجار ، ومثل ذلك كثير لو تفرغ لطلال به الكتاب

(٧) - باب احتواء القبائل بشعرائها

كانت القبيلة من العرب إذا نبيغ فيها شاعر أنت القبائل فهنأتها ، وصنعت
 الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرجال
 والولدان ؛ لأنه حماية لأعراضهم ، وذنب عن أحسابهم ، وتحليل لما ترمم ، وإشادة
 بذكرهم . وكانوا لا يهتثون إلا بسلام يولد ، أو شاعر ينبيغ فيهم ، أو فرس تنتج :
 فمن حى قبيلته زياد الأعجم ، وذلك أن الفرزدق هم بهجاء عبد القيس ،
 فيبلغ ذلك زياداً وهو منهم ، فيحث إليه : لا تمجل وأنا مهد إليك هدية ، فانتظر
 الفرزدق الهدية ، فجاءه من عنده :

فما ترك الهاجون لي إن هجوته مُعصاً أراه في أديم الفرزدق
 ولا تركوا عظماً يرى تحت لحيه لكبيره أبقوه للتمرق
 سأكر ما أبقوا له من عظامه وأنكت مع الساق منه وأنتقى
 فإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحرهما يلتقى في البحر يفرق
 فلما بلغت الأبيات كف عما أراد ، وقال : لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش

هذا العبد فيهم .

وهجا عبد الله بن الزبير السهمي بنى قصي ، فرفضه برمته إلى حنبة بن
 ربيعة ؛ خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب ، وكان شاعراً مقلقاً شديد العارضة
 مُقذع المهجاء ، فلما وصل عبد الله إليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه ، فقال :

لمرك ما جاءت بكُرى عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا أومها
 فرد جنة الشر ؛ إن سيوفنا بأمانتنا مسالوة لا نسيما
 فإن قصياً أهل مجد وعزة وأهل فكل لا يرام قديمها
 هم متعوا يومئ عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها

(٥ - السدة ١)

عبد الله بن
 الزبير وبنو
 قصي

وكان الزبير غائباً بالطائف ، فلما وصل إلى مكة وبلغه الخبر قال :
 فولا نحن لم يلبس رجالٌ ثيابَ أعزّةٍ حتى يموتوا
 ثيابهم سمّاً أو طياراً بها وذلك كما دسّم الحميم
 ولكنّا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمك الثقيتُ
 وهما رجل من بني حرام القرزدي ، فجاء به قومه يقودونه إليه ، فقال
 القرزدي :

بنو حرام
والقرزدي

ومن بك خائفاً لأذاه شرى فقد أمن الهجاء بنو حرام
 هم قادوا سفيهم ، وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام
 وهما الأحوص بن محمد الأنصاري رجلاً من الأنصار يقال له ابن بشير
 - وكان مكثراً - فاشتري هدية ، ووفد بها على القرزدي مستجيراً به ، فأجاره ،
 ثم قال : أين أنت من الأحوص بن محمد ؟ فقال : هو الذي أشكو ، فأطرق
 القرزدي ساعة ثم قال : أليس الذي يقول :

الأحوص
ورجل من
الأنصار

الأيّف برسم الدار فاستنطق الزنماً فقد هاج أحزاني وذكري ثمى
 قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشتري ابن بشير أنفَسَ
 من المدينة الأولى وقدم بها على جرير ، فاستجاره فأجاره ، ثم قال له : ما فعل ابن
 عمك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو صاحبي الذي هجاني ، قال : أليس القائل :
 تمشي بشتى في أكاريس مالك يشيد به كالكلب إذ ينبع النجاء^(١)
 قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشتري أكثر من المدينتين
 وأهداهما إلى الأحوص وصالحه
 ولهذا وأمثاله قال جرير لقومه يماثلهم في قصيدة خاطب فيها أباه وجده
 انخطأ ممتناً عليهم بنفسه :

(١) السكرس - بكسر السين وسكون الراء - الجماعة من أي شيء كان ، ويجمع
 على أكارس ، وجمع الجمع أكارس وأكاريس .

بأى نَحَادٍ تَحْمِلُ السِّيفَ بَدَ مَا قطعت القوى من محل كان باقيا؟
بأى سنان تَطْلَعُ القِرْنَ بَدَ مَا نزعَت سنانًا من قَتَارِكَ ماضيا؟
ألا لا تخافا تَبْهَوِي فِي مَلَّةٍ وخافا للنايا أن تَفُوتَكُمَا ييا
فقد كنت نارا يصطليها عدوكم وحرزًا لما أَلْجَأْتُم من ورائيا
وباسطٍ خير فيكمُ يمينه وقابضٍ شرٍّ عنكمُ بشماليا
وإني لعَفُ الفَقْرِ مشركُ النقي سريع-إذا المأرض جارى-انتقاليا
جَرِيهِ الجنان لأَهَاب من الردى إذا ما جعلت السيف من عن شماليا
وَلَيْسَتْ لِسْفِي فِي العِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَا السِّيفُ أَشْوَى وقعة من لسانيا .

وهذا الباب أكثر من أن يستقصى ، ورغبتي في الاختصار ، وإنما جئت منه ومن سواء بَلَسَحَةٍ تدل على اللراء ، وتبلغ في ذلك حدَّ الاجتهاد .

(٨) - باب من قال الشعر ، وطيرته

تَعَادَلِ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَتْحِ مَكَّةَ قَالَ فِي كَلِمَتِهِ حَسَانُ يَتَعَادَلِ
لِلشُّهُورَةِ يَخَاطَبُ بِذَلِكَ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ وَيَتَوَعَّدُهُمْ :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرْوَهَا تَتَيَرُّ النِّقَمُ مَوْعِدَهَا كِدَاءُ
يُبَيِّرِينَ الْأَهْنَةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الْظَّامِ
تَفْضُلُ جِيَادَنَا مُتَمَطِّرَاتٍ بِلَطْمِهِنَّ بَاتِلُهُنَّ النِّسَاءُ^(١)

[ورأيت من يستحسن « يلطمهن » من لطمت الخبزة إذا نفضت عنها الرماد] ، فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل ، وينفضن التراب عنها بخمرهن ، فقال قائل : لله در حسان إذ يقول^(٢) ، وأنشد الأبيات ، وروى قوم أن الناس أمروا بالسير إلى كداء تفاؤلا بهذا البيت ليصح ؛ فكان الأمر كما قال .

(١) متمطرات : مسرعات يسبق بعضها بعضا .

(٢) ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قد صدق الله حسان في هذا »

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفامل ، ولا يتطير ، ويجب الاسم
يتفامل ولا يتطير الحسن ، وقال : « ثلاثة لا يسلم منهم أحد : الطَّيْرَة ، والفن ، والحسد » قيل
له : فما المخرج منهم يا رسول الله ؟ قال : « إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت
فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

أبو الشمق يتفامل لخالد بن يزيد ومن ملج ما وقع في التناؤل ما حكى محمد بن الجراح ، وذلك أن أبا الشمق
شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد ، وقد تقلد الموصل ، فلما مر بيمض الدروب
اندق اللواء ، فاعتم خالد ذلك وتطير منه ، فقال أبو الشمق :

ما كان مندق اللواء لطيرة تحشى ، ولا سوء يكون ممجلا
لكن هذا العود أضعف منته صغر الولاية فاستقل الموصل
ففرى عن خالد ، وكتب صاحب البريد بخبر ذلك إلى اللأمون ، فزاده ديار
ريعة ، وأعطى خالد أبا الشمق عشرة آلاف درهم .

موسى بن عبد الملك وجماعة من قال : فرأيت في النوم قاتلا يقول :
وقبى جماعة من الكتاب على موسى بن عبد الملك ، فأمر للتوكل بحبسه ،

أبشر فقد جاءت السحود أباد أعدائك الميبد
لم يظفروا بالذي أرادوا بل يفعل الله ما يريد
ووقف للتوكل منهم على أمر أوجب إيقاعه بهم ، وأمر بإطلاق وإعادتي
إلى أشرف رتبة .

ولا بد من ذكر ما يتطير منه في باب غير هذا .

و قال قيس المجنون : مجنون لى

قضاها لغيرى وابتلاني مجبها فعلا بشيء غير لى ابتلاني
فما مات حتى برى ، ورأى في منامه قاتلا يقول له : هذا ما كنت
ويقال : إن المؤمل بن أميل لما قال :

شفَّ المؤملَ يومَ الحيرةِ النظرُ لَيْتَ لِلْمُؤْمَلِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرٌ
نام ذات ليلة صحيحاً ، فأصبح مكفوف البصر .

وتطير أبو الهول على جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال :

أصبحت محتاجاً إلى ضرب في طلب العُرفِ من الكلب
إذا شكاً صبَّ إليه الهوى قال له : مالي وللصب
أعنى فتى بطمن في ديننا يشبُّ معه خَشَبُ الصَّنْبِ
فكان من أمر جعفر ما كان .

وكان ابن الرومي كثير الطيرة : ربما أقام للذة الطويلة لا يتصرف تطيراً
بسوء ما يراه ويسمعه ، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقدته فأعلم بحاله
في الطيرة ، فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفادى به ، فلما أخذ أهبطه للركوب قال
للخادم : انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ، ومنكوس اسمك لا بقاً ..
وابن الرومي القائل : القائل لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدثن . وله فيه
احتجاجات وشر كثير .

٩ - باب في منافع الشر ومضاره

قد أكثر الناس في هذا الفن ، ولا بد مع ذلك أن آتى منه بنبذ يقتضيه
ترسيم الكتاب وحق التأليف ، وليست على مطالبة ، ولا قَبْلُ حجة ، في ذكر
مضاره بعد منافعه أو معها ؛ إذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليزيد منه ،
وتفحيح القبيح لينتهي عنه .

وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضي الله عنها وقول سواها من
الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشر ما فيه كفاية : من
أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ، ويقبح منه ما يقبح في الكلام ،
و يقدر حسنه وقبحه يكون خمه وضرره ، والله المتعال .

المؤمل بن أميلة

أبو الهول
وجعفر بن يحيى

ابن الرومي
وتطيره

الأمون وبيت من شعر عمارة بن عقيل
حكى أبو العباس المبرد أن الأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن جريز :

أتركُ إن قلتُ دراهم خالد زيارته ؟ إني إذا للثيم
فقال : أو قد قلتُ دراهم خالد ؟ احملوا إليه مائتي ألف درهم ، فدعا خالد
بعمارة ، فقال : هذا مطر من سحابك ، ودفع إليه عشرين ألفاً .

المصور ينفو عن كاتب بيت من الشعر
ووجد أبو جعفر للنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب ، فقال :
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا
فغلى سبيله إعجاباً ببديته .

يزيد بن معاوية وحمل بعض المال إلى يزيد بن معاوية مالا جليلاً ، قطع عليه تسمي الغنوي
يسوغ قاطع فأخذه ، وأمر يزيد بطلبه ، فلما حصل بين يديه قال : ما حلك على الخروج علينا
طريق بشر وأخذ مال يحمل إلينا ؟ قال : إذ نك يا أمير المؤمنين أعزك الله ، قال : ومتى أذنت
له رواه لك ؟ قال : حين قلت وأنا أسمك

إعصى المواذل وارم الليل عن عرض

بذى سيب يقامى ليله خيبا
كالتسيد لم ينقب البيطار سرته ولم يدجبه ولم يقطع له لبكبا
حتى تصادف مالا أو يقال فتى لاقى التي تشعب الفتیان فانشعبا
فصيت عواذلى ، وأسهرت ليلي ، وأعلت جوادى ، فأصبت مالا ، قال :
قد سوغناكه فلا تعد .

أبو الشمقمق واثنتان من عمال يحيى بن خالد
وكان جميل بن محفوظ وأبو دهمان من عمال يحيى بن خالد ، فوفد عليهما
مرة أبو الشمقمق - واسمه مروان بن محمد - فأكرمه أبو دهمان وأساء إليه جميل ،
فقال :
بن خالد

رأيت جميل الأزد قد عقر أمه فذاك أبو دهمان أم جميل
وتناظرا بعد ذلك في مال بين يدي يحيى بن خالد ، فاستملى جميل على أبي

دهمان في الخطاب ، قال له أبو دهمان : احفظ الصهر الذي جعله بيننا أبو الشتمق ، فضحك يحيى بن خالد حتى فَحَصَ الأرض برجليه ، وترك المال الذي تشاجر فيه .

وأنى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار ، فأمر بقتلهم بين يديه ، مصعب بن الزبير وأسير من أصحاب المختار
فقام إليه أسير منهم فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك للريح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول : يارب ، سل مصعباً فيم قتلنى ، فاستحيا مصعب وأمر بإطلاقه ، فقال : أيها الأمير ، اجعل ما وهبت من حياتى فى خَفَضٍ ودَعَةٍ من العيش ، قال : قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم ، قال : أشهدك أيها الأمير أن شَطَرَ هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لقوله :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فضحك مصعب وقال : أقبض ما أمرنا لك به ، ولابن قيس عندنا مثله ، فما شر عبد الله بن قيس إلا وقد واثق المال .

وحكى عن ابن شهاب الزهري قال : دعانى يزيد بن عبد الملك ، وقد مضى يزيد بن عبد الملك يطلق الأحوص بسبب
شَطَرَ الليل ، فأثبته فَرَعَا وهو على سطح ، فقال : لا بأس عليك اجلس ؛ فجلست ويتبين من عمره
واندفت جاريته حياءة تقى :

إِذَا رَمَتْ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعُ مِنْ الْحَبِّ : مِمَّادُ السَّلْوَةِ الْمُتَابِرِ
سَنَبَقَ لَهَا فِي مُصْطَرِّ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةُ حَبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

قال : لمن هذا الشعر ؟ قلت : للأحوص ، قال : ما فعل الله به ؟ قلت : محبوس بدهلك ، فكُتِبَ من ساعته بإطلاقه ، وأمر له بأربعمائة دينار ، وقدم إليه فأحسن جائزته .

ومن ضره الشعر — وكل من عند الله عز وجل — ويمشيته ومقدوره —

على بن العباس بن جريج الرومي : كان ملازماً لأبي الحسين القاسم بن عبيد الله
أبن سليمان بن وهب ، مخصوصاً به ، فاتصل ذلك بسيد الله وسمع هجاءه ، فقال
لولده أبي الحسين : أحب أن أرى ابن روميك هذا ، فجمع بينهما فرأى رجلاً
لسانه أطول من عقله ، فأشار عليه بإياديه ، فقال : أخافه ، قال : لم أرد إقصاءه ،
ولكن بيت أبي حية النهرى :

موت ابن
الرومي
مسموماً

قتلنا هاهنا السر نفديك^(١) لا يرج صحيحاً وإلاً تقتليه فألمى
فحدث أبو القاسم ابن فراس بما كان من أبيه - وكان ابن فراس من أشد
الناس عداوة لابن الرومي - فقال له : أنا أكفيك ، فسم له فوزينج فأت
وسبب ذلك كثرة هجائه وبذاءته .

ودعبل بن علي الغزاعي : كان هجاءاً للولوك ، جسوراً على أمير المؤمنين ،
متهاملاً ، لا يبالي ما صنع ، حتى عرف بذلك ، وطار اسمه فيه ، فصنع على لسانه
بكر بن حماد التاهرتي ، وقيل : غيره ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه :

موت دعبل
وسببه

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كُتِبَ
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة كرام إذا عدوا ، وثامنهم كلب
وقال قوم : بل صنمها دعبل نفسه ، وكان المعتصم يعرف بالثامن وبالثمن
أيضاً ، فبلنه ذلك ، فأمر بطلبه ، ففر منه إلى بلاد السودان بناحية الغرب
- وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب - فات بها وهناك قبره ، وإلى
جانبه قبر عبد الله ابن شيخنا أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله ، هكذا
يرى أصحابنا . وأما شعر البحرى فيشهد بخلاف هذا ، وذلك أنه رثى دعبلاً
وأباً تمام حبيباً الطائي فقال في أبيات هجا فيها الخشمي الشاعر :

(١) في نسخة « سرأ فديناك »

جَدَتْ عَلَى الْأَهْوَازِ بَعْدَ دُونِهِ مَسْرَى النَّعْيِ ، وَرَمَتْ بِالْمَوْصِلِ
فَالَّذِي بِالْمَوْصِلِ أَبُو تَمَامٍ حَبِيبٌ لَاشِكٌ ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ بِهَا وَهُوَ يَتَوَلَّى الْبَرِيدَ
لِلْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، وَكَانَ يَعْنِي بِهِ كَثِيرًا ، وَالْآخِرُ دَعْبَلٌ ، وَرَأَيْتُ مِنْ بَرْوَيْهِ :
شَيْئًا بِأَعْلَى عَقَرٍ قَوْفَ تَلْقَاهُ هَوَجَ الرِّيحِ ، وَرَمَتْ بِالْمَوْصِلِ
وَالْأَوَّلُ أَهْرَفٌ وَأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ .

وَالْبَابُ بْنُ الْحَبَابِ : ذَكَرَ أَنَّ الرَّشِيدَ أَوْ غَيْرَهُ سَأَلَ مِنَ الْقَاتِلِ :
وَلَهَا - وَلَا ذَنْبَ لَهَا - حُبُّهُ كَأَطْرَافِ الرَّمْلِ
فِي الْقَلْبِ يَمِرحُ دَائِمًا فَالْقَلْبُ مَكْلُومُ النَّوَاحِ
قَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ : ذَلِكَ وَالْبَابُ بْنُ الْحَبَابِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَيْنَ تَذْهَبُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْهُ شِعْرًا ، وَلَا أَطْيَبَ نَادِرَةً ، وَلَا
أَكْثَرَ رَوَايَةً ، وَلَا أَجَزَلَ مَعْرِفَةً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ مِنْهُ ، فَقَالَ : لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْهُ إِلَّا يَتَا
شِعْرَ الْمَاهِوَاهِ :

قُلْتُ لَسَاقِينَا عَلَى خَلَاةٍ أَذِنَ كَذَا رَأْسُكَ مِنْ رَاسِيَا
وَتَمَّ عَلَى وَجْهِكَ لِي سَاعَةٌ إِنِّي أَمْرُؤُ أَنْكَحُ جِلَاسِيَا
أَتَحِبُّ أَنْ يَنْكَحُنَا لَا أُمٌّ لَكَ ؟ قَالَ : فَفَسَلْتُ أَتَوَابِي عِرْقًا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ .

وَيَزِيدُ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ : عَهْدَ لَهُ الْحَجَّاجُ عَلَى فَارَسٍ ، فَأَتَاهُ يُوَدِّعُهُ ،
فَقَالَ لَهُ : أَتَشْدُو ، وَقَدَّرَ أَنَّهُ يَمْدَحُهُ ، فَأَنشَدَهُ :
يَزِيدُ بْنُ أُمِّ
الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ

وَأَبَى الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كَسْرَى رَايَةً بِيضَاءُ تَتَفَقَّقُ كَالْقَابِ الطَّائِرِ
فَاسْتَرَدَّ الْمَهْدَ مِنْهُ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ : إِذَا رَدَّهِ عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُ : أَوْزَنَكَ أَبُوكَ
مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ ذَلِكَ ، فَقَالَ يَزِيدُ : قُلْ لِلْحَجَّاجِ :

وَوَرِثْتُ جَدِّي مَجْدَهُ وَفَضْلَهُ وَوَرِثْتُ جَدَّكَ أَغْنَى بِالطَّائِفِ
وَيَمْثِلُ هَذَا السَّبَبُ غَضَبَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْفَرَزْدَقِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
اسْتَنْشَدَهُ لِيَنْشُدَهُ فِيهِ أَوْ فِي آيِهِ ، فَأَنشَدَهُ مُفْتَخِرًا عَلَيْهِ :

الْفَرَزْدَقُ مَعَ
نَصِيبِ وَسُلَيْمَانَ
بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ

وركب كأنَّ الرِّيحَ تطلبُ عندهم لها زَرَّةً من جَذْبِها بالمصائب
سروا ينجطون الرِّيحَ^(١) وهى تلقهم إلى شعب الأكوار ذات^(٢) الحقايب
إذا استوضحوا ناراً يقولون : ليتها — وقد خَصِرَتْ أَيْبِهِمْ — نارٌ غالب

فتبين غضب سليمان ، وكان نصيب حاضراً فأنشده :

أقول لركبِ قافلين رأيتهم^(٣) قفا ذات أو شال^(٤) ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان ؛ إني لمعرفه من أهل ودَّانِ طالب
فماجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أنثت عليك الحقايب

قال : يا غلام ، أعطِ نصيباً خمائة دينار ، وألحق الفرزدق بنار أبيه ،
فخرج الفرزدق مُنْضِياً يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا . وشرُّ الشعر ما قال العبيد

ومن ضره الشعر وأهلكه سديف ؛ فإنه طعن في دولة بني العباس بقوله
لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور في أبيات له :
ممن ضره شعره سديف

إنا لنأملُ أن ترتدَّ ألفتنا بعد التباعدِ والشحناء والإحْنِ
وتنفضى دولةُ أحكامُ قادتها فينا كأحكام قومٍ عابدي وثْنِ
فانهض بييعتكم تنهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسن

(١) في نسخة « الليل » .

(٢) في نسخة « من كل جانب » .

(٣) في معجم ياقوت « قافلين عشية » وفي رواية أخرى « صادرين لقيتهم »

(٤) أى : رأيتهم خلف ذات أو شال ، وذات أو شال : موضع . وقفاه : جانبه
الحلقي ، وهو كما قال الشاعر :

خذا أنف هرثى أوقفاهما فلما كلا جانبي هرثى لمن طريق

فكتب للنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ، ففعل ، ويقال : إن الأبيات لعبد الله بن مصعب نُسِبت إلى سديف وُحِلت عليه قتل بسببها ، وذلك أشد

وأحق الشراء عندى مَنْ أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له ، وما للشاعر والتعرض للَحُتُوفِ ؟ وإنما هو طالب فضل ، فلم يضيع رأس ماله ؟ لاسيما وإنما هو رأسه ، وكل شيء يحتمل إلا الطعن في الدول ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة بحجة فتعصبُ المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب ، وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال ، لا كما فعل سديف .

وأبو الطيب لما فرَّ ورأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار مقتل المتنبي
أبدأ وأنت القاتل : بسبب بيت
من شعره

الخليلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والطعنُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ^(١)

فكر راجعاً قتل ، وكان سبب ذلك هذا البيت ..

وكان كافور الإخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله ، فلما رأى حرمان كافور المتنبي الولاية تماظله في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعُوتِبَ فيه ، فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعى المملكة مع كافور ؟ ! حَسْبُكُمْ .

وزعم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشل أن أبا الطيب إماماً سُمي متنبئاً تنبؤه
لفطنته ، وقال غيره : بل قال : أنا أول من تنبأ بالشعر ، وادعى النبوة في
بني النصيص .

والأخبار في هذا النوع كثيرة جداً ، وإنما جئت بأقربها عهداً ، وأشهرها في كتب المؤلفين ، مما يليق بالموضع ذكره

(١) بروي عجز هذا البيت هكذا

* واليف والرمح والقرطاس والقلم *

(١٠) - باب تعرض الشعراء

عمر والنجاشي كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عالما بالشعر ، قليل التعرض لأهله : استعداه رَهْطُ تميم بن أبي [بن] مقبل^(١) على النجاشي لما هجاهم ، فأسلم النظر في أمرهم إلى حسان بن ثابت؛ فرأوا من التعرض لأحدهما ، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالقائد من جهة الصناعة ، ولم يكن حسان - على علمه بالشعر - أبصر من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم ، وإن اعتل فيه بما اعتل ، وقد مضت الحكاية^(٢) .

عمر والحطيئة وكذلك صنع في هجاء الحطيئة الزبير قان بن بدر : سأل حسان ثم قضى على الحطيئة بالسجن ، وقيل : بل سجنه لمواقفته إياه وقوله : إن لكل مقام مقالا ، فقال له : أنتهدنى ؟ امضوا به إلى السجن ، فسجنه في حفرة من الأرض . أبو عبيدة وسئل أبو عبيدة : أى الرجلين أشعر : أبو نواس ، أم ابن أبي عيينة ؟ لا يحكم بين الشعراء الأحياء فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء ، قليل له : سبجان الله كأن هذا ما تبين لك ! فقال : أنا ممن لم يتبين له هذا !!!

أول من لقب قريشا. سخينة وقيل : إن أول من لقب قريشا - على شرفها ، وبعد ذكرها في العرب - سخينة لحساء كانت تتخذ في الجاهلية عند اشتداد الزمان خدائش بن زهير حيث يقول :

يا شدة ما شددنا خير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم
فذهب ذلك على أفواه الناس ، حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية
(١) أبي - بضم الهمزة ، وفتح الباء ، وتشديد الياء ، كما ذكره البغدادي في شرح الشاهد الثاني والثلاثين ، وكان في الأصل « تميم بن أبي مقبل » ونصوبه عن الحزاة ، ويؤكدنا الأبيات التي هجاء بها النجاشي وقد سبقت .
(٢) انظر (ص ٥٢) من هذه الجزء .

ابن أبي سفيان وبين الأخنف بن قيس التميمي ، حين قال له : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميم فَسَرَّكَ أن يعيش نَجِيٌّ بَزَادٍ
بَحْبِزٍ أو بلحم^(١) أو بتمرٍ أو الشيء الملفف في البجاد

يريد وَطَبَ اللين ، وأراد الأخنف قول خدش بن زهير * يا شدة ما شددنا . . . البيت * وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم بن مالك الأنصاري : أخرى الله نسي قولك ؟ يعني :

زَعَمْتَ سَخِينَةً أن سَتَغْلِبُ ربها وَكَيْفَ لَبِنٌ مُغْلِبُ الْقَلَابِ

ولسير الشعر على الأنفواء هذا المسير تجنب الأشرافُ مازحة الشاعر خوف
الأشراف
يجنبون
مازحة الشعراء
لقطة تسمع منه مزحاً فتعود جداً ، كما قال دعبيل الخزاعي :

لا تعرضنْ بمزحٍ لامرئٍ طَلِينٍ ماراضهُ قلبهُ أجراه في الشَّغَةِ
فوبٌ قَانِيَةٌ بالمزح جارية في محفل^(٢) لم يُرَدِّ عَمَاوُها مَمَتِ
إني إذا قلت بيتاً ماتَ قائلُهُ ومَنْ يقال له والبيتُ لم يَتِ

وقال رجل لابن الرومي يمازحه : ما أنت والشعر ؟ لقد نلتَ منه حظاً جسيماً وأنت من العجم ، أراك عريباً في الأصل أو مدعياً في الشعر ! قال : بل أنت دعي ! إذ كنت تنسب عريباً ولم تحسن من ذلك شيئاً ، وله يقول من أبيات :

إياكَ يا ابنَ بُوَيْبٍ أن يستشارَ بُوَيْبُ
قد تحسنُ الرومُ شعراً ما أحسنهُ العريبُ

(١) في نسخة « أو بتمر أو بسمن »

(٢) في نسخة « مشؤمة »

وهذا مثل قول الصيني^(١) الشاعر لبعض الأعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شمرًا ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ فقال : من العجم ، قال : ما للعجم والشعر ؟ أظن عريبًا نَزَا على أمك ، قال : فن لم يقل مدكم الشعر معشر العرب فإنما نزا على أمه أعجبي ! فسكت الأعرابي .

الشعراء السنة
حداد

وأنشد أبو حنّان عمرو بن بحر الجاحظ فقال :
وللشعراء ألسنةٌ حِدَادٌ على العورات موفيةٌ دَلِيلُهُ
ومن عقلِ الكريمِ إذا أَتَقَّاهُمْ وداراهم مداراةٌ جَمِيلُهُ
إذا وَضَعُوا مَكَالِيهِمْ عَلَيْهِ - وإن كذبوا - فليس لهنَّ حِيلُهُ
والأبيات لأبي الدلمان^(٢) . . . ولأمرئًا قال طرفة :

رأيت القوافي تَتَلَجَّنَ مَوَالِجًا تَصَاقِقُ عنها أن تَوَلَّجَهَا الإبر
وقال امرؤ القيس * وجُرَّحُ اللسان كجرح اليد * ومع ذلك كله فلا ينبغي
للشاعر أن يكون شرسًا شديدًا ، ولا حرجًا عريضًا ؛ لما يدل به من طول لسانه
وتوقف الناس عن محاشنته .

فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه ، لم يكن في جيله أظرف منه
نادرة ، ولا أغرب مدحًا ، ولا أسرع جوابًا : اجتاز بنسوة وهو على بئلة فهمزها
خفيت ، فتضاحكن ، وكان عريضا ، قال : ما بضحككن وما حملتني أثني قط
إلا فعلت مثل هذا ؟ قالت إحداهن : فما صنعت التي حملتني تسعة أشهر ؟
فانصرف خجلا .

ومر به رجل فيه لين ، فقال له : من أين أقبلت عمتا ؟ فقال : نفاها الأغر
أبن عبد المزير ، فسكأن الفرزدق صَبَّ عليه الماء ؛ لأنه عرض له بقول جرير
فيه حين فاه عمر بن عبد المزير من المدينة :

فذاك الأغرُّ بنُ عبدِ المزيرِ وَحَقَّكَ تنفى من المسجد

وكان الفرزدق مرة ينشد ، والسكيت صبي ، فأجاد الاستماع إليه ، فقال

(١) كذا ، ولم يستقم لنا .

(٢) لعله «أبودهان» والشعر في البيان ١/٥٩ منسوبا لبعض المولدين من غير تعيين

له : يا بني أسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أرى به بدلا ، ولكن يسرفنى أنك
أهى ، فأغفمه حتى غص بريقه ، وزعم قوم أن هذه الحكاية إنما وقعت مع كثير .
ومر يوما بمضرس الفقمسى ، وهو غلام حديث السن ، ينشد الناس شعره
لفرزدق ومضرس
الفقمسى
فحسده على ما سمعه منه ، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح : أدخلت
أمك البصرة ؟ وفهم عنه مضرس ما أراد ، فقال : كلا ولكن أبى ! ورجع إلى
إنشاده ، فاستحيا الفرزدق ، حكى ذلك شيخنا أبو عبد الله ، وإنما أراد الفرزدق
أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابنى ، قال مضرس : بل أبى وقع
على أمك .

ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الخطيئة ؛ فإن الخطيئة قال له وقد سمعه
ينشد شعراً أعجبه : أنجبت أمك ؟ قال : بل أجد أبى ! ! ونظم ذلك جرير ،
ونعاه عليه ، وادعى أنه صحيح فقال :

كان الخطيئة جارا أمك مرة والله يعلم شأن ذاك الجار
من ثم أنت إلى الزنا بيلة بأشر شيخ فى جميع نزار
لا تفخرن بقالب محمد واخر بعيسى كل يوم فخر

وكان يزعم أن الخطيئة جاور لينة بنت قرطة فأعجبته فراودها فوقع عليها
وزوجها أخوها الملاء غالبا أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق
على فراشه .

واحتذى هذا الخن ذو سواء أبو السمط مروان الأصغر بن أبى الجنوب بن
أبو السمط
وعلى بن الجهم
مروان بن أبى حفصة فقال يهجو على بن الجهم بن بدر :

لمرك ما الجهم بن بدر بشاعر وهذا على بعده بصنع الشعرا
ولكن أبى قد كان جارا لأمه فلما تماطى الشعر أوهنى أمرا

والشاعر أولى من كف منقطه ، وأقال عنرات اللسان ؛ لما رزق من القدرة
على الكلام ، والنفو من القادر أحسن ، وبه أليق (ولن انتصر بعد ظله فأولئك

ما عليهم من سبيل ؛ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض
بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) .

(١١) - باب التكسب بالشعر ، والأثقة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أَنْتُمْ كُمْ** »^(١) عن قيل وقال ، وعن
كثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وعقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات ..
ما كانت العرب وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهاه
تتكسب بالشعر أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ، كما قال امرؤ القيس
[بن حُجْر] يمدح بني تيم رطط للملئ :

أَفْرَحَ حَشَا أَمْرِيءِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظُّلَامِ
لأن الملئ أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء ، لقتله بني أبيه
الذين قتل بدبر مرينا ، فتيل لبني تيم « مصابيح الظلام » من ذلك اليوم ليت
امرؤ القيس . وقال [أيضاً] لسعد بن الضباب :

سأجزيك الذي دافعت عني وما يميزيك عني غيرُ شكرى
فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت .

أول المتكسبين حتى نشأ التابضة الديباني ؛ فدح اللوك ، وقبل الصلّة على الشعر ، وخضع
التابضة الديباني للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار
إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالا جسيما ، حتى كان أكله
وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيهِ^(٢) من عطاء الملوك .

(١) في نسخة « إن الله ينهاكم » .

(٢) في نسخة « وأوانيها » .

وتكسب زهير بن أبي سُلَى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنان.

فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان ، وقصد حتى ملك الأعشى جعل الشعر متجراً
السجم فأنابه وأجزل عطيته علماً بقدر ما يقول عند العرب ، واقتداء بهم فيه ، على
أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له ، بل استهجنه واستخف به ، لكن احتذى
فعل الملوك ملوك العرب .

وأكثر العلماء يقولون : إنه أول من سأل بشعره ، وقد علمنا أن النابغة أَسَنُ
منه وأقدم شعراً ، وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن النضر مع
ما فيه [من] قبيح : من مجاملة الحاجب^(١) ، ودس الندماء على ذكره بين يديه ،
وما أشبه ذلك .

وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل : لم خضع النابغة للنعمان ؟ فقال : رغب
في عطائه وعصافيره .

وأما زهير فإبانه الطائي قط معرفة باجتماع^(٢) من يمدحه ، ويدلك عمر يتحدث
على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة زهير حين سألتها :
ما فعلت حُلُمُ هَرَم بن سنان التي كساها أبوك ؟ قالت : أبلاها الدهر ، قال :
لكن ما كساه أبوك هَرَمًا لم يُبَيِّلِهِ الدهر ، وقال [عمر رضي الله عنه] لبعض ولد
هرم بن سنان : أنشدني ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم
فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعليه فنُجَزِلُ ، قال عمر : ذهب ما أعطيتوه
وبقي ما أعطاكم .

ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر ، وانحطاط المهمة فيه ، والإلحاف ،
حتى مقت وذلل أهله وهلم جرا ، إلى أن حُرِم السائل وعُدَّ للمسئول .
أكثر السؤال
بالشعر

(١) في نسخة «معالجة الحاجب» .

(٢) كذا في جميع الأصول ، ولم يبين لنا وجهه .

إلا بقايا من أناس بهمُ إلى سبيل السكرمات يُهتدى
كالسيد أبي الحسن أحسن الله إلى الدنيا ببقائه .

وأما أكثر من تقدم فالتألب على طباعهم الأتفة من السؤال بالشعر ، وقلة
التعرض به لما في أيدي الناس ، إلا فيما لا يُرْزَى بقدر ولا مروءة كالفاتنة النادرة
والمهجة العظيمة ، ولهذا قال عمر رضى الله عنه : نعم ما تعلمته العرب الأبيات من
الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته .

الوليد بن عقبة ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل ينمحرها
مع لبيد بن ربيعة كعادته عند هبوب الصبا ، وقد أسنَّ وأقلَّ^(١) ، وكان يطعم الناس ما هبت
الصبا ، قال لابنته : اشكرى هذا الرجل فأبى لا أجد نفسى تميمي ، ولقد أراى
لا أعيا بجواب شاعر ، فقالت هذه الأبيات :

إذا هبت رياحُ أبي عقيل دَعَوْنَا عند هَبَّتِها الوليدا
أغرَّ الوجه أبيض عَشِيمًا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال المِضْطَب كأنَّ ركبا عليها من بنى حارم قُودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدَّ إنَّ الكريم له مَعَادٌ وَضَّيَّ بَابن أروى أن يعودا

وعرضتْها عليه فقال : لقد أجدت لولا أنك استمدتِ ، كراهية في قولها :
* فعدَّ إنَّ الكريم له مَعَادٌ * ويروى : لولا أنك استزدتِ .

الشعر أعلی أو الخطابة ؟ وقالوا : كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلةً من الخطيب ؛ لحاجتهم إلى
الشعر في تخليد للآثر ، وشدة العارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر
غيرهم من القبائل ؛ فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته ،
فلما تكسبوا به وجعلوه طُغمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة

(١) أقل : صار قليل للمال .

فوقه ، وعلى هذا المتهاج كانوا حتى قَسَتْ فيهم الصَّراعة ، وتطمعوا أموال
الناس ، وجشعوا فحشعوا ، واطمأنت بهم دارُ الله ، إلا من وفر نفسه وقارها ،
وعرف لما مقدارها ، حتى قبض نقيّ الررض مَصُونُ الوجه ، ما لم يكن به
اضطرار تحملُ به الميتةُ ، فأما مَنْ وجد البُلانة والكفاف فلا وجه لسؤاله
بالشعر .

قد حكى عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها : من كبر نفس
ابن ميادة

فوجدت حين لقيت أئمن طائر ووليت حين وليت بالإصلاح
وعفوت عن كسر الجناح ولم يكن لِطَيْرٍ ناهضةً بغير جناح
قومٌ إذا جُلِبَ التئامه إليهم بيع التئامه هناك بالأرباح

وأما راعى إبله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد هزم على الرحلة فقال :
سبحان الله أأند على أمير المؤمنين وهذه الشرية تكفي ١١٩ ! وصرف وجهه عن
قصده ، فلم يقد عليه ، هذا على أنه ساقه الشعراء ، فأنت ترى كبر نفسه ، وبعدهته .
على أن عبد الله بن عمر على جلالته ، والحسن البصرى ، وعكرمة ، ومالك
ابن أنس المدني وجهلة من أهل العلم غير هؤلاء ، كانوا يقبلون صلاتِ الملوك .

وقد سئل عثمان بن عفان رضى الله عنه عن مال السلطان ، فقال : لحمُ
طير زكى

والشعراء في قبولها مالَ الملوك أعذرُ من التورعين وأصحاب الفتيا ! لما جرت
به العادة قبل الإسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده إلى أيام
المنصور الذى أنف ابن ميادة أن يقد عليه .

وهكذا يروى عن جميل بن عبد الله بن ممر أنه ما مدح أحدا قط إلا ذويه لم يمدح جميل
ابن عبد الله
أحدا قط
وقرباته ، وأنه صحب الوليد بن عبد الملك في سفر ، فكلفه أن يرحز به ، وظن أنه
يمدحه ، فأنشأ يقول :

أنا جميل في السنام من معد في القدرة الملياء والركن الأشد
 فقال له الوليد : اركب لاحتلت .

يقال
 مدح جميل
 عبد العزيز
 ابن مروان
 وزعم محمد بن سلام الجلي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله
 في شعره :
 أبامروان أنت فتى قرشي وكهلمهم إذا عدّ الكهول
 توليه المشيرة ما عنّاها فلا ضئق الدراع ولا يخجل
 كلاً يوميه بالمروف طلق وكلّ بلائه حسن جميل

عمر بن
 أبي ربيعة
 وابن الأحف
 وعمر [بن عبد الله] بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان يشبهه به من المولدين العباس
 ابن الأحف ، فإنه من أنف عن اللدح تطرفاً ، وقال فيه مصعب الزبيدي : العباس
 عمر العراق ، يريد أنه لأهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لأهل الحجاز ، استرسالا
 في الكلام ، وأتفه عن اللدح والمجاء ، واشتهر بذلك ، فلم يكن يكلفه إياه أحد من
 الملوك ولا الوزراء ، وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن التفرل ولطف المقاصد في
 التشبيب بالنساء .

وهذا باب قد احتذاه الكتاب في زماننا هذا إلا القليل ، وقوم من شعراء وقتنا
 أنا ذاكرم في كتاب غير هذا ، إن شاء الله .

وعلى كل حال فإن الأخذ من الملوك كما فعل النابغة ، ومن الرؤساء الجدة كفاضل
 زهير ؛ سهلٌ وخفيف .

فأما الحطينة فقبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته ، وقد
 كانت الشعراء ترى الأخذ من دون الملوك عاراً ، فضلاً عن العامة وأطراف الناس .
 قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ، ويفتخر عليه بأنه
 لا يقبل إلا صلة الملك الأعظم وحده ، هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن
 عبد ربه أيضاً :

ذو الرمة
 يهجو ابن
 أبي حفصة

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن
وما نلت حتى شئت إلا عطية
ومأنت له أو لغيره :

وما كان مالي من تراث ورثته
ولكن عطاء الله من كل رحلة
قال صاحب الكتاب ^(١) : والذى أعرف أن سلم بن عمرو الخمار كتب إلى
مروان بن أبي حفصة :

بين سلم الخمار
ومروان بن
أبي حفصة

من مبلغ مروان عن رسالة
حباي أمير المؤمنين بنفقة
ثمانين ألفاً نلت من صلب ماله
فأجابه مروان عن ذلك فقال :
أسلم بن عمرو قد تماطيت خطبة
ولاني لسياق إذا انخليل كلفت
فدخ سايقاً إن عاودتك عجاجة
رأيت اسراً نال الشها فصدته
طلبت من المهدي شطر حباته
فما أعلت أم علي ابن ، ولا بكى
عضضت على كفتيك حتى كأنما
حييت بأوقار البغال ، وإنما
وما نلت حتى شئت إلا عطية
وما عبت من قسم الملوك لشاعر

تصغر عنها بعد طول عنائك
مدى مائة أو غاية فوق ذلكا
سنايكه أذهين منك سنايك
فلم يبق إلا أن تموت بدائك
فقال لك المهدي لست هنالك
على يوسف يقوب مثل بكائك
رزئت الذي أعطيت من صلب مالكا
سراب الضحى ماتدعى من حباتك
تقوم بها مصرورة في ردائك
به خص عفوكم من أولى وأولائك

(١) في نسخة « أبو علي » .

وأقسم لولا ابن الربيع ورَفْدُهُ لما ابتلتِ الدلو التي في رِشائِكَا
ومن قول مروان أيضاً :
ولقد حُبِيتُ بألف ألف لم تكن إلا بكفِّ خليفة وزير
مازلتُ أُنْف أن أولف مدحة إلا لصاحب منبر وسرير
ماضرى حصدُ اللثام ، ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وقال آخر فيا يناسب هذا ويشاكله ، ويشد على يد من تمذهب به أو
اعتقده :

وإذا لم يكن من الذل بدٌّ فالق بالذل إن لقيت الكبارا
وافتخر بشار بن برد فقال :
وإني لنهّض اليدين إلى العلا قَرُوعٌ لأبواب المهام التسوّج
ويروى « وإني لسوار اليدين » أي : مرتفع .

(١٢) — باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجعي في كتاب الطبقات ، وغيره من المؤلفين ،
أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة ، فكان منهم مهلهل بن ربيعة — واسمه عدى ،
وقيل : امرؤ القيس — وإنما سمي مهلهلاً لهلهة شعره ، أي : رفته وخفته ، وقيل :
لاختلافه ، وقيل : بل سمي بذلك لقوله :

لما تَوَقَّل في الكراع شزيدم هلهلت أثار جابراً أو صنيلاً^(١)
ويروى * لما توغر في الكلاب هجينهم * قال أبو سعيد الحسن بن الحسين

(١) ويروى :

لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثار مالكا أو صنيلا

السكري : يعنى بقوله « هجينهم » امرأ القيس بن حمام^(١) الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول :

من أخبار
مهلهل بن
ربيعة

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْحَيْلِ لَمَلْنَا نَبْكِ الدِّيارَ كَأَبْكِ ابْنِ حَمَامٍ .
وكان مهلهل تبعه يوم كَلَّابَ قَتَانَةَ ابْنِ حَمَامٍ بِدَأْنٍ تَنَاولَهُ مَهْلَهُلُ بِالرَّمْحِ ،
وَقَدْ كَانَ ابْنُ حَمَامٍ أَغَارَ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ مَعَ زُهَيْرِ بْنِ جَنْبٍ قَتَلَ جَابِرًا وَصَنْبَلًا ،
وَيُرْوَى « لَأَنَّا » بِمَعْنَى لَمَلْنَا ، وَهِيَ لَمَّةٌ فَيَا زَعَمُ الْمُؤَلِّفِينَ ، وَالَّذِى كُنْتُ
أَعْرِفُ « لَمَلْنَا » بِالْعَيْنِ وَنُونَيْنِ ، وَكَذَلِكَ أَعْرِفُ « ابْنَ حَذَامٍ » بِذَالٍ مُعْجَمَةٍ ،
كَذَا رَوَى الْجَاهِظُ وَغَيْرُهُ ، وَيُرْوَى « حَذَامٍ » بِأَخْوَافٍ وَالدَّالُ الْمَجْمُوعَيْنِ . وَكَانَ
مَهْلَهُلُ أَوَّلُ مَنْ قَصَّدَ الْقَصَائِدَ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ بْنُ غَالِبٍ :

* وَمَهْلَهُلُ الشُّعْرَاءُ ذَاكَ الْأَوَّلُ *

وهو خال امرئ القيس بن حُجَيْرِ الكِنْدِيِّ الشَّاعِرِ ، وَجَدَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ
الشَّاعِرَ أَبُو أُمِّهِ .

ومِنْهُمْ الْمَرْقَشَانِ ، وَالْأَكْبَرُ مِنْهُمَا عَمُّ الْأَصْفَرِ ، وَالْأَصْفَرُ عَمُّ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ ،
وَأَسَمُ الْأَكْبَرُ عَوْفُ بْنُ سَعْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْثَةَ ابْنِ أَخِيهِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَخُوهُ ، وَأَسَمُ
الْأَصْفَرِ عَمْرُو بْنُ حَرْمَلَةَ ، وَقِيلَ : رِبِيعَةُ بْنُ سَفْيَانَ ، وَهَذَا أَحْرَفُ .

جملة من

شعراء ربيعة

ومِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الَّذِى يَقُولُ :

يَا بَوْمُسَ لِلْحَرْبِ الْقِتَى وَضَعْتُ أَرَاهِطًا فَاسْتَرَاخَا

وَلَا أَدْرِى هَلْ هُوَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ قَيْثَةَ الشَّاعِرِ وَالْمَرْقَشُ الْأَكْبَرُ أَمْ لَا ؟
وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْثَةَ^(٢) ، وَالْحَارِثُ بْنُ حِزْلَةَ ، وَالْمُتَلَسِّسُ - وَهُوَ
خَالَ طَرْفَةَ ، وَأَسَمُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْمَسِيحِ - وَالْأَعَشَى - وَأَسَمُهُ مَيْمُونُ بْنُ

(١) المعروف أَنَّهُ ابْنُ حَذَامٍ ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ ، وَلَهُ مِنْ
تَصْحِيفِ النَّسَاجِ فِيهِ أَطَّلَعَ عَلَيْهِ لِلْمُؤَلِّفِ مِنْ كِتَابِ السَّكْرِ (٢) تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ .

قيس بن جندل - وخاله السيب بن علس - واسم السيب زهير -

من شعراء
قيس

ثم تحول الشعر في قيس : فنهى النابتان ، وزهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب
لأنهم ينسبون في عبد الله بن غطفان ، واسم أبي سلمى ربيعة ، وليد ، والحطيئة ،
والشماخ - واسمه معقل بن ضرار - وأخوه مزرد - واسمه جزة بن ضرار ، وقيل :
بل اسمه يزيد وجزة أخوهما - وكان المزرد شريفاً يهجو ضيوفه ، وهما قومه عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَا كَأَنَّمَا أَفَانَا بِأَنَّمَا تَعَالَبَ ذِي سَحَلٍ
نَعَلْمُ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرْمَلْهُمْ أَجْرَ عَلَى الْأَذَى وَأَحْرَمَ لِلْفَضْلِ

ومنه خدش بن زهير .

من شعراء
تميم

ثم استقر الشعر في تميم ، ومنهم كان أوس بن حَجَر شاعر مُعَرِّفٍ في الجاهلية ،
لم يتقدمه أحد منهم ، حتى نشأ النابتة وزهير فَأَحْتَلَّاهُ ، وبقي شاعر تميم في الجاهلية
غير مدافع ، وكان الأصمعي يقول : أوس أشعر من زهير ، ولكن النابتة طامطاً
منه ، وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير .

أشعر الناس

وسئل حسان بن ثابت رضى الله عنه : من أشعر الناس ؟ فقال : أرجل
أم حَيٍّ ؟ قيل : بل حَيٍّ ، قال : أشعر الناس حَيًّا هذيل . قال ابن سلام الجحى :
وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ، وحكى الجحى قال : أخبرني عمر بن معاذ
للمعري قال : في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم الشاعر
بالسريانية ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية - وهو كثير بن إسحاق -
فأعجب منه وقال : قد بلغني ذلك ، وقال الأصمعي : قال أبو عمرو بن القلاء :
أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث وهى الجبال المطلة
على تهامة مما إلى اليمن : فأولها هذيل ، وهى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة [في]
السراة الوسطى ، وقد شركتهم قتيق في ناحية منها ، ثم سراة الأزد أزد شنوءة

وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد ، وقال أبو عمرو أيضاً :
أفصح الناس علياً نعيم وسفل قيس ، وقال أبو زيد : أفصح الناس سافلة العالية
وعالية السافلة ، يعنى عَجَزَ هوازن ، قال : ولست أقول « قالت العرب »
إلا ما سمعت منهم ، وإلا لم أقل « قالت العرب » . . . وأهل العالية أهل المدينة
ومن حولها ومن يليها ودناً منها ، ولغتهم ليست بتلك عنده .

وقوم يرون تقدمه الشعر لليمن : في الجاهلية يامرى القيس ، وفي الإسلام
بحسان بن ثابت ، وفي المولدين بالحسن بن هاني وأصحابه : مسلم بن الوليد ، وأبي
الشَّيْص ، ودُعَيْل ، وكلمهم من اليمن ، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين : حبيب ،
والبحتري ، ويختصون الشعر بأبي الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، وكان
ينسب في كِنْدَةَ ، وهي رواية ضعيفة ، وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكى ابن
جني ، وإلا فكان غامض النسب ، فيقولون : بُدِيَ الشعر بكندة - يعنون امرأ
القيس - وختم بكندة - يعنون أبا الطيب - وزعم بعض المتأخرين أنه جُفِيَ ،
وقوم منهم صاحب بن عَبَّاد يقولون : بدى الشعر بملك وختم بملك ، يعنون
امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن تَمْدَان ، وقال آخرون : بل رجع
الشعر إلى ربيعة فختم بها كما بدى بها ، يريدون مهلهلاً وأبا فراس ، وأشعر أهل
لُدْر ياجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت . . . وقال أبو عمرو بن القلاء :
ختم الشعر بدى الرمة ، والرَّجَزُ برؤبة بن المعجاج ، وزعم يونس أن المعجاج أشعر
أهل الرجز والقصيد ، وقال : إنما هو كلام فأجودهم كلاماً أشعرهم ، والمعجاج
ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول : لو كان في مكانه غيره لكان
أجود ، وذكر أنه صنع أرجوزته :

* قَدْ جَعَزَ الدِّينَ إِلَهُ فَجَعَزَ *

فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة ، قال : ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها

الوزن لكانت منصوبة كلها . . وقال أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من
الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك ، إذا حارب أو شاتم أو فاحش ، حتى كان المبحاج
أول من أطلقه وقصده ، ونسب فيه ، وذكر الخيل ، واستوقف الركاب عليها ،
ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد
فكان في الرجز كإمرئ القيس في الشعراء . . . وقال غيره : أول من طول
الرجز الأغلب المجلى ، وهو قديم ، وزعم الجهمي وغيره أنه أول من رجز ،
ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك . . . وكان أبو عبيدة يقول : افتتح الشعر
بإمرئ القيس ، وختمه بـ ابن هرمة ، ولم أر أنشد من الذي قال : أشعر الناس
من أنت في شعره ^(١) . . . وأنشد مروان بن أبي حنيفة يوماً جماعة من الشعراء ، وهو
يقول في واحد بعد واحد : هذا أشعر الناس ، فلما كثر ذلك عليه قال : الناس
أشعر الناس .

١٣ — باب في القدماء والمحدثين

لحدث وللولد كل قديم من الشعراء فهو مُحدثٌ في زمانه بالإضافة إلى مَنْ كان قبله ،
وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد أحسن هذا الولد حتى هممتُ أن
أمر صبياننا بروايته ، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولداً
بالإضافة إلى شعر الجاهلية والخصرمين ، وكان لا يمد الشعر إلا ما كان
للمتقدمين .

قال الأصمى : جلست إليه ثمانى ^(١) حجج فاسمعته يتحدث بيت إسلامي ،
وسئل عن اللولدين فقال : ما كان من حسن فقد سيقوا إليه ، وما كان من

(١) كذا

(٢) وفي نسخة « عشر حجج » .

قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا : ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح ^(١) وقطعة نعل ، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي ، وابن الأعرابي - أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد ، وقلة قهتهم بما يأتي به اللولون ، ثم صارت لجامعة .

فأما ابن قتيبة فقال : لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص قومًا دون قوم ، بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوما بين عبادته في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا في عصره .

ولولا أن الكلام يُعاد
الكلام يعاد
لنفد
وما يؤيد كلام ابن قتيبة كلامُ على رضى الله عنه « لولا أن الكلام يُعاد لنفد » فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد ، وإنما السبق والشرف معا في المعنى على شرائط تأتي بها فيما بعد من الكتاب إن شاء الله . وقول عنترة * هل غادر الشعراء من متردٍ * يدل على أنه يعد نفسه محدثا ، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئا ، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه مقدم ، ولا نازعه إياه متأخر . وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام - وكان إماما في هذه الصناعة غير مدافع - :

يقولُ من هرع اسماعه كم ترك الأول للأخسر

ففنقض قولهم « مترك الأول للأخسر شيئا » وقال في مكان آخر فزاده بيانا وكشفًا للمراد :

فلو كان يَفْنَى الشعرُ أُنْهَاه ما قَرَّتْ حياضك منه في المصورِ الذواهبِ
ولكنه صوبُ القول : إذا انجلبت سحاب منه أعقبت بسحابِ

(١) المسيح : للتدليل الحسن ، وكان في الأصل « مسخ » .

مثل القدماء
والحدثين

وإنما مثل القدماء والحدثين كمثل رجلين : ابتداءً هذا بناء فأحكه وأثقه ، ثم أتى الآخر ففقهه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن .

وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن أحمد النحوي - وقد سئل عن ذى الرمة وأبى تمام - فأجاب بحجاب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر أشعار اللولدين : إنما تروى لعدوبة الفاظها ، ورقتها ، وحلاوة معانيها ، وقُرْب مأخذها ، ولو سلك للتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف للهامه والقنار ، وذكر الوحوش والحشرات - ما رويت ؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه ، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام ، وأن الخواص في معرفتها كالعوام ، قد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت الطرب : يستميل أئمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان . . . وقاتل الشعر الحوشي بمنزلة المنفى الحاذق بالنغم غير للطرب الصوت : يُعْرِض عنه إلا مَنْ عرف فضل صنمته ، على أنه إذا وقف على فضل صنمته لم يصلح لجالس الآذات ، وإنما يحفل معلقاً للطربات من القينات : يقومهن بمحذقه ، ويستمتع بمحوقهن دون حلقة ، ليسلن من الخطأ في صناعتهن ، ويطربن بحسن أصواتهن .

وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع ، إلا أن أوله من قول أبي نواس :

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| صفة الطلول بلاغة القدم | فاجعل صفاتك لابنة البكرم |
| لا تحذعن عن التي جعلت | سقم الصحيح وصحة السقم |
| تصف الطلول على السماع بها | أفندو العيان كانت في الحكم؟؟ |
| وإذا وصفت الشيء متبها | لم تخل من غلط ومن وهم |

قد يصلح في
وقت ما يصلح
في آخر

ولم أرف هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال : قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ، ويمجد الشعراء المذائق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن لا يخرج من حسن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنعة ، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره : كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ، ونوادير حكاياتهم ، قال : والذي أختاره أنا التجويد^(١) والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ، ويبقى غابره على الدهر ، ويبعد عن الوحشية المستكره ، ويرتفع عن اللول^(٢) المتحل ، ويتضمن للثل السائر ، والتشبيه المصيب ، والاستعارة الحسنه .

قال صاحب الكتاب : وأنا أرجو أن أكون باختيار هذا الفصل وإثباته ههنا داخلًا في جملة المميزين ، إن شاء الله ؛ فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي لفظه سائر في كل أرض ، معروف بكل مكان ، وليس التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقاً متفصلاً ، ولا بارداً غثاً ، كما ليست الجزالة والقصاحة أن يكون حوشياً خشناً ، ولا أعرابياً^(٣) جافياً ، ولكن حالاً بين حالين . .

ولم يتقدم امرؤ القيس والناجبة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته . مع به يتقدم القديم البمد من السخف والركاكة ، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم ؛ إذ هو طبع من طباعهم ، فاللؤلؤ المحدث - على هذا - إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ، ومعرفة الصواب ، مع أنه أرق جَوْكاً ، وأحسن ديباجة .

(١) في الأصلين المطبوعين « التجريد » بالراء المهملة .

(٢) في نسخة « المؤلف » .

(٣) في نسخة « ولا غريباً حافياً » .

(١٤) نـ باب للمشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكرهم ، حتى غلبوا على سائر مَنْ كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتمتصب له ، وقُلّ ما يجتمع على واحد ، إلا ما روى عن من النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس « أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » يعني شعراء الجاهلية والمشرّكين . قال دِغِيل بن علي الخزاعي : ولا يقود قوماً إلا أميرُهم . . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم : خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر فافقر عن معاني حُورٍ أصبحَ يصير .

قال عبد الكريم : « خسف لهم » من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير ، وجمعها خُسْفٌ ، وقوله « افقر » أى : فتح ، وهو من الفقر ، وهو فم القناة ، وقوله « عن معاني حور » يعنى أن امرأ القيس من اليمين ، وأن اليمين ليست لهم فصاحة زَآير ، فجعل لهم [معاني] عوراً فتح منها امرؤ القيس أصبح بصير . . قال : و امرؤ القيس يعانى النسب ، نزارى الدار والمنشأ ، وفضله على رضى الله عنه بأن قال : رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرغبة .

وقد قال العلماء بالشعر : إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ؛ لأنه قيل أولُ من لطف للمعاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخليل بالعقبان والمعصى ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرب مأخذ الكلام ؛ فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

روى الجحى أن سائلاً سأل الفرزدق : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : ذو القُرُوح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وَقَامَهُمْ جَدُّهُمْ بَيْنَى أَيْهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعَقَابُ

وأما دعبل قدمه بقوله في وصف عقاب :

وَيَلُمُّهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب .

وسئل ليبيد : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الملك الضِّلِيلُ ، قيل : ثم من ؟ قال : الشاب القَتِيلُ ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه - .

أقوال للعلماء في
السابقين من
الشعراء

وكان الحدائق يقولون : التحول في الجاهلية ثلاثة ، وفي الإسلام ثلاثة

متشابهون : زهير والفرزدق ، والنابغة والأخطل ، والأعشى وجريـر .

وكان خَلَفُ الأحمري يقول : الأعشى أجمعهم . وقال أبو عمرو بن العلاء :

مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره . وكان أبو الخطاب الأخفش يقدمه جداً لا يقدم عليه أحداً .

وحكى الأصبغى عن ابن أبي طرفة : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا

رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كآب ، وزاد قوم :

وجريـر إذا غضب .

وقيل لكثير - أو لنصيب - : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا

ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة ؛ ويقول : هو أحسنهم شعراً ،

وأعذبهم بحراً ، وأبدهم قهراً .

وسئل الفرزدق مرة : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبى خازم ؛ قيل

له : بماذا ؟ قال بقوله :

نوى فى مَلْحَدٍ لا بد منه كفى بالموت نأياً واغتراباً

ثم سئل جريـر فقال : بشر بن أبى خازم ، قال : بماذا ؟ قال : بقوله :

وهين يلى ، وكل فتى سَيَلَى فَشَتَّى الحبيب وانتحى انتحاباً

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى .

للعلقات وأصحابها قال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والناطقة ، والأعشى ، وليد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . قال : وقال للفضل : مَنْ زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . . فأسقط من أصحاب اللعقات عنقرة ، والحارث بن حِزَازة ، وأبى الأعشى ، والناطقة .

وكانت اللعقات تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكُتبت في التباكي بماء الذهب وعُلِّقت على الكعبة ؟ فلذلك يقال : مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتسكون في خزائنه .

جبر بن سعد عن أشعر الناس قال الجعفي في كتابه : سألت عكرمة بن جرير أباه جريراً : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أغنى الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قال : ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم ، قال : قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . نعمة الشعر في يده ، قلت : فالأخطل ؟ قال : يحيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فإنني نحرمت الشعر نحرأ

وقتيبة ابن سلم وكتب المجلج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس ، وأضر بهم مثلاً طرفة ، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أغزهم ، وجبرير أهباهم ، والأخطل أوصفهم .

والحليئة وأما الحليئة فسئل عن أشعر الناس ، فقال : أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعدُّ الإقْتَارَ عُدْماً ، ولكن قَدَّ مَنْ قَدْ رَزِيَتْهُ الإِعْدَامُ

وهو وإن كان غلاماً قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الخطيئة .

وسأله ابن عباس مرة أخرى ، فقال : القى يقول ^(١) :

ومن يَحْتَلِ المعروفَ من دونِ عرضه يَفِرُّهُ ، ومن لا يَتَّقِ الشَّمَّ يُسْتَم
وليس القى يقول ^(١) :

ولستَ بمسْتَبِقٍ أَحَا لا تله على شعث ، أى الرجالِ المَهْذَبِ ؟
بدونه ، ولكن الصَّرَاعَةَ أَفْسَدَتْهُ كَمَا أَفْسَدَتْ جَرَّوْلا ، والله لولا الجشع
لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك أنى أشعرهم ، قال ابن عباس :
كذلك أنت يا أبا مليكة

وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة : أباويل مختلفة
في أشعر الناس
امرؤ القيس ، والنابغة ، وطرفة ، ومهلل . قال : وقال للفضل : مثل الفرزدق
فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابغة أشعر الناس ، وقال
الأخطل : الأعشى أشعر الناس ، وقال ابن أحر : زهير أشعر الناس ، وقال
ذو الرمة : ليبد أشعر الناس ، وقال السكيت : عمرو بن كلثوم أشعر الناس ، وهذا
يدل على اختلاف الأهواء ، وقلة الاتفاق .

وكان ابن أبي إسحاق - وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور - يقول : أشعر
الجاهلية قرش ، وأشعر الإسلاميين كثير ، وهذا غلو مفرط ، غير أنهم مجموعون
على أنه أول من أطلح للدح .

وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر الناس ؟ فقال : العبد
التَّجْلَانِي ، يعنى تميم بن [أبي بن] مقبل ، قال : بم ذلك ؟ قال : وجدته فى
بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين ، قال : أعرف ذلك له كرها .

وقيل لنصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ، يعنى علقمة بن
(١) قاتل البيت الأول زهير بن أبي سلمى ، وقاتل الثاني هو النابغة الذبياني .

عبد ، وقيل : أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشراء بعد امرئ القيس ما زهير والنابة والأعشى في النفوس .

والذي أثبت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابة ، وكان أهل العالية لا يبدلون بالنابة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يبدلون زهير أحداً .

روى ابن سلام يرضه عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت : من هو يا أمير المؤمنين؟ قال : زهير ، قلت : ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يماطل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام : قال أهل النظر : كان زهير أحصنهم شعراً ، وأبعدهم من سخر ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللطيف ، وأشدهم مهابة في اللوح .

قال صاحب الكتاب : وإذا قبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف — أعني ابن سلام — لأن عمر إنما وصّفه بالخلق في صناعته ، والصدق في منطوقه ؛ لأنه لا يحسن في صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من اللوح ؛ لئلا يخرج الأمر إلى التنقص والإزراء ، كما أخذ ذلك علي أبي الطيب وغيره آنفاً ، وقد فسد الوقت ، ومات أرباب الصناعة ، فما ظنك والناس ناس والزمان زمان ؟ وسيرد عليك في مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله ، وقد استحسن عمر الصدق لذاته ، ولما فيه من مكارم الأخلاق ، والمبالغة بخلاف ما وصف ، ويشهد لقول^(١) عمر رضي الله عنه في زهير أنه

(١) في المطبوعتين « ويشهد قول » وهو كما ترى .

لا يمدح الرجل إلا بما فيه استحساناً لصدقه ما جاء به الأثر أن رجلاً قال لزهير :
إني سمعتك تقول لمريم :

ولأنت أشجع من أسامة إذ دُعيت نزالٍ وُلج في الذعر

. وأنت لا تكذب في شعرك ، فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال :
إني رأيته فتح مدينة وحده ، وما رأيته أسداً فتحاً قط !! فقد خرج لنفسه طريقاً
إلى الصدق ، وبعداً عن اللبالة .. والذي أعرف أنا أن البيت المتقدم ذكره لأوس
ابن حجر ، والحكاية عنه ، ومثلها عن عمران بن حطان الخارجي لما سأله امرأته
كيف قلت :

فَهَذَاكَ بَحْرُؤُهُ بِنِ ثَوِي كَانَ أَشْجَعَ مِنْ أَسَامَةِ

وصدر بيت زهير بن أبي سلمى :

ولنعم حَشْوُ السَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالٍ وُلج في الذعر

إلا أن تكون الأخرى رواية فلا أبدعها ؛ لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس
في كثير من شعره ، وهي رواية الجمحي لا أعلن غير ذلك ، فأما بيت زهير في
هذا المعنى فهو :

ولأنت أشجع حين تتجه الأبطالُ من لَيْثٍ أَبِي الْبَرْقِ^(١)

وأما النابغة فقال من يحتج له : كانت أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرم
رَوْنَقَ كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرم طويلاً جيدة ، ومدحاً ، وهجاء ،
وفحراً ، وصفة .

وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة ، قيل له : فأين الخليل

(١) الليث : الأسد ، والأجرى : جمع جرو - بفتح فسكون - وأصله أجرو -
بضم الراء - فقلت الضمة كسرة لتقلب الواوياء ، ومثله دلو وأدل .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس يده لواء الشعراء ؟ فقال : بهذا الخبير صح للأعشى ما قلت ، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير ، فامرو القيس حامل اللواء ، والأعشى الأمير .

وقالت طائفة من المتعنين : الشعراء ثلاثة : جاهلي ، وإسلامي ، ومولدي ؛ فالجاهلي امرؤ القيس ، والإسلامي ذو الرمة ، والمولدي ابن المعتز . وهذا قول من يفضل البديع [و] بخاصة التشبيه^(١) على جميع فنون الشعر .

وطائفة أخرى تقول : بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نؤاس . وهذا مذهب أصحاب الخمر وما نسبها ، ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف .

وقال قوم : بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف ، وهذا قول من يؤثر الأتفة ، وسهولة الكلام ، والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد ، ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس . لكن أبا العتاهية تصرف .

وليس في المولدين أشهر اسما من الحسن أبي نؤاس ، ثم حبيب والبحتري ، ويقال : لئنهما أخلا في زمانهما خمسمائة شاعر كما هم مجيد ، ثم يتبعهما في الأشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس ، ثم جاء النضي فملأ الدنيا وشغل الناس .

والأشتهار بالشعر أقسام وحدود ، ولولا ذلك لم يكن نهر بن أحمد الخبزري أشهر من منصور المروئي وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخريزمي وأبي سعيد الخزومي . وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن أشهرهم وأشهرهم بشار بن برد ، وليس يفضل على الحسن مولد سواء ، وكذا روى الجاحظ وغيره من العلماء . . ومن

(١) خص التشبيه بالذكر لأن ابن المعتز كان ذا فوق فيه .

طبقة بشار سروان بن أبي حَقْصَة ، وأبو دلامة زندي بن الجون^(١) الأحرابي ، وقيل :
 زيد ، بالباء معجمة بواحدة سا كنة ومتحركة حكاة للرزباني ، والسيد الجيوري ،
 وسَمَّ الخاسر ، وأبو القتاهية ، وجماعة يطول بهم الشرح ليس فيهم مثله .
 ومن طبقة أبي نُوَاس المباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد صريح النواحي ،
 والفضل الرقاشي ، وأبانُ اللاحقي ، وأبو الشَّيْص ، والحسين بن الضحاك الخليع ،
 ودُعَيْل ، ونظراء هؤلاء ساقهم دُعَيْل ليس فيهم نظير أبي نواس .
 وأما طبقة حبيب والبحترى وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متدائرة قد
 تلاحقوا ، وغطوا على من سواهم ، حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس كابن
 المعتل ، وهو من فحول المحدثين وصدورهم المبلودين ، غَمَرَهُ حبيب ذِكْراً
 واشتهاراً ، وكأبي هفان أيضاً ، أدرك أبا نواس ، ولحق البحترى فستره ، وكذلك
 الجواز ، وللجواز يقول أبو نواس :

أَسْقَى يَابْنَ أَذِينَ مِنْ سَلَفِ الزَّرْجُونِ

وديك الجن ، وهو شاعر الشام ، لم يذكر مع أبي تمام إلا مجازاً ، وهو أقدم
 منه ، وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلة من شعره يمتدنى عليها فسرقتها ، ودُعَيْل
 ما أصاب مع أبي تمام طريقاً على تقدمه في السن والشهرة ، ولم يذكر من أصحاب
 ابن الرومي وابن المعتز إلا من ذكر بسببهما في مكانة أو مناقضة ، وأما أبو الطيب
 فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه ،
 وكان الصنوبري والخبزري مقدمين عليه للسن ، ثم شقعا عنه ، على أن الصنوبري
 يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره ، ولقيه مرة بالمصيصة - أو غيرها - فقال له يهزأ
 به : أنت صاحب بغادين ؟ يريد قصيدته :

شَرَبْنَا فِي بَغَادِينَ عَلَى تِلْكَ الْمِيَادِينِ

(١) في جميع الأصول « زيد » بالباء المشاء من تحت ، وهو خطأ .

لما فيها من المجون والغلاعة ، فقال له الصنوبري : أنت صاحبُ الطرطبة ؟
يريد قصيدته :

ما أنصف القوم صبَّه وأمه الطرطبة

لما فيها من الركاكة ، ولكل كلام وجه وتأويل ، ومن التمس عيباً وجده ،
وقيل : بل قال له : أنت صاحب جاخا ؟ قال : نعم ، قال : أنت شاعر بلوك ،
يريد قوله في صفه الوعل :

ذاك أم أعصم كان مذرّياه حين عاجا على القذالين جاخا^(١)

١٠ - باب المقلين من الشعراء ، والمقلين

ولما كان المشاهير من الشعراء - كما قدمت - أكثر من أن يُحصوا ذكرت
من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا اللوح ، ونهت على بعض
المقلين منهم ؛ لما تدهو إليه حاجة التأليف ، وتمتصيه عادة التصنيف ، غير مُقرّط-
ولا مُقرط ، إن شاء الله .

ذكر جماعة من المقلين
فن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعلمقة بن
عبدَةَ النحل ، وعديّ بن زيد ، وطرفة أفضلُ الناس وأحدُة عند العلماء ،
وهي الملقبة :

* نلوه أطلالَ بركة سَهمٍ *

وله سواها يسير ؛ لأنه قتل صغيراً حول المشرين فيما روى ، وأصح ما في ذلك
قولُ أخته ترفيه :

عددنا له ستاً وعشرين حجة^(٢) فلما توفّاها استوى سيداً ضحّا

(١) يقال « جالج السيل الوادي » أي : اقتلع أجرافه .

(٢) القى في ديوان الحزنق أخت طرفة * عددنا له خمساً وعشرين حجة *

فَجَسَا بِهِ لِمَا رَجَوْنَا إِيَّاهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَأُولَئِكَ وَلَا قَعْمَا
أَنشَدَهُ لِلْمِرْد ، وَالْقَعْمُ : الْمُنْتَهَى فِي السَّن . وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في
أَيْدَى النَّاسِ عَلَى قَدَمِ ذِكْرِهِ ، وَعَظَمَ شَهْرَتَهُ ، وَطَوَّلَ عَمْرَهُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ عَاشَ
ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ ، وَكَذَلِكَ أَبُو دُوَادَ ، وَعَبِيدُ الَّذِي أَجَابَ أَمْرَ الْقَيْسِ عَنْ قَوْلِهِ حِينَ
قَالَتْ بَنُو أَسَدَ أَبَاهُ حُجْرًا :

وَأَفْلَتْنِي عِلْبَاءُ جَرِيضًا وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفَرُ الْوُطَابِ^(١)
قَالَ لَهُ عَبِيدُ وَقَرَعَهُ بِقَسَمٍ مِنْ شَعْرِهِ :

فَلَوْ أَدْرَكْتَ عِلْبَاءَ بَنِ قَيْسٍ قَمِئْتُ مِنَ الثَّنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ
لَأَنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ قَدْ كَانَ قَالَ :

وَقَدْ طَوَّقْتُ فِي الْآفَاقِ حَقِي رَضِيْتُ مِنَ الثَّنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ
وَقَتْلَ عَبِيدِ الثَّمَانِ^(٢) بَنِ الْمُنْذَرِ يَوْمَ بُوْسِهِ ، وَقِيلَ : عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ . وعلقة
ابن عبدة حاكم أمر القيس في شعره إلى امرأته ، فحككت عليه لعلقة ، فطلقها ،
وتزوجها علقمة فسمى الفحل لذلك ، وقيل : بل كان في قومه آخر يسمى علقمة
القصي^(٣) من ربيعة الجوع .

ولعلقة الفحل ثلاث قصائد مشهورات إحداها :

* ذَهَبَتْ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ *

ويروى * في غير مذهب * وفي هذه القصيدة وقع الحكم على امرئ القيس ،
والثانية قوله :

(١) أَفْلَتْنِي : فَاتْنِي ، وَعِلْبَاءُ : هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ الْكَاهِلِيُّ أَحَدُ قَتَلَةِ حَجْرِ أَبِي
أَمْرِ الْقَيْسِ ، وَجَرِيضًا - بِالْجِيمِ الْمَوْحِدَةِ - هُوَ النَّاصِ بِرِقِهِ ، وَصَفَرُ الْوُطَابِ :
كُنَايَةٌ عَنْ انْتِهَاءِ الْأَمْرِ وَخُلُوفِ النَّفْسِ مِنَ الْحَقْدِ (٢) لَا ، بَلِ لِلْمُنْذَرِ بَيْنَ مَاءِ السَّمَاءِ
كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ .

(٣) واسم علقمة الآخر : علقمة بن سهل .

• طَحَا بِكَ قَلْبُ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ •

والثالثة قوله :

• هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ •

وأما عدى بن زيد فلقربه من الرّيف وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن
الغذر لأنّ ألقاظه فحل عليه كثير ، وإلا فهو مقل ، ومشهوراته أربع : قوله :

• أرواحٌ مُودَّعٌ أم بكورُ ؟ •

وقوله :

• أتعرفُ رسم الدار من أمٌ معبدُ ؟ •

وقوله :

• ليس شيء على النون بباقي •^(١)

وقوله :

لم أر مثلَ الفتيانِ في غيرِ السَّأَمِ ينسَوْنَ ما عواقبها

وقال بعض العلماء - أحسبه أبا عمرو - : وعدى في الشعراء مثل سُهَيْل في
النجوم : يمارضها ولا يجرى معها . هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها ، قليلة في أيدي
الناس ، ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها .

ومن القليلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحصين بن الحمام المرى ، وللتلس ،
والمسيب بن علس : كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة .

(١) في اللطبعين « من النون بباقي » وهو واضح الخطأ ، والتصويب عن عدة
كتب ، وعام البيت :

• غير وجه السبع الخلاق •

ويروى عن أبي عبيدة أنه قال : انفقوا على أن أشعر القلّين في الجاهلية ثلاثة :
للتلس ، والمسيب بن علس ، وحُصَيْن بن الحُكَّام للرى ، وأما أصحاب الواحدة
فَقَطْرَةٌ وأولهم عند الجحى ، وهو الحكم الصواب .

ومنهم عنزة ، والحارث بن حِزَّاة ، وعبرو بن كلثوم ، من أصحاب الملقّات
للمهورات ، وعبرو بن معدى كرب ، صاحب :

* أَمِنْ رَيْمَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ *

والأُسْر^(١) بن أبي حمران الجعفي صاحب المقصورة :

* هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سَلِيمِي فَأَشْفَى ؟ *

وسُوَيْد^(٢) بن أبي كاهل ، صاحب :

* بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَيْلِ لَنَا *

والأُسُودُ بْنُ يَغْفُرَ ، صاحب :

* نَامَ الْخَلْيُ فَا أَحْسُ رَقَادِي *

وله شعر كثير ، إلا أنه لا ينتهي إلى قصيدته هذه .

وكان امرؤ القيس مُقْلًا ، كثير المعاني والتصرف ، لا يصح له إلا نيف
وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ، ولا ترى شاعراً يكاد يُقْلَتُ من حباله ،
وهذه زيادة في فضله وتقديمه .

(١) كان في الأصول « الأشعر بن حمدان » وهو خطأ من ثلاثة أوجه :
الأول أنه « الأسعر » بالسين مهمل ، والثاني أن اسم أبيه « أبو حمران » بتدسيم
الأب وبالألف مهمل ، والتصويب عن القاموس وشرحه ، والأسعر لقبه ، واسمه
مرثد ، وإنما لقب بذلك لقوله :

فَلَا تَدْعُنِي الْأَقْوَامَ مِنْ آلِ مَالِكٍ إِذَا أَنَا لَمْ أُسْعِرْ عَلَيْهِمْ وَأَتَقَبْ

(٢) في الأصول « وسهيل » وهو واضح الخطأ .

معنى التغلب في وأما للتغلبون فنهـم نابتة بنـى جـندة ، ومعنى التغلب : الذى لا يزال مغلوباً .
الشعراء قال امرؤ القيس :

فإنك لم يفتخر عليك كفانخري ضميم ، ولم يغلبك مثل مغلوب
يعنى أنه إذا قدر لم يبق ، فإذا قالوا : غلب فلان فهو الغالب . وقد غلب على
الناطقة الجمعدى الجمعدى أوس بن مفرأ القريبي ، وغلبت عليه ليل الأخيلىة ، قال (١) الجحى :
وقد غلب عليه من لم يكن إليه فى الشعر ولا قريبا منه : عقاب بن خويلد (٢) السقطي
وكان مفعماً بكلام لا بشر ، وهجاء سوار بن أوفى القشيري ، وهجاء وفاخر (٣)
الأخطل ، وله يقول عبيد بن حصين الراعى يتوعده :

فإني زعيم أن أقول قصيدة مينة كالنقب بين المخارم
خفيفة أبحار الملى ، تقيـلة على قريبا ، نزالة بالمواسم
وقد علم الكافة ما صنع جرير بالأخطل والراعى جميعاً ، وقيل : إن موت
الجمعدى كان بسبب ليل الأخيلىة : فمن بين بديها فـات فى الطريق مسافراً ،
والأصح أنها هى التى ماتت فى طلبه . قال الجحى : كان النابتة الجمعدى أقدم
من الديباني ؛ لأنه أدرك المنذر بن محرق ، ويشهد بذلك قوله :

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن عادية المحزون أن يتذكرا
ندامى عند المنذر بن محرق فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا
والديباني إنما أدرك النعمان ، وقال غيره : إن النابتة الديباني شفع عند

(١) انظر طبقات الشعراء (ص ٤٤)

(٢) فى الطبقات « بن خالد »

(٣) فى الطبقات : « وهجاء سوار بن أوفى القشيري وفاخره ، وهجاء الأخطل
بأخرة » ، ولعل ما فى الأصل محرف عن ذلك .

الحارث بن أبي شمر النساني حين قتل للنذر في أسارى بنى أسد فشغفه ، وإياه
عن علقمة بن عبيدة بقوله :

وفي كل حميرٍ قد خَيطَتَ بنِمةً لحقٍ لشارٍ من نَدَاكَ ذَنُوبُ
قال الجعفي : وكان الجعدي مختلف الشعر ، سئل عنه الفرزدق فقال : مثله
مثل صاحب الخلقان : ترى عنده ثوب عصب ، وثوب خز ، وإلى جنبه شملة^(١)
كساء . وكان الأصمعي يمدحه بهذا ، وينسبه إلى قلة التكلف ، فيقول : عنده
خار بَوَافٍ ، ومُطَرَفٌ بآلاف - يواف : يعنى بدرهم وثلاث .

ومن المغنيين الزبرقان ، غلبه عمرو بن الأهم ، وغلبه الخجل السعدي ، وغلبه
من المغنيين
الزبرقان بن
بدر
الحطيئة ، وقد أجاب الاثنين ولم يجب الحطيئة .

وقال يونس بن حبيب : كان البعيث مغلباً في الشعر ، غلباً في الخطب .

ومنهم تميم بن أبي [بن] مقبل : هجاء النجاشي قهره وغلب عليه ، حتى
ذكر جماعة
من المغنيين
استعدي قومه عمر بن الخطيب رضي الله عنه ، ولم يكن من أشكاله في الشعر
فيقرن به ، وهاجى النجاشي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأخفه .

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر ، قال : هجا الأعور بن براء بنى كعب ،
ومدح قومه بنى كلاب ، فأنت بنو كعب تميم بن أبي [بن] مقبل ينتصرون
عليه به ، فقال : لا أهجوهم ، ولكني أقول فاروا فقد جاءكم الشعر ، وقال :

ولست وإن شاحنتُ بعضَ عشيري لأذكرُ ما السكهلُ السكلايُ ذَا كُرُ
فكم لي من أمٍّ لعبتْ بشبيها كلابيةً عادتْ عليها الأواصرُ
فأنت الأعور بن براء بنو كعب فمتفوه ورجعوا عليه ، فقال :

ولستُ بشاتمٍ كعباً ، ولكن على كعبٍ وشاعرٍها السلامُ

(١) في الطبقات « محل كساء » .

ولستُ بياضُ قوماً بقومٍ هم الأنفُ للقدمِ والسنامُ
وكائنٌ في المناشرِ من قبيلِ أخوهم فوهمُ وهمُ كرام
فتسألنا ، وكان سبب ذلك إغضاء ابن مقبل وإعطاؤه للقادة هرباً من
الهجاء ، وقوم يرون ذلك منه أفة .

جماعة من مغربي المولدين ومن مغربي للولدين - على جلالته ، وتقدمه - بشار بن برد ، فإن حماد بن عمرو
- وليس من رجاله ، ولا أكفائه - هجاء فأبكاه ، ومثل به أشد تمثيل .

وعلى بن الجهم : هاجى أبا السَّمطِ مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان ،
وهاجاه البحتري فغلب عليه أيضاً ، على أن علياً أقذع منه لساناً ، وأسبق إلى
ما يريده من ذلك ، وأقدم سنّاً .

ومنهم حبيب : هاجى السراج وعتبة^(١) فما أتى بشيء ، وهجاه ابن المذل
حين أراد وجهته فقال : أما هذا فقد كفى ناحيته ، ولم يقدم عليه ، على أن حبيباً
أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر ، والذي قال له :

أنتَ بين اثنين ، تبرز لنا س لكليهما بوجه مذل
لستَ تنفك طالباً لوصال من حبيب أو راغباً في نوال
أى ماء حرٍّ وجهك يبقى بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤال ؟

ورأيت في شعر ابن المذل في رواية للبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند
بعض بنى هاشم ، فكتب في رقعة هذه الأبيات المذكورة وألقاها إليه ، وهاجى
دعبلًا فاستطال عليه دعبل أيضاً .

(١) كان أبو تمام يهجو عبد الله الكاتب ، وعتبة بن أبي عاصم ، ومقران
الباركي ، وعياش بن لهيعة ، وأبا النيث موسى بن إبراهيم الرافعي ، ويوسف
السراج .

(١٦) - باب من رغب من الشراء عن ملاحاة غير الأكفاء

منهم الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ : لما هجاء الحَبْلُ السَّعْدِيُّ جأوه به بكتاب ؛ لأنه
 رأى أهلاً لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه ، فلما هجاء الحطيفة لم يره
 مكاناً للجواب ، على أنه ابن عمه وجاره في النسب لأنهما جميعاً من مضر ، بل
 استعدي عليه عمر رضى الله عنه فأنصفه .

وسُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ يقول للأحوص والأبيرد بن^(١) المدزير - وما تاعران سحيم بن وثيل
 مفلقان ، وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأحوص :

عَذَرْتُ الْبَزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرَتْنِي فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنَتِي ، لَيُونِ !
 فأنت ترى هذا الاحتقار .

ومثل هذا - وإن لم يكن من هذا الباب بحثاً - قولُ الفرزدق لعمر بن لجأ
 لما أعانه الفرزدق على جريز شعر ، وفطن له جرير ، فدهش عمر ولم يجد جواباً ،
 فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عز

وما أنتَ إِنْ قَرَّمَا نَمِيمٍ تَسَامِيَا أَخَا الْيَتَمِ إِلَّا كَالْوَشِيظَةِ فِي الْعَظْمِ
 فَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى الْعَزْ أَوْفَى عِلَالِهِ ظَلَمْتُ وَلَكِنْ لَا بَدَى لَكَ بِالْعَظْمِ
 والفرزدق قال فيه العزماء من شعر هجاء فيه بيوت بني سعد^(٢) :

وَأَسْأَلُ قَبْرَهُ بِالْمَرْوَةِ هَلْ شَهِدَتْ شَوْطَ الْحَطِيفَةِ بَيْنَ الْكَسْرِ وَالنَّصْدِ
 أَوْ كَانَتْ فِي غَالِبِ شَعْرِ فَيْشَبَهُ شِعْرُ ابْنَةِ فَيْنَالِ الشُّعْرِ مِنْ صَدْدِ
 جَاءَتْ بِهِ نَظْفَةً مِنْ شَرِّ مَاءٍ صَرَى سَيَقَتْ إِلَى شَرِّ وَادٍ شَقٍّ فِي بَلَدِ
 الفرزدق والطرماح

(١) في المطبوعتين « ابني المدزير » وهو واضح الخطأ ؛ فإن الأحوص هو
 أبو محمد الأحوص بن عبد الله بن ثابت بن أبي الأفلح ، من بني ضبيعة بن زيد
 ثم من الأوس . والأبيرد : هو الأبيرد بن للمدزير بن عبد قيس الرياحي ، من
 رياح بن يربوع ، ويظهر أن المؤلف يقصد إلى ما اعتبرناه خطأ ولكنه بحيث ترى
 (٢) في التونية : « بيوت سعد »

فقال الفرزدق: يتهاون بأمره ويستحقره :

إن الطرماح يهجوني لأرفهه أياهات أياهات عيلت دونه القضب

« عيلت دونه القضب » أى : رفعت عنه القضاة ، من قولهم : عالت

القرضة ، أى : ارتفعت ، والقضيب : القصيدة لأنها تنقض .

جرير وبشار وجري رهجاه بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجهه ، قال بشار : ولم أهجه لأغلبه ، ولكن ليجهيني فأكون من طبقة ، ولو هجاني لكنت أشمر الناس .

بشار وحامد وهجاء حاد عجرد بشاراً ، فلم يجهه أنفة واحتراراً ، إلى أن قال فيه :

له مقلّة عمياء واستبصرة إلى الأبر ، من تحت الثياب تُشير على وده أن الحمار تنيكه وأن جميع السالين حمر

فنضب وهجاه . قال الجاحظ : ما كان ينبغي لبشار أن يضاد حماد عجرد من جهة الشعر ؛ لأن حماداً في الحضيض وبشاراً في العيوق ، وليس مولد قروى يعدله شعر في المحدث إلا وبشار أشمر منه ، ولا نعلم مولداً بعد بشار أشمر من أبي نواس .

ابن الرومي وهجا ابن الرومي البحتري ، وابن الرومي من علمت ، فأهدى إليه نمت متاع والبحتري وكيس دراهم ، وكتب إليه ليوريه أن الهدية ليست بتيمة منه ، ولكن رقة عليه ، وأنه لم يحمه على ما فعل إلا الفقر والحسد للفرط :

شاعر لا أهابه نبحتنى كلابه

إن من لا أعزّه لعزير جوابه

أبو تمام وأبو تمام : هجاه دعبل وغيره من الأكفاء فجوابهم ، وابتدأ بعضهم ، ولم يلتفت إلى مخلد بن بكار الموصلي حين قال فيه (وكانت في حبيب حبسة شديدة إذا تكلم) :

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشُّعْرِ وَيَا عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ
أَنْتَ مِنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّهِ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ
وَقَالَ فِيهِ أَشْعَارًا كَثِيرَةً مِنْهَا :

أَنْظُرْ إِلَيْهِ وَإِلَى خَيْثِهِ كَيْفَ تَطَالَى وَهُوَ مَنْشُورٌ
وَيَحْكُ مِنْ دَلَالِكَ فِي نَسَبَةٍ قَلْبُكَ مِنْهَا الْبَهْرَ مَذْهُورٌ
إِنْ ذَكَرْتَ طَلَاهُ عَلَى فَرْسَخٍ أَظْلَمَ فِي نَاظِرِكَ النُّورُ
بَلْ رَأَى دُونَ الْمَهَاجَةِ وَالْجَوَابِ ، وَلَوْ هَجَاهُ لَشَرَفَتْ حَالُهُ وَتَبَّهُ ^(١) ذَكَرَهُ .

وَكَذَلِكَ فَضْلُ الْمُتَنَبِّى حِينَ بَلَى بِمَحَاقَاتِ ابْنِ حِجَّاجِ الْبِفِدَادِيِّ : سَكَتَ عَنْهُ
اطْرَاحًا وَاحْتِقَارًا ، وَلَوْ أَجَابَهُ لَمَا كَانَ بِمِثِّهِ هُوَ مِنَ الْأَتْفَةِ وَالْكِبَرِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ
مِنْ أَنْدَادِهِ ، وَلَا مِنْ طَبَقَتِهِ .

وَلَمَّا وَصَلَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ هَجَاهُ الشُّعْرَاءَ ، فَقَالَ : لَا أَجِيبُ
مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا أَنْ يَهْجُونِي عَلَى التُّونُسِيِّ فَإِنِّي أَجِيبُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُ عَلَيْهِمَا قَالَا :
أَمَّا إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَلَمُ النَّاسِ مَا هَجَوْتُهُ بَعْدَ أَنْ شَرَفَنِي عَلَى أَصْحَابِي وَجِصَلَنِي مِنْ
يَنْبَغِهِمْ كَفْتًا لَهُ .

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَتَبَيَّنُ بِالْكِبَرِ ، وَيُظْهِرُ الْأَتْفَةَ فِي الْجَوَابِ عَنْ هِجَاءٍ مِنْ
هُوَ مِثْلُهُ أَوْ فَوْقَهُ خَوْفًا مِنَ الزَّرِّيَّةِ عَلَى نَفْسِهِ ، كَمَا وَقَعَ مِنْ جَمَاعَةٍ أَعْرَفَهُمْ مِنْ أَهْلِ
عَصْرِنَا ، وَهُمْ يَتَسَرَّعُونَ إِلَى أَعْرَاضِ السُّوقَةِ وَالْبَايَعَةِ ، وَيَسْتَفْجِلُونَ عَلَى الصَّبِيَّانِ
وَمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ أَتْفَةٌ - كَمَا يَزْعُمُونَ - إِلَّا عَنْ
الْأَكْفَاءِ لَسَكَنُوا عَنْ لَا يَحْسُنُ شَيْئًا بِالْجَلَّةِ وَلَا يُبْدُ فِي الْخِلَاحَةِ أَشَدَّ تَنْزَهًُا .

وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَهْجُو كَفْتًا وَلَا غَيْرَهُ ؛ لَمَّا فِي الْمَجْهُودِ مِنْ سُوءِ الْأَثَرِ ، وَقَبِيحِ
مِنَ الشُّعْرَاءِ
مَنْ لَا يَهْجُو

(١) فِي لِلصَّرِيَّتَيْنِ وَالتُّونُسِيَّةِ « وَاتَّبَعَهُ ذَكَرَهُ »

السمة : كالذى يحكى عن المعراج أنه قيل له : لم لا تهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟
 إن لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظَلِّمَ ، وأحلاماً تمنعنا من أن نُظَلِّمَ ، وهل رأيتم
 بانيك لا يحسن أن يَهْدِمَ ؟ ثم قال : أنتمون أنى أحسن أن أمدح ؟ قالوا : نعم ،
 قال : أفلا أحسن أن أجعل مكان « أصلحك الله » « قبيحك الله » ومكان
 « حيالك الله » « أخراك الله » . وقد رد ابن قتيبة هذا القول على المعراج بأن
 الهجاء أيضاً بناء ، وليس كل باني لضرب بانيك لغيره . وردده الجاحظ بأن من
 الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر ، وإن أجاد فناً غيره ، كما يوجد ذلك في
 كل صناعة . ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد ، وإن اختلف اللفظان ،
 والصواب ما قالوا إلا أن يُعرف من الشاعر أنفٌ عن قدره لا تدفع ، وبعد تجربة
 لا تُستراب ، فحينئذ . وسئل نصيب عن مثل ذلك فقال : إنما الناس أحد ثلاثة :
 رجل لم أعرض لسؤاله فواجه ذمه ، ورجل سأته فأعطاني فللدح أولى به من
 الهجاء ، ورجل سأته فخرمى فأنا بالهجاء أولى منه ، وهذا كلام عاقل متصف ،
 لو أخذ به الشعراء أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس .

وقد كان في زماننا من اتحل هذا للذهب ، وهو أبو محمد عبد الكريم
 ابن إبراهيم ، لم يَهْجُ أَحداً قط . ومن أناشيده في كتابه المشهور ، لغيره^(١)
 من الشعراء :

ولستُ بهاجٍ في القرى أهلَ منزلٍ على زادهم أبكى وأبكى البواكيا
 فإذا كرامٌ مُوسِرُونَ أنتهم فحسبى من ذو عندهم ما كفاني
 وإما كرامٌ معسِرُونَ عذرتهم وإما لئامٌ فادَّخَرْتُ حياتيا
 وهذا مثل كلام نصيب في المنثور الذى تقدم ، وإنما ذكرت هؤلاء لأنهم

(١) الأبيات لمنظور بن سحيم الفقى والبيت الثانى من شواهد الحجة على مجيئ
 « ذو » موصولة بمعنى الذى ، وأنها مبنية ، وليست معربة كذى بمعنى صاحب التى
 من الأسماء الخمسة .

يمدحون ولا يرضون بالمجاء ، وأما مَنْ لا يمدح فأخرى أن لا يهجو أحداً ، على أن منهم من لم يقل قط إلا هجواً أو شيبها به : كيحيى بن نوفل ، ذكره دَعْبِلٌ في طبقاته ، ونجد له من أهل عصرنا نظراء عِدَّة .

(١٧) - باب في الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع : جاهلي قديم ، ومُخَضَّرٌ ، وهو الذي أدرك الجاهلية
أربع
والإسلام ، وإسلامي ، ومُحَدَّث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج ، وهكذا في المبوب إلى وقتنا هذا ، فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح بمقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي ، وبين الإسلامي والمُخَضَّر ، وأن المحدث الأول - فضلاً عن دونه - دونهم في اللزلة ، على أنه أغصنٌ مسلسلٌ وأرقٌ حاشية ، فإذا رأى أنه ساقطة الساقطة تحفظ على نفسه ، وعلم من أين يُؤتى ، ولم تَنْزَرُهُ حلاوة لفظه ، ولا رشاقة معناه ، ففي الجاهلية والإسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة ، وسبق إلى كل طلاوة ولباقة .

اشتقاق
المخضرم

قال أبو الحسن الأخفش : يقال : ماء مُخَضَّرٌ ، إذا تنهى في الكثرة والسعة ، فنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام مُخَضَّرًا ، كأنه استوفى الأمرين ، قال : ويقال : أذنٌ مُخَضَّرَةٌ ، إذا كانت مقطوعة ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام .

وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن^(١) عن عمه ، قال : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمى كل من أدرك الجاهلية والإسلام مُخَضَّرًا ، وزعم أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسَلِّمْ ، وهذا عندي خطأ ؛ لأن النابتة الجسدى وليدًا قد وقع عليهم هذا الاسم ، وأما عليُّ بن الحسين كراع فقد حكى : شاعر مخضرم - مجاء

(١) عبد الرحمن : هو ابن أخى الأصمعي ، فضعه الأصمعي .

غير معجبة - مأخوذ من الحضرة ، وهى الخلط ؛ لأنه خلط الجاهلية بالإسلام .
الشعراء أربعة وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله (١) :

الشعراء فاعلمنَّ أربعة فشاعرٌ لا يُرجمي لنفسه

وشاعرٌ يُنشد وسط المجمة وشاعرٌ آخر لا يمرى معه

وشاعرٌ يقالُ خرفى دعه

وهكذا رويتها عن أبى محمد عبد العزيز بن أبى سهل رحمه الله ، وبعض الناس يرونها على خلاف هذا .

وقد قيل : لا يزال اللرد مستوراً وفى مَنذُوحَة ما لم يصنع شعراً أو يؤلف كتاباً ؛ لأنَّ شعره ترُجمانُ علمه ، وتأليفه عنوانُ عقله .

وقال الجاحظ : من صنع شعراً أو وضع كتاباً قد استهدف ؛ فإن أحسنَ فقد استعطف ، وإن أساء فقد استغذف .

قال حسان [بن ثابت] ، وما أدراك ما هو ؟ :

أشعر بيت وإن أشعرَ بيتٍ أنت قائله بيتٌ يقال إذا أنشدته : صدَقَا

وإنما الشعر لبُّ المرء يعرضه على المجالس إن كيساً وإن حقاً

وقال محمد بن مناذر وكان إماماً :

لا تقل شعراً ولا تهتمُّ به وإذا ما قلت شعراً فأجِدْ

وقال شيطان الشعراء دعبل بن على :

سأقضى بيت يحمد الناسُ أسره ويكثرُ من أهل الروايات حاميَه

يموت ردىُّ الشعر من قبل أهله وجيِّدُه يبقى وإن مات قائله

بيان الشعراء الأربعة وقالوا : الشعراء أربعة : شاعرٌ خنْذِيذ ، وهو الذى يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره ، وسئل رُوْبَة عن الفحولة ، قال : هم الرواة ؛ وشاعر

(١) تنسب هذه الأبيات للحطيطية .

مُفْلَقٌ ، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنذب في شعره ؛ وشاعر فقط ، وهو فوق الردى بدرجة ؛ وشعْرُورٌ ، وهو لا شيء . قال بمرض الشعراء لآخر هجاء :

يا رابع الشعراء كيف هَبَّوْا نَفْيَ وزعتْ أُنَى مُفَحِّمَ لا أنطق
وقيل : بل هم شاعرٌ مفلَقٌ ، وشاعرٌ مطلقٌ ، وشوَيْرٌ ، وشعْرُورٌ ،
والمفْلَقُ : هو الذي يأتي في شعره بالفلَقِ ، وهو العجب ، وقيل : الفلَقُ الباهية
قال^(١) الأعمى : فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران ، سماه بذلك امرؤ
القيس ، ومثل عبد المزّى المعروف بالشويعر ، وهو الذي يقول :

فَنَلْتُ بِهِ نَأْرِي ، وَأَدْرَكْتُ ثَوْرِي إِذَا مَا تَنَاسَى دَحْلَهُ كُلَّ غَيْبٍ
وهو الضعيف عن طلب نأره ، وروى بالعين معجمة وبالمين غير معجمة .
قال^(٢) الجاحظ : والشويعر أيضاً [صفوان بن^(٣)] عبد ياليل من بني سعد
أبن ليث ، وقيل : اسمه ربيعة بن هِثان ، وهو المقاتل :

وأفلتتا أبو ليلى طَفِيلٌ صحیح الجلب من أثر السلاح
وقال بعضهم : شاعر ، وشويعر ، وشعْرُور .
وقال العبدى في شاعر يدعى للقفوف من بني ضبة ثم من بني حميس :
ألا تنهى سَرَاءَ بني حميسٍ شوَيْرَهَا فَوَيْلِيَةَ الْأَفَاعِي
فسماء شويعراً ، و«فالية الأفاعي» : دونية فوق الخنفساء ، فصرها أيضاً تحميراً له
وزعم الحاتمى أن النابغة سئل : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : من استُجِيدَ
جيده ، وأضحك رديته ، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة ؛ لأنه إذا

(١ ، ٢) انظر هذه العبارة بنفسها في البيان والتبيين (ج ٤ ص ٩) .

(٣) الزيادة عن البيان والتبيين .

أضحك رديته كان من سِفلةِ الشراء ، إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة ،
وقال الحطينة :

الشعرُ صَعْبٌ وطَوِيلٌ سُلَّةٌ والشعرُ لا يسطيعه من يظلمهُ
إذا ارتقى فيه الندى لا يملهُ زلتُ به إلى الحضيض قَدَمُهُ
يريد أن يعر به فيعجمه

بسمي الشاعر وإنما سمي الشاعر شاعراً ؛ لأنه يَشْعُرُ بما لا يشعر به ^(١) غيره ، فإذا لم يكن
شاعراً ؟ عند الشاعر توليدٌ معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة
قياً أجحف فيه غيره من المعاني ، أو نقص مما أطالاه سواء من الألفاظ ، أو صرف
معنى إلى وجه عن وجه آخر ؛ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له
إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير ..

ولتى رجل آخر قال له : إن الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشويعر ، وماصٍ
بَطْرَ أمه ، فأبهم أنت ؟ قال : أما أنا فشويعر ، واختَصِمَ أنت وامرؤ القيس
في الباقي .

وقال بعضهم : الشعر شعران : جيد يحكك ، ورديء مضحك ، ولا شيء
أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط .

ابن الرومي وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور :
بهجو شاعرا عذمتك يا ابن أبي الطاهر . وأطعمت تُكَلِّكَ من شاعر
فما أنتَ سُخْنٌ ولا بارد وما بينَ ذين سوى القار
وأنتَ كذلك تُنْفِئُ النفو من تفتيشة العار الخار
وقد يجوز أن يكون النابغة أشار - فيما حكى عنه الخاتمي من الرديء المضحك -
إلى هذا النحو .

(١) في نسخة « بما لا يشعر له »

صوبة
عمل الشعر

وقيل : عملُ الشعر على الحاذق به أشدُّ من قتل الصخر ، ويقال : إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلباً مَنْ عرفه حق معرفته ، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف إن قاربهم أو كانوا منهم بسبب ؟

قدرة الشعر
أجبر به

وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحرر في حلبة هذه الصناعة - أعني التدسلا يشقون له غياراً ، لنفاذه فيها وحذقه بها ، وإجادتها وقد يميز الشعر من لا يقوله ، كالبراز يميز من الثياب ما لم ينسجه ، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه ، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من النش وغيره فينقص قيمته .

وحكى أن رجلاً قال لخلف الأحرر : ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنته ما قلت أنت وأصحابك فيه !! فقال له : إذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي إنه ردىء هل ينفعلك استحسانك إياه ؟ .

وقيل للفضل الضبي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال : على به هو الذي يمنعني من قوله ، وأنشد :

وقد يقرض الشعر البكي لسانه وتُنهى القوافي للرء وهو لبيب
والشعر مزلة القول ، وذلك أن أحداً ما صنعه قط فسكته ولو كان رديئاً ، وإنما ذلك لسروره به ، وإكباره إياه ، وهذه زيادة في فصل الشعر ، وتنبه على قدره وحسن موقعه من كل نفس .

من شعر
الأصمعي

وقال الأصمعي على تقدمه في الرواية وميزه بالشعر :
أبي الشعر إلا أنت في رديءه علي ، ويأبى منه ما كان محكماً
فياليتني - إذ لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه - كنت مُفحماً

الشعر أربعة
أصناف

وقال عبد الكريم : الشعر [أربعة] أصناف : فشر هو خير كله ، وذلك ما كان في باب الزهد ، والمواظ على الحسنة ، والمثل المائد على من تمثل به بالخير ، وما أشبه ذلك ؛ وشر هو ظرف كله ، وذلك القول في الأوصاف ، والنعوت والثني ، وما يقتل به من المعاني والآداب ؛ وشر هو شركه ، وذلك الهجاء ، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس ؛ وشر يتكسب به ، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتى إليه من جهة فهمه .

وذكر الجحى في الشعراء المقام والثنيان قال : والمقحم : الذى يقتحم سناً إلى أخرى ، وليس بالباذل ولا المستحکم ، وأنشد لأوس بن حجر :
وقد رام بحرى قبل ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقحم
قال : والثنيان : الواهن العاجز ، وأنشد لأوس بن مفرأ :
ترى ثنائنا - إذا ما جاء - بدأهم وبدؤهم إن أنا كان ثنائنا
قال غيره : الثنيان : الذى ليس بالرئيس ، بل هو دونه ، وأنشدوا لتابغة بنى
ذبيان يخاطب يزيد بن الصعق :

يصفى الشاعر الثنيان عسى صدود البكر عن قرم هيجان

للشعر صناعة
وثقافة

قال الجحى : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كاستار أصناف العلم والصناعات : منها ما يتقنه العين ، ومنها ما يتقنه الأذن ، ومنها ما يتقنه اليد ، ومنها ما يتقنه اللسان ، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعينة من يُبصره ، ومن ذلك الجبهة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعينة فيعرف بهرجتها وزائفتها ومستوقها ومفرغها ، ومنه البصر بأنواع اللتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يرد كل صنف منها إلى بلده الذى

خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال : ناصصة اللون ، جيدة الشطب ، قية الثغر ، حسنة العين والأنف ، جيدة التهدين ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتسكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ؛ ولكن لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة ؛ وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين الظهر ، جيد الحافر ، فتى السن ، نقي من العيوب ؛ فيكون بمئتين ديناراً أو نحوها ، وتسكون أخرى بمائتي دينار وأكثر ، تسكون هذه صفتها ، ويقال للرجل والمرأة في القراءة والتفاه : إنه لتندى الخلق ، حسن الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر والأخرى بهذه الصفة وبينهما بونٌ بعيد ، يعرف ذلك أهل العلم به [عند لا اينة والاستماع ، بلا صفة يتهى إليها ، ولا علم يُوقف عليه ، وإن كثرة المدارس للشئ لتعين على العلم به ^(١) ، وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به .

وسمعت بعض الخذاق يقول : ليس للجودة في الشعر صفة ، وإنما هو شيء يقع في النفس عند المميز : كالفرِّند في السيف ، والملاحاة في الوجه ، وهذا راجع إلى قول الجحى ، بل هو بيمينه ، وإنما فيه فضل الاختصار .

١٨ — باب حد الشعر وبنيته

الشعر يقوم بمد النية من أربعة أشياء ، وهي : اللفظ ، والوزن ، والمبنى ، والقافية ، فهذا هو حدُّ الشعر ؛ لأن من الكلام موزوناً مقفىً وليس بشعر ؛ لعدم القصد والنية ، كأشياء أُنزئت من القرآن ، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) هذه العبارة كلها ساقطة من التونية .

وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر ، والترز : ما عرض على الوزن قبله ، فكأن القمل صار له ، ولهذا اللة سمي ما جرى هذا الجرى من الأفعال فعل مُطَاوَعَة ، هذا هو الصحيح ، وعند طائفة من أصحاب الجدل أن للفعل والفتعل لا فاعل لهما ، نحو : شَوَيْتُ اللحم فهو مُشْوَرٌ ومُشْتَوٍ ، وبنيت الحائط فهو مُنْبَنٍ ، ووزنت الدينار فهو مُتَزَنٌ ، وهذا محال لا يصح مثله في القول ، وهو يؤدي إلى مالا حاجة لنا به ، ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك إلا المجاز والاتساع ، وإلا فليس هذا مما يملط فيه من رقّ ذهنه وصفا خاطره ، وإنما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على من زعم أن التزن غير داخل في للوزن ، وإذا لم يمرض التزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن ؟ وكيف يقع عليه هذا الاسم ؟

أركان الشعر وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بنى الشعر على أربعة أركان ، وهي : اللدح ، والهجاء ، والنسيب ، والرثاء .

قواعد الشعر وقالوا : قواعد الشعر أربع : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب : فمع الرغبة يكون لللدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجه .

أغراض الشعر وقال الرماني على بن عيسى : أكثر ما تجرى عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب ، واللدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، ويدخل التشبيه والاستعارة [في] باب الوصف .

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سُهَيْبَة : أتقول الشعر اليوم ؟ فقال : والله ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يمجى الشعر عند إحداهن . قال أبو علي البَصِيرُ :

مدحتُ الأميرَ الفَتَحَ أَطْلُبُ عُرْفَهُ وهل يستزاد قائل وهو راغب
فأنفى مُنُونَ الشعرِ وهي كثيرةٌ وما فنيت آثاره وللنقابِ
فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها .

وقال عبد الكريم : يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح، والهجاء، والحكمة،
واللهو، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون ؛ فيكون من المديح المرائي
والافتخار والشكر، ويكون من الهجاء اللوم والعتاب والاستبطاء ، [و. يكون]
من الحكمة الأمثال والزهد والمواعظ، ويكون من اللهو الفزل والطرده وصفة
الحر والحمور .

وقال قوم : الشعر كله نوعان : مدحٌ ، وهجاءٌ ؛ فإلى المدح يرجع الرثاء ،
والافتخار، والتشبيب، وما تعلق بذلك من محمود الوصف : كصفات الطلول
والآثار، والتشبيهات الحسان، وكذلك تحسين الأخلاق : كالأمثال، والحكم،
والمواعظ، والزهد في الدنيا، والقناعة، والهجاء ضد ذلك كله، غير أن العتاب
حالٌ بين حالين ؛ فهو طرف لكل واحد منهما، وكذلك الإغراء ليس بمدح
ولا هجاء ؛ لأنك لا تقرى بإنسان فتقول : إنه حقير ولا ذليل، إلا كان عليك
وعلى المغرر البركُ ، ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك
على وجهه .

والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية : قراره الطبع، وسمكه الرواية،
ودعائه العلم، وبابه الدُرِّيَّة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون ،
وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواني والأوتاد
للأخبية، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة متعانة ولو لم تكن
لاستغنى عنها .

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحبُ كتاب الوَسَّامة : الشعرُ رأى الجرجاني

تشبيه بيت
الشعر ببيت
البناء

علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الذُرْبَةُ مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو الحسن للبرز ، وقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان . وقال : ولست أفضل في هذه التفضية بين القديم والحديث ، والجاهل والحضرم ، والأعرابي والمولد ، إلا أني أرى حاجة الحداث إلى الرواية أَمَسَّ ، وأجده إلى كثرة الحفظ أقفر ، فإذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والملة فيها أن للطبوع الذكي^(١) لا يمكنه تناول ألفاظ العربي إلا دوايةً ، ولا طريق إلى الرواية إلا السمع ، وملاك السمع الحفظ .

رأى دعبل قال دعبل في كتابه : مَنْ أراد اللدح فيالغبة ، ومن أراد الهجاء فيالبغضاء ، ومن أراد التشيب فيالشوق والعشق ، ومن أراد العاتبة فيالاستبطاء ؛ فقسَّم الشعر كما ترى هذه الأقسام الأربعة ، وكان الرثاء عنده من باب اللدح على ما قدمت ، إلا أنه جعل الكتاب بدلا منه .

آراء مختلفة وقال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على لَثَلٍ السائر ، والاستعارة الرائنة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن .

وقال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي : قلت لأعرابي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع .

وسئل بعض أهل الأدب : من أشعر الناس ؟ فقال : من أكرهك شعره على هَجْوِ دويك ومدح أعاديك ، يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وَصْمَةٌ ، وخلاف للشهوة ، وهذا [دَوْبُ] قول أبي الطيب :

وَأَمْتَعُ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللَّقَّةَ الَّتِي يَلْدُ بِهَا سَمِيٌّ وَلَوْ صُمِّمَتْ شَتَمِي

(١) في المصرتين للطبوعتين « الذي » وما أبعد من الصواب !!

أخذه من قول أبي تمام :

فإن أنا لم يمدحك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامد
وأنتبهه البحتري في ذلك فقال :
ليواصلنك ركبُ شمرى سائراً يرويه فيك ليحسبه الأعداء

وقال عبد الصمد بن المنذر : الشعر كله في ثلاث لفظات ، وليس كل إنسان يحسن تأليفها : فإذا مدحت قلت أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا رثيت قلت كنت .

وقال بعض النقاد : أصغر الشعر الرثاء ؛ لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .

قال ابن قتيبة : قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخرمي : أنت في مدائحك الحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مرثيتك له ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن [نعمل] اليوم على الوفاء .

قال صاحب الكتاب : ومن هذا المنثور - والله أعلم - سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خافان^(١) .

وقيل لبعضهم : ما أحسن الشعر ؟ فقال : ما أعطى التقياد ، وبلغ المراد .

وقال أبو عبد الله وزير المهدي : خير الشعر ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة .

وسمعت بعض الشيوع يقول : قال الخذاق : لو كانت البلاغة في التطويل

ما سبق إليها أبو نؤاس والبحتري .

وقال بعض الخذاق من التقيين : أشعر الناس من تخلص في مدح امرأة ورثائها .

وقال ابن المنز : قيل لمتموه : ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحجبه من

القلب شيء .

(١) هما بيتان سبقا في أول ص ١٢١ .

(١٩) - باب في اللفظ والمعنى

الارتباط
بين المعنى
واللفظ

اللفظ جسم ، وروحُه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : بضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم للمعنى واختلَّ بعضُ اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجْنَةً عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من التراج والشلل والتور وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف للمعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا نجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ ، وجَريه فيه على غير الواجب ، قياساً على ما تقدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كلهُ وفسد بقى اللفظ مَوَاتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين ، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جهة وتلاشى لم يصح له معنى ؛ لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة .

أيهما أثر ؟

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب : منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده ، وهم فرق : قومٌ يذهبون إلى غفامة الكلام وجزأته ، على مذهب العرب من غير تصنع ، كقول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضَرَّةً هتكنا حجاب الشمسِ أوقطرت دماً
إذا ما أعزنا سيئاً من قبيلة ذرى منبرِ صلى علينا وسلمنا

وهذا النوع أدل على القوة ، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار ، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النمط .

وفرقه أصحاب جلبة وقمقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر : كأبي القاسم ابن هاني . ومن جرى مجراه ؛ فإنه يقول أول مذهبه :

رأى في
ابن هاني

أصاحت فقالت: وَقَعَ أَجْرَدُ شَيْظُمٍ وشامت فقالت: لمع أبيض مخدَّمٌ^(١)
وما دُعِرَتْ إِلَّا لِجَرَسِ حُلِيِّهَا ولا رَمَقَتْ إِلَّا بُرَى في مخدَّم^(٢)
وليس تحت هذا كله إلا الفساد، وخلاف المراد، مالقى يفيدنا أن تكون
هذه المنسوب بها ليست حليها فتوهمته بعد الإصاحبة والرمق وَقَعَ فرس أولمع
سيف؟ غير أنها مغزوة في دارها، أو جاهلة بما حلتها من زيتها، ولم يخف عنا
مراده أنها كانت تترقبه!! فما هذا كله؟ وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة،
فإذا أخذ في الخلوة والرقعة، وعمل بطبعه وعلى سجيته؛ أشبه الناس، ودخل في
جملة الفضلاء؛ وإذا تكلف الفخامة، وسلك طريق الصنعة أضرب بنفسه، وأتعب
سامع شعره. ويقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الأحايين أشياء جيدة،
كقوله في المطبوع يصف شجعاناً:

لأبأ كل الشُّرَحَانُ شَاوِ عَقِيرِهِمْ^(٣) مما عليه من القَنَا التَّكْسَرِ

«العقير» ههنا منهم، أي: لم يمت لسجاعته حتى تحطم عليه من الرماح
مالا يصل معه الذئب إليه كثرة، ولو كان العقير هو الذي عقروه هم لكان
البيت هجواً؛ لأنه كان يصنفهم بالضعف والتكاثر على واحد. وقوله في
للصنوع:

وجئتم ثممرَ الوقائع يانماً بالنصر من ورق الحديد الأخضر^(٤)

فهذا كله جيد بدیع، وقد زاد فيه على قول البحتری:

-
- (١) الأجرد: أراد به الفرس القصير الشعر و«شيطم» أي: طويل الجسم،
ومخدَّم، أراد به السيف القاطع
(٢) الذي في ديوان «من مخدَّم» والمخدَّم: عمل الخللخال
(٣) في الديوان «شالوطينهم» والمعنى واحد
(٤) في الديوان «النصر من ورق إلخ».

حلت حمائل القديعة بقلة من عهد عاد غضة لم تدبيل

ويروي :

* من عهد تبع *

ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها ، واغفر له فيها الرككة واللين
المفرط : كأبي المتاهية ، وعباس بن الأحنف ، ومن تابعهما ، وهم يرون الغاية
قول أبي المتاهية :

من يؤثر
سهولة اللفظ

يا إخوتي ، إن الهوى قاتلي فيشروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في أتباع الهوى فإنني في شغل شاغل
عني على هبة منهلة بدمها المنكبي السائل
يا من رأى قتل قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل
بسطت كفى نحوم سائلا ماذا تردون على السائل ؟
إن لم تفلحوا قتلوا له قولاً جميلاً بذكر النائل
أو كنتم الصام على فئرة منه فمتوه إلى قاتل

وقد ذكر أن أبا المتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليل اجتمعوا
يوماً ، فقال أبو نواس : لينشد كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح
ولا هجاء ، فأشاد أبو المتاهية هذه القصيدة ، فسلم له وامتنع من الإنشاد بعده ،
وقال له : أما مع سهولة هذه الألفاظ ، وملاحة هذا القصد ، وحسن هذه
الإشارات ؟ فلا ننشد شيئاً ، وذلك في باب من الغزل جيد أيضاً لا يفضل غيره .

رأى في
أبي المتاهية

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب سمته ، ولا يبالي حيث وقع من
هجنة اللفظ وقبحه وخشوته : كابن الرومي ، وأبي الطيب ، ومن شاكلهما :
هؤلاء المطبوعون ، فأما المتصنعون فسيرد عليك ذكرهم إن شاء الله تعالى .

من يؤثر
للمعنى

حجة من
آثر اللفظ

وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعتُ بعض الخذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمناً ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلباً ؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والخائف ، واسكن العمل على جمودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ألا ترى لو أن رجلاً أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالفيث والبحر ، وفي الإقدام بالأسد ، وفي اللصا بالسيف ، وفي العزم بأسيل ، وفي الحسن بالشمس ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلأها من اللفظ الجيّد الجامع للركة والجزالة والمذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قَدْر .

وبعضهم - وأظنه ابن وكيع - مثل المعنى بالصورة ، واللفظ بالكسوة ؛ فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بختت حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها .

وقال عبد الكريم - وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتأليفه - : الكلام الجزل أغنى عن المعاني العظيمة [من المعاني العظيمة] عن الكلام الجزل ، وإنما حكاه ونقله نقلاً عن روى عنه النحاس .
ومن كلام عبد الكريم : قال بعض الخذاق : المعنى مثال ، واللفظ حَدْوٌ ، والحَدْوُ يتبع المثال ؛ فيضير بشيئه ، ويثبت بشأنه .

ومنه قول العباس بن حسن الملوّ في حفة بليغ : معاني قَوَالِبُ لأفانله ، هكذا حكى عبد الكريم ، وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ، ثم خالفني موضع آخر فقال : أفانله قَوَالِبُ لمعانيه ، وقوافيه مُعَدَّة لمبانيه ، والسجع يشهد بهذه الرواية الأخرى ، وهي أعرف .

والقالب يكون وعاء كالمدى تفرغ فيه الأواني ، ويعمل به اللبّين والآجر ،

وقد يكون قدراً للوعاء كالذى يقام به التوالك^(١)، وتصلح عليه الأخفاف، ويكون مثالا كالذى تحذى عليه النعال، وتوصل عليه القلائس، فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة.

وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتاب اصطلاحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في التذرة، وعلى سبيل الخطرة، كما فعل الأعشى قديماً، وأبو نواس حديثاً، فلا بأس بذلك، والفلسفة وجرت الأخيار باب آخر غير الشر؛ فإن وقع فيه شيء منها فيقدر، ولا يجب أن يعملاً نُصِبَ العين فيكونا متكئاً واستراحة، وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذى وضع له، وبنى عليه، لا ما سواه.

ومن مُلِح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل التعالبي، قال: البليغ من يحرك الكلام على حسب الأمانى، ويخيط الألفاظ على قدود المانى.

وقال غيره: الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار.

وقال أبو عبادة البحتري^(٢):

وكأنها والسمع معقود بها وَجْه الحبيب بَدَأَ لَعَيْنٍ مُجِبَّةٍ

(١) في التونسية «الأواله».

(٢) البيت في وصف آثار قلم المدوح من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب، وأولها قوله:

من سائل لمسند عن خطبه وقبل البيت قوله:

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت باللفظ يقرب فهمه في بعده
برقت مصايح الدجى في كتبه منا، ويعد نيله في قربه
كالروض مؤتلفا بحمرة نوره وياض زهرته وخضرة عشبه

(٢٠) -- باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً ، وعليه حد الطبع والمدار . والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين ، سكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تمثيل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الليل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليّات على وجه التنقيح والتنقيف : يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التقبيل بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصّد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزّالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام ببعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الخطيئة حسن نسق الكلام بمضه على بعض في قوله :

فلا وأبيك ما ظلمت قريعُ بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا
ولا وأبيك ما ظلمت قريع ولا برّموا لذاك ولا أساموا
يعتزّره جارم أن ينصوها فينبر حوله نعم وشاه
فيني مجدهم ويقم فيها ويمشى إن أريد به للشاه
وإن الجار مثل الضيف يندو لوجهته وإن طال التّواه
وإني قد علقت بحبل قوم أعانهم على الحسب التّراه

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حر الوحش والمصادد :

فوردن والتثيق مقعد رابيء السّضر به خلف النجم لا يتّلعُ
فكر عن في حجرات عذب بارد حصيب البطاح تغيب فيه الأسكرُ

فشرين ثم سمن حسا دونه شرف الحجاب، وريب قرع يقرع
فسكرته ففؤنبت فامترست به هوجاه هادية وهاد جرشع
فرمى فأنفذ من نحووس عاطط مهبما فخر وریشه متصنع
فبدا له أقراب هاد رائعا عنه فعيت في الكنانة برجع
فرمى فالحق صاعديا مطعرا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع
فأبدن حقوفن فهارب لذماته أو بارك متجميع
فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف أطرد له ، ولم ينحل عقده ، ولا اختل
بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر وسراعه إياه لما تمكن له هذا التمكن .

واستغرقوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد ، يستدل
بذلك على جودة شعر الرجل ، وصدق حسه ، وصفاء خاطره ؛ فأما إذا كثرت ذلك
فهو عيب يشهد بخلاف الطبع ، وإشار الكلفة ، وليس ينبه البتة أن يتأني من
الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع . من غير قصد ؛ كأنني يأتي من أشعار
رأى في أبي حبيب والبحترى وغيرها . وقد كانا بطلان الصنعة ويؤكدانها : فأما حبيب
تمام والبحترى فيذهب إلى حزنونة اللفظ ، وما يملأ الأسماع منه ، مع التصنيع المحكم طوعا
وكرها ، يأتي للأشياء من بُعد ، ويطلبها بكلفة ، ويأخذها بقوة . وأما البحترى
فكان أملح صنعة ، وأحسن مذهبا في الكلام ، يسلك منه دماثة ومهولة مع
إحكام الصنعة وقرب المأخذ ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة . وما أعلم شاعرا
أكل ولا أعجب تصنيعا من عبد الله بن المعتز ؛ فإن صنعته خفية لطيفة لا تكاد
رأى في ابن المعتز تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي ألطف أصعابه شعرا ،
وأكثرهم بديعا واقتنانا ، وأقربهم قوافي وأوزانا ، ولا أرى وراءه غاية لطالها في
هذا الباب ، غير أنا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر
انتفاعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد ؛ لما فيهما من التفضيلة لمبتغيها ،
ولأنهما طرقا إلى الصنعة وممرقتها طريقا سائلا ، وأكثرها منها في أشعارها تكثيرا

سئلها عبد الناس ، وجسرم عليها . على أن مسلما أسهل شعراً من حبيب ، وأقل تكلفاً ، وهو أول من تكلف البديع من المولدين ، وأخذ نفسه بالصنعة ، وأكثر منها . ولم يكن في الأشعار للحدث قبل مسلم صريع [التواني] إلا التبدد اليسيرة ، وهو رهبير المولدين : كان يبلى في صنعه ويجيدها .

وقالوا : أول من فتح البديع من المحدثين بشار بن برد ، وابن هرمة ، وهو ساق أول من فتح العرب وآخر من يستشهد بشعره . ثم أتبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو التتائي ، ومنصور الخزاعي ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس . واتبع هؤلاء حبيب الطائي ، والوليد البحترى ، وعبد الله بن المعتز ؛ فانتهى علم البديع والصنعة إليه ، وختم به . وشبه قوم أبا نواس بالنابتة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة ، وحسن الديباجة ، والمعرفة بمدح الملوك . وأما بشار فقد شهبوه بامرئ القيس ؛ لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ، ومن كلامهم : بشار أبو المحدثين .

وسمى أبا عبد الله غير مرة يقول : إنما سمي الأعشى صنّاجة العرب الأعشى وبشار لأنه أول من ذكر الصنّج في شعره . قال : ويقال : بل سمي صنّاجة لقوة طبعه ، وحياة شعره ، يحيل لك إذا أشدته أن آخر ينشد معك . ومثله من المولدين بشار بن برد ، تنشد أقدم شعره عروصاً وأبينه كلاماً فتجد له في نفسك هزة وجابية من قوة الطبع ؛ وقد أشبهه تصرفاً وصرى في الشعر وكثرة وضع مدحا وهجاء وانتخارا وتعاوناً . اغضى يلام أبي عبد الله ورجعنا إلى القول في الطبع والتصنيع .

واستأنف أن البيت إذ وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثم تع في معناه متى يكون التصنيع مقبولا بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه السكفة ولا طهر عزاء العمل كان المصنوع أفصح ، إلا أنه إذا تولى ذلك وكثر لم يخرج البتة أن يكون طبعاً وانفاقاً ؛ إذ ليس ذلك في طباع الشعر . وسبيل الحدائق بهذه الصناعة — إذا غلب عليه حب التصنيع — أن يترك لأطباعه محالا يتسع فيه ، وقيل : إذا كان الشاعر

مصنعا بأن^(١) "جيده من سائر شعره : كأبي تمام ؛ فصار محصورا معروفا بأعيانه ،
وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبين جيده كل البيتونة ، وكان قريبا من قريب :
كالبحترى ومن^(٢) شاكلة . وقد نص ابن الرومي في بعض تسطيراته على محمد بن
أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر :
قله شهامة سودنيق يا كر وحوافر حفر ورأس صنم
وذكر قول حبيب :

بحوافر حفر وصلب صلب^(٣)

لخفل به ، واعتذر له ، وخرج التخريج الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب
والحافر المتعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده
كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لآتى بها ،
والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه
أحزم ، غير أننا لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه -
إن المعنى الذي أراده وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى الصنعة كالتطبيق
والتجنيس وما أشبههما ، لا معنى الكلام الذي هو روحه ، وإن اللفظ الذي
ذكر أنه لا يبالى به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، ويدلك على صحة ما ادعيتته
على ابن الرومي قوله «إن الحافر الوأب والمتعب أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر» ؛
فكلامه راجع إلى ما قلته في الطائي ، غير مخالف له ، وإن كان في الظاهر على
خلافه ؛ لينسأغ ذلك ، إلا أن أكثر الناس على ما قال ، وإنما هذا معرض
للكلام ، لا مخالفة .

(١) في التونية والمصريتين « فان » ولا معنى لها ، والتصحيح من اللقابة في
كلام اللؤلؤ .

(٢) هذا صدر بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١١
بيروت) والبيت بتمامه مع بيت سابق عليه قوله :

ما مقرب يفتال في أعطائه ملآن من صلف به وتلموق
بحوافر حفر وصلب صلب وأشاعر شعر وخلق أخلق

وقال الجاحظ : كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، ولا ساقطاً سوقياً ؛ فكذلك رأى الجاحظ
لا ينبغي أن يكون وحشياً ، إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرايياً ؛ فإن الوحش يكون الكلام
من الكلام يفهمه الوحش من الناس ، كما يفهم السوق رطانة السوق .
قال : وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغروا ، فقال : والله ما هو بغير ، ولكنكم
في الأدب غرباء .

وعن غيره : أن رجلاً قال للطائي في مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد :
يا أبا تمام ، لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وأنت لم لا تفهم من الشعر
ما يقال ؟ ففضحه .

[و يروى أن هذه الحكاية كانت مع أبي القميئل وصاحبين له خاطباء فأجابهما] ^(١)

وقال : من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب : إننا حبيب كاتفاضي العدل : موازنة بين
المتنبي والطائي
بضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقها ، بعد طول النظر والبحث عن
البيئة ، أو كأنفقيه الورع : يتحرى في كلامه ويتخرج خوفاً على دينه . وأبو الطيب
كلامك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجريء : يهجم على
ما يريده لا يبالي مالتى ، ولا حيث وقع .

وكان الأصمعي يقول : زهير والناطقة من عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان عبيد الشعر
إصلاحه ويشعلان به حواسهما وخواطرها .

ومن أصحابها في التنقيح وفي التثقيب والتحكيم طغيت الفنوى . وقد قيل :
إن زهيراً روى له ، وكان يسمى « محبراً » لحسن شعره .

وممنهم الحطيفة ، والنمر بن توبل ، وكان يسميها أبو عمرو بن العلاء السكيس .
وكان بعض الحذاق بالكلام يقول : قل من الشعر ما يخدمك ، ولا تقل
منه ما يخدمه ، وهذا هو معنى قول الأصمعي ، وسأحلى هذا الباب من كلام السيد

من شعر أبي الحسن
أبي الحسن بحلية تكون له زينة فاققة ، وأختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة ؛ لأوفى بذلك بعض ما ضمنت ، وأقضى به حق ما شرطت ، إن شاء الله .

فمن ذلك قوله يتأهّرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق إلى أهله :

ولى كبد مكلومة من فراقكم أطمئنا صبراً على ما أجنّت
تمنّيتكم شوقاً إليكم ومحبوة عسى الله أن يدنى لها ما تمنّت
وعين جفأها النوم واعتادها البكى إذا عن ذكر القيروان استهلت

فلو أن أعرابياً تذكر نجباً فغنّ به إلى الوطن ، أو تشوق فيه إلى بعض السكّن ؛ ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولّد الحضري المتأخر العصر ، وما انحط بهذا التميز في هوائى ، ولا أتنفق بهذا القول عند مولاي ، ولا الخديعة مما تظن به ، ولا فيه ، ولكن رأيت وجه الحق فرفقته ، والحق لا يتلّام ، وما هو في بلاغته وإيجازه إلا كما قال الأحمير السعدي في وصيته :

من القول ما يكفي للصيب قليله ومنه الذي لا يكفي الدهر قائله
يصد عن المعنى فيترك ما تمحّا ويذهب في التخصيص منه يطاوله
ولا تلك مكثراً تزيد على الذي عنيت به في خطب أمير تزاوله

(٢١) - باب في الأوزان

الوزن ركن الشعر اللهم
الوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاه به خصوصية ، وهو مشتمل على اتفاقية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لاني الوزن ، وقد لا يكون عيباً نحو الخمسات وما شاكلها .

للطبع يستغنى عن معرفة الوزن
والطبع يستغنى بطبعه عن معرفة الأوزان ، وأسمائها ، وعلاها ؛ لنمو ذوقه عن المزاحف منها والمستكره . والضعيف الطبع يحتاج إلى معرفة شيء من ذلك بعينه على ما يحاوله من هذا الشأن

وللناس في ذلك كتب مشهورة ، وتواليف مفردة ، وبينهم فيه اختلاف ،
وليس كتابي هذا بمحتمل شرح ذلك ، ولا هو من شرطه ؛ فراراً من التكرار
والنطويل ، ولست أذكر نَقْصاً يحتاج إليها ، ويكتفى بها مَنْ نظر من المتعلمين
في هذا الكتاب ، إن شاء الله .

فأولُ من ألف الأوزان وجمع الأعارض والضروب الخليلُ بنُ أحد فوضع أول من ألف
فيها كتاباً سماه « العروض » استخفاً ، والعروض : آخر جزء من القسم الأول
من البيت ، وهي مؤنثة ، وتثنى وتجمع ، إلا أن يكون لهذا الجنس من العلم ،
والضربُ : آخر جزء من البيت من أى وزن كان .

ثم ألف الناس بعده ، واختلوا على مقادير استنباطاتهم ، حتى وصل ثم الجوهري
الأمر إلى أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، فبين الأشياء وأوضحها في
اختصار ، وإلى مذهبه يذهب حُذَّاق أهل الوقت ، وأرباب الصناعة : فأول
ما خالف فيه أن جعل الخليل الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية : منها اثنان
خماسيان ، وهما : فعولان ، وفاعلان ، وستة سباعية ، وهي : مفاعيلن ، وفاعلاتن ،
ومستفعلن ، ومفاعلتن ، ومتفاعلن ، ومفعولات ، فنقص الجوهري منها
جزء مفعولات ، وأقام الدليل على أنه منقول من « مستفعلن » مفروق الوند ،
أى : مقدم النون على اللام ؛ لأنه رعم [أه] لو كان جزءاً صحيحاً لتركب
من مفردة بحر كما تركب من سائر الأجزاء . يريد أنه ليس في الأوزان
وزن انفرد به مفعولات ، ولا تكرر في قسم منه ، وعدَّ الخليل أجناس الأوزان
فجعلها خمسة عشر جنساً ، على أنه لم يذكر للتدارك ، وهي عنده : الطويل ،
والمديد ، والبسيط ، في دائرة ؛ ثم الوافر ، والكامل ، في دائرة ؛ ثم المزدَج ،
والرَجَز ، والرمل ، في دائرة ؛ ثم السريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمضارع ،
والمقتضب ، والجنث ، في دائرة ؛ ثم المتقارب وحده في دائرة .

وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر؛ فحكى عن الخليل شيئاً أخذتُ به اختصاراً وتقليداً؛ لأنه أول من وضع علم العروض وفتح للناس، وغادرتُ ما سوى ذلك من قول أئى إسحاق الزجاج وغيره لاهل أن فيه تقصيراً.

ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الأخص قال: سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض؛ لم سميت الطويل طويلاً؟ قال: لأنه طال بتمام أجزائه، قلت: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسط عن مَدَى الطويل وجاء وسطه قَمَلَيْنِ وآخره قَمَلُنْ، قلت: فاللديد؟ قال: لتمدد سباعيه حول خماسيه، قلت: فالوافر؟ قال: لوفور أجزائه وتبدأ بتدوير، قلت: فالكامل؟ قال: لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، قلت: فالمرزج؟ قال: لأنه يضطرب؛ شبه بهزج الصوت، قلت: فالرجز؟ قال: لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام، قلت: فالرمل؟ قال: لأنه شبه برمل الحصير لضم بعضه إلى بعض، قلت: فالسريع؟ قال: لأنه يسرع على اللسان، قلت: فالمنسرح؟ قال: لانسراحه وسهولته، قلت: فالخفيف؟ قال: لأنه أخف السباعيات، قلت: فالمتنضب؟ قال: لأنه اقتنضب من السريع، قلت: فالضارع؟ قال: لأنه ضارِعَ المتنضب، قلت: فالجثث؟ قال: لأنه اجثث، أى: قطع من طويل دائرته، قلت: فالمتقارب؟ قال: لقتاربه أجزائه؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً.

وجعل الجوهري هذه الأجناس اثني عشر باباً، على أن فيها التدارك: سبعة منها مفردات، وخمسة مركبات، قال: فأولها المتقارب، ثم المَزَج، والطويل بينهما مركب منهما، ثم بعد المَزَج الرمل، والمضارع بينهما، ثم بعد الرمل الرجز، والخفيف بينهما، ثم بعد الرجز التدارك، والبسيط بينهما، ثم بعد التدارك

للديد ، مركب منه ومن الرمل ، قال : ثم الوافر والكامل ، لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة .

وزعم أن الخليل إنما أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب ، قال : وإلا فالسريع هو من البسيط ، والمسرّح والمقتضب من الرجز ، والحث من الخفيف ؛ لأن كل بيت مركب من مستعملن فهو عنده من الرجز طال أو قصر ، وكل بيت ركب من مستعملن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر ، وعلى هذا القياس سائر المفردات والمركبات عنده . والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب ، وذلك أن هولن يخلفه فاعلن ويخّين فيصير فَعِلن ، وشرعرو الجنى منه ، وهو الذي يسميه الناس اليوم الخبّ .

كيفية تقطيع
الأجزاء

وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الأجزاء ، وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط ؛ فيقابل الساكن بالساكن ، والمتحرك بالمتحرك ، ويظهر حرف التضمين ، وتسقط ألف الوصل ، لام التعريف إذا لم تظهر في درج الكلام ، وثبت النون بدلا من التنوين ، ويعد الوصل والخروج حرفين ، وهذا هو الأصل المحقق ؛ لأن الأوزان إنما وقعت على الكلام ، والكلام لا محالة قبل الخط ؛ لأن الألف صورة هوائية لا مستقر لها ، ولأن المضاعف يحمل حرفاً واحداً ، ولأن التنوين شكل خفي ، وليس في جميع الأوزان ساكنان في حشو بيت إلا في عروض المتقارب ؛ فإن الجوهري أنشد ، وأنشده المبرد قبله :

وَرَمْنَا الْقِصَاصَ وَكَانَ النَّقَاصُ فَرَضًا وَحَتَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ

قال الجوهري : كأنه نوى الوقوف على الجزء ، وإلا فالجمع بين ساكنين لم

يسمع به في حشو بيت .

قال صاحب الكتاب : إلا أن سيبويه قد أنشد :

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ وَمَسَحِهِ مَرَّةً عَقَابَ كَاسِرِ

يُاسِكَا نِ الْهَاءِ وَإِدْغَامُهَا فِي الْهَاءِ وَالسِّينِ قَبْلَهَا سَاكِنَةٌ .

أجزاء
التفاعيل

وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء : سبب ، ووتد ، وفاصلة ؛ فالسبب نوعان : خفيف ، وهو متحرك بعده ساكن ، نحو : مَأْ ، وَهَلْ ، وَتَلْ ، وَمَنْ ، وَثَقِيل ، وهو متحركان ، نحو : لَمْ ، وَيَمَ ، إِذَا سَأَلْتَ ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ : وَالْوَتْدُ أَيْضاً نوعان : مجموع ، وهو متحركان بعدهما ساكنٌ ، نحو : رَمَى ، وَسَمَى ، ومفروق ، وهو ساكن بين متحركين ، نحو : قَالَ ، وَبَاعَ . والفاصلة فاصلتان : صغرى ، وهى ثلاث متحركات بعدها ساكن ، نحو : بَلَقَتْ ، وما أشبه ذلك ، وكبرى ، وهى أربع متحركات بعدها ساكن ، نحو : بَلَقَتْ ، وَبَلَقْنَا ، وما أشبه ذلك ، وهى تأتى فى جزء من الشعر بعينه ، وهو : فَمَاتَنْ ، ولاتأتى البنية بإجماع من الناس بين جزءين فتكون حرفين متحركين فى آخر جزء ومنهما فى أول جزء آخر يليه ، ولا يجتمع فى الشعر خمس متحركات البنية .

ومن الناس من جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة يركب بعضهم على بعض فتتركب التواصل منهما ، وبعض المتعقبين سأل عنه الملقب بالبحار - يسمى الفاضلتين وتبدأ ثلاثياً ، ووتدأ رباعياً ، والسبب عنده نوعان : منفصل نحو مَنْ ، ومتصل نحو لِمَنْ ؛ فاللام عنده وحدها سبب متصل ، واليم والنون سبب هو منفصل ؛ كان لحركة اليم نهاية وهى النون الساكنة ، ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .

الزحاف

وأما الزحاف فهو ما يلحق أى جزء كان من الأجزاء السبعة التى جعلت موارد الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخيرها أو تسكينه ، ولا يكاد يسلم منه شعر .

ومن الزحاف ما هو أخف من التام وأحسن ، كالذى يستحسن فى الجارية من التفاف البدن واعتدال القامة ، مثال ذلك مفاعيلن فى عروض الطويل التام تصوير مفاعيلن فى جميع أبياته ، وهذا هو التقبص ، وكل مذهب خامسة الساكن فهو مقبوض . ومفاعيلن فى عروض البسيط التام وضر به يصير قِيلُنْ ، ودنت هر أَلْتُنْ ، وكل مذهب ثمانية الساكن فهو مخبون . ومفاعيلتن فى عروض الوافر التام

وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مُفَاعَلٌ ، فخلقه فَمُولُنْ ، وهذا هو القُتْلُ ، وليس في الشعر مقطوف غيره . ويخف على المطبوع أبداً أن يحمل مكان مستعملين في الخفيف مفاعل يظهر له أحسن .

ومنه - أعنى الزحاف - ما يستحسن قليله دون كثيره ، كالقَبْلُ البسير والفَلَج من الزحاف ما واللتغ^(١) مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي غلّاه أوى ذؤيب :

للك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلا شامى تستجيرها^(٢)

فقص سا كنأ بعد كاف سواك ؛ وهو نون فَمُولُنْ ، وهذا هو القبض ، ومن رواه « خليلا سواك » قبض الياء من مفاعيلان ، وهو أشد قليلا . ومنه ما يمتثل على كره ، كالقَدْع والوَكع والكَرْم^(٣) في بعض الحسان ، ومثاله في الشعر كثير وكفك قول امرئ القيس بن حُجْر :

وتعرف فيه من أبيه شائلا ومن خاله ، ومن يزيد ، ومن حُجْر

سماحة ذا ، وريّ ذا ، ووطاء ذا ، ونائل ذا : إذا صحا ، وإذا سكر

فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ماعل في معناه مثله ، إلا أنه على ما تراء من

(١) القبل - بفتحين - إقبال سواد العين على الأنف ، أو مثل الحول ، أو حسن منه ، أو إقبال إحدى الجذبتين على الأخرى . والعلاج في الأسنان - بفتحين - تباعد ما بين المنانا والرباعيات ، وبابه طرب . واللتغ : أن يضير الراء لاما أو غينا أو يصير السين ماء ، وبابه طرب أيضا .

(٢) تستجيرها : تستعطفها حتى تعود إليك ، وفي الأصول « تستجيرها » بالجيم ، وهو تصحيف ، وفي شرح السكري « تستجيرها » بالحاء العجمة .

(٣) القدع - بفتحين - اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى يتقلب السكف أو القدم إلى إنسيها ، أو هو المشي على ظهر القدم ، أو هو ارتجاع أحص القدم حتى لو وطئ الأقدام عصفورا لم يؤذه . والوكع - بفتحين - إقبال الإبهام على السبابقتن الرجل حتى يرى أصله خارجا كالقعدة . والكرم - بفتحين - قصر في الأنف والأصابع .

الزحاف المستكره ، حكى ذلك أبو عبيدة .

ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس عليه ، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء
في الناس وسوء التركيب ، مثله قصيدة عبيد المشهورة :

* أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ *

فإنها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلّة ولا غيرها ، حتى قال ^(١) بعض
الناس : إنها خطبة ارتجلها فآثرن له أكثرها .

وقال الأصمى : الزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه ، لا يقدم عليها إلا
فقيه

وينبني للشاعر أن يركّب مستعمل الأعاريض ووطئها ، وأن يستحلي
الضروب ويأتى بألفها موقفاً ، وأخفها مستمعاً ، وأن يحتجب بعوبها ومستكرها ؛
فإن المويص مما يشغله ، ويمسك من عنائه ، ويوهن قواه ، ويقت في عضده ،
ويخرجه عن مقصده .

وقد يأتون بالخرم كثيراً - وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من
البيت - وأكثر ما يقع في البيت الأول ، وقد يقع قليلاً في أول عجز البيت ،
ولا يكون أبداً إلا في وتد ، وقد أنسكه الخليل لقلته فلم يجزه ، وأجازته الناس ،
أنشده الجوهري :

قَدَّمْتُ رَجُلًا فَإِن لَمْ تَزَعْ قَدَّمْتُ الْآخَرَ فَنِلْتُ الْقَرَارَ
وَأَنشَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ السَّكْرِيُّ لَامِرِي الْقَيْسَ :

(١) وفيها يقول أبو السلاء للمري :

وقد يخطئ الرأي امرؤ وهو حازم * كما احتل في نظم التصيد عبيد
وعبيد : هو ابن الأبرص بن جشم بن عامر بن هر ، وانظر ديوانه المطبوع في
أوروبا (ص ٥) .

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابن جريج كان في حصن أنكرا
 هكذا روايته ، ورواه غيره * ولا بن جريج * بغير خرم . فإذا اجتمع الخرم
 والقبض على الجزء ، فذلك هو الثرم ، وهو قبيح . وهذان عيبان تدلك التسمية
 فيهما على قبحهما ؛ لأن الخرم في الأنف ، والثرم في الفم ، وإنما كانت العرب
 تأتي به لأن أحدهم يحكم بالكلام على أنه غير شعر ، ثم يرى فيه رأياً فيصرفه
 إلى جهة الشعر ؛ فنمنا احتمل لم وقبح على غيرهم . ألا ترى أن بعض كتّاب
 عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله :

* هُنَّ عَوَادِي يُوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ *

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب .

ويأتون بالخرم - زى معجمة - وهو ضد الخزم - بالراء غير معجمة ، الناقص
 منهما ناقص نقطة ، والزائد زائد نقطة - وليس الخزم عندهم بعب ؛ لأن أحدهم
 إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يفسد المعنى ، ولا أحل به
 ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف ،
 أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه :

أَشْدُّ حِيَازِيكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيَا

وَلَا تَجْزِعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حُلَّ بِوَادِيكَ

فزاد « أشدد » بيانا للمعنى لأنه هو المراد . قال كعب بن مالك الأنصاري
 يرفي عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أَقْدَعَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَسْلَمُوا بَعْدَ عِزِّهِمْ إِمَامَتَهُمُ لِلنَّكَرَاتِ وَلِلْفُتْرِ

فزاد « لقد » على الوزن . هكذا أنشدوه . وأنشد الزجاج - وزعم أصحاب

الحديث أن الجن قالت :

نحن قتلنا سيد الخمر ج سعد بن عباد
رميناه بسمين فلم نُخْطِ فؤاده
فزاد على الوزن « نحن » وأنشد الزجاج أيضاً :
* بل لم تجزعوا يا آل حرب تجزعا *

فراد « بل » وأنشد أيضاً :
يا مطر بن خارجة بن مسلم إني أجنى وتُفْلِقُ دوى الأبواب
وإما الوزن « مطر بن خارجة » والياء والألف^(١) زائدة . . وما جاء فيه الخرم
في أول عجز البيت وأول صدره ، وهو شاذ جداً ، قول طرفة :
هل تذكرن إذ تقاتلنم إذ لا يضر معدماً عدمه
فزاد في أول صدر البيت « هل » وزاد في أول العجز « إذ » والبيت من
قصيدته للشهورة :

أشجك الربيع أم قدمة أم رماد دارس حمة
وقال جريبة^(٢) بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الأنصاري :
لقد طال إضاعي الخدم لا أرى في الناس مثلي من معدٍ يحطّب
حقه تأوبت البيوت عشية فوضعت عنه كوره تشاب
فاللام في « لقد » زائدة ، وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم ، وقالت الخنساء :
أقدى بينك أم بالعين عوار أم أوحشت إذ خلت من أهلها الدار

(١) صوابه أن يقول « ويا زائدة » .

(٢) هكذا في بعض النسخ بالجيم والراء للمهمة ، وفي بعضها « خزيمة » بخاء
وزاي موحدتين ، وفي بعضها « حريثة » بخاء وراء مهملتين ، وكل هذه النسخ
عقالت لما في نوادر أبي زيد (ص ٧٢) فإن فيها « خريفة » بخاء معجمة وراء
مهملة وبعد الياء بام موحدلة .

فزادت ألف الاستفهام ، ولو أسقطناها لم يضر اللحن ولا الوزن شيئاً ، وروى
أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس :
* كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِينَ وَبِلَه *

ثما بعد ذلك بالواو فيقول : * وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمَجِيمِرِ غُدُوَّة *
* وَكَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ عَرَقَى عَشِيَّة *

معطوفاً هكذا ؛ ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض

وقال عبد الكريم بن إبراهيم : مذهبهم في الخلزم أنه إذا كان البيت يتعلق
بما بعده وَصَلَوْهُ بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والقمل
على القمل والجملة على الجملة ، وأخذ الخلزم من خزيمة الناقعة ، ومن شأنهم مد
الصوت فجعلوه عوضاً من الخلزم الذي يحذفونه من أول البيت .
وقد قال غيره : إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكته ؛ فلذلك جعلوه
في الوزن المجهوع ؛ لأن للفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً ،
ولا يبتدأ بالساكناً ، فيسقط أيضاً ، والسكته لا تحدث عند أحرف واحد ؛
وهذا اعتلال مليح بين جدّاً .

ومن التزحيف في الأوساط الإقصاء^(١) ، وهو أن تذهب مثلاً نون متفاعلين
أو مستغفلين في عروض الضرب الثاني من الكامل ، وتسكن اللام ، فيصير
عروضه كضربه فلاتن أو مفعلون ، كما قال الشاعر ، وهذا هو القطع عند
أصحاب القوافي :

أبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زُهَيْرٍ ترجو النساءِ عواقبَ الأطهارِ
فإلى هذا على معنى التصريح وليس به ؛ فهو عيب ، وأقبح منه قول الآخر :

(١) في التونسية « الإقصاء » في اللوزنيين .

إني كبرتُ وإنَّ كلَّ كَبِيرٍ مما يضمن به عليٌّ ويتقتر
لأنه أتى بال عروض دون الضرب بحرف ، لا لتوهم تصريح ولا إشكال،
وإنما تذكر مثل هذا ليحتمل إذا عرف قبحه . وجاء منه في الطويل قول
الناطقة الديباني :

جزى الله عيساً عتبس آل بغيضٍ جزاء الكلاب الماويات وقد فعل^(١)
أنشدته النحاس . وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي :
لعمري لقد برَّ الضبابَ بئوهُ وبعض البين حمةٌ وسُعال
هكذا روايته بالخاء غير معجمة ، وهو الصحيح ، وبعضهم يرويه « غمة »
بالتين معجمة .

وزم الجحى أن الإقصاد^(٢) لا يجوز لمولد ، وقد أتى به البحرى في عروض
الخفيف فقال يهجو شاعراً :

ليس ينفك هاجياً مضرُوباً ألفَ حدٍّ ومادحا مصفوفاً
قياساً على قول الخارث بن جِلَّة الشكرى :
أسدٌ في اللقاء ذو أشبالٍ وريبعٌ إن شئمتَ غبراء
وابن قتيبة يسمي هذا الزحاف إقواء ، وسأذكره في أبواب القوافي إن شاء
الله تعالى .

ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء : ابتداء ، وهو ما كان في أول البيت مما
لا يجوز مثله في الحشو : كالتَّم في الطويل ، والقصب في الوافر ، والخرم في

مهمات
الزحاف

(١) في إحدى روايات الديوان * جزى الله عيساً والجزاء بفعله * ومن
العلماء من يروى البيت بالألفاظ التي رواه المؤلف بها ولكنه يصغر لفظ « بغيض »
بضم الباء وفتح التين وتشديد الياء مكسورة ، وعلى هذين فلا شاهد للمؤلف فيه .
(٢) في التونية « الإقصاد » في اللوزعين .

المزج ؛ وفصل ، وهو ما كان ملتزما في نصف البيت القى يسمى عروضاً ، مثل
مفاعيلن في عروض الطويل ، وفعلن في عروض اللديد ، وما جرى مجراها ، هذا
هو الحقيقة ، وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مر ذكرهما
آنفا ؛ واعتماد ، وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء^(١)
الذى قبل الضرب ، كقول امرئ القيس :

أعنى على برقي أراه وميضٍ بضئ حبيبا في شَمَارِيخٍ يبيض
فأثبت ياء « شَمَارِيخ » وهى مكان النون من فصولن ، وكان الأجود أن
يستعملها بالقبض ؛ لمكان الاعتماد ؛ لأن السبب قد اعتمد على وتدين : أحدهما
قبله ، والآخر بعده ، قوى قوة ليست لتغيره من الأسباب ، فحسن الزحاف فيه ،
والاعتماد فى التقارب سلامة الجزء من الزحاف ؛ وغاية ، وهو ما كان فى الضرب
الذى هو جزء القافية ملتزما مخالفا للحشو : كالمقطوع وللقصور والمكسوف^(٢) ،
والمقطوف ، وهذه أشياء لا تكون فى حشو البيت ..

قالوا : وأكثر النابات معتل ؛ لأن النابة إذا كانت فاعلاتن أو فصولن
أو مفاعيلن فقد لزمها أن لا تحذف سواكن أسبابها ؛ لأن آخر البيت لا يكون
متحركا ، هذه حقيقة ما ذكر ، وأما المجاز والاتساع فكثير ...

ويتصل بالنابات أنواع آخر : من ذلك معرفة ما يلزمه حرف اللد واللين
الذى هو الرفع مما لا يلزمه^(٣) ذلك ؛ أجمع حُذَاق أهل العلم من البصريين
والكوفيين على أن كل وزن قص من أتمَّ بنائه حرف متحرك عوض حرف

-
- (١) هكذا فى الصريتين ، والعبارة غير مستقيمة ، وصوابها : « ما كان من
الزحاف الجائز فى الحشو فى الجزء الذى قبل الضرب » .
(٢) فى الأصول كلها « وللمكسوف » بالسين للصجمة ، وهو تصحيف .
(٣) كذا فى جميع الأصول ، والصواب حذف كلمة « ذلك » .

للد واللين من ذلك الحرف فلم يحىء إلا مُرَدِّقًا براو أو ياء أو ألف . ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف ، مثل مفعول^(١) في الخفيف . ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن ؟ فهو لا يوجب الردف ، فإن ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه ، وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك ؛ لم يلزمه الردف ، وإذا التقي ساكنان ألزموه الردف : فما سقط فالزم حرف للد فعلان المحذوف في الطويل ، لم يعتدوا بالنون لما يدرکہا من الزحاف فكأنما ذهبت اللام فقط ، ومن اللديد فاعلاتن المقصور ، ومن البسيط فعلن المقطوع . والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد ، وهما جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقه . والردف إما يكون عوضاً عما بعده لئلا قبله . ومن السكامل فصلات^(٢) المقطوع ، ومن الرجز مفعول^(٣) المقطوع ، ومن الرمل فاعلاتن المقصور ، ومن المتقارب فعلان المقصور .

وما التقي فيه ساكنان وألزموه الردف مستغفلان المذال في البسيط ، وفيه اختلاف : أما من ألزمه الردف فلا لقاء الساكنين ، أقاموا اللد منهما مقام الحركة ؛ وأما من لم يلزمه الردف فلأنه قد تم وزيد على تمامه . والإرداف إما يأتي عوضاً من النقصان لا من الزيادة . وفي السكامل متفاعلاتن المذال ، وفي الرجز شاذ ، أنشده أبو زهرة النحوي في كتاب العروض ، وهو :

كأنني فوق أقب سَهْوَيَّ جَبَابٍ إِذَا عَشَرَ صَاتِي الْإِرْنَآنِ^(٤)

- (١) في جميع الأصول « مفعن » بلا واو ، وهو غير صحيح .
(٢) أصله « متفاعلتن » : حذفت التون وسكنت اللام قبلها فصار « متفاعل » فنقل إلى « فصلات » .

- (٣) أصله « مستغفلن » فيعد حذف النون وإسكان اللام نقل إلى « مفعولن » .
(٤) البيت للرار الأسدي ، وأصل السهوي الطويل من الرجال ، وقد يستعمل في غيرهم كاهنا . والجباب : الحمار الغليظ من حمر الوحش . والصاتي : الصوت ، والإرنان : الصوت ، وأراد الرقيق الصوت

وفي الرمل فاعلاتن وحدها ، والقول فيها كالقول في مستعملان للذال في البسيط ، وفاعلات في السريع ، وهو مذيّل من البسيط عند الجوهري ؛ فأما على ما عند من سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية أي ساقطة الواو ومفعولات في مشطور السريع أيضاً ، وفي مَثْوُوك للنسرح يلزمها حرف اللين ؛ فلي هذا إجماع الخذاق ، إلا سيبويه فإنه رخص فيه لموافقة الوزن مُردفاً وغير مردف ، وأنشد قول أرمي القيس :

ولقد رحلت العيس ثم زجرتُها وهنا قلتُ: عَلَيْكِ خَيْرٌ مَعْدُ

وقول الراجز :

* إِنَّ مُنْعَمَ الْيَوْمِ نَسَاءُ يُنْمِنُنْ *

بإسكان العين والنون . وكان الجرمي والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله ، كالسناد والإكفاء ، يحكى ولا يعمل به ، إلا أن أبا نواس في قوله :

* لَا تَبْكِي كَيْلِي وَلَا تَطْرَبِي إِلَى هِنْدِ *

أخذ بقول سيبويه ، وهو قليل ، والقياس الأول حسن مطرد ، وهو المختار . للطلق والتقدير من القوافي

ومن أم أمّور الغايات معرفة ما يُنشد من الشعر مطلقاً ومقيداً . قال أبو التّاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي : الشعر ثلاثة وستون ضرباً ، لا يجوز إطلاق مقيّد منها إلا انكسر الشعر ، ما خلا ثلاثة أضرب : أحدها في الكامل :

أُبَيٌّ لَا تَقْلَمُ بِحُكَاةٍ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

وهذا هو الضرب السابع يسمى مُذَالاً ، وإن شئت قلت : * ولا الكبير * فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرفّل ، والضرب الثاني في الرمل وهو قول زيد الخليل :

بَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوْا قَرَسِي إِنَّمَا يُفْتَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
وهو الضرب الثاني منه ، فإن أطلقته صار أول ضرب منه ، والضرب
الثالث في التقارب ، أنشد الأصمى وأبو عبيدة :

كَأَنِّي وَرَحْلِي إِذَا زَعَمَهَا عَلَى جَمْرَتِي جَارِي بِالرَّمَالِ
غير أن سيويه أنشد فيها يجوز تقييده وإطلاقه :

صَفِيَّةٌ قَوْمِي وَلَا تَجْزِي وَبَسْكَى النِّسَاءَ عَلَى حَزَّةٍ

وهو من التقارب : إن أطلق كان مجذوفاً ، وإن قيد كان أبت. وقد أنشد
أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري لمعرو بن شاس ، قال : والشعر مقيد

وما بيضة بات الظلمُ يَحْنُهَا إِلَى جُوجُوْ جَافَ بِمِثَاءِ حِلَالِ
بأحسن منها يوم بطن قَوَاقِرٍ تَحْوُضُ بِهِ بَطْنُ الْقَطَاةِ وَقَدْ سَالَ
لطيفةً طَلَى الْكَشْحِ مَضْمَرَةُ الْحِشَا هَضِيمُ الْعِنَاقِ هَوْنَةً غَيْرَ مَجَالِ^(١)
تميل على مثل الكَثِيبِ^(٢) كَانَهَا نَقَا كَلِمَا حَرَكْتَ جَانِبَهُ مَالِ

هذا شيء لم يذكره العروضيون ، وهو عندهم مطلق محمول على الإقواله ،
كما حمل قول امرئ القيس :

أَحْتَفَلُ لَوْ حَامِيْتُ وَصَبْرَتُمُ لَأَتْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَا زُفَانِ
يُنَاكِبُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَفِيَةً وَأَوْجِهَهُمْ عِنْدَ الشَّاهِدِ غُرَانِ
عَوِيرٍ وَمِنْ مِثْلِ الْعَوِيرِ وَرَحْمَةُ وَأَسْمَدُ فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانِ
قَدْ أَصْبَحُوا وَاقَّةً أَصْفَاهُمْ بِهِ أَبْرًا بِأَيْمَانِ^(٣) وَأَوَى بِبَيْرَانِ

(١) في النوادر (ص ٤١) : « هونة غير متغال »

(٢) في النوادر « على ظهر الكتيب » وروى « على ظهر الضنج » .

(٣) رواية الديوان « أبر بآيمان » .

إلا الأخنس والجرمي؛ فإنهما يرويان هذا الشعر موقوفاً، ولا يرَيان فيه إقواء، وهذا عند سيبويه لا بأس به .

وقد صوّبَ الناسُ قولَ الخليل في مخالفة هذا للذهب، وأنشد بعضُ التتعيين أظنه البازي المروسي :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف للمتمد، قال : إلا أنه يدخله عيبٌ
ترك حرف اللين، وهو كثير جداً .

وليس الابتداء والفصل والاعتماد والغاية بطل، ولكنها مواضع الملل؛ فأقيم
للمضاد إليه مقام المضاد .

وأما زحاف الحشو من أهمه معرفة المماثلة والمراقبة : فأما المماثلة فهي أن زحاف الحشو
يتقابل سببان في جزئين، فيما يتماثلان السقوط : يسقط ساكن أحدهما لثبوت
ساكن الآخر، ويثبتان جميعاً، ولا يسقطان جميعاً، والمماثلة بين سببي جزئين
من جميع الأوزان في أربعة أنواع : اللديد، والرملي، والخفيف، والمجثث، وهو
عند الجوهري ضرب من الخفيف، فإذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله
وتدخلة الزحاف فهو برىء من المماثلة؛ إذ ليس قبله ما يعاقبه، ولأن الوجد
لا يعاقب السبب، فإذا زوحف ثاني الجزء لمماثلة ما بعده فهو مجز، فإن زوحف
أوله لمماثلة ما قبله وآخره لمماثلة ما بعده فما طرفان، وإيا مفاعيلن في الطويل
والمرج يعاقب نونها، وكذلك سين مستفعلن في الكامل^(١) تماثلها .

والمراقبة : أن يتقابل السببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما، ولا
يسقطان جملة البتة : وكذلك لا يثبتان جميعاً، وهي من جميع الأوزان في
المضارع والمقتضب، والجوهري يعدُّ المقتضب من الرجز كما قدمت، فهي من

(١) لعله « في الرجز » فإن الكامل « متاعلن » وهو من سبب تقييد وسبب
خفيف بعدها وتد مجموع، وورض كلامه في سببين خفيفين

المضارع في سبهي مفاعيلن - أعنى الياء والنون - إما أن يأتى مفاعيلن مقبوضا أو مفاعيلن مكفوتا ، ومن المقتضب في سبهي مفعولات - أعنى الفاء والواو - إما أن تمحى فقصير مفاعيل^(١) وإما أن تطوى فقصير^(٢) فاعلات ، ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذى قبله - أعنى للمضارع - سالما البته .

والفرق بين المراقبة والمراقبة أن سبهي للمراقبة يقبتان معا ، وأن سبهي للمراقبة لا يقبتان معا ، وأن للمراقبة في جزءين ، إلا ما كان من مفاعيلن في الطويل والمزج ومستغفلن في الكامل^(٣) وأن للمراقبة في جزء واحد .

وسأفرد لباقي الزحاف باباً أذكره فيه مع المشطور إن شاء الله تعالى .
ولست أحمل أحدا على ارتكاب الزحاف إلا ما خف منه وخفى ، ولو أن الخليل - رحمه الله - وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويحمله مثلاً دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مؤحفاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما تمحأ إليه .

ولسنا نرى الزحاف الظاهر في شعر محدث ، إلا القليل لمن لا يتهم كالبهيمى ، وما أظنه كان يعتمد ذلك ، بل على سجيته ؛ لأنه كان بدوياً من قري منبج ، ولذلك أعجب الناس به ، وكثر الفناء في شعره ؛ استطرافاً لما فيه من الخلاوة على طبع البداوة . وذكر ابن الجراح أنه من أهل قنسرين والعواصم .
وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتمم إن شاء غير متكلف به

(١) خبئها : حذف ثانيها الساكن ، وهو الفاء ، فقصير : « معولات » فتقل إلى « مفاعيل »

(٢) طها : حذف رابعها الساكن ، وهو الواو ، فقصير « مفعولات » فتقل إلى « فاعلات »

(٣) لعله « في الرجز » فإن الكامل « متفاعِلن » وهو من سبب قيل فبسبب خفيف بعدهما وتد مجموع ، وفرض كلامه في سببين خفيفين

شعراً إلا ما ساعده عليه الطبع ، وصحَّ له فيه الذوق ؛ لأنني وجدت تكلفَ العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق ، إلا في الشعر خاصة ؛ فإن عمله بالطبع دون العروض أجود ؛ لما في العروض من المساعدة في الزحاف ، وهو مما يُهَيِّجُ الشعر ، ويذهب برونقه .

٢٢ - باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية ، هذا على [رأى] من رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً وافقت أوزانه وقوافيه ويستدلّ بأن المصراع أدخل في الشعر ، وأقوى من غيره ، وأما ما قد أراه قد قدّمته في باب الأوزان .

واختلف الناس في القافية ما هي ؟ فقال الخليل : القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن ، والقافية - على هذا المذهب ، وهو الصحيح - تكون مرةً بعض كلمة ، ومرةً كلمة ، ومرةً كلمتين ، كقول امرئ القيس :

* كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطْلُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ * ^(١)

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروي في اللفظ إلى نون « من » مع حركة الليم ، وهاتان كلمتان . وعلى وزن هذه القافية قوله :

* إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيٌّ عَلَى مِرْجَلٍ * ^(٢)

فالقافية « مِرْجَلٍ » وهي كلمة ، وعلى وزنها قوله :

(١) صدر هذا البيت : * مكر مفر مقبل مدبر ما *

(٢) صدر هذا البيت : * على العقب جياش كان اهترامه *

• وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ التَّيْنِيفِ الْمَمْلُكِ •^(١)

فالقافية من التاء إلى آخر البيت ، وهذا بعض كلمة . وتابعه على هذا أبو عمر الجبري وأصحابه ، وهو قول مضبوط ، يحقق يشهد بالعلم . وقال الأخفش : القافية آخر كلمة من البيت ، واستدل على صحة ذلك بأنه لو قال لك إنسان : اكتب لي قوافي قصيدة لكتبت له كلمات ، نحو : كتاب ، ولما ، وركاب ، وصحاب ، وما أشبه ذلك ، وهو الملتزم بين الناس اليوم ، أعنى قول الأخفش ، وكل كلمة من قوله « عل » وقوله « مَرَجَل » وقوله « الثقل » في شعر امرئ القيس قافية بذاتها عند الأخفش ، فلي هذين القولين مدار الحدائق في معرفة القافية .

ترجيح رأى الخليل
ورأى الخليل عندى أصوب ، وميزانه أرجح ؛ لأن الأخفش إن كان إنما فرّ من جملة القافية بعض الكلمة دون بعضها فقد نجد من القوافي ما يكون فيها حرف الروي وخده القافية على رأيه ، فإن وَزَنَ معه ما قبله فأقامها مقام كلمة من الكلمات التي بعدها قوافي كان قد شارك [في] القافية بعض كلمة أخرى مما قبلها ، فإذا جاز أن يشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة ، مثال ذلك ما شاكل قول أبي الطيب :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فَرَعْتُ فيه بَأَمَالِي إلى الكذب
حتى إذا لم يَدْعُ لي صدقهُ أَمَلًا شَرَقْتُ بالسمع حتى كاد يشرق بي
فالقافية في البيت الأول على قوله « الكذب » لولا أن الألف فيه ألف وصل نَابَتْ عنها لام « إلى » فإن قال : [إن] القافية في البيت الثاني « يشرق بي » رجع ضرورة إلى مذهب الخليل وأصحابه ؛ لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل - وهي ههنا ضمير للتكلم - إلى شين « يشرق » مع حركة الياء

(١) صدر هذا البيت : * يزل الغلام الخف عن صهواته *

التي قبلها في أول الكلمة . وإن جعل القافية باء الخفض التي في موضع الروي وباد الضمير التي قامت مقام الوصل رجع إلى قول من جعل القافية حرف الروي وهو خلاف مذهبه ، وليس بشيء ؛ لأنه لو كان صحيحا لجاز في قصيدته واحلق فجر ، وفجار ، وفاجر ، وفجور ، ومنفجر ، وانفجار ، ومفجّر ، ومتفجر ، ومفجور ، وهذا لا يكون أبداً ، إلا أن الفراء يبيّن زياد قد نص في كتاب حروف للمعجم أن القافية هي حرف الروي ، واتبعه على ذلك أكثر الكوفيين : منهم أحمد ابن كيسان ، وغيره ، وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الهامض ، فقال : القافية ما لم الشاعر تكرر في آخر كل بيت . وهذا كلام مختصر مليح الظاهر ، إلا أنه إذا تأملته كلام الخليل ^(١) بينه لا زيادة فيه ولا نقصان .

ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت : قال أبو القاسم عبد الرحمن رأى آخر في الزجاجي : بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت ، وحكى القافية أنهم سألوا أعرابيا وقد أنشد :

• بَنَكْتُ وَمَطَّاءَ عَلَى خَدِّ اللَّيْلِ •

ما القافية ؟ فقال : « خَدُّ اللَّيْلِ » . ولا أدري كيف قال أبو القاسم هذا ؟ لأن « خَدَّ اللَّيْلِ » كلمتان وليستا حرفين إلا اتساعا ، وهذا هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ، ولو قال قائل : إن الأعرابي إنما أراد آلياء واللام من « اللَّيْلِ » على مذهب من يرى القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائفاً ؛ لأن الأعرابي لا يعرف حروف التهجي فيقول القافية آلياء واللام من « اللَّيْلِ » فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .

(١) لا ، بل هو قول الفراء إذا تأملت بين النصفة ؛ لأن الذي يلزمك تكراره في آخر كل بيت هو حرف الروي ، وأما ما عدها فليس لازماً بنفسه أبداً

أداء أخرى ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت ، وقال : لا يسمى بيتاً من الشعر مادام قسياً أول .

ومنهم من قال : البيت كله هو القافية ؛ لأنك لا تبنى بيتاً على أنه من الطويل ، ثم تخرج منه إلى البسيط ، ولا إلى غيره من الأوزان .

ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها ؛ وذلك اتساع وبجاز .

لم يعبت القافية سميت القافية قافية لأنها تقفو إثر كل بيت ، وقال قوم : لأنها تقفو أخواتها ، والأول عندى هو الوجه ؛ لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يجز أن يسمى آخر البيت الأول قافية ؛ لأنه لم يقف شيئاً ، وعلى أنه يقفو أثر البيت يصح جداً ، وقال أبو موسى الحامض : هي قافية بمعنى مقفوة ، مثل « ماء دافق » بمعنى مدفوق ، و « حبشة راضية » بمعنى مرضية ، فكأن الشاعر يقفوها ، أى يتبها ، وهذا قول سائق متبعه .

وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات مالا غنى عن ذكره في هذا الموضوع مجملاً مختصراً للبيان والإيضاح ، إن شاء الله تعالى .

حروف
القافية
وحركاتها

فأقول : إن الشعر كله مطلق ومقيد ؛ فالمقيد ما كان حراً في الروي فيه ساكناً ، وحرف الروي الذي يقع عليه الإعراب ، وتبنى عليه القصيدة ، فيتكرر في كل بيت وإن لم يظهر فيه الإعراب لسكونه ، وليس اختلاف إعرابه عيباً كاهو في المطلق إقواء ، وحركة ما قبل الروي في المقيد خاصة دون المطلق على رأى الزجاج وأصحابه توجيه ، وقال غيره : في المطلق والمقيد جميعاً يسمى التوجيه ، ما لم يكن الشعر مرزقاً ، ويجوز في التوجيه التثنية ؛ فيكون سناداً عند بعض العلماء ، وكان الخليل يميزه على كره من جهة الفتحة ، فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء في الرفع ، والفتحة كالألف ، وأنشدوا :

* أَحَارِبَنَّ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِيرٌ *

وفي القصيدة :

* وكندة حولى جميعاً صُبُرُ *

وفيها :

* نَحَرَكَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قَرُ *

فاختلف التوجيه : بالكسر ، والضم ، والفتح . وقد سَمَّى ابن قُتَيْبَةَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وغيرهما هذا العيبَ إجازةً ، إلا أن منهم من جعل الإجازة اختلاف حركة الروي فيما كان وصله هاء نساكة خاصة ، وأنشدوا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَعْقُو وَيَشْتَدُّ انتقامُهُ

فِي كَرِهِهِمْ وَرِضَاهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ اهْتِصَامَهُ

وأنشد آخرون في مثل ذلك ، إلا أن منهم مَنْ أطلق الماء :

فَدَيْتُ مَنْ أَنْصَفَى فِي الْمَوَى حَقَّ إِذَا أَخْصَكَمَهُ مَدَّةُ

أَمْنٍ مَا كُنْتُ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي قَبْلَ صَفَا الْعَيْشِ لَهُ كُلُّهُ ؟

وكان ابن الروي يلزم حركة ما قبل الروي في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتداراً : صنع ذلك في قصيدته القافية في السَّودَاء ، وفي مطولته :

* أَتَيْنَ ضُلُوعِي جَمْرَةً تَتَوَقَّدُ ؟ *

قال شيخنا أبو عبد الله : الإجازة - بالزاي معجمة - اختلاف حركات ما قبل الروي ، وهو مأخوذ من إجازة الحبل ، وهو : تَرَأكِبُ قَوَاءَ بعضها على بعض ، فسكان هذا اختلفت قُوَى حركاته . وقد حكى ابن قُتَيْبَةَ عن ابن الأعرابي مثل قول أبي عبد الله ، وقال : هو مأخوذ من إجازة الحبل والوتر .

والمطلق نوعان : أحدهما : ما تبع حرفَ رويهِ وصلٌ فقط . والوصل أحد أربعة أحرف : الياء ، والواو ، والألف ، والهاء ، ينفرد كل واحد منها بالقصيدة حتى تكمل ؛ فما وصله ياء :

﴿ قَا تَبِكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

فبعد اللام ياء في اللفظ ، لا يقوم الوزن إلا بها ، ومما وصله وار :

﴿ أَمِنْ اللَّوْنِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ﴾

فبعد المين في اللفظ واو كذلك ، ومما وصله ألف :

﴿ أَمِيتُهَا النَّفْسُ أُنْجِلِي جَزَعًا ﴾

فبعد المين ألف ثابتة في الخط ، وإنما أُمِيتوها دون الياء والواو لخفتها مرة وكونها عوضاً من التثوين مرة ، ومما وصله هاء :

﴿ أَشَجَّكَ الرَّبِيعُ أُمَّ قَدَمَةٍ ﴾

وكلُّ وصلٍ ساكن ماخلا الهاء ، فإنها تكون ساكنة ومتحركة ، وسيرد عليك ذكرها إن شاء الله تعالى . . وإذا كان ما قبل الواو والياء والهاء ساكناً أو كانت مضاعفة لم تكن إلا حروف روى لا غير ؛ لأن الوصل لا يكون ما قبلها ساكناً ، ولعلنا أن المقيد لا وصل له^(١) فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكناً لأنها أخف من ذلك ؛ وإذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكتين لم يكونا إلا رَوِيَا عند سيويه ، وإذا انكسر ما قبلهما وانضم كنت فيهما بالخيار ، وكذلك الألف ، إذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار . وأما الياء المشددة للكسور ما قبلها مع الياء المشددة المفتوح ما قبلها فرأى القاضي أبي الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون الكسور ما قبلها ردفاً ويكون المفتوح ما قبلها إما ردفاً لما بقي فيها من المد وإما غير ردفاً لذهاب أكثر المد منها ؛ فتسكون على المذهب الأول مثل « قَصِينَا » مع « رَضِينَا » وهذا سناد ، وعلى المذهب الثاني مثل إرداف بيت وترك إرداف الآخر ، كقول حسان بن ثابت * ولانوصه * في بيت ، ثم

(١) في التونية : « لأن ما يكون ما قبله ساكناً مقيد ، والمقيد لا وصل له »

قال في الآخر : * ولا تمصيه ^(١) * وهذا أيضاً سناد . وله رأى ثالث ، وهو أن تكون الياءان لما أدغمت إحداهما في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد ، وصار التزام التشديد اختياراً من الشاعر ، وإلا فترك التشديد جائز له . وهذا قول الخليل والأخفش جميعاً ، وقد أنكره الجرمي وأبو سعيد السيرافي ، وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة ، إلا أن تكون من نفس الكلمة ؛ فإنك تكون فيها بالخيار : إن شئت جعلتها روياء ، وإن شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ما قبلها فجعلته روياء . وكثيراً ما يسقط الشعراء في هذا النوع ، قال أبو الطيب :

أنا بالوشاة إذا ذكرتكَ أشبهُ تأتي الندى ويدّاع عنك ففكره
وإذا رأيتكَ دون عرض عارضا أيقنتُ أن الله بيني نصره

فغلط في التصريح لأنه التزام فيه الماء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين وسمع بهاء « تكره » فصيها صلة وإن كانت من نفس الكلمة . وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال :

أفنى المدة إماماً ماله شبهُ ولا ترى مثله يوماً ولم ترهُ
ضار إذا انقضَّ لم تُحرّم مخالفه مستَوْفٍ لا تُبَاجِ الحقّ منبهِ
ما يحسن القطرُ أن ينهل عارضهُ كما تتابع أيام الفسوح لهُ

(١) البيتان اللذان يشير المؤلف إليهما :

إذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل جكياً ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى فشاور لييا ولا تمصه

غير أن نسبتها إلى حسان بن ثابت لم تصح عندنا ؛ فإن ديوانه خال من الشعر

على هذه القافية ، وسيأتي قريباً (ص ١٦٨) ذكر ذلك مرة ثانية

وقال أيضاً يصف كلاب الصيد في أرجوزة :

إن خرطت من قدها لم ترها إلا وما شادت من الصيد لها
تمسكها عضاء ولا يدعى به غريزةً منها أو تفتقها
ووقع بشار بن برد - على تقدمه عليها - في مثل ذلك ، فقال :

الله صورها وصيرها لاهك أو لم تلقها ترها
نصباً لعينيك لا ترى حسناً إلا ذكرت لها به شَبها

ولا أعلم أن أحداً من العلماء تسامح في مثل هذا ، بل هو عندهم عيب كالإكفاء ، وروى بيت بشار « نَها » بالنون والزاى ، جمع نَها ، ولا عيب فيه على هذا . وهاء حمزة وطلحة لا تكون إلا صلة ، وإذا تحركت هاء التانيث كتبت فيها بالتيار : إن شئت التزمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجازاً ، وإن شئت التزمتها فكانت على حقتها رويًا . وهذا رأيهم في كاف المخاطب مع التأسيس : إذا شاءوا جعلوها رويًا فلم يلتزم ما قبلها ، وإن شاءوا جعلوها مقام الصلة والتزمو ما قبلها مجازاً ، وهو الأجود ؛ لاختيار الشعراء إياه قديماً على اتساعهم في تركه . قال القاضي أبو الفضل : مَنْ زعم أن التاء والكاف يكونان وصلًا فإنما حمله على ذلك أنه رأى بعض الشعراء قد لزم في بعض شعره حرفاً لم يفارقه فظن ذلك الحرف رويًا . وإنما لم يميز عنده كونهما صلة لأنهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما في الهاء . وقال من جعل التاء صلة كالهاء : إنها تجيء للتانيث مثلاً ، وتكون اسماً كما تكون الهاء اسماً ، وتزاد كما تزاد الهاء ، وإن الهاء تنقلب تاء في درج الكلام ، وشبه الكاف بالهاء لأنها حرف إضمار مثلها ، وأنها تكون اسماً للمجرور والمنصوب كالهاء .

والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصفه خروج ، ولا يكون ذلك الوصل إلا هاء متحركة ، نحو قول الشاعر :

والشيخُ لَا يَتَوَكُّأُ أَخْلَافَهُ حَتَّى يُؤَارَى فِي ثَرَى رَسْمِهِ
فالسین حرف الروی ، وحرکتها مجری ، وإن شئت إطلاق ، كلاهما يقال ،
والهاء وصل ، وحرکتها غاذ ، وبعدها فی اللفظ یاء هی الخروج ، ولو كانت الهاء
مضمومة كان الخروج واواً ، أو مفتوحة كان الخروج ألفاً . ولا یكون حرف الروی
إلا فی أحد ثلاثة مواضع : إما متأخراً كقول طرفة :

• غُلُوقَةُ أَطْلَالٍ بِرُفْقَةٍ تَهْمِدُ •

فالدال روى ، وإما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم :

• أَلَا هَيَّ بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِيْنَا •

فالنون حرف الروی ، أو قبل للمتأخر بحرف كقول ليبيد :

• عَقَّتِ الدَّيَّارَ مَحَلِّهَا فَقَامَهَا •

فاليم حرف الروی ، وهذه للمواضع المذكورة إنما هی فی اللفظ لا فی الخط ،
ولا یكون حرف الروی - إذا كان بعده شيء - إلا متحرراً ؛ لأن القيد لاشيء
بعده ، وأنشد بعضهم :

• شَلَّتْ يَدَا غَارِيَةِ قَرْنَهَا •

على أن التاء حرف روى ، فَرَدَّ ذَلِكَ الْعُلَاءُ بِاللَّهْلِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا ، وَقَالُوا : إِنَّمَا
التزم التاء والراء قبلها اتساعاً ، وإلا فالهاء هی الروی .

وكل شعر فلا بد أن يكون : مطلقاً ، أو مقيداً ، ثم لا بد أن يكون : مُرَدِّقاً
أو مؤسَّساً ، أو معرّضاً منهما مجرداً .

فالمُردِّف نوعان : تشترك الياء والواو فی أحدهما ، نحو قول علقمة
الفضل :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ يُبَيِّدُ الشَّبَابَ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

فالياه فی « مشيب » مقام الواو فی « طَرُوب »

وتنفرد الألف بالنوع الآخر نحو قول امرئ القيس :

* ألا عم صَبَاحاً أيها الطَّلُّ البالي *

لا بشركتها غيرها ، والحركة التي قبل الـرَدَف — ياء كانت أو واو أو ألفاً — تسمى الحَذْوُ ، وقد تَجَرَّ الضمة واواً في اللفظ ، والكسرة ياء ، وذلك مع هاء الضمير ، فتكون ردفاً ، وإن لم تثبت في الخط ، نحو قول ابن المعتز :

صَمَّخُوا عَارِضَهَا بِالسِّمِكِ فِي خَدِّ أُسَيْلٍ

تحت صَدْعَيْنِ يُشِيرَا نِإِلَى وَجْهِ جَمِيلٍ

عندى الشوق إليه والتناسى عنده لى

ومن الـرَدَف ما تكون حركة الحَذْوِ فيه مخالفة للـرَدَف ؛ فيجعل شعراً على جهته ؛ فإن دخل مع غيره كان سِنداً ، وذلك مثل هَوَلٍ وَسَيْلٍ يكونان في قصيدة ، ولا يكون معهما سُولٌ وفيل .

وقياس للـرَدَف فى الرّصل والخروج وغير ذلك من حروف الروى وحركته جار على ما تقدم فى المجرّد من الـرَدَف ، إلا الحَذْوُ والتوجيه ؛ فإن المقيد يمتص بالتوجيه ، وهو الروى ، والمردف يمتص بالحَذْوُ ، وهو حركة ما قبل الـرَدَف ، وإن كان الـرَدَف مقيداً سقط التوجيه وبقي الحَذْوُ ؛ لأن الـرَدَف قد سد موضع التوجيه .

وقد يلتبس بالمردف ما ليس بمردف فيجتنبه الشعراء ، مثل « فيهم » مع « منهم » وهو جائز ؛ لأن الهاء ليست روتياً فتكون الياء ردفاً وإنما الروى الميم ، ويجتنبون « منكم » مع « منهم » وذلك جائز لا عيب فيه ؛ لما قدمت آنفاً .

وكان ابن الروى خاصة من بين الشعراء يلتزم ما لا يازمه فى القافية ، حتى : إنه لا يعاقب بين الواو والياء فى أكثر شعره قدرة على الشعر واتساع فيه .

والأجود أن يكون الردف والروى جميعاً في كلمة واحدة ، فإذا كانا في كلمتين فلا بأس .

للمؤسس

والمؤسس من الشعر: ما كانت فيه ألفٌ بينها وبين حرف الروى حرف يَمْجُوزُ تغييره ؛ فذلك الحرف يسمى الدخيل ، وحركته تسمى الإشباع ، ويمجوز تغييرها عند التحليل ، ولا يَمْجُوزُ عند أبي الحسن الأخفش ، مثال ذلك ما أنشدناه أبو زكريا القراء :

نهوى الخليلط وإن أقننا بدمهم إن المقيم مكلفٌ بالسائر
إن للملحى بنا يَحْدَنَ ضُحَى غديرٍ واليوم يومُ لبانةٍ وتَزَاوُرٍ

وهو جائزٌ غير معيب ، وأما القاضى أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل ما دامت إشباعاً جاز فيها التغير بالنصب والتخفيف والرفع ؛ فإذا قيد الشعر وصار موضع الإشباع التوجيه لم يميز الفتح مع واحد منهما ، واعتلّ في ذلك بحال اللطاح غير للمؤسس أن ما قبل رويه جائزٌ تغييره ، فإذا قيد لم يميز الفتح فيه إلا وحده ، فهو سناد ، ويشارك الضم والكسر ، وهذا قول واضح البيان ، ظاهر البرهان ، والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى إن بعضهم لم يسمه لتغيره واضطرابه لكن عدّه فيها لا يلزم القافية فسكت عنه .

وأما الإشباع فالقول فيه ما قدمت ، وإذا كان ألف التأسيس في كلمة وحرف الروى في كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً لِمِملها ، إلا أن يكون حرف الروى مع مضمر متصل أو منفصل ، فإن الشاعر بالخيار : إن شاء جعل الألف تأسيساً ، وإن شاء لم يجعلها تأسيساً ؛ فالتى لا تكون عندهم تأسيساً قول عنتره :

* وَالْتَاذِرَتِي - إِذَا لَمْ أَقْهَمَا - دَمِي *

لما كان الاسم ظاهراً ، وقد أنشد بعضهم في أبيات الغز والمعاينة :

(١١ - السمعاني)

أقول لعمرو حين خود رأه ونحن بوادي عید شمس وهاشم^(١)
 وَهَى : من الوهى ، ورشم : من الرشم للبرق . . وقول الآخر :
 أقول لعمد الله لما لقيته
 ونحن بوادي الروم فوق القناطر
 فالقنا : جمع قناة ، وطير ، أمر من طار يطير ، فرخص فيه لما انكسرت
 حر كدخيله على متعارف الشعر ، وهو كلام حسن الظاهر ، إلا أنه خلاف لما
 قال العلماء ، والتي تكون تأسيساً لكونها مع المضمير قول الشاعر :
 تزيد حمى الكأس السفيه سفاهةً وتترك أخلاق العكریم كما هيا
 وقول جرير :

فردى جمال الحى ثم تمحلى فالك فيهم من مقام ولا ييا
 فهذا ضمير متصل ، والذي قبله ضمير منفصل . .

وبما جاءت الألف فيه غير تأسيس مع المضمير قول الشاعر : وهو من
 شواهد أبي الفتح عثمان بن جنى النحوى :

أية جاراتك تلك الموصية فائلة لا نسقياً بحبلى
 لو كنت حبلأ لسقيتها بيه أو قاصراً وصلته بشوية
 فالألف فى «سقيتها» غير تأسيس ، فإذا كانت الهاء والكاف التى للمخاطب
 دخيلاً لم يخلط الشعراء بها غيرها انشاعاً ، وإلا فهو جائز .
 وأنشد الجرمى لعوف ابن عطية بن الخرم :

(١) أحفظ هذا البيت هكذا :

أقول لعمد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عید شمس وهاشم
 على أن أصل الكلام : « لما وهى سقاؤنا ونحن بوادي عید شمس » ورشم :
 فعل أمر من شام البرق ، ويجوز أن يكون أمراً من قولهم « ورشم » إذا غرز الإبرة
 فى الجسد ؛ فيكون للراد الأمر بجرز السقاء ، وهو ظاهر

فإن شئتما ألقمتما وتُجتمعا وإن شئتما عينا بينكما
وإن كان عقلاً فاعقلاً لأخيكما بنات الخاض والنصال القاحا

ومن اللؤس والمردف ما يلتبس على المبتدى فلا يميزه إلا عن كلفة و بعد
فكرة ، فأوردت منه ما يكون له مثالا يستدل به ويعمل عليه إن شاء الله تعالى .
فإن ذلك تغيير ما قبل الكاف في القافية المؤسسة لأنه دخل ، والكاف روى ،
والتزامه بعد اتساعا ، فإذا كانت موضع الكاف هاء صار الشعر مردفا موصولا
ولم يميز تغيير ما قبل الهاء ؛ لأنك لو غيرته لكنت قد غيرت حرف الروى ، مثال
ذلك قول كثير أو غيره :

ترأغت لوشك البين برزل جالك ولو شئت ما فجعتنى بارتمالك
فالترزم اللام في القصيدة كلها أو في أكثرها ؛ اتساعا ، ولو غير كما فعل ذو
الرمة في قوله :

أما استحلجت عينيك إلا محلة بمجهور حُرْوى أو بمرعاء مالك
أناخت رَوَايا كل دلو بهبها وكل سماكي أجش المبارك
لم يكن عيبا ؛ لأن الكاف رَوِيَّ وصلتها الياء التي بعدها في اللفظ ،
والدخيل راء « المبارك » ولام « مالك » وقد التزمه كثير كأن القافية عنده
لامية مردفة ، فالكاف مقام الهاء صلة على المجاز لا على الحقيقة ، وقال كثير
في المردف :

على ابن أبي العاصي دِلاص حصينة أجاد السددي سردها وأذاها
فاللام روى ، والألف التي قبلها ردف ، والهاء صلة ، والألف التي بعدها
خروج ، ولا يجوز أن يقال لهذه القافية مؤسسة ؛ لأن الهاء إذا تحركت ما قبلها
وليست من نفس الكلمة لم تكن إلا صلة ، وإذا كانت الهاء صلة لم تكن
اللام إلا رَوِيًا ، ولا يجوز تغييرها .

حروف القافية وجميع ما يلحق القوافي من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات، فالأحرف: الروي، والردف، والتأسيس، والوصل، والخروج، والدخيل؛ والحركات: الإطلاق، والحذو، والرس، والتوجيه، والنفاذ، والإشباع، والذي يجتمع منها في قافية واحدة خمسة أحرف، وهي: التأسيس، والروي، والصلة، والخروج، والدخيل؛ وكلها يلزم تكراره بعينه إلا الدخيل، وأربع حركات، وهي: الرس، والإشباع، والإطلاق، والنفاذ، وذلك مثل قول الشاعر^(١):

بُوشِكُ مَنْ قَرَّ مِنْ مَنِيتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُؤَاقِبُهَا

ولا يجتمع في قافية الحذو والرس، كما لا يجتمع الردف والتأسيس، وكذلك لا يجتمع أيضاً التوجيه والإشباع، فيسقط التوجيه إذا كان المؤسس مطلقاً، ويسقط الإشباع إذا كان للمؤسس مقيداً

وقد أنكر الجرمي والأخفش وأصحابهما على التحليل تسمية الرس، وقالوا: لا معنى لذلك هذه الفتحة؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، وإنما احتيج إلى ذكر الحذو قبل الردف لأن الحذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو..

عيوب الشعر وما يجب أن يراعى في هذا الباب الإقواء، والإكفاء، والإيفاء، والسناد، والتضمين؛ فإنها من عيوب الشعر.

فأما الإقواء والإكفاء فاختلف العلماء فيها وفي اشتقاقها.. وأما السناد

(١) هذا البيت من شواهد سيبويه (ج ١ ص ٤٧٩) وهو من شواهد الأشموقي (ج ٢ ص ١٧٤) وشرحناه في شرحنا عليه شرحاً وافياً. وهو لأمية بن أبي الصلت، وبعد:

من لم يمت عبطة يمت هرمًا للوت كأس وللره ذاتهما

والإبطاء فاتفقوا فيها دون اشتقاقهما .

وعند أكثر العلماء : اختلاف إعراب القوافي إقواء ، وهو غير جائز لمولد ، وإنما يكون في الضم والكسر ، ولا يكون فيه فتح ، هذا قول الحامض .. وقال ابن جني : والفتح فيه قبيح جداً ، إلا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة يسمون هذا إكفاء ، والإقواء عندهم : ذهاب حرف أو ما يقوم مقامه من عروض البيت ، نحو قول الشاعر — وهو بجير بن زهير بن أبي سلمى :

كانت علاة يوم بطن حنينٍ وغداةٍ أوطاس ويوم الأبرق^(١)

واشتقاقه عندهم — فيما روى النحاس — من « أقوت النار » إذا خلت ، كأن البيت خلا من هذا الحرف . وقال غيره : إنما هو من « أقوى القاتل حنينة » إذا خالف بين قوَاه فجعل إحداها قوية والأخرى ضعيفة ، أو مرة والأخرى سحيقة ، أو بيضاء والأخرى سوداء ، أو غليظة والأخرى دقيقة ، أو أحمل بعضها دون بعض أو انقطع ، وهذا يسميه التخليل المقعد ، وهو من باب الوزن ، لا من

(١) قال ابن هشام (ج ٣ ص ٢٦) : « ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد القتال قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف ثم ذكر تسعة أبيات أولها هذا البيت » اهـ وقال السهيلي (ج ٢ ص ٣٠٥) : « وقوله كانت علاة يوم بطن حنين : هذا من الإقواء ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر القسم الأول من السكامل ، وهو الذي كان الأصمعي يسميه للمقعد ، والعلاة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . يريد أن هوازن جمعت جميعاً علاة في ذلك اليوم . وحذف التنوين من علاة ضرورة ، وأضمر في كانت اسمها وهو القصة . وإذا كانت الرواية بخفض يوم فهو أولى من التزام الضرورة التبيحة بالنصب ، ولكنني ألفتته في النسخة للقبيلة . وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جازي في علاة أن يكون منصوباً على خبر كان ؛ فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع على أن تكون كان تامة » اهـ كلامه .

الإكفاء

باب القافية ، والجمهور الأول من العلماء على خلاف رأى أبى عبيدة فى الإقواء .
وأما الإكفاء فهو الإقواء بعينه عند جلة العلماء : كأبى عمرو بن العلاء ،
والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وهو قول أحمد بن يحيى ثعلب ، وأصله
من « أ كفأت الإناء » إذا قلبته ، كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهى ضدها ،
وقيل : من مخالفة الكفوة صواحبا ، وهى النسيجة من نساج الخبأ تكون فى
مؤخره ، فيقال : بيت مكفأ ، تشبيهاً بالبيت المكفأ من اللساكن إذ كان مشبهاً به
فى كل أحواله .. قال الأخفش البصرى : الإكفاء القلب ، وقال الزجاجى وابن
دريد : كفأت الإناء إذا قلبته ، وأكفأته إذا أملتته ، كأن الشاعر أمال فيه بالضمة
فصيرها كسرة ، إلا [أن] ابن دريد رواها أيضاً بمعنى قلبته شاذاً ، وقيل : بل
من المخالفة فى البناء والكلام ، يقال « أكفأ البانى » إذا خالف فى بنائه ، و« أكفأ
الرجل فى كلامه » إذا خالف نظمه فأفسده ، قال ذو الرمة :

ودوية قفر ترى وجهه ركبا إذا ما علوها مكفأ غير ساجع

وقال المفضل الضبي : الإكفاء اختلاف الحروف فى الروى ، وهو قول محمد
ابن يزيد اللبرد ، وأشد :

فبَحَثَ من سالفٍ ومن صُدِّغَ كأنها كُشِيَّةٌ ضَبَّ فى صُدُغٍ

فأتى بالعين مع النين ، وأشتقاقه عنده من المماثلة بين الشيتين ، كقواك : فلان
كف فلان ، أى : مثله ، قال : ومنه كافأت الرجل ، كأن الشاعر جعل حرفاً
مكان حرف ، والناس اليوم فى الإكفاء على رأى للمفضل ، وهو عيب لا يجوز
أيضاً لحدث ، ولا يكون إلا فيما تقارب من الحروف ، وإلا فهو غلط بالجملة ،
هذا رأى الأخفش سعيد بن مسعدة ، والخليل يسمى هذا النوع : الإجازة .

الإجازة
و الإجازة

قال الفراء : الإجازة فى قول الخليل : أن تصكون القافية طاءً والأخرى

دالاً ، وقال أبو إسحاق النجيري : الإجازة بالراء لا غير وهي من الجوار ، وهو اللوح ، قال ابن السكيت : وهو الماء الكثير ، وأنشد لقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام :

﴿ وَلَوْلَا اللَّهُ جَارِيهَا الْجَوَارُ ﴾

قال الهلبي : ورأيت بخط الطوسي والسكري بالراء ، وهو قول الكوفيين ، فاما البصريون فيقولون « الإجازة » بالزاي ، حكى ذلك ابن دريد . .

وقال بعض شيوخنا : الإجازة في القوافي مشتقة من الجوار في السكون والدُّمام ، ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف ، فكأن الحرف جاور الآخر ودخل في دمامه ، وقال قوم : بل هي من الجور ، كأن القافية جارت ، أي : خالفت القصد ، وأجارها الشاعر ، أي : صيرها كذلك ، وعلى هذا يصح قول النجيري فإذا تأملنا أقاويل العلماء وجدنا الإجازة — بالزاي — اختلاف الترجيح ، وهو حركة ، والإجازة — بالراء — اختلاف الروي ، وهو حرف ، وليس هذا من هذا في شيء ، فكأن العلماء لم يختلفوا حينئذ ؛ لأن التسمية اختلفت باختلاف المسمى .

ومثل الإجازة الإصراف ، حكاه شيخنا أبو عبد الله ، قال : وهو أن تكون القافية دالاً والأخرى طاءً ، والقصيدة مصرفة ، ولذلك قال الشاعر :

مُقَوِّمَةٌ قَوَافِيهَا وَتَيْسَتْ بِمَصْرِفَةِ الرُّوْيِ وَلَا سَنَادَ

وأما السناد فأنواع كثيرة : منها — وهو للشهور — أن يختلف أخذو ، وهو حركة ما قبل الردف ، فيدخل شرط الألف — وهي الفتحة — على الياء والواو كقول الفضل بن العباس الهلبي :

﴿ وَامْلِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ خُوشَا ﴾

ثم قال :

* وَبِنَا سَمِيتَ قَرِيْشُ قَرِيْشًا ^(١) *

وهو كثير [جائز] للعرب غير جائز للمولدين، ومنها اختلاف الإشباع، كقول النابغة:

* يَزْنِ الْأَلَا سِيرَهْنَ التَّدَاغُ *

والقصيدة كلها إشباع، ومنها إرداف قافية ونجريد أخرى، كقول ^(٢) حسان بن ثابت في قافية :

* فَأَرْسَلْ حَكِيْمًا وَلَا تُوصِهْ *

وقال في أخرى :

* وَشَاوِرْ لَيْبِيًّا وَلَا تَمْنَحْ *

ومنها تأسيس قافية دون أخواتها، كقول العجاج :

* تَخْدِفُ هَامَةٌ هَذَا ^(٣) الْعَالَمُ *

وأول هذه الأربعة :

* يَا دَارَ سَقَى يَا سَقَى ثُمَّ اسْلَمِي *

وكلها غير مؤسسة إلا هذا البيت وحده، ويقال : إن لفته الهمز، فإذا همز لم يكن تأسيساً. ومنها اختلاف التوجيه، نحو قول امرئ القيس بن حجر :

(١) في خزانة الأدب (ج ١ ص ١٨٩ السلفية) نسبة هذا البيت إلى الشمرخ ابن عمرو الجعفي، ورواه هكذا :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً
ورواية البيت في لسان العرب كروايته في الخزانة غير أنه لم ينسبه

(٢) انظر (ص ١٥٧) من هذا الجزء

(٣) وأكثر علماء العربية يروونها هكذا * تخدِفُ هامة هذا العالم *

— مهترزاً فلا شاهد المؤلف فيه — وسينذكر المؤلف بعد ذلك هذه المقالة

لا وأبيك ابنة العاصري لا يدعي القوم أني أفز

ثم قال:

تميم بن حرّ وأشياها وكندة حوى جميعاً صبر
إذار كبو الخليل واستلأموا تحرفت الأرض واليوم قر

فأقبل الراء في البيت الأول مكسور ، وفي الثاني مضموم ، وفي الثالث مفتوح ، وليس هذا بعيب شديد عندهم .

قال الزجاجي : السناد : كل عيب يلحق القافية ، ما خلا الإقواء والإكفاء والإيطاء ، وهذا قول فيه بيان واختصار .

وقال علي بن عيسى الرمانى : السناد : اختلاف ما قبل حرف الروى أو بعده على أى وجه كان الاختلاف : بمحركة كان ، أو بحرف ..

وقال ابن جنى : السناد : كل عيب يحدث قبل الروى .

واشتاق السناد من « تساند القوم » إذا جاءوا فرقاً لا يقوهم رئيس واحد ، وقيل : بل هو من قولهم « ناقة سناد » إذا كانت قوية صلبة ؛ لأن الياه الصلبة أقوى في النطق من الياه اللينة . . وقالوا : بل السناد الناقة للشفرة ، كأن إحدى القوافي أشرفت على أخواتها .

وأما الإيطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية وم معناها واحد ، كما قال امرؤ القيس^(١) في قافية * مَرَّحَةٌ مَرَّقَبٍ * وفي قافية أخرى * قَوْقَ مَرَّقَبٍ * وليس بينهما غير بيت واحد . . وكلما تباعد الإيطاء كان أخف ، وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم ، أو من نسيب إلى أحدهما ، ألا ترى إلى

(١) البيتان هما :

عظيم طويل مطمئن كأنه بأفـل ذيـما وانـسـرحـة مـرـقـب

له أيطلا ظلي وساقا نعمة وصهوة غير قائم فوق مرقب

ووقع في الأصول * سرح مرقب * والسرحة : الشجرة العظيمة ، والسرح : جمعها

قولهم « دَخَ ذَا » و « عَدَّ عَنْ ذَا » فكأن الشاعر في شعر آخر ، وأُفِيحَ من هذا الإيطاء قول تميم بن أبي [بن] مقبل :

أو كاهنراز رُدِّيْتِ تَدَاوَلَهْ أَيْدِي التَّجَارِ فزادوا متنه لينا

ويروى * تذاوقه * ثم قال في القصيدة غير بعيد :

نازَعْتُ أَلْبَابَهَا لِي بِمَتَصِدٍّ من الأحاديث حتى زِدْتَنِي لينا

فكرر القافية والمعنى مع أكثر لفظ القسم ، وأشدُّ من ذلك قول أبي

ذؤيب في بنيهِ :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتَخَرُّمُوا ، ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فصرعته تحت العجاج فجنبه مترب ، ولكل جنب مصرع

فكرر ثلث البيت .. وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما

لم يكن إيطاء عند أحد من العلماء ، إلا عند الخليل وحده ، فإن « يزيد » عنده بمعنى الاسم و « يزيد » بمعنى الفعل إيطاء ، وكذلك « جَوْن » للأبيض والأسود ، و « جَلَل » للكبير والصغير ، وإذا كان أحد اليمين نكرة والآخر معرفة لم يكن إيطاء ، وكذلك « ضَرَبَ » للواحد و « ضربا » للاثنتين ، و « لم تضرب » للمذكر و « لم تضربي » للمؤنث ، و « من غلام » و « من غلامى » مضافاً ، كل هذا ليس بإيطاء . . وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك « لزيد » و « بزيد » وعلى الفعل كقولك « أضرب » و « يضرب » و « تضرب » في مخاطبة المذكر والحكاية عن المؤنث ؛ فكل ذلك إيطاء ..

والإيطاء جائز للمولدين ، إلا عند الجحى وحده ؛ فإنه قال : قد علموا أنه

عيب . . وقال القراء : إنما يواطء الشاعر من عيب ، وإذا كرر الشاعر قافية
للتصريح في البيت الثاني لم يكن عيباً ، نحو قول امرئ القيس :

• خليلي مرأى على أم جندب •

ثم قال في البيت ^(١) الثاني • لدى أم جندب • واشتقاقه من اللوافة ، قال
الله عز وجل : « لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » أي : ليوافقوا . . وقال قوم :
بل الإيعاء من الوطاء ، كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها ، كما قال توبة يخاطب
بسل ليلي الأخيلية :

لعلك يأتيساً نرأ في مريرة تعاقب ليلي أن ترائي أزورها
على دماء الثبدن إن كان يملها يرى لي ذنباً غير أني أزورها

والتضمين : أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها ، كقول النابغة التميمي :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ ، إنى
شهدت لهم مواطن صالحات وثقت لهم بحسن الفن متى

وكلاً كانت اللفظة للتلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً
من التضمين ، ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير :

ديار التي بئت حبالي وصرت وكنت إذا ما الحبل من خلة صريم
فزعت إلى وجنأ حرف كأما بأقربها قار إذا جلدتها استحم

(١) البيتان هما :

خليلي مرأى على أم جندب لنقص حاجات الفؤاد المذبذب
فإنك إن تنظرائ ساعة من الشعر تنفسي لدى أم جندب

وقد روى عجز البيت الأول على عدة وجوه أفضلها ما أثبتناه ، على أن الهم
في « لنقص » لام التعليل ، والقول بعدها منصوب بالفتحة الظاهرة .

وأخف من هذا قول إبراهيم بن هريرة :

إما ترى شاحبا مبتذلا كالسيف يخلق جفنه فيضيق
قرب لثة لينة قد نلتها وحرامها بحلالها مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة :

لمرى وما دهرى بتأين هالك
لقد كفن للنهال تحت رداه ففى غير مبطن المشيات أزوعا
ورعا حالت بين يقي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط
الشاعر فى المعانى ، ولا يضره ذلك إذا أجاد .

ألقاب القوافي وجميع القوافي كلها خمسة ألقاب : للتكاثر ، وهو : أربع حركات بين ساكنين ، وله جزء واحد وهو فعلن ، والقراء لا يمدده ؛ لأنه عنده من المتدارك ؛ لأن فعلن إما هى مستعملن حَزَافَ السبيين ؛ والمتراكب ، وهو ثلاث متحركات بين ساكنين ، ولها جزءان مفاعلتن وفعلن ؛ والمتدارك ، وهو : حركتان بين ساكنين ، وهو نحو مفاعلتن ومتفاعلتن ومستعملن وفاعلتن ؛ والمتواتر ، وهو : ما توالى فيه متحرك بين ساكنين ، نحو مفاعلتن وفاعلتن وفعلاتن ومفعولن ؛ والمترادف ، وهو : ما اجتمع فى آخره ساكنان نحو فاعلتان ومتفاعلتان ومستعملتان ، وما أشبه ذلك .

ولا يجتمع نوعان من هذه الأنواع فى قصيدة ، إلا فى جنس من السريع ؛ فإن المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب ، إذا كان الشعر مقيدا كقول المرقش فى بيت (١) :

* وأطراف الألف عَمَ *

(١) هو بتمامه :

النسر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الألف عَم

وفي بيت (١) آخر :

* قد قلت فيه غير ما تعلم *

(٢٣) — باب التقفية والتصريع

هذا باب يُشكل على كثير من الناس علمه ، ويلحقه عيب سماء قدامة التجميع ، كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين ، ورأيت من يقول : التجميع بالخاء — كأنه من أُلْتَمِعَ في الرجل ، وسأذكره في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته ، نحو قول امرئ القيس في الزيادة :

فَتَأْتِيكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَغَيْرِ قَانٍ وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَزْمَانٍ

وهي في سائر القصيدة مفاعِلن ، وقال في النقصان :

لَمِنْ مَطْلَلٍ أَبْصَرْتُهُ فَسَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي

فالضرب فصولن ، والعروض مثله لمكان التصريع ، وهي في سائر القصيدة مفاعِلن كالأولى ؛ فشكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مُصَرِّع .

والتقفية : أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة ، فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا في السجع خاصة ، مثال ذلك قوله :

(٢) لم يتيسر لي الوقوف على نسخة كاملة من شعر الرقش الأكبر ، ولم أقف في المختار من شعره على البيت الذي عجزه هذا الذي ذكره للؤلؤف ، ولكنني وجدت في معاهد التبيين للعباسي (ح ١ ف ١٦٢) كثيرا من أبيات القصيدة التي منها هذان البيتان ، ومن أبياتها التي يستشهد بها على نحو ما ذكره للؤلؤف قوله :

الدار قعر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء اللراء ما يعلم

قال العباسي : « وهي قصيدة طويلة ليست بصحيفة الوزن ، ولا حسنة الروي ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى . قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئا يستحسن إلا قوله : النسر مسك . . . البيت » اه كلامه .

فقال نبتك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فغومل
فهما جميعاً مفاعلن ، إلا أن العروض مقفى مثل الضرب ، فكل ما لم
يختلف عروض بيته الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة إلا فى السجع فقط
فهو مقفى .

اشتقاق
التصريح

واشتقاق التصريح من مصراعى الباب ، ولذلك قيل لنصف البيت «مصراع» ،
كأنه باب القصيدة ومدخلها ، وقيل : بل هو من الصرعين ، وهما طرأاً النهار ،
قال أبو إسحاق الزجاج : الأول من طلوع الشمس إلى استواء النهار ، والآخر
من ميل الشمس عن كيد السماء إلى وقت غروبها . قال شيخنا أبو عبد الله :
وهما المصران . وقال قوم : الصرع المثل ، وكتب التصريح مبادرة الشاعر القافية
ليعلم فى أول وهلة أنه أخذ فى كلام موزون غير منشور ، ولذلك وقع فى أول
الشعر ، وربما صرّع الشاعر فى غير الابتداء ، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة
أو من وصف شىء إلى وصف شىء آخر فيأتى حينئذ بالتصريح إخباراً بذلك وتنبيهاً
عليه ، وقد كثرت استعمالهم هذا حتى صرّعوا فى غير موضع تصريح ، وهو دليل على قوة
الطبع ، وكثرة المادة ، إلا أنه إذا كثرت القصيدة دل على التكلف ، إلا من
للمتقدمين ، قال امرؤ القيس :

تروح من الحى أم تبكرك وماذا عليك بأن تنظرو؟
أمرح خيامهم أم عثر أم القلب فى إثرهم منحدرو
وشاكك بين الخليلط الشطر فوفين أقام من الحى هر^(١)

(١) تروح : تسير وقت الرواح ، وهو آخر النهار . ويروى الشطر الثانى
* وماذا يضرك لو تنتظر * وللرخ : شجر قصار ينبت بنجد ، والعثر : شجر طوال
بالغور ، وعرضه بهذه البارة أن يقول : أم منجدون أم متغورون ، أى - أيقمون
فى نجد أم فى غور ؟ والشطر : جمع شطير ، وهو القريب ، ويروى البيت الثالث
هكذا :

وفى من أقام من الحى هر أم الظاعنون بها فى الشطر

فَوَالَى بَيْنَ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ مَصْرَعَةٌ فِي الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ يَجْعَلُونَ أَوَّلَهَا :
أَحَارِبْنَ حَمْرٍو كَأَنِّي حَمْرٌو وَيَقْدُو عَلَى اللِّرَّةِ مَا يَأْتُرُ
وَقَالَ عَنقَرَةُ الْعَبْسِيِّ :

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْأَعْجَمِ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ بَيْتٍ وَاحِدٍ :

هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْفَعٍ ؟
يَا دَارَ عَيْبَلَةَ بِلِجْوَاهُ تَكَلَّمِي وَعِجِّي صَبَاحًا دَارَ عَيْبَلَةَ وَاسْلُمِي
فَصَرَعَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ وَالثَّلَاثَ وَالرَّابِعَ .

وَقَوْلُنَا فِي شَعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَعَنقَرَةُ وَغَيْرُهُمَا مِمَّا يَسْتَأْنِفُ مَصْرَعٌ إِنَّمَا هُوَ
بِمَجَازٍ وَجَرَى عَلَى عَادَةِ النَّاسِ ؛ لِثَلَاثِ مَخْرَجٍ عَنِ الْمَتَارْفِ ، وَإِلَّا فَقَدْ يَبِينُ ذَلِكَ أَوَّلًا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَصْرَعْ أَوَّلَ شَعْرِهِ قَلَّةَ اكْتِرَافٍ بِالشَّعْرِ ، ثُمَّ يَصْرَعْ بَعْدَ
ذَلِكَ ، كَمَا صَنَعَ الْأَخْطَلُ إِذْ يَقُولُ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

حَلَّتْ صَبِيرَةٌ أَمْوَاءَ الْمَدَادِ وَقَدْ كَانَتْ تَحْمِلُ وَأَدْنَى دَارَهَا نَكْدَ
وَأَقْرَبَ الْيَوْمِ مِنْ حَلِّهِ الْمَدُّ فَالشَّعْبَتَانِ فَذَلِكَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ

فَصَرَعَ الْبَيْتَ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ .. وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :
أَدَارًا يَحْزَوِي مِجْبَتٍ لِّلْعَيْنِ عَيْبَرَةً فَاهِ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ عِدَّةِ آيَاتٍ :

أَمِنْ مَيَّةٍ اعْتَادَ الْخِيَالُ لِلْمُؤَرَّقِ ؟ نَعَمْ ؛ إِنَّمَا مِثَالُ النَّأْيِ تَطَرَّقُ
وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ قَلِيلًا مَا يَصْرَعْ أَوْ يُنْقِئُ بِالْأَشْعَرِ ، كَقَوْلِهِ :

أَلَمْ تَرَأْنِي يَوْمَ جَوْ سَوِيْقَةٍ بِكَيْتُ فَنَادَتْني هُنَيْدَةُ مَالِيَا
لِجَاءِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْجَالِيَةِ غَيْرِ مُصَرَّعَةٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ يَرِدُ عَلَى جَرِيرِ

تَكَاتُرُ يَرْبُوعٌ عَلَيْكَ وَمَالِكٌ عَلَى آلِ يَرْبُوعٍ فَهَٰذَاكَ مَصْرُوحٌ
وأكثر شعر ذي الرمة غير مُصَرَّع الأوائل ، وهو مذهب الكثيرين
الفحول وإن لم يصد فيهم لقلة تصرفه ، إلا أنهم جعلوا التصريع في مهمات
القصائد فيما يتأهبون له من الشعر ، فذل ذلك على فضل التصريع . وقد قال
أبو تمام وهو قدوة :
وتقفوا إلى الجدوى بجدوى ، وإلما يروقك بيتُ الشعر حين يُصَرِّعُ
فضرب به للثل كما ترى .

والتصريع يقع فيه من الإقواء والإكفاء والإبطاء والسناد والتضمين ما يقع
في القافية : فمن الإقواء ما أنشده الزجاجي ، وهو قول بعضهم :
ما بال عينك منها للاء مهراقٌ سحاً فلا غارب منها ولا راق
ومن الإكفاء قول^(١) حسان بن ثابت ، وأنشده الجاحظ :
ولست بخير من أبيك وخالكسا ولست بخير من معاملة الكلب
ومن الإبطاء قول عبد الله بن المعتز :
يا سائلا كيف حالي أنت العليم بحالي
ومن السناد قول إسماعيل بن القاسم أبي المتاهية :

(١) انظر على أي وجه يتحقق الإكفاء مع التصريع في هذا البيت ؟ نعم إنه
يتصور فيه ذلك النوع من التصريع الذي سماه التجميع وسأني ذكره قريبا ، ولكن
لا يتصور فيه الإكفاء على وجه من الوجهين اللذين سبق له ذكرهما ، ولو كانت
المباراة هكذا « والتصريع يقع فيه من الإقواء والإكفاء . . إلخ ثم يقول : ومن
الإكفاء قول حسان . . إلخ » لكانت أقرب وأحسن ، على أنني لم أجِد هذا
البيت في ديوان حسان .

ويلي على الأظمان ولَوْأ عني بعتة فاستقلوا

ومن التضمين قول البحترى :

عَذِرِي فِيك من لاج إذا ما شَكوتُ الحبَّ قَطْعني مَلَامَا
ومن ابتداء القصائد التجميع ، وهو : أن يكون القسم الأول متهيناً للتصريح
بغافية ما ، فيأتى تمام البيت بغافية على خلافها ، كقول جميل :

يَا بُنَيَّ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتْ فَاسْجِجِي وَخَذِي بِحَبْلِكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ
فتهيات الغافية على الحاء ، ثم صرفها إلى اللام .

ومثله قول حُمَيْدِ بْنِ قُورٍ المَلَالِي :

سَلِّ الرِّبْعَ أَيْ يَمُتْ أُمُّ سَالِمٍ ؟ وَهَلْ عَادَةُ قُرَيْبٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؟
فتهيات له قافية مؤسسة لو شاء ، ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة ، ويروى
* أُمُّ أَسْلَمًا * فخرج عن التجميع .

ومن أشد التجميع قولُ النابغة الذبياني :

جَزَى اللَّهُ عَبْسًا عَبْسَ آلِ بَنِيضٍ جَزَاءَ الْكَلَابِ الْمَاوِيَاتِ وَقَدْ فَضِلَ^(١)
وإنما التجميع فيما شابه الإطلاق ، أو قارب ذلك ، كقول جميل فيما تقدم
وقول حُمَيْدٍ ، وهو كالإكفاء والسناد في القوافي ، إلا أنه دونهما في الكراهية
جداً . . وإذا لم يصريح الشاعر قصيدته كان كالمنسور الداخل من غير باب .

والداخلُ من الأبيات : ما كان قسيمةً متصلاً بالآخر ، غير منفصل منه ، قد
جمعتما كلمة واحدة ، وهو اللدمجُ أيضاً ، وأكثر ما يقع ذلك في عروض^(٢)

(١) انظر (ص ١٤٤) من هذا الجزء

(٢) مثاله قول أبي العلاء للمرى :

أَبْنَاتُ الْمَدْيَلِ ، أَسْعَدُنْ أَوْعَدُنْ قَلِيلُ الْمَرْءِ بِالْإِسْعَادِ
أَبْكَتْ تَلْكَمُ الْحَمَامَةِ أُمُّ غَنَسَتْ عَلَى فَرْعِ غَصْنِهَا لِلْيَادِ

(١٢ - السبعة ١)

الخفيف ، وهو حيث وقع من الأعارض دليل على القوة ، إلا أنه في غير الخفيف
مستقل عند المطبوعين ، وقد يستخفونه في الأعارض القصار : كالمزج ومربوع
الزل وما أشبه ذلك .

ومن الشعر غير للمصرع ما لا يجوز أن يظن جميعاً ، وذلك نحو قول ذى الرمة
واسمه غيلان بن عَقَبَة :

أَنَّ تَرَمَّتَ مِنْ خِرْقَاءَ مَنْزِلَةً مَا الْعِيبَابَةُ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ
لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ، ولا مستعمل مثلها ، وإن كان
استعمالها جائزاً لو وقع .

القواديبي من الشعر نوع غريب يسمونه القواديبي ، تشبها بقواديبي السانية ؛
لارتفاع بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في الجهة الأخرى ، فأول مَنْ رآه جاء
به ملحة بن عبيد الله العوني في قوله من قصيدة له مشهورة طويلة :

كَلَدْتُمِي الْأَبْكَارَ بِالسَّخْبَتَيْنِ مِنْ مَنَازِلِ
بِمَجْهَقٍ لِلْوَجْدِ مِنْ تَذْكَارِهَا مَنَازِلُ
مَعَاهِدٌ رَعِيلُهَا مُتَمَنِّجِرُ الْهَوَاطِلِ
لِمَا نَأَى سَاكِنُهَا فَأَدْمَى هَوَاطِلُ

وهو مربوع الرجز تعتمد فيه الإقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل في
البيتين الأولين من هذه .

ومن الشعر جنس كاه مصرع ، إلا أنه مختلف الأنواع ، وأنا منه عليها إن
شاء الله تعالى .

المسقط فن ذلك الشعر للمسقط ، وهو : أن يتدبى الشاعر بيت مصرع ، ثم يأتي
بأربعة أقسة على غير قافيته ، ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتدا به ،
[و] هكذا إلى آخر القصيدة ، مثال ذلك قول امرئ القيس ، وقيل إنها منحوالة :

توهتُ من هند معالم أجليلالِ عَفَاهُنْ طُولُ الصَّحْرِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي
 مرابعُ من هند خلت ومصابفُ يَصِيحُ بِمَنَاهَا صَدَى وَعَوَازِفُ
 وغيرها هُوجُ الرِّيحِ العَوَاصِفِ وَكُلُّ مُسَفٍّ ثُمَّ آخِرُ رَادِفِ
 * بِاسْمِ مَنْ نَوَّهَ السَّمَاءَ كَيْنَ هَطَّالِ *

وهكذا يأتي بأربعة أقسة على أى قافية شاء ، ثم يكرر قسماً على قافية
 اللام ، وربما كان المسط بأقل من أربعة أقسة كما قال أحدكم :
 خيالٌ هاج لي شَجَنًا فِتْ مُكَابِدًا حَزَنًا
 عَيْدُ الْقَلْبِ مَرْتَهَنًا بِذِكْرِ الْهَوَى وَالطَّرَبِ
 سَبَقِي ظَلِيَّةً عَطَّلُ كَانَ رُضَابُهَا عَسَلُ
 يَنْوَهُ بِمَنْصَرِّهَا كَفَّلُ قَهِيلُ رَوَادِفِ الْحَقَبِ

وربما جاءوا بأوله أحياناً خمسة على شرطهم في الأقسة ، وهو المتعارف ،
 أو أربعة ، ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسة ، كما قال خالد القناس ، أنشده الزجاجي
 أبو القاسم :

لقد نكرت عيني منازل جيرانِ كَأَسْطَارِ رَقٍّ نَاهِجٍ خَلَقٍ فَانِي
 توهمتها من بعد عشرين حبة فَمَا أَسْتَبِينُ الدَّارَ إِلَّا بِرَفَانِ
 فقلتُ لها : حَيْتِ يَادَارَ جِيرَتِي أَيْبَى لَنَا أَنْ تَبَدَّدَ إِخْوَانِي
 وأى بلاد بعد ربك حالفوا فَإِنْ فَوَّادَى عِنْدَ ظَلِيَّةٍ جِيرَانِي
 فجاء بأربعة أبيات كما ترى ، ثم قال بعدها :
 رما نطقت واستعجبت حين كلمت وما رجعت قولاً وما إن ترممت
 وكان شغافى عندها لو تكلمت إلى ولو كانت أشارت وَسَلَّمْتُ
 * وَلَكِنَهَا ضَعَفْتُ عَلَى يَتِيئَانِ *

وهكذا إلى آخرها ، وقد جاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أقسة

مرة واحدة ، ولم يماودها ، ولو عاودها لم يضره ، وكذلك لو نقص ، إلا أن الاعتدال أحسن .

اشتقاق
التسميط

والقافية التي تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة ، واشتقاقه من السط ، وهو : أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ، ثم تنظم كل سلك منها على حدّته بالؤلؤ سيرا ، ثم تجمع السلوك كلها في زرجة أو شبهها^(١) أو نحو ذلك ، ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السط ، هذا هو المتعارف عند أهل الوقت .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إنما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بسط اللؤلؤ ، وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حَبّه ، وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي مُتّحِماً بقافية تضمه وترده إلى البيت الأول الذي بنيت عليه في القصيدة صار كأنه سطر مؤلف من أشياء مفترقة .

الخمس

ونوع آخر يسمى خمساً ، وهو : أن يؤتى بخمسة أقسام على قافية ، ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك ، إلى أن يفرغ من القصيدة ، هذا هو الأصل ، وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط ، وهو المزدوج ، إلا أن وزنه كله واحد وإن اختلفت القوافي ، كذات الأمثال ، وذات الحلال ، وما شاكلهما ، ولا يكون أقل من مصراعين ، وكل مشطور أو منهوك فهو بيت ، وإن قيل مصرع فلي المجاز ، وما سوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصاريع ليس ببيت ، ولم أجدهم يستعملون في هذه الخمسات إلا الرجز خاصة ؛ لأنه وحيد سهل المراجعة ، فأما المسطعات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما قدمت .

(١) في اللصيتين « أو يشب » وهو مالا وجه له ، والتصحيح عن التونسية

للشطور
والتهوك

ونوعان من الرجز - وهما : المشطور ، والتهوك - فأما المشطور فما بنى على
شطر بيت ، نحو قول أبي التيمم المجلي :

الحمد لله الوهوب المجزل أعطى فلم يَبْخَلْ ولم يُبَخِّلْ
وأما التهوك فهو ما بنى على ثلث بيت ، ونهك بنهات ثلثه ، أى : أضف
وهذا مثل قول أبى نُوَاس :

وبلدةٍ فيها زَوْزٌ صراءٌ تخطى فى صعر

فأشبه بهما مشطور السريع ومنهوك المنسرح ، وسأيتان فيما بعد إن شاء
الله تعالى . .

وأنشد الزجاجي وزنا مشطراً تحكى الفصول لا أشك أنه مولد محدث ، وهو :

سعى طلالاً مجزوى هزيمُ الودق أحوى
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنود ولا فيها صديد
لها طَرْفٌ صَيُودٌ ومَيْتَمٌ بَرُودٌ
لئن شط المزار بها ونأت ديار
فقلبي مُسْتَطَارٌ وليس له قرار
ستدنيها ذَمُولٌ بَلْفَمَةٌ ذَلُولٌ
إذا عرضت هجول تقصّر ما يطول

وهذا وزن ملتبس : يجوز أن يكون مقطوعاً من مربع الوافر ، ويجوز
أن يكون من المضارع مقبوضاً مكعوباً ، ذكره الجوهري . .
وأنشد لبعض المحدثين :

أشأقك طَيفٌ مأمَةٌ بمكة أم حَمَامَةٌ

أشاكك : مفاعل ، وحقه في أصل الوزن مفاعيلن .
 وقد رأيت جماعة يركبون الخمسات والسمطات ويكثر من منها ، ولم أرمق مآ
 حاذقاً صنع شيئاً منها ؛ لأنها دالقة على عجز الشاعر ، وقلة قوافيه ، وضيق عطنه ، ما خلا
 أمراً القيس في القصيدة التي نسبت إليه وما أصحها له ، وبشار بن برد ، قد كان
 يصنع الخمسات والزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر ، وبشر بن المعتز ؛ فقد أنشد الجاحظ
 له أول مزدوجة ، وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح ، وقصيدة في سورة
 للمعتز ركب فيها هذا الطريق ؛ لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ،
 ولم يرد من التوسع في الكلام ، والتملح بأنواع السجع .
 وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والأمير تميم [بن اللمز] ، ومن ناسب
 طبعهما من أهل القرائع وأصحاب الرخص ، وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة
 لها قافية واحدة يعملونها معاينة فيتلقها المروضيون ، كالأبيات التي تروى لابن
 دريد وسترّد في مكانها من سوى هذا الباب ، إن شاء الله تعالى .

٢٤ - باب في الرجز والقصيد

الرجز وأنواعه قد خص الناس باسم الرجز للشطور والمهوك وما جرى مجراها ، وباسم
 القصيد ما طالت أبياته ، وليس كذلك ؛ لأن الرجز ثلاثة أنواع غير للشطور
 والمهوك والمقطع : فأما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطبيب :
 بَا كَرْنِي بِسُخْرَةٍ صَوَانِلِي وَعَدَّ هُنَّ خَبِيلٌ مِّنَ الْخَبِيلِ
 يَلْمُنَنِي فِي حَاجَةِ ذِكْرِنَا فِي عَصْرِ أَرْزَانٍ وَدَهْرٍ قَدْ نَسَلِ
 والنوع الثاني نحو قول الآخر :
 الْقَلْبُ مِنْهَا مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ وَالْقَلْبُ مِنْى جَاهِدٌ مَّجْهُودُ
 والنوع الثالث قول الآخر :

قد هاج قلبى منزّل من أمّ عمري ومفّر

فهذه داخلة فى التصيد ، وليس يمتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة ؛ لأن اشتقاق التصيد من « قصدت إلى الشيء » كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة ، والرجز مقصود أيضاً إلى عمله كذلك .

ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزاً لتصريح جميع آياته ؛ وذلك هو مشطور السريع ، نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى عن أبي على الحسين بن إبراهيم الأمدى ، عن ابن دريد ، عن أبى حاتم السجستاني ، عن أبى زيد الأنصارى :

هل ترف الدار بأعلى ذى القور غيرها نأج الرياح والمور
ودرست غدير رماي مكفور مكتتب اللون مريح مملور
وغير نولي كبقايا الدثور أزمان عيناه سرور السور
* عينا حوراه من العين الحور *

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز :

ومقلة قد بات يبيكها فيض نجيع من ماقيها
وكلمها طول تمقيها أنجم الليل تراعيها
ومهجة قد كاد يفتيها طول سقام ثابت فيها
ورؤها فى كف مثليها كما ابتلاها فهو يشفيها
ليس لها من حبا ناصر من ذاعلى الأحباب يقدىها

وهذا عند الجوهري من البسيط ، والذي أنشد أبو عبد الله — على قول الجوهري — هو من الرجز ، وجعل الجزء الآخر « مستفعلن » مفروق فيه الوتد ، فأسكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون متحركا ، فخلقه مفعولات .

مشطور
السريع
من
التصيد

منهوك للنسرح وأما منهوك للنسرح * صبراً بنى عبد الدار * ^(١) فهو عند الجوهري من الرجز ، ومثله * وَيَلْمُ سَمْدًا سَمْدًا ^(٢) * إلا أنه أقصد منه.

فعل كل حال نسي الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت ، ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ، ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته ؛ فالقصيد يطلق على كل الرجز ، وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر .

القريض قال النحاس: القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز، يكون مشتقاً من « قَرَضَ الشيء » أى: قَطَعَهُ ، كأنه قطع جنساً ، وقال أبو إسحاق: وهو مشتق من القرض ، أى: القطع والفرقة بين الأشياء ، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره .

وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزئين ، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن :

يا ليقنى فيها جَذَعُ أَخْبُ فيها وأَضَعُ ^(١)

حتى صنع بعض اللعقبين - أظنه على بن يحيى ، أو يحيى بن علي النجم - أرجوزةً على جزء واحد ، وهي :

طيفُ أَلَمٍ * بذى سَلَمَ بعد القَتَمِ * يطوى الأَ كَمَ
جَادَ رِيقَمَ * ومَلْتَزَمَ فيه هَضَمَ * إذا يُضَمَ

(١) نسبة الأسنوى في شرحه على عروض ابن الحاجب لهند بنت عتبة تقول يوم أحد تخاطب به بنى عبد الدار أصحاب لواء للشركين ، ويد هذا :

صبراً حملة الأديار ضرباً بكل بشار

(٢) هذا من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الخندق .

ويقال : إن أول من ابتدع ذلك سلم الخمار ، يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي :

مُوسَى لِلطَّرْ * غَيْثٌ بَكَرَ * ثُمَّ انْهَمِرْ * أَلْوَى الْمَرَرِ
كَمْ اعْتَسَرَ * ثُمَّ اَيْتَسَرَ * وَكَمْ قَدَّرَ * ثُمَّ حَقَّرَ
عَدْلُ السَّيْرِ * بَاقِيَ الْأَرِ * خَيْرٌ وَشَرٌّ * نَفْعٌ وَضَرٌّ
خَيْرُ الْبَشَرِ * فَرَحٌ مُعَرَّرٌ * بَذَرٌ بِذَرٍّ * وَلِلْمُتَخَسَّرِ
لَمَنْ قَسَّرَ

والجوهري يسمي هذا النوع المقطع .

وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم :
هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَغٌ دَمِيثٌ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ
بكسر التاء ، ورواية أخرى بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها - وليس هذا
دليلاً ، وإنما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم التقصيد والنية ؛ لأنه لم
يقصد به الشعر ولا نواه ؛ فلذلك لا يعد شعراً وإن كان كلاماً متزناً ، وإلا
فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان ، إلا أن الليث روى أنهم لما ردوا
على الخليل قوله « إن المشطور ليس بشعر » قال : لأحتجن عليهم بحجة إن لم يقرؤا
بها كفروا ، قال : فصجبتنا من قوله حتى سمعنا حجته . . وقد رواه قوم « دميث »
بإسكان الياء والتاء جميعاً - ولا يكون حينئذ موزوناً .

والراجز قلماً يُقَصَّد ؛ فإن جمعا كان نهاية نحو أبي النجم ؛ فإنه كان يقصد ،
وأما غَيْلَانُ ^(١) فإنه كان راجزاً ثم صار إلى التقصيد ، وسئل عن ذلك فقال : رأيتني
لأقنع من هذين الرجلين على شيء ، يعني المعجاج وابنه روبة ، وكان جريوالفرزدق

(١) هو ذو الرمة ، واسمه غيلان بن هبة

يرجزان ، وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مُقَصِّداً ، ومثله مُجَيِّد الأرقط ، والغاني أيضاً ، وأقلمهم رجزاً الفرزدق .

وليس يتمتع الرجز على المقصِّد امتناع القصيد على الراجز ، ألا ترى أن كل مقصِّد يستطيع أن يرجز وإن صعب عليه بعض الصعوبة ، وليس كل راجز يستطيع أن يقصد ، واسم الشاعر وإن عم المقصِّد والراجز فهو بالمقصد أعلق ، وعليه أوقع ، قليل لهذا شاعر ، ولذلك راجز ، كأنه ليس بشاعر ، كما يقال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك .

(٢٥) - باب في القطع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى ، قال : سئل أبو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تُطِيلُ ؟ فقال : نعم ليُسمع منها ، قيل : فهل كانت تُوجِزُ ؟ قال : نعم ليحفظ منها . قال وقال الخليل بن أحمد : يطول الكلام ويكثر ليقهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ ؛ وتستحب الإطالة عند الإحذار ، والإنذار ، والترهيب ، والترغيب ، والإصلاح بين القبائل ، كما فعل زهير ، والحارث بن حلزة ، ومن شاكلهما ، وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع ، والطوال للواقف للشهورات . .

مق تصح
الإطالة؟

ويمكن أن الفرزدق لما وقع بينه وبين جرير ما وقع وحكم بينهما قال بعض الحكماء : الفرزدق أشعر ؛ لأنه أقواهما أمراً كلام ، وأجراهما في أساليب الشعر ، وأقدرهما على تطويل ، وأحسنهما قطعاً ، فقدم بالقطع كما ترى .

رأى في
الفرزدق

وقال بعض العلماء : يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال ، بل هو عند المحاضرات والنازعات والتمثيل وللح أحوج إليها منه إلى الطوال .

حاجة الشاعر
إلى القطع

وقال أحد المجودين ، وهو محمد بن حازم الباهلي :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ لِلذَّحِّ قَصْدِي إِلَى الْمُنَى وَعَلَيَّ بِالصَّوَابِ
وَلِإِجْازِي بِمُخْتَصَرٍ قَصِيرٍ حَدَّثْتُ بِهِ الطَّوِيلَ مِنَ الْجَوَابِ

وقيل لأن الزبيري: إنك تقصر أشعارك ، فقال : لأن القصار أوجب في المنزلة
المسامح ، وأجول في الحافل ، وقال مرة أخرى : يكفيك من الشر غرة لائحة ،
وسبة فاضحة . .

وقيل للجماز : لم لا تطيلُ الشر ؟ فقال : لحدني القُصُول . وقال له بعض
المحدثين وقد أنشده بيتين : ما تريد على البيت والبيتين ؟ فقال : أردت أن
أنشدك مُذارعة^(١) ، وهو القائل :

أَقُولُ بَيْتًا وَاحِدًا أَكْتَفِي بِذِكْرِهِ مِنْ دُونِ آيَاتٍ
وَقِيلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِمَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ ، فقال : يكفيك من القلادة ما
أحاط بالمنق .

وقال الجاحظ :^(٢) قيل لأبي المهوس : لم لا تطيل الهجاء ، ؟ فقال : لم أجد
للل السائر إلا بيتًا واحدًا .

وهجأ محمد بن عبد الملك الزيات أحمد بن أبي دؤاد بتسعين بيتًا ، فقال ابن
أبي دؤاد يخاطبه :

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتًا سُدِّي جَمْعُكَ مَقْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ
مَا أَخْرَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَقْطَرَةٍ تَسِيلُ عَنْهُ وَصَرَ الزُّنْتِ
غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد ، على الفرق ما بين
المطيل والموجز

(١) في بعض النسخ « مدارعة » بالمدال للهمة .

(٢) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ١٧٨) تجد شيئاً كثيراً مما ذكره المؤلف
هنا ولم ينسبه إلى صاحبه الذي أخذه عنه

أن اللوحز من فضل الاختصار ما ينكره للعليل ، ولنتكن إذا كان صاحب القصائد دون صاحب القلم بدرجة أو نحوها وكان صاحب القلم لا يقدر على التطويل إن حاوله بقاءً سوى بينهما ؛ لفضل غير المجهود على المجهود ، فإننا لا نشك أن المطول إن شاء جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ، ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدة .

ولام قوم السكيت على الإطالة فقال : أنا على الإقصار أقدر ، هكذا جاءت الدوابة ، ولا تكاد ترى مقطعا إلا عاجزا عن التطويل ، والمقصود أيضا قد يعجز عن الاختصار ، ولكن الغالب والأكثر أن يكون قادرا على ما حاوله من ذلك والعجز رضى السكيت .

وكان عبد الكريم بهذه الصفة ، لا يكاد يصنع مقطوعا ، ولا أعلن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها .

وكان أبو تمام على جلالة وتقدمه مقصرا في القلم عن رتبة القصائد . . .
والمشهورون بالقطعات
والحسن بن الضحاك ، وأبو نؤاس ، وأبو علي البصير ، وعلي بن الجهم ، وابن المعتز ،
والجملز ، وابن المعتز .

وكانوا يقولون في زمان منصور النقيس هو قريب من عصرنا هذا : لما كم ومنصوراً إذا ربح بالزواج ، وكان ربما هجا بالبيت الواحد .

وصف عبد الكريم أبا الطيب ؛ فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ، ولو قال مقاطع - بلاياء - قلنا : صدقت ولم نخالفه .

وقيل : إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإبطاء بمد سبعة غير معيب عند أحد من الناس . . . ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ

من تسمى
القصيدة ؟

العشرة وجاوزها ولو بييت واحد . . ويستحسنون أن تكون القصيدة وراً ،
وأن يتجاوز بها المقدم ، أو توقف دونه ؛ كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة ،
وإلقاء البال بالشعر .

وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً وقطعاً ، وأنه إنما قصّد على
عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما
وبين محبى الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة . ذكر ذلك الجحى وغيره .

وأول من طوّّل الرجز وجعله كالقصيد الأغلبُ العجلى شيئاً يسيراً ، وكان
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المجاج بعدُ قانتنّ فيه ؛ فالأغلب
العجلى والمجاج في الرجز كما رمى القيس ومهلهل في القصيد .

والشاعر إذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل ؛ وقد جمع ذلك كله المرزوق ،
ومن الخدثين أبو نؤاس ، وكان ابن الرومي يُقصّد فيجيد ، وبطيل فيأتي بكل
إحسان ، وربما تجاوز حتى يُسرف ، وخير الأمور أوسطها . . وهو القائل :
وإذا امرؤٌ مدحَ امرأً لنواله فأطال فيه فقد أرادَ هجاءَهُ
لو لم يمدحْ فيه بُدّ للستقى عندَ الورودِ لما أطال برشائه

(٢٦) - باب في البديهة والارتجال

البديهة عند كثير من الموسمين بلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل
عصرها هي الارتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد ، والارتجال
ما كان انهماكاً وتدقيقاً لا يتوقف فيه فائله ؛ كالذي صنع الفرزدق وقد دمع إليه
سليان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله ، فذس إليه بعض بني عبس سيفاً كهما
فبها حين ضرب به ، فضحك سليان ، فقال الفرزدق ارتجالاً في مقامه ذلك يعتذر
لنفسه ، ويعير بني عبس بـُذُو سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر :

فإن يك سيفُ خَنَّ أَوْ قَدَّرَ أبى
لتأخير نفس حَيْنِها غيرَ شاهد
فَسَيْفُ بَنِي عُيسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ
نَبَأَ يَبْدَى وَرَفَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِد
كَذَاكَ سَيُوفُ الْمُنَدِ تَنْبُو ظِلَابِهَا
وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْفَلَانِد
وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنفِهِ
إِلَى عَلَيِّ دُونَ الشَّرَاسِيفِ جَامِدِ
ثم جلس وهو يقول :

وَلَا نَقْتُلُ الْأَمْرِي، وَلَكِنْ نَقْتُلُهُمْ
إذا أَهْلُ الْأَهْنَقِ حَمَلُ الْغَارِمِ
وكافى روى عن أبى الخطاب عمر بن عامر السعدى المعروف بأبى الأسد،
وقد أنشد موسى الهادى شعراً مدحه به يقول فيه :

يا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كِفَاهَ حُجْرَتِهِ وخَيْرَ مَنْ قَلَدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُّ
فقال له موسى : إلامن يا بئس ؟ فقال واصلاً كلامه ولم يقطعه :
إِلَّا النَّبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنْ لَهُ فخرًا ، وَأَنْتَ بِذَلِكَ الْفَخْرِ تَفْتَخِرُ
فقطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرِك ، ونظروا فى الصحيفة فلم
يجدوه ؛ فضاعف صلته .

أعظم ما وقع وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين عمرو بن هند ؛
من الارتجال فإنه يقال : أتى بها كأنطبة ، وكذلك قصيدة عبيد بن الأبرص ، وقيل : أفضل
البدئية بديهة أثني ، وَرَدَّتْ فى موضع خوف ، فما ظنك بالارتجال وهو أسرع
من البدئية ؟ .

قدرة وكان أبو نواس قوى البدئية والارتجال ، لا يكاد ينقطع ولا يروى إلا قلعة ،
أبى نواس روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع : أنت غير مدافع فى الشعر ،
على الارتجال ولكنك لا تختطب ا فقام من فورده يقول مرتجلاً :
والبدئية

منحك يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحجة أكلوا لحيات البلاد شرُوب

فإن يك باقى سحر فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصيب
ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتى بمنلها خطيب مصتقع فكيف رأيت ؟
فاعتذر إليه وحلف إن كنت إلا مازحا .

وسمعت جماعة من العلماء يقولون : كان مسلم بن الوليد نظير أبى نواس ،
وفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء ، إلا أن أبى نواس قهره بالبديهة والارتجال ،
مع تقبض كان فى مسلم وإظهار توفّر وتصنع ، وكان صاحب روية وفكرة
لا يبتدئ ولا يرتجل .

وكان أبو العتاهية — فيما يقال — أقدر الناس على الارتجال وبديهة ؛ قرب أبو العتاهية
مأخذه ، وسهولة طريقته ، اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس ؛ فشرب أحدهم
ماء ، ثم قال : أجيّزوا :

* سَدَ لِلْأَمِّاءِ وَطْأَبا *

فكلهم تلمس ، حتى طلع أبو العتاهية ، فقال : فيم أنتم ؟ فأنشدوه ، فقال
وما تروى :

* حَبَّذاَ لِلْأَمِّاءِ شَرَّابَا *

فأتى بالقسم رسلاً شبيهاً بصاحبه ، وذلك هو الذى أعوز القوم لا وزن
الكلام .

وحسب رقعة فسمع زُكَّاء الديوك ، فقال لرفيقه :

* هل رأيتَ الشُّبَّحَ لَاحِأ ؟ *

قال : نعم ، قال :

* وسمعت الديك صاحَا *

قال : نعم ، قال :

لَمَّا بَكَى عَلَى الْمُنْتَهَى بِالْأَمِّاءِ وَنَاحَا

فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر ، فزواه ؛ فاجرى هذا المجرى فهو ارتجال .
 حد البديهة
 وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريراً إن حضرت آلة ، إلا
 أنه غير بطل . ولا مُتَرَاخٍ ، فإن أطلال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يُعَدَّ بديهاً .
 بديهة الجواز
 وقالوا : اجتمع الشعراء بيناب الرشيد ، فأذن لهم ، فقال : من يميز هذا
 القسم وله حكمه ؟ فقالوا : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :
 الملك لله وحده

قال الجواز :

والخليفة بَمَدَّة

وللسحب إذا ما حَبَّيْبِهِ بَاتَ عِنْدَهُ
 قال : أحسنت ، وأتيت على ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .
 ابهة أبي تمام
 ومن عجيب ما روى في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشأ أحد بن المتصم بحضرة
 أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب :
 إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حِلْمٍ أَحْنَفَ ، في ذكاء إلياس
 قال له الكندي : ما صنعت شيئاً ، شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد
 المسلمين بصالحيك العرب ! ومن هؤلاء الذين ذكرت ؟ وما قدرتم ؟ فأطرق أبو تمام
 يسيراً ، وقال :

لا تنكروا خَرَبِي له مَنْ دونه مثلاً شَرُوداً في الندى والباس
 فأنه قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من للشكاة والنهراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة ، وإن أعجب ما كان البديهة من أبي تمام ؛
 لأنه رجل متصنع ، لا يجب أن يكون هذا في طبيعه . وقد قيل : إن الكندي
 لما خرج أبو تمام قال : هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه ينعت من قلبه ، وسيموت
 قريباً ، فكان كذلك .

بديهة التنبي
وارتجاله

وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال ، إلا أن شعره فيما نازل
عن طبخته جداً ، وهو لعمري في سمة من العذر ؛ إذ كانت البديهة كما قال فيها
ابن الروي :

نار الروية نارٌ جدٌ مُنْصِجَةٌ وللبديهة نارٌ ذاتُ تلويح
وقَدْ يُفْصَلُهَا قومٌ لسرعتها ليَكُنَّهَا سُرْعَةٌ تُغْضَى مع الرمح
وقال عبد الله بن المعتز :

والقولُ بعد الفكريُّ أَمِنْ زَيْعُهُ شَتَانٌ بين رَوِيَةٍ وبديهِ

ومن الشعراء مَنْ شعره في رويته وبديته سواء عند الأمن والخوف ؛ شعراء بديهم
لقدرته ، وسكون جأشِهِ ، وقوة غريزته : كهذبة بن الخشرم العذري ، وطرفة كرويتهم
أبن العبد اليكري ، ومرة بن محكان السعدي ؛ إذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير
رجلاً من بني أسد بقتله :

بني أسد إنْ تَقْتُلُونِي مُحَارِبُوا تمياً ، إذا الحربُ العَوَانُ اشْتَمَلَتْ
ولستُ وإنْ كانتْ إلى حبيبة بياكٍ على الدنيا إذا ما تَوَلَّتْ
وهذا شعر لوروي فيه صاحبه حولاً كاملاً على أمن ودعة وفراط شهوة
أو شدة حمية لما أتى فوق هذا .

وكذلك عبد يغوث بن صلاة ؛ إذ يقول في كلمة طويله :

أقول وقد شدوا لساني بنسمة أمعشَرَ تَسِمِ أُلْفِقُوا من لسانيا
فَيَا رَاكِبَا إِنَّمَا عَرَضَتْ قَبْلُنْ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانِ أَنْ لَا تَلَايَا

وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من المجهاد ، فاعدهم ، فأطلقوه لينوح على
نفسه ، فصنع هذه القصيدة ، وعرض عليهم في فدائه ألف ناقة ، فأبوا إلا قتله ،

فقال :

فإن تقتلونى تقتلونى بخيركم وإن تطلقونى تحر بونى بما ليا
وهذه شهامة عظيمة وشدة .

ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت :

أما مُنْذِرٌ كانت غُرُوراً صحيفتى ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضى
أما منذرٌ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنَا حَتَانِيكَ بَعْضُ الشُّرَاهُونَ مِنْ بَعْضِ
وأين هؤلاء من عبيدِ بن الأبرص - وهو شيخ الصناعة ، ومقدم فى السن
على الجماعة - إذ يقول له النعمان ^(١) يوم يؤسه : أنشدنى ، فقال : حال الجربىضُ
دون القربىض ، قال : أنشدنى قولك :

عبيد ابن
الأبرص

أَقْرَ من أهله مَلُحُوبُ فَاقْطِيبِيَّاتٍ فَالذَّنُوبُ

قال : لا ، ولكن :

أَقْرَ من أهله عَبِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ

فبلغت به حال الجزع إلى مثل هذا القول ، على أن فى بيتى طرفة بعضُ
الضراعة ...

م. بن جميل ومن وجد نفسه عند إحاطة الموت به تيم بن جميل ؛ فإنه القاتل بين يدي
مأم للتمصم وقد قدم السيف والنطع لقتله :

أرى الموتَ بين النطع والسيفِ كامناً يُلاحظنى من حيثُ ما أتلَّفتُ
وأَكْبَرُ غلى أنك اليوم قاتلى وأى امرئ مما قضى الله يُفْلِتُ
وأى امرئ يدلى بمذيرٍ وجبة وسيفٍ للنايا بين عينيه مضلتُ

(١) كتبنا فى (ص ٤١) من هذا الجزء نستظهر أن المؤلف يظن صاحب يومى
البؤس والنعم هو النعمان بن النذروقد صرح به هنا ، وهذا غير صحيح لأن صاحب
اليومين هو النذر بن ماء السماء صاحب الغريين الذين بناهما قبرين لنديمين له : أحدهما اسم
خالد بن نضلة الفقى ، والثانى اسمه عمرو بن مسعود ، وانظر (ص ١٠٣) أيضاً

يبرز على الأوس بن تغلب موقف
بُسْلُهُ عَلَى السيف فيه وأُسْكُتُ
وما حَزَنِي أُنِي أُمُوتُ وَأَتَى
لأعلم أن اللوت شيء مُؤَقَّتُ
ولكن خَلَنِي صِدِيْقَةٌ قَدْ تَرَكْتَهُمْ
وأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَفَقَّتُ
كأنِّي أَرَامُ حِينَ أَتَى إِلَيْهِمْ
وقد خَشَوْا تِلْكَ الْوَجْهَ وَصَوَّوْا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِنِعْمَةٍ
أُذود الردى عنهم ، وإن مُتُّ مَوْتُوا
فكم قَاتِلٍ : لا أبعد الله داره
وآخرَ جَدِّ لَأَن يُسْرُهُ وَيَشْتَتُ

فغنا عنه المتصم ، وأحسن إليه ، وقلده عملاً .

وعلى بن الجهم هو القاتل وقد صُلِبَ عرْيَانًا :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشيّة ١١
إثنين مضولوا ولا مجبولوا
نصبوا بحمد الله مِلءَ عُيُونِهِمْ
حُسْنًا ، ومِلءَ قُلُوبِهِمْ تَبَجُّيلًا
ما ضرَّهُ أَنْ بُرِّعَ عَنْهُ لِيَاكُسُهُ
فالسيف أهول ما يرى مَسْلُولًا

وهذا من جَزَلِ الكلام ، لا سيما في مثل ذلك المقام ، وكان على من
الفضلاء علماء بالشعر وصناعة ١٢ .

حكى عن على بن يحيى أنه قال : كنت عند للتوكل إذ أتاه رسول برأس
إسحاق بن إسماعيل ، فقام على بن الجهم يخطر بين يديه ويقول :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ
جِئْتَ بِمَا يَشْنُو مِنَ الْفِيلِ
رَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْمَاعِيلِ
فقال للتوكل : قوموا لتقطوا هذا الجوهر لا يضيع .

والشاعر الحاذق للبرز إذا صنع [على] البدية قُنِعَ منه بالغوا الذين ، والنز
الثاني ؛ لما فيها من اللشعة ، وهو في الارتجال أعذر .
واشتقاق البدية من « بده » بمعنى بدأ ، أبدلت الهمزة هاء كما أبدلت في أشياء

اشتقاق

البدية

كثيرة لقربها منها؛ فقد قالوا مدح^(١) ومدّه ، وأهنتك تفعل كذا بمعنى لأنك ، ومثل ذلك كثير .

والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ، ومنه قيل : شمر رجلاً ، إذا كان سبطاً مسترسلاً غير جفد ، وقيل : هو من ارتجال البئر وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل .

اشتقاق
الارتجال

(٢٧) — باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو الثمائل ، حسن الأخلاق ، طلق الوجه ، بعيد التوتر ، مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطيء الأكناف ، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس ، ويؤيئنه في عيونهم ، ويقربه من قلوبهم ، وليكن مع ذلك شريف النفس ، لطيف الحس ، عزوف المهمة^(٢) ، نظيف البزة ، أنفاً ؛ لتهابه العامة ، ويدخل في جملة الخاصة ، فلا تمجّه أبصارهم ، تمنح اليدين ، وإلا فهو كما قال ابن أبي قتن واسمه أحمد :

وإن أحقّ الناس بالآلوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجال ويبخل

وإلى هذا المعنى ذهب الطائي بقوله :

آلوم من بخلت يداه وأعتدى لبخل ترّباً ؟ ساء ذاك صنيعاً !!

والشاعر مأخوذ بكل علم ، مطلوب بكل مكرمة ؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حلّ من نحو ، ولغة ، وقته ، وخبر ، وحساب ، وفريضة ، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته ، وهو مكثف بذاته ، مستغن عما سواه ؛ ولأنه قيد للأخبار ، ونجديد للأثار .

حاجة الشعر
إلى مواد الثقافة

(١) ليس في اللثال الأول تقارض بين الماء والهمزة ، وإنما غرض المؤلف إثبات ذلك ، والأمثلة في العربية كثيرة ، فقد قالوا في حرف الاستفهام « أل » كما قالوا « هل » وقالوا « أيا » و « هيا » في النداء .
(٢) في المصرتين والتونسية « عزوب المهمة » .

وصاحبه الذي يذم ويحمّد ، ويهجو ويمدح ، ويعرف ما يأتي الناس من
محاسن الأشياء وما يذرونه ، فهو على نفسه شاهد ، وبمحجته مأخوذ .

الرواية أوثق
آلات الشاعر

وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب ، وأيام العرب ؛ ليستعمل
بعض ذلك فيما يريد من ذكر الآثار ، وضرب الأمثال ، ويلحق بنفسه بعض
أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم ، وقد وجدنا الشاعر من الطبوعين المتقدمين يفضل
أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلذة بمن^(١) فوقه من الشعراء ،
فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد ، وسهل
عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به للذهب ، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا
رواية ضلّ واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو
ماثل بين يديه ؛ لضعف آلته : كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا
تعينه الآلة .

وقد سئل روبة بن المجاج عن النحل من الشعراء ، فقال : هو الراوية ،
يريد أنه إذا روى استفحل .

قال يونس بن حبيب : وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد
غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة ، وقال روبة في صفة شاعر :
لقد خُشيت أن تكون ساحراً راوية مراً ومراً شاعراً^(٢)
فاستعظم حاله حتى قرنّها بالسحر .

وقال الأصبغى : لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار
العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف للماني ، وتدور في مسامحه الألفاظ . وأول

(١) كذا في عامة الأصول ، وأفضل من هذا « والتلذة لمن فوقه إلخ »

(٢) انظر (ص ٢٧) من هذا الجزء .

ذلك أن يعلم العروض ؛ ليكون ميزاناً له على قوله ؛ والنحو ؛ ليصلح به لسانه
وليقيم به إعرابه ؛ والنسب وأيام الناس ؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب
وذكرها بمدح أو ذم .

رواية بعض
الشعراء عن
بعض

وقد كان الفرزدق - على فضله في هذه الصناعة - يروى للحطيفة كثيراً ،
وكان الحطيفة راوية زهير ، وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل النخوي
جميعاً ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي : مع فضل تحييزة ، وقوة غريزة ،
ولا بد بعد ذلك أن يلوذ به في شعره ، ويتوكأ عليه كثيراً ، وقد نزل أعشى
بني قيس بن ثعلبة بين يدي النابغة الذبياني بسوق عكاظ وأنشده مقدمه ، وأنشده
حسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة ؛ فإعابهم ذلك ، ولا غصّ منهم ، وكان
كثيراً راوية جميل ومفضلاً له : إذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ، ثم أنشد ما يراه
منه ، ولم يكن يدون جرير والفرزدق ، بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز ،
وكان أبو حية النخري - واسمه الميثم بن الربيع ، وهو من أحسن الناس شعراً ،
وأظفهم كلاماً - مؤتماً بالفرزدق ، آخذاً عنه ، كثير التعصب له والرواية عنه .

حاجة الشاعر
إلى شعر
الولدين

ولا يستغنى الولد عن تصفح أشعار الولدين ؛ لما فيها من حلاوة اللفظ ،
وقرب للأخذ ، وإشارات للملح ، ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين
قليل ، وإن كانوا هم فتحوا بابهم ، وفتقوا جليابهم ، وللمتعقب زيادات واقتنان ،
لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ما ذكرته آخر كلامي هذا دون
ما قدمته ؛ فإنه متى فعل ذلك لم يكن فيه من اللئالة وفضل القوة ما يبلغ به
طاقة من تبع بجاذته ، وإذا أعاتته فصاحة المتقدم وحلاوة التأخر اشتد
ساعده ، وبتدّ مرماه ، فلم يقع دون الفرض ؛ وعسى أن يكون أرتق سهاً ،
وأحسن موقفاً ، ممن لو عول عليه من المحدثين لقصر عنه ، ووقع دونه ،

وليجعل طلبه أولاً للسلامة ، فإذا صحت له طلب التجويد حيثئذ ، وليرغب في
الحلاوة والطلاوة رَغْبَتَهُ في الجزالة والفتخامة ، وليجتنب السوق القريب ،
والحوشى القريب ، حتى يكون شعره حالاً بين حالين كما قال بعض
الشعراء :

عليك بأوساط الأمور ؛ فإنها نجاة ، ولا تركب ذلولا ولا صعبا

فأول ما يحتاج إليه الشاعر — بعد الجدة التي هو التاية ، وفيه وحده أول ما يحتاجه
معرفة مقاصد الكلام الكفافية — حسنُ التأتى والسياسة ، وعلم مقاصد القول ؛ فإن نَسَبَ ذل وخضع ،
وإن مدح أطرى وأسمع ، وإن هجا أخل^(١) وأوجع ، وإن فخر خبّ ووَضَعَ ،
وإن عاتب خفض ورفع ، وإن استعطف حنّ ورجع ، ولكن غابته معرفة أغراض
المخاطب كائناً من كان ؛ ليدخل إليه من بابه ، ويدخله في ثيابه ، فذلك هو سر
صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا .

وقد قيل : لكل مقام مقال^(٢) وشعرُ الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور لكل مقام مقال
ذاته — من مزج ، وغزل ، ومكاتبة ، ومجون ، وخمزية ، وما أشبه ذلك —
فَعَيَّرُ شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السامعين : يُقْبَلُ منه في تلك
الطرائق عَفْوُ كلامه ؛ وما لم يتكلف له بالا ، ولا ألقي به ، ولا يقبل منه في هذه
إلا ما كان محسكاً ، معاوداً فيه النظر ، جيداً ، لا غث فيه ، ولا ساقط ،
ولا قَلَق ؛ وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة
والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع . . وسيأتى هذا في موضعه من هذا
الكتاب مفصلاً ، إن شاء الله تعالى .

(١) في نسخة « أخل » ولعلها أحسن

(٢) كذا في التونسية ، وهو المعروف ، وفي الصريتين « لكل مقام مقال »

يجب أن يتفقد الشاعر شعره تقدمه إذا قصر، وإن كان له فضل السبق فليبه درك التقصير، كما أن للتأخر فضل الإجابة أو الزيادة، ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره، ويعيد فيه نظره، فيسطو رديه، ويثبت جيده، ويكون سحاً بالركيك منه، مطرحاً له، راعياً عنه؛ فإن يتأ جيداً يقاوم ألفى ردى.

وقال امرؤ القيس وهو أول من زعموا أنه اختبر له وعلم به أنه يكون أفضل الشعراء وللقدم عليهم :

أذود القوافي عني ذباداً ذباد غلام جرى جرادا
فلا كثرن وعقبنه تحير منهن شق جياتا
فأعزل مرجانها جاباً وأخذ من درها المستجادا

هكذا في أكثر النسخ، وفي بعضها « حراد » بالحاء مكسورة غير معجمة، و « شق جياتا » بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء.

فإذا كان أشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه، فكيف ينبغي لغيره أن يصنع ؟

وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث ابن معاوية الكندي، وروى « سق » في موضع « جرى » والسق : السفينة والخفيف أيضاً، وإليه يرجع اشتقاقه، وزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن طابس الكندي^(١).

ويقال : إن أبا نواس كان بفعل هذا الفعل ؛ فينفى الذنى ويبقى الجيد .

(١) ولم أجد هذه الأبيات فيما شرحه الوزير أبو بكر من شعرامرئ القيس ابن حجر، والعلماء يسمون الآخر امرأ القيس بن مالك الحيري :

وليتنس له من الكلام ما سهل، ومن القصد ما عدل، ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يُعْرَفُ بَدِيْهاً، فقد قال بعض المتقدمين : شر الشعر ما سئل عن معناه، وكان الخطيئة يقول : خير الشعر الخوليُّ المحكك، أخذ في ذلك بذهب زهير، وأوس، وطفيل .

ولا يجوز للشاعر — كما يجوز لغيره — أن يكون مُعْجِباً بنفسه، مثنياً على شعره، وإن كان جيداً في ذاته، حسناً عند سامعه، فكيف إن كان دون ما يظن ؟ كقوم أفردوا لقلل أنفسهم، وأفنوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل، وقد قال الله عز وجل : (فلا تزكوا أنفسكم) اللهم إلا أن يريد الشاعر ترغيب المدوح أو ترهيبه فيثنى على نفسه، ويذكر فضل قصيدته؛ فقد جالوه مُجَازاً مُسْتَحْجاً فيه : كالذي يمرض لكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم، على أن أبا تمام يقول :

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظُلْمًا لَا كَنْ يَأْتِيكَ وَهُوَ بِشَعْرِهِ مَقْتُونُ
وإن كان أوصف الناس قصيده، وأكثرهم وكوعاً بذلك، وهذا ما دام شعراً كان محمولا على ما قدمناه، وإنما للكره اللبيب أن يكون ذلك منشوراً أو تأليفاً مسطوراً : كالذي فعل الناشئ أبو العباس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه للموسم بتفضيل الشعر؛ فشكرها، ونوه [بها]، ونبه عليها، وفضلها على أشعار الفحول : مثل جرير وغيره، منها قول جرير :

إِنِ الْعْيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ^(١) قَتَلَنَّا نَمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتَلَانَا
يَصْرَعُنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهْنٌ أَصْفَ خَلْقِ أَهْلِ إِنْسَانَا

وزعم — بعد إقامة ما حسيبه برهانا — أن قوله :

لَا شَيْءٌ أَعْجَبُ مِنْ عَيْنَيْكَ إِنَّمَا لَا يُضَعِّقَانِ الْقَوَى إِلَّا إِذَا ضَمَعَا

(١) يروى * إن العيون التي في طرفها حور *

خير منه ، وأسلم من الاعتراض ، وأكثر اختصاراً .

بين امرئ القيس وشاعر يشكرى
ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ، ويعرف حق من فوقه من الشعراء ؛ فإن امرأ القيس — وكان شديد الظنة في شعره ، كثير المنازعة لأهله ، مُدلاً فيه بنفسه ، واثقاً بقدرته — لقي التوأم اليشكري ، واسمه الحارث ^(١) بن قتادة ، فقال له : إن كنت شاعراً كما تقول فلفظ ^(٢) لي أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، فقال امرؤ القيس :

أَحَارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَ وَهَنًا

كَأَنَّ مَجْمُوسَ تَسْتَعْرِ اسْتَعَارَا

أَرَقْتُ لَهُ وَنَأَمَ أَبُو شَرِيحٍ

إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا

كَأَنَّ هَزِيمَةَ بَوْرَاءَ غَيْبٌ ^(٣)

فقال التوأم :

فقال امرؤ القيس :

فقال التوأم :

فقال امرؤ القيس :

(١) جعل ياقوت اسمه الحارث بن التوأم اليشكري ، وجعل قتادة وأبا شريح أخوين للحارث . وذكر هذه القصة وأنها وقعت لامرئ القيس مع الإخوة الثلاثة وأن امرأ القيس قال * أحار ترى . . . فقال الحارث * كئنا مجوس . . . فقال قتادة * أرقْتُ له . . . استطارا * فقال أبو شريح * كأن هزيمه . . . عشارا * فقال الحارث * فلما أن علا . . . فقال قتادة * فلم يترك ببطن السر . . . حمارا * فقال امرؤ القيس بعد هذا : إني لأعجب من بيتكم هذا كيف لا يحترق من جودة شعركم ! افسموا بنى النار يومئذ .

(٢) قال المحيد في القاموس : « وما لطفه : قال نصف بيت وآءه الآخر كلطفه تملطاً » اهـ

(٣) بوى

* كأن هزيمه بواء غيب *

كما سمعت .

قال التوأم : عِشَارٌ وَاللَّهُ لَا قَتَ عِشَارَا
 فقال ابن علاّ كَتَفَنِي أَضَاخُ^(١)
 وقال التوأم : وَهَتَّ أَعْجَازُ رَيْقِهِ فَحَارَا
 فقال امرؤ القيس : فَلَمْ يَتْرِكْ بَذَاتِ السَّرْطَلِيَا
 وقال التوأم : وَلَمْ يَتْرِكْ بِجَمَلَتَيْهَا حِمَارَا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتته ، ولم يكن في ذلك الحُرْسِ - أى : القصر - من
 يمانته - أى : يقاومه ويطاوله - آلى ألا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر ، روى
 ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن الملاء ، ولو نظر بين الكلامين لوجد التوأم
 أشعر في شعرهما هذا ؛ لأن امرأ القيس مبتدئ ما شاء ، وهو في فسحة عما أراد ،
 والتوأم محكوم عليه بأول البيت ، مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ، ومن
 هنا - والله أعلم - عرف له امرؤ القيس من حق الممانته ما عرف ، ونازع أيضاً
 علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان ..

وأما جرير فجهاد شاعر يقال له : البرذختُ ، فقال : ما اسمه ؟ قيل له :
 البرذخت ، فقال : وما معنى البرذخت ؟ قالوا له : الفارغ ، فقال : إذأ والله
 لا أشغله بنفسى أبداً ، وسأله : هذا وهو جرير الذى غلب شياطين الشعراء ،
 وسكن شقائق القحول ..

وأما عقبة بن روبة بن العجاج فإنه أنشد عقبة بن سلم^(٢) بمحضرة بشار
 أرجوزة ، فقال : كيف ترى يا أبا معاذ ؟ فأثنى بشار كما يجب لأنه أن يفعل ،
 وأظهر الاستحسان ، فلم يعرف له عقبة حقّه ، ولا شكر له فعله ، بل قال له : هذا

(١) أضاخ - بالضم وآخره خاء معجمة - من قرى اليامة لبني نعيم ، ذكره
 ياقوت ، ويروى : * فلما أن علا شرجى أضاخ *

(٢) عقبة بن سلم : كان والياً على البصرة ، من قبل أبي جعفر المنصور ، وكان
 جباراً عاتياً .

طِرَازَ لَحْمَتِهِ ، فقال له بشار : ألمثل يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك
ومن أيك ومن جدك ، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها :
يا طلل الحى بذات الصمد^(١) بالله خير كيف كنت بعدى
فَصَحَّ بها ابن رؤبة فضيحة ظاهرة كان غنيا عنها ..

إعجاب البحترى
بأنفسه
وكان في البحترى إعجاب شديد ، إذا أنشد يقول : مالكم لا تعجبون ؟
أما حسنٌ ما تسمعون ؟ فأنشد للتوكل يوما قصيدته التي أولها :

عَنْ أَىْ تَغْرِ تَبْتَسِمُ ؟ وَبأى طَرْفٍ تَحْكُمُ ؟
وَأبو العباس الصَّيِّمِرِيُّ حاضر ، فلما رأى إعجابه قام حذاه فقال :
مَنْ أَىْ سَلَعٍ تَلْتَقِمُ ؟ وَبأى كَفٍّ تَلْتَقِطُ ؟
ذَقْنُ الْوَلِيدِ الْبَحْتَرِيِّ أَبَى صُبَادَةٍ فِي الرَّجَمِ
فَوَلَّى الْبَحْتَرِيُّ وهو غضبان ، فقال : وعلمتُ أنك تنهزم
فضحك التوكل حتى غصص برجليه ، وأعطى الصَّيِّمِرِيَّ جائزة سنية .

(٢٨) - باب عمل الشعر ، وشخذ القرينة له

لكل شاعر
قرة
لابد للشاعر - وإن كان خلا ، حاذقا ، مبرزاً ، مقدماً - من فترة تتعرض
له في بعض الأوقات : إما لشغل يسير ، أو موت قريبة ، أو بُؤْسٌ طبع في تلك
الساعة أو ذلك الحين . وقد كان الفرزدق - وهو غل مُضَرَّ في زمانه - يقول :
تمرُّ على الساعة وقَلْعٌ ضرس من أضراسي أهونُ عليَّ من عمل بيت من الشعر .
فلذا تنادى ذلك على الشاعر قيل : أضنى وأنعى ، كما يقال « أفصت الدجاجة »

(١) في معجم ما استعجم : الصمد : موضع في ديار بني يربوع . وفي معجم
ياقوت : الصمد : ماء للضبباب .

إذا انقطع يفيضها ، وكذلك يقال له : أَجْبَلْ ، كما يقال لحافر البئر إذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء : أَجْبَلْ ، ومثل أجبل : أَكْدَى ، إلا أنهم خصوا به العطاء ، وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئاً على ما حفر ، ويقال : أغم الشاعر على أفضل ، قالوا : وهو من «فُحِمَ الصبي» إذا انقطع صوته من شدة البكاء ، فإن ساء نفضله وفسدت معانيه قيل له : أَهْتَزَّ فهو مهتر . وقد قيل في الديباني : إنه إما كان شعره نظيفاً من العيوب لأنه قاله كبيراً ، ومات عن قرب ، ولم يهتر . . وأكثّر ما جاء الإهتار في صفة الكبير الذي يختلط كلامه وقولهم في شعر النابغة إنه قاله وهو كبير يَدُّك على أنه بهذا سمى نابغة كما عند أكثر الناس ، لا قوله :

* فَقَدْ كَبَيْتَ لَنَا مِنْهُمْ شُئُونُ *

كما تقدم ^(١) من قول بعضهم . ويقال : أخلى الشاعر ، كما يقال أخلى الراعي ، إذا لم يُصَبِّ معنى .

حكى عن البحتري أنه قال : فاوضت ابن الجهم علياً في الشعر ، وذكر رأي في أشجع السلي
أشجع السلي فقال : إنه كان يخلى ، فلم أفهمها عنه ، وأنفت أن أسأله عنها ، فلما انصرفت فكرت فيها ، ونظرت في شعر أشجع ، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مفسولة ليس فيها بت رائع .

ثم إن للناس فيما بعد ضروباً مختلفة : يستدعون بها الشعر ، فتشذذ الترائع وسائل الشعراء
وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام ، وتسهل طريق اللحن : كل امرئ على لاستدعاء الشعر
تركيب طبعه ، وإطراد عادته ، وسيأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى .

قال بكر بن الطَّلَح الحَنَفِي : الشعر مثل عين الماء : إن تركتها اندفنت ، وإن استهنتها هنت ، وليس مراد بكر أن تستهت بالعمل وحده ؛ لأننا نجد الشاعر تكلُّ قريحته مع كثرة العمل مراراً ، وتنزف مادته ، وتنفذ معانيه ، فإذا أجم طبعه أياماً — وربما زماناً طويلاً — ثم صنع الشعر جاء بكل آيدٍ ، وانهمر في كل قافية شاردة ، وافتتح له من المعاني والألفاظ ما لو رامه من قبل لاستغلق عليه ، وأبهم دونه ، لكن بالمذاكرة مرة ؛ فإنها تقدح زناد الخاطر ، وتغجر عيون المعاني ، وتوقظ أبصار القطنة ، وبمطالعة الأشعار كركة ؛ فإنها تبث الجذب ، وتولد الشهوة .

وسئل ذو الرمة : كيف تفعل إذا انقلد دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقلد دوني وعندى منافحه ؟ قيل له : وعنه سألتك ، ما هو ؟ قال : الخلوقة بذكر الأحباب ، فهذا لأنه عاشق ، ولعمري إنه إذا افتتح للشاعر نسيبُ القصيدة فقد ولجَّ من الباب ، ووضع رجله في الركاب ، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والمجاء ، وإنما كان واصف أطلال ، ونادب أغلمان ، وهو الذي أخرجه من طبقة الفحول .

وقيل لكثير : كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال : أطوف في الرباع الخميعة ؛ والرياض للثَّشِبة ، فيسهل على أرضه ، ويسرع إلى أحسنه .

وقال الأصمعي : ما استدعى شارد بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخالي — وقيل : الخالي ، يعنى الرياض —

وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهديـة وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكديـة هو أشرفها أرضاً وهواء — قال : جئت هذا الموضع مرة فإذا عبد الكريم على سطح برج هنالك قد كشف الدنيا ، فقلت : أبا محمد ؟ قال : نعم ، قلت : ما تصنع هنا ؟ قال : ألقح خاطري ، وأجلو خاطري ، قلت : فهل نتيج لك شيء ؟

قال : ماتقرّ به عيني وعينك إن شاء الله تعالى ، وأنشدني شعراً يدخل مسام القلوب رقة ، قلت : هذا اختبار منك اخترعته ، قال : بل برأى الأصمى .

وقالوا : كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً : يشعل سراجاً ويعتزل ، وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه . يحكى أنه صنع ذلك في قصيدته التي أخزى بها بنى نمير ، وقد تقدم ذكرها^(١) .

وروى أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته ، وطاف خالياً منفرداً وحده في شِمَاب الجبال ويطون الأودية والأماكن أنظر به الخالية ، فيعطيه الكلام قياده . حكى ذلك عن نفسه في قصيدته القائية :

عَزَزْتُ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كَدْتُ تَغْرِيفُ

وذكر أن فتى من الأنصار بمحضرة كثير - أو غيره - فاخره بأبيات حسان ابن ثابت :

لَنَا الْجَفْنَاتُ الْفَرَّ يَلْمَنُ بِالضَّمَى وَأَشْيَا فَنَّا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
فَأَنْظَرَهُ سَنَةً فَضَى حَقِيقًا ، وطالت ليلته ولم يصنع شيئاً ، فلما كان قرب الصباح أتى جبلاً بالمدينة يقال له ذُباب ، فنادى : أخاكم يابنى لبني ، صاحبكم ، صاحبكم ، صاحبكم ، وتوسّد ذراع ناقته ، فاثالب عليه القوافي اثيالاً ، وجاء بالقصيدة بكرة وقد أمجرت الشعراء وبهرّتهم طولاً وحسناً وجودة .

وقيل لأبى نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر ؟ قال : أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفساً بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخلني النشاط وهزّنتني الأرض بحية .

أوقات صنعة
الشعر

قال ابن قتيبة : وللشاعر أوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أتيه : منها أول الليل قبل تنشي الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والسير ، وهذه الطل تختلف أشعار الشاعر ورسائل للترسل .

وحكى عن أبي تمام - وقد سأله البحتري عن أوقات صنعة الشعر - قريب من هذا لا أحفظه نصا ، ولا أشك أن ابن قتيبة به اقتدى ، إن كان مما رواه ^(١)

وما يجمع الفكرة من طريق الفلاسفة استلقاه الرجل على ظهره ، وعلى كل حال فليس يفتح مُقَفَّلَ بحار الخواطر مثلُ مباكرة العمل بالأسحار عند الميؤوب من النوم ؛ لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حِسِّها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعيها ، وإذ هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى ؛ ولأن السحر أطف هواء ، وأرق نسيأ ، وأعدل ميزانا بين الليل والنهار ، وإيما لم يكن الشيء كالسحر - وهو عديله في التوسط بين طرفي الليل والنهار - لدخول الظلمة فيه على الضياء بضد ^(٢) دخول الضياء في السحر على الظلمة ، ولأن النفس فيه كالة [مريضة] من تعب النهار وتصرفها فيه ، ومحتاجة إلى قوتها من النوم منشوقة نحوه ؛ فالسحر أحسن لمن أراد أن يصنع ، وأما لمن أراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا) وهذا الكلام

(١) في التوسنية « إن كان رآه » وهي عبارة قريبة الصحة : وقدمات ابن قتيبة في سنة ٢٧٦ من الهجرة ، ومات أبو تمام في سنة ٢٣١ من الهجرة على المختار من أقوال الناس في وفاته .

(٢) في الصريتين « بعد » وهو خطأ ظاهر .

الذى لا تملتن فيه ، ولا اعتراض عليه ، وعلى قراءة من قرأ (وطاء) يكون معناه
أقبل على فاعله ، وإذا كان كذلك كان أكثر أجرا ، فهذا يشهد لنا أن العمل
أول الليل يصعب ؛ لأن النوم يقلب والجسم يَكِلُّ .

وكان أبو تمام يُكْرِه نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره . . . حكي
ذلك عنه بعض أصحابه ، قال : استأذنت عليه — وكان لا يستقر عني — فأذن لي
فدخلت [فإذا هو] في بيت مصبوح قد غسل بالماء ، يتقلب يمينا وشمالا ،
فقلت : لقد بلغ بك الحرُّ مبلغا شديدا ، قال : لا ، ولكن غيره ، ومكث
كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال ، فقال : الآن وردت ، ثم استمدد
وكتب شيئا لأعرفه ، ثم قال : أندري ما كنت فيه مذلآن ؟ قلت : كلا ، قال :
قول أبي نواس :

كل الدهر فيه شراسةٌ وليانُ

أردت معناه فشمس على حتى أمكن الله منه فصنعت .

شرست ، بل لنت ، بل قايت ذاك بذأ . فأنت لاشك فيك السهل والجبل
ولعمري لو سكنت هذا الحاكى لنم هذا البيت بما كان داخل البيت ؛ لأن
الكلفة فيه ظاهرة ، والعمل بين ، على أن مثل حكاية أبي تمام وأشد منها قد
وقعت لمن لا يتهم ، وهو جرير : صنع الفرزدق شرأ يقول فيه :

جرير
والفرزدق

فإني أنا الموت الذي هو ذاهبٌ . ينفسك ، فانظر كيف أنت محاوله
وحلف بالطلاق أن جريرا لا يغلبه فيه ، فكان جرير يتبرغ في الرمضاء
ويقول : أنا أبو حَزْرَةَ ، حتى قال :

أنا الدهر : يفتي الموت والدهر خالدٌ . فجنني بمنشلي الدهر شيئا يطاوله

وكان أبو تمام ينصب القافية للبيت ؛ ليملق الأعجاز بالصدور ، وذلك هو كيف كان
المر في الشعر ، ولا يأتي به كثيرا إلا شاعر متصنع كحيب ونظرائه ، أبو تمام ينظم ؟

والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتا لا يعرف قافيته ، غير أنى لا أجد ذلك في طبعي جملة ، ولا أقدر عليه ، بل أصنع القسم الأول على ما أريده ، ثم ألتص في فمى ما يليق به من القوافي بعد ذلك ، فأبني عليه القسم الثانى : أفضل ذلك فيه كما يفعل من يبنى البيت كله على القافية ، ولم أر ذلك بمخل على ، ولا يزيحني عن مرادى ، ولا يغير على شيئا من لفظ القسم الأول ، إلا في النادرة التي لا يعتد بها أو على جهة التفتيح للفرط .

عبد الله بن
رواحه

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة كالمتعجب من شعره ، فقال : كيف تقول الشعر ؟ قال : أنظر في ذلك ثم أقول ، قال : فعليك بالمشركون ولم يكن أحد شيئا ، فأنشد أبياتا منها :

فَخَبَرُونِي ، أُمَامَانَ الْعَبَاءِ ، مَتَى كُنْتُمْ بِطَارِيقِ أَوْدَانَتِ لَكُمْ مُضَرٌّ ؟
فعرف الكراهية في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، لما جعل قومه أُمَامَانَ الْعَبَاءِ ، فقال :

نُجَابِلُ النَّاسَ عَنْ عَرَضٍ وَنَأْسِرُهُمْ فِينَا النَّبِيُّ ؛ وَفِينَا تَنْزِيلُ الشُّورِ
وَقَدْ عَلِمْتُ بَأَمَّا لَيْسَ يَخْلِينَا حَتَّى مِنْ النَّاسِ : إِنْ عَزَا ، وَإِنْ كَثُرُوا
ينتهى إلى أن يقول في النبي صلى الله عليه وسلم :

فَنَبَتْ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَنْبِيتِ مُوسَى ، وَنَصَرَا كَالَّذِي نَصَرُوا
فَأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه ، فقال : « وإياك فنبت الله يا ابن رواحة » .

طريقة جماعة ومن الشعراء من يسبق إليه بيت واثنان ، وخاطره في غيرها : يجب أن يكونا بعد ذلك بأبيات ، أو قبله بأبيات ، وذلك لقوة طبعه ، وانبعثات مادته ، ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثلاثة أو أربعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع إلا انحل عنه نظم أبياته ، وذلك

طريقة جماعة
من الشعراء
في النظم

غيب في الصنعة شديد ، وقص بين ؛ لأنه - أعنى الشاعر - يصير محصوراً على شيء واحد بعينه ، مُضَيِّقاً عليه ، وداخلاً تحت حكم القافية .
وكانوا يقولون : ليكن الشعر تحت حكك ، ولا تكن تحت حكمه .

ومنهم مَنْ إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ، ثم أخذ مستعملها ، وشرقيها ، ومساعد معانيه ، وما وافقها ، وأطرح ماسوى ذلك ، إلا أنه لا بد أن يجمعها ليكرر فيها نظره ، ويعيد عليها تخييره في حين العمل ، هذا الذي عليه حَذَقُ القوم .

ومن الشعراء مَنْ إذا جاءه البيت عَفَوا أثبته ، ثم رجع إليه فنقحه ، وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له ، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرعى لباله ..
وآخرُ لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه ، وتثقيفه من جميع جهاته ، وذلك أشرف للهمة ، وأدل على القدرة ، وأظهر للكلفة ، وأبعد من السرقة .
وسألت شيخاً من شيوخ هذه الصناعة فقلت : ما يعين على الشعر ؟ فقال :
زهرة البستان ، وراحة الحمام .

وقيل : إن الطعام الطيب ، والشراب الطيب ، وسماع الغناء ، مما يرق^٤ الطبع ، ويصفي للزاج ، ويعين على الشعر .

ولما أرادت قریش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تماطروا ذلك على كُباب البرِّ وسلَافِ الخمر ولحوم الضأن ولخلوة إلى أن بلبوا بمجهودهم . فلما سموا قول الله عز وجل (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَآلِكِ ، وَيَا سَمَاءُ اقْلُعِي ، وَغِيصَ الْمَاءُ ، وَقُضِيَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) ، وقيل بُدَأَ للقوم الظالمين) يثسوا عما طمعوا فيه ، وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق .

وقيل : مَقَوَّدُ الشعر المَنَاهُ به ، وذكر عن أبي الطيب أن متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها :

• جَلَلًا كَأَنِّي قَلْبُكَ التَّبَرُّعُ ^(١) •

وهو يَتَّبَعُ وَيَصْنَعُ ، فإذا تَوَقَّفَ بعض التَّوَقُّفِ رَجَّعَ بِالْإِنْشَادِ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى مِنْهَا .

وقال بعضهم : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ الشَّعْرَ فَلْيَمِشْ فَإِنَّهُ يَرِقُ ، وَلْيَزِرْ فَإِنَّهُ يَدِلُّ ، وَلْيَطْمَعْ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ . وقالوا : الْحِيلَةُ لِكَلَّالِ الْقَرِيحَةِ انْتِظَارُ الْحَامِ ، وَتَصِيدُ سَاعَاتُ النَّشَاطِ ، وَهَذَا عِنْدِي أَجْمَعُ الْأَقْوَالِ ، وَبِهِ أَقُولُ ، وَإِلَيْهِ أَذْهَبُ ..
وقال بكر بن عبد الله المزني : لَا تَكْدُوا الْقُلُوبَ وَلَا تَهْلُوهَا ، وَخَيْرُ الْفَسْكَرِ مَا كَانَ فِي عَقَبِ الْحَامِ ، وَمَنْ أَكْرَهَ بَصَرُهُ عَشَى ، وَاشْجَذُوا الْقُلُوبَ بِالْإِذَاكَرَةِ وَلَا تَيْسُوا مِنْ إِصَابَةِ الْحَكْمَةِ إِذَا مَنَحْتُمْ بِيَعُضِ الْاسْتِفْلَاقِ ، فَإِنْ مِنْ أَدَمَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَصَلَ .

وقال الخليل : مَنْ لَمْ يَأْتِ شَعْرُهُ مِنَ الْوَحْدَةِ فَلَيْسَ بِشَاعِرٍ ، قَالُوا : يَرِيدُ الْخَلُوءَ ، وَرَبَّمَا أَرَادَ الْغُرْبَةَ ، كَمَا قَالَ دِيكَ الْجَيْنُ : مَا أَصْنَى شَاعِرٌ مَغْرِبَ قُطْ .

صحيفة بشر بن
الحمر في
البلاغة

ومما لا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المتمر ، ذكر فيها البلاغة ، ودل على مظان الكلام والفصاحة ، يقول فيها : خذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً فَرَاغَكَ ، وَفَرَاغَ بَالِكَ ، وَاجَابَتَهَا لِأِيَّاكَ ، فَإِنْ قَلْبُكَ تِلْكَ السَّاعَةُ أَوْ كَرَمُ جَوْهَرٍ وَأَشْرَفُ حَسَا ، وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ ^(٢) ، وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ ، وَأَسْلَمُ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا ، وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغُرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ وَمَعْنَى بَدِيعٍ ، وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يَعْطِيكَ يَوْمُكَ الْأَطُولُ بِالسَّكْدِ وَالْجَاهِدَةِ ، وَبِالتَّكَلُّفِ وَالْمَعَانِدَةِ ، وَمِمَّا أَخْطَاكَ لَمْ يَخْطُوكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا ، أَوْ خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا

- (١) تمامه • أَغْذَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَخْضَرِ الشَّيْخِ • وهو مطلع قصيدة مدح بها مساور بن عماد الرومي (انظر الديوان : ج ١ ص ١٦٤) .
(٢) في للصريتين للطبوعتين « وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ » وهو تصحيف .

كما خرج من يبيوعه ، ونَجَّمَ من معدنه . وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلك إلى التقييد ، والتقييد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، ومن أراغ^(١) معنى كريماً فليكتس له لفظاً كريماً ؛ فإن حق للمنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصورنهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله أسوأ حالا منك من قبل أن تلتبس إظهارهما ، وترهن نفسك فى ملاستهما وقضاء حقهما ، وكن فى إحدى ثلاث منازل : فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، ونحما سهلا ، ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً : إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما للعامة إن كنت للعامة أردت ، والمضى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وإما مدار الشرف مع الصواب وإحراز للنفعة ، ومع موافقة الحال ، ومع ما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ المامى والخاص ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلبك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك فى فسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تلتف عن الدماء ، ولا تجفو عن الأنكفاء ؛ فأنت البليغ التام . فإن كانت المرة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك فى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أمانها المقسومة لها ، والقافية لم تحمل فى مركزها وفى نصايبها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قِلَّةً فى مكانها نافرة عن موضعها ؛ فلا تُسْكِرْهُم على اغتصاب مكانها ، والزول فى غير أوطانها ؛ فإنك - إذا لم تتعاط قَرْضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور - لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت نكلمتها ولم تكن حادقا مطبوعاً ، ولا محكما

(١) أراغ - بالغين اللججة والهمزة أوله - أراد وطلب ، ومثله ارتاع ، وفى التونية « راع » وهو خطأ .

لشأنك ، بصيراً بما عليك ولك ؛ عابك من أنت أقل منه عيباً ، ورأى من هو دونك أنه فوقك . فإن أنت ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع ؛ فلا تمجّل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك أو سواد ليلك ، وعادده عند نشاطك وفراغك ؛ فإنك لا تدمم الإجابة وللواناة إن كانت هناك طليعة ، أو جرّيت في الصناعة^(١) على عرق ، فإن تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ، ومن غير طول إهمال ؛ فالمزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشعي الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشبهه ولم تنازع^(٢) إليه إلا وبينكما نسب ، والشئ لا يمن إلا إلى ما شاكاله ، وإن كانت المشكلة قد تكون في صفات^(٣) ، إلا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والحبّة .

أفضل ما
استعان به
شاعر

وقال بعض أهل الأدب : حسب الشاعر عونا على صناعته أن يجمع خاطره ، بعد أن يحلّ قلبه من فضول الأشغال ، ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ، ثم يأخذ فيما يريد . وأفضل ما استعان به الشاعر فضل غنى أو فرط طمع^(٤) . والفقر آفة الشعر ، وإنما ذلك لأن الشاعر إذا صنع القصيدة وهو في غنى وسعة قبحها وأنعم النظر فيها على مهل ، فإذا كان مع ذلك طمع قوى انبعثها من ينشوعها ، وجاءت الرغبة بها في نهايتها محككة ، وإذا كان فقيراً مضطراً رضى بغفو كلامه ، وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ، ولم يتسع في بلوغ مراده ولا بلوغ مجهود نيته ؛ لما يحفزّه من الحاجة والضرورة ، فجاء دون عادته في سائر أشعاره

(١) في التونسية « من الصناعة » .

(٢) كذلك هو في عامة الأصول ، ولعله « ولم تنزع إليه » .

(٣) في التونسية « في طبقات » .

(٤) هكذا في التونسية ، وفي المصريتين « أو فضل طمع » .

وربما قصر عن هو دونه بكثير ، ومنهم من تحصى الحاجة خاطره ، وتبعث قريحته ؛ فيجود ، فإذا أوسع أَيْفَ ، وصحب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلا عن الكثيرة ، وللمادة في هذه الأشياء فعل عظيم ، وهي طبيعة خامسة كما قيل فيها .

(٢٩) - باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل للمرفة في المقاطع والمطالع : فقال بعضهم : هي الفصول والوصول بينهما ، فالمقاطع : أواخر الفصول ، والمطالع : أوائل الوصول ، وهذا القول هو الظاهر من نغوى الكلام ، والفصل : آخر جزء من التقسيم الأول كما قدمت ، وهي العروض أيضاً ، والوصل : أول جزء يليه من القسم الثاني وقال غيرهم : المقاطع : منقطع الأبيات ، وهي القوافي ، والمطالع : أوائل الأبيات وقال قدامة بن جعفر في بعض تأليفه وقد ذكر التصريح : هو أن يتوخم نصير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع ، أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف ، فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى . . وقد نجد من الشعر للرصع ما يكون سجعه في غير مقاطع الأجزاء ، نحو قول أم ممدان الأعرابية في مرثية لها :

فعل الجليل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل الذي لم يُعطه أحد

فالسجع في هذا البيت اللام المطردة في ثلاثة أمكنة منه ، وآخر الأجزاء التي هي المقاطع على شريطة الياء التي قبل اللام ، اللهم إلا أن يجعل السجع هو الياء الملتزمة لحيث ، على أنا لا نعلم حرف السجع يكون إلا متأخراً في مثل هذا المكان ، ومثل هذا في أنواع الأعراب كثير .

ومن الناس من يزعم أن المطلع وللقطع أول القصيدة وآخرها ، وليس ذلك

بشيء ؛ لأننا نجد في كلام جهابذة النقاد إذا وصفوا قصيدة قالوا : حسنة المقاطع ، جيدة للمطالع ، ولا يقولون المقطع والمطلع ، وفي هذا دليل واضح ؛ لأن القصيدة إنما لها أول واحد ، وآخر واحد ، ولا يكون لها أوائل وأواخر ، إلا على ما قدمت من ذكر الأبيات والأقسام وانتهائها .

وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين عن هذا ، فقال : المقاطع أواخر الأبيات ، والمطالع أوائلها ، قال : ومعنى قولهم « حسن المقاطع جيد المطالع » أن يكون مقطع البيت — وهو القافية — متمكناً غير قلق ولا متعلق بشيء ، فهذا هو حسنه ، والمطلع — وهو أول البيت — جودته أن يكون دالاً على ما بعده كالتصدير وما شاكلة .

وروي^(١) الجاحظ أن شبيب بن شيبان كان يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ومدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع ومدح صاحبه ، وحظ جودة القافية — وإن كانت كلمة واحدة — أرفع من حظ سائر البيت أو القصيدة^(٢) ، وحكاية الجاحظ هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة ، وهو بالبيت أليق ؛ لذلك حظ القافية .

وحكى أيضاً عن صديق له أنه قال للثاني : ما البلاغة ؟ فقال : كل كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، قال : قلت : قد عرفت الإعادة والحُبسة ، وما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هناه اسمع مني ، واستمع إلي ، وانهم ، وألست تفهم ؟ هذا كله عيٌّ وفساد .

قال صاحب الكتاب : وهذا القول من الثقات يدل على أن المقاطع أواخر الفصول . ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد

(١) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ١٠٦) .

(٢) هذه الكلمة غير موجودة في نسخة البيان والتبيين .

أبن سلم^(١) والله إنك لتُصنئ لحديثي ، وثقف عند مقاطع كلامي .

وإذا جمل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين ، وإذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة ، وهو مسموع على غير قياس .

(٣٠) - باب المبدأ ، والخروج ، والنهاية

قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر : لقد طار اسمك واشتهر ، فقال : لأنني أنقلت^(٢) الحز ، وطبقت للفصل ، وأصبت مقاتل الكلام ، وقرطست نكت الأغراض بحسن القوافي والخواصم ولطف الخروج إلى المدح والمجاء ، وقد صدق ، لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح ، ولطافة الخروج إلى المدح ، سبب ارتياع المدح ، وخاتمة الكلام أبقي في السمع ، وألصق بالنفس ؛ لقرب العهد بها ؛ فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في الصريتين « سعيد بن أسلم » وكتب بحواشيها « وفي نسخة سعيد ابن مسلم » ، والصواب ما أثبتناه ، وسعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة ابن سلم الباهلي ، وكان من أمراء الدولة العباسية ، وقُدولي أرمينية والوصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وذكره الجاحظ في البيان والتبيين كثيرا ، وروى الجاحظ هذه البارة هكذا « والله إنك لتستغني حديثي ، وثقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته » انظر (ج ٢ ص ٣٠) وأبو سلم قدولي إمرة البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان الحمار ، ثم وليها مرة أخرى في أيام أبي جعفر المصور ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ . وتوفي ابنه سعيد في سنة ٢٠٩ هـ .

(٢) كذا في الصريتين ، وفي التونسية « أجبت الحز » وأظنه « أصبت الحز »

منزلة هذه
الأمور الثلاثة

وبعد ، فإن الشعر قُلُّ أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يَجُودَ ابتداءً
 شعره ؛ فإنه أول ما يقرعُ السمع ، وبه يستدل على ماعنده من أول وهلة ، وليجتنب
 « ألا » و « خليلي » و « قد » فلا يستكثرُ منها في ابتدائه ؛ فإنها من علامات
 الضعف والتكلان ، إلا للقدماء الذين جَرَّوا على عرف ، وعملوا على شاكلة ،
 وليجعله حلواً سهلاً ، ونحماً جزلاً ، فقد اختار الناس كثيراً من الابتداءات أذكر
 منها ههنا ما أمكن ليستدل به ، نحو قول امرئ القيس :

* قَفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *^(١)

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر ؛ لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى
 وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقوله :

* أَلَا هُمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالَى *^(٢)

ومثله قول التطائي - واسمه عُمر بن شَيْمٍ التغلبي - :

* إِنَّا مُحْيِيُوكَ فَأَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ *^(٣)

وكقول النابغة :

كَلَيْتِي لِمَنْ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ يَطْلُ الْكَوَاكِبِ

وقوله :

كَمَتْنِكَ لَيْلًا بِالْجُومَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا

(١) هذا مطلع معلقته ، وعجزة * بسقط اللوى بين الدخول فغومل *
 وقد نسب بعض أهل العلم مدح هذا للبدأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) تمامه * وهل يعمن من كان في العصر الخالي *

(٣) تمامه * وإن يليت وإن طالت بك الطيل *

هذا بعض ما اختير للقدماء .. وما اختير لهم في الرثاء قول أوس بن حجر :
أيتها النفسُ أجيلي جزعاً إنَّ الذي تحذرينَ قدَّ وقماً
وما اختير للمحدثين قول بشار بن برد :

* أَيْ طَلَلُ بِالْجَزْعِ أَنْ يَقْلَمَ^(١) *

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث ، وقول أبي نواس :
لمن دمنُ تزدادُ طيب نسيهم على طول ما أقوتُ وحسن رسوم
وقوله :

رسمُ الكرى بين الجفونِ محيلُ عَفَى عليه بُكَى عليك طويلُ
وقوله :

أعطتك رِيحَها الثَّمارُ وَحانَ من ليلنا انفسار
وقوله :

دَع عَنْكَ لَوْحِي فَإِنَّ اللَّوْحَ إِغْرَاءُ وَدَاوْنِي بِالتَّى كَأَنْتَ هِيَ الدَّاءُ
وما أشبه ذلك مما لو تفصيته لطال وكثر ..

وليرغب عن التعميد في الابتداء ؛ فإنه أول الميِّ ، ودليل التَّهْمَة ، فقد حكى
أن دعبيل بن علي الخزازي ورد حصص قصص دار عبد السلام ابن رَغْبَان ديك
الجن ، فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه ومُشَارَته ، فقال : ماله يستتر وهو أشعر
الجن والإنس ؟ أليس هو الذي يقول ؟ :

(١) تمامه * وماذا عليه لو أجاب متباً * وبعده :

وبالقاع آثار بقين ، وبالووى ملاعب لا يعرفن إلا توها
وانظر الأغاني (ج ٣ ص ١٤٨) طبعة دار الكتب المصرية .

بها غَيْرَ مَعْدُولٍ^(١) فَذَاوِ خُمَارِهَا وَصِلَ بِمَشِيَّاتِ التَّبَوُّقِ ابْنِ كَارِهَا
وَنَلَّ مِنْ عَظِيمِ الرِّدْفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ خَافَ الْخَيْطَانِ نَارَهَا
فَظَهَرَ إِلَيْهِ ، وَاعْتَذَرَ لَهُ ، وَأَحْسَنَ زُرُّهُ ، ثُمَّ تَنَاشَدَا فَأَنشَدَ دِيكَ الْجِنِّ ابْتِدَاءَ
قَصِيدَةٍ :

كَأَنَّمَا مَا كَانَتْهُ خَلَّلَ السَّخْلَةَ وَقَفَّ الْمَلُوكُ إِذْ بَقِيَ^(٢)

فَقَالَ لَهُ دَعْبِلُ : أُنْسِيكَ ، فَوَاللَّهِ مَا غَلَنَتْكَ تَمَّ الْبَيْتُ إِلَّا وَقَدْ غَشَى عَلَيْكَ ،
أَوْ تَشَكَّيْتُ فَكَيْفِكَ ، وَلَسْكَأُنْكَ فِي جَهَنَّمَ تَخَاطَبَ الزَّبَانِيَةِ ، أَوْ قَدْ تَحَبَّطَكَ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْدِيكَ أَنْ يَهْوَلَ عَلَيْهِ ، وَيَقْرَعَ سَمْعَهُ ، عَسَى أَنْ
يَرْوِعَهُ وَيَرْدَعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْهُ مَا كَرِهَ أَنْ يَسْمَعَهُ ، وَلَمَرَمَى مَا ظَلَمَهُ دَعْبِلُ ، وَلَقَدْ أَبْعَدَ
مَسَافَةَ الْكَلَامِ ، وَخَالَفَ الْعَادَةَ ، وَهَذَا بَيْتٌ قَبِيحٌ مِنْ جِهَاتٍ : مِنْهَا إِضْمَارُ مَا لَمْ
يَذْكَرْ قَبْلُ ، وَلَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِمَثَلِهِ فَيَمْنُرُ ، وَلَا كَثُرَ اسْتِمَالُهُ فَيَشْتَهَرُ ، مَعَ إِحَالَةِ
تَشْبِيهِ عَلَى تَشْبِيهِ ، وَثَقُلَ تَجَانُسُهُ الَّذِي هُوَ حُشْوُ فَارِغٍ ، وَلَوْ طَرَحَ مِنَ الْبَيْتِ لَسْكَانُ
أَحْزَمٍ ، وَاسْتَدْعَى قَافِيَتَهُ لِأَشْيَاءٍ إِلَّا لِفْسَادِ الْمَعْنَى وَاسْتِحَالَةِ التَّشْبِيهِ ، مَا الَّذِي يَرِيدُ
بـ « بَنَامُهُ » فِي تَشْبِيهِهِ الْوَقْفَ - وَهُوَ السَّوَارُ - وَلَمْ كَانَ وَقَفَّ الْمَلُوكُ خَاصَةً ؟
وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّ عَشِيْقَتَهُ كَأَنَّهَا فِي جِيدِهَا وَعَيْنِهَا الْفَرْزَالُ الَّذِي كَانَتْهُ بَيْنَ نَبَاتِ الْخَلَّةِ
سَوَارُ الْجَارِيَةِ الْحَسَنَةِ الْمَشَى الْمُتَهَالِكَةِ فِيهَا - وَقِيلَ : الْمَلُوكُ الْبَغِيُّ الْفَاجِرَةُ - فَمَا
هَذَا كُلُّهُ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ نَحْتَهُ ؟ .

ومثله قول عماد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها الحسن
أبن سهل :

(١) في الصريتين * بها غير معدول . . . *

(٢) حل المأظله هكذا : كأنها القدي كأنه في حال وجوده خلل الخلة وقت
بنامه وقف الملوك ، وهو شيء في غاية الثقل .

كَأَنَّهُمَا - حِينَ تَنَاقَى خَطَاؤُهُمَا أَخْنَسُ مَطْوِي الشَّوَى يَرَى الْقَلْبَانِ
فالغيب الأول في مخالفة العادة لازم له ، ومع ذلك قوله « حين تنأى
خطوها » مقصر بها ، وهو يقدر أن يقول « حين تدانى خطوها » وخالف جميع
الشعراء بذلك ؛ لأنهم إما يصفون الناقة بالظلم والجار والثور بمد الكلال غلوا
في الوصف ومبالغة ، هذا هو الجيد ، فإن لم يفعلوا لم يذكروا أنها بذلت جهدها ،
واستغرقت جميع ما عندها ، بل يدعون التأويل محتملا للزيادة ، ثم قال « يرى
القلل » والثور لا يرى قلل الجبال ، وإنما ذلك الوعل ؛ فإنه لا يسهل ، والثور
في السهول والدماء ومواضع الرمال ، إلا أن يريد قلل النبات [أى] أعاليه ،
فربما أن تكون القلل نباتاً بيمينه أو مكاناً قد يمكن ، وما سمعت بهما .

ومن الشعراء من يقطع للصراع الثاني من الأول إذا ابتدأ شعراً ،
وأكثر ما يقع ذلك في النسيب ، كأنه يدل بذلك على ولّه وشدة حال ، كقول
أبي الطيب :

جَلَلًا كَأَنِّي فَلَيْكُ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنُ الشَّيْخُ ؟

فهذا اعتذار من اعتذره ، ولو وقع مثل هذا في الرثاء والتفجع لكان موضعه
أيضاً ، وكذلك عند العظام من الأمور والنوازل الشديدة .

وليحترس عما تناله فيه بادرة ، أو يقع عليه مطعن ؛ فإن أبا تمام امتنع أبا ذؤانف
بحضرة من كان يكرهه ، فافتتح بنشد قصيدته للشهورة :

* عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَأَ عَيْبٍ ^(١) *

وكانت فيه حبة شديدة فقال الرجل : « لئنة الله والملائكة والناس
أجمعين » فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه ، على أنه غير مأخوذ بما قيل ،

ولا هو مما يُدْخَلُ عليه عيباً ، ولا يلزمه ذنباً على الحقيقة ، إلا أن الحوطة والتحفظ
من خجلة الباردة أفضل وأهيب ، والتفريط أرذل وأخذل .
مأخذ على جرير ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :
* أَتَضَحُّوْا أَمْ فُوَادُكْ غَيْرُ صَارِحْ ^(١) *

فقال له عبد الملك : « بل فوادك يابن الفاعلة » كأنه استغل هذه المواجهة
وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه .
مأخذ على للتبتي ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئاً ،
وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافوراً :

كني بك داه أن ترى الموت شافيا وحسبُ اللأيا أن يَكُنَّ أمانيا
فالطيب من باب التأدب للولوك ، وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا
الابتداء ، لا سيما وهذا النوع - أعنى جودة الابتداء - من أجلِّ محاسن أبي
الطيب ، وأشرف ما أثر شعره إذا ذكر الشعر .
مأخذ على ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشدته شيئاً من شعره ، فأنشده
ذي الرمة قصيدته :

ما بال عينك منها للماء ينسكب ^(٢)

وكانت بعين عبد الملك ريشة ، وهي تدفعُ أبداً ، فتوم أنه خاطبه أو عرض
به ، فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل !! ففته وأمر بإخراجه .
مأخذ على وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة :
أبي النجم والشمسُ قد كادت ولماً تفعلِ كأنها في الأفقِ عَيْنُ الأَحْوَلِ
وكان هشامُ أَحْوَلُ ، فأمر به فحجب عنه مدة ، وقد كان قبل ذلك من
خاصته : يسر عنده ، ويمارحه .

وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء ؛ إما من غفلة في الطبع وغلظ ، أو من
سبب وقوع الشاعر فيه

(١) تمته * عشية هم صبحك بالرواح *

(٢) تمته * كأنه من كلِّ مغربة سريب *

استغرق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول ابن ذهب .
والعقل الحاذق يختار للأوقات ما يشاء كلها ، وينظر في أحوال الخاططين ؛ فيقصد
مَحَابَّتَهُمْ ، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ، ويتفقد ما يكرهون سماعه
فيجتنب ذكره . . ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً
ذكر فيه « لو خلد أحد بكرم لكنت غلداً بكرمك » وقال كلاماً نحو هذا ،
فقال الملك : إن الموت حق ، وإن لنا منه نصيباً ، غير أن الملوك تسكره ذكر
ما ينسكده عيشها ، وينقص لذتها ، فلا تأتينا بشيء مما نكره ذكره . .

ومن للمشهور أن النعمان رأى شجرة ظلييلة ملتفة الأغصان ، في مرج
حسن كثير الشقائق ، وكان مُتَجَبِّباً بها ، وإليه أُضيفت « شقائق النعمان » فنزل وأمر
بالطعام والشراب فأحضر ، وجلس لذته ، فقال له عدى بن زيد المبادي وكان كاتبه :

أُتِعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة ؟ فقال : وما تقول ؟ قال : تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ الْهَامَاءَ الزُّمْلَا

عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَتَوَوَّا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ ^(١)

مَنْ رَأَانَا فَلْيُؤَطِّنْ نَفْسَهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قَرَبٍ زَوَالٍ ^(٢)

كانه قصد موعظته ، فتنصص عليه ما كان فيه ، وأمر بالطعام والشراب فرفعا
من بين يديه ، وارتحل من قَوْرِهِ ، ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وليلته ، وكانا جميعاً ^(٣)
نصرانيين ؛ فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .

(١) يروى صدره * عصف الدهر بهم فافترضوا * وفي التونسية

* عكف الدهر عليهم فتووا * وفي المصريتين * ... فتووا * بالثنية

(٢) في المصريتين « فرط زوال » وفي التونسية « قرن زوال » ولكن
المعروف في الرواية « قرب زوال » كما أثبتناه ، ويرى أيضاً « قرن زوال » .

(٣) يقول بعض الناس : إن النعمان كان إلى ذلك الهد وثيقاً ، وإنه تصر على
يدى عدى بن زيد بعد هذه الموعظة وأشباهاها ، ويحكيون مع هذا قصصاً وروايات
كثيرة .

ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدناء لهم بطول العمر ، حتى بلغوا بهم
الشعراء للبلوك من دعاء
مالا يمكن ، فقالوا : عش أبداً ، وأسلم مدى الدهر ، وابق بقاء الزمان ، ودم مدة
الأيام .

واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ما يتحل كل واحد منهم في قول
أبي نواس للأمين :

يا أمين الله عش أبدا دُم عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنْ

وفي كثير من مثله . وإذا خرج الكلام عن حد الإمكان فلإنما يراد به بلوغ
الغاية لا غير ذلك .

ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه ، وخالف فيه مذهبه ؛ أن
بعض بني برمك بنى داراً استفرغ فيها مجهوده ، وأثقل إليها ، فصنع أبو نواس
في ذلك الحين أو قريباً منه قصيدة يمدحها بها يقول أولها :

أرْبَعُ أَلْيَى ، إِنْ الْخُشُوعَ لِبَادِ عَلَيَّكَ ، وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي
وَحْتَمَهَا أَوْ كَادَ بِقَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قَدَّعْتُمْ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَاعِمِينَ وَغَادِي

فتطير منها البرمكى ، واشتأز حتى كلع وظهرت الوجرة عليه . ثم قال :
ميت إلينا أنفستا يا أبا نواس ، فما كانت إلا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد
وصحت الطيرة . . وزعم قوم أن أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشيء كان في نفسه
من جعفر ، ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأن القصيدة من جيد شعره الذي
لا أشك أنه يحفل له ، اللهم إلا أن يصنع ذلك حيلة منه ، وسأقرأ على ما قصد
إليه بذلك .

وللشعراء مذاهب في اختراع القصائد بالنسب ؛ لما فيه من عطف القلوب ، منهج الشعراء واستدعاء القبول بحسب مافي الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، في الافتتاح وإن ذلك استدراج إلى ما بعده .

ومقاصد الناس تختلف : فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال ، وتوقع البين ، والإشفاق منه ، وصفة الطلول والحول ، والشوق بجنين الإبل ولحم البروق ومر النسيم ، وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياح التي يملحون بها من خزانى ، وأقحوان ، وبهار ، وحنوة ، وظليان ، وعزار ، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب . وتنبته الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم ، ولا يعدون النساء إذا تغزلوا ونسبوا ، فإن وقع مثل قول طرفه :

وفي الحلى أخوى ينفس المرء دشايد مظاهر تملأ لؤلؤ و برجد
فإما هو كناية بالغزل عن المرأة .

وأهل الحاضرة يأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود ، والمجران ، والواشين ، والرقباء ، ومتمعة الحر من الأبواب ، وفي ذكر الشراب والندامى ، والورد والنسرير والنيلوفر ، وما شاكل ذلك من النواير البلدية ، والرياحين البستانية ، وفي تشبيه التفاح والتحية به ، ودمس الكتب ، وما شاكل ذلك مما هم به مفردون . . وقد ذكروا اللسان تصرىحا ، ويذكرون النساء أيضا : منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم ، وأتباعا لما ألفته طباع الناس معهم ، كما يذكر أحدهم الإبل ، ويصف المفاوز على العادة المعتادة ، ولعله لم يركب جملا قط ، ولا رأى ما وراء الجبابة ، ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقادا منه ، وإن ذكر جريا على عادة الحدّثين ، ولو كان طريقتهم ؛ لئلا يخرج عن سلك أصحابه ، ويدخل في غير سلكه وبابه ، أو كناية بالشخص عن الشخص لفته ، أو حب رشاقته . . وهذا مما لا يطلب عليه شاهد لكثرة ، إلا أنى أتلح في هذا للكان بقول أبي نواس :

على عين وأذن من مذكرة موصولة بهوى اللوطى والنزل
كلاهما نحوها سام بهمته على اختلافهما فى موضع العمل
يذكر الشاعر أن يذكر الشاعر ما قطع من المنازل ، وما أنفى من الركائب ،
وما تجشم من هول الليل وسهره ، وطول النهار وحجيره ، وقلة الماء وغزوره ، ثم
يخرج إلى مدح المقصود ؛ ليوجب عليه حق القصد ، وذمائم التقاصد ، ويستحق
منه للكفاة .

وكانوا قديماً أصحاب خيام : ينتقلون من موضع إلى آخر ؛ فذلك أول
ماتبدأ أشعارهم بذكر الديار ، فذلك ديارهم ، وليست كأبنية الحاضرة ؛ فلامنى
لذكر الحضرى الديار إلا مجازاً ؛ لأن الحاضرة لا تنسها الرياح ، ولا يمحوها
المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل
الجيل ، وأحسن ما استعمله المولودون المحدثون ما ناسب قول على بن العباس
الروى :

سَمَى اللهُ قَصْرًا بِالرَّصَافَةِ شَاقِيَّ
بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رَصَافِي^(١)
أَشَارَ يَقْنِيَانِ مِنَ الدَّرِّ قَمْعَتَ
يَوَاقِيَتَ حُمْرًا فَاسْتَبَاحَ قَقَافِي
وكانت دوابهم الإبل لكثرتها ، وعدم غيرها ، ولصبرها على التعب وقلة
الماء واللف ، فلهذا أيضاً خصوها بالذكر دون غيرها ، ولم يكن أحدهم يرضى
بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون ؛ ألا ترى أن أمراً القيس لما
كان ملكاً كيف ذكر خيل البريد والفرانق - يعنى البريد - على أنه لم
يستغن عن ذكر الإبل للعادة التى جرت على ألسنتهم ، فقال يصف رحيله إلى
قيصر ملك الروم :

(١) هكذا فى التونسية ، وفى الصريتين « قصرى الديار » .

إذا قلت رَوْحَنَا أَرَنْ فُرَانِقُ عَلَى جِلْعَدٍ وَاهِي الْأَجَلُ أَبْتَرَا^(١)
 عَلَى كُلِّ مَقْصُوصٍ الدُّنَابِيُّ مَعَاوِدُ بَرِيدُ السَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلٍ بَرَّ بَرَا^(٢)
 إِذَا زُعْتُ مِنْ جَانِبِهِ كَلِيمَا مَشَى الْهَيْدَبِيُّ فِي دَفْنِهِ ثُمَّ فَرَقَرَا^(٣)
 أَقْبَ كَسِيرُ حَانَ النُّضَا مُتَمَطِّرُ تَرَى الْمَاءَ مِنْ أَعْطَافِهِ قَدْ تَحَدَّرَا^(٤)

وكانت الخليل البربرية تهلب أذناها كالبنغال؛ لتدخل مداخلها في خدمة
 البريد، وليعلم أنها للهلك. وقال الفرزدق:

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةِ الْبِغَالِ عَشِيَّةً فَارَعَى فَرَازُهُ لَاهَنَّاكَ لِلرَّتَعِ

لما كان الذي راحت به البغال أميراً يذكر رحيله وقد غُزِلَ
 وقال ابن ميادة في ابن هيرة لما كان أميراً أيضاً:

(١) روحنا: أرحنا من تعب السير. أرن: أعلن بالصياح. فرانق - بوزان
 علابط - الأسد وهو معرب، قاله الوزير أبو بكر. جلعد: غليظ قوى. الأجل:
 جمع أجل، وهو عرق الأكل. أبتَر: محذوف الدنب، وكذلك خيل البريد.
 (٢) الدنابي: الدنب، وخيل البريد من علاماتها حذف أذناها كإفئنا، وبريد
 السرى: معمول لمعاود فهي بالنصب، وذكر أبو بكر فيه رواية بالجبر، على أنه
 نعت لما قبله. وخص خيل بربر لأنها عندهم أصلب الخيل، قال أبو بكر: وبربر:
 قبيلة.

(٣) زعته: حذبه بالجمام، وفي المصرتين «رعت» بالراء مهملة، وهو
 تحريف، والهيدبي: بالدال المهملة وبالدال للجمة - من الإهذاب وهو سرعة السير
 ورواه ابن دريد «المربذي» وهو مشى في تجتر، والدف: الجنب، ووفرر:
 نقص رأسه، ومنهم من يرويه «قرفر» بقاءين.

(٤) أقب: ضامر. السرحان: الدنب، والنضا: شجر، وذئابها أخبت الدئاب
 متمطر: سباق، الماء: أراد به العرق، وكفى بذلك عن أنه مجده.

جاءت به مُتَجَرِّراً يُرْزِدهُ صفواءُ تردى بنسيع وحده

تدحُّ قيسُ كلها بزنده

إلا أن منهم من خالف هذا كله فوصف أنه قصد للمدح راجلاً : إما
لخياراً بالصدق ، وإما تعاطى صلحاً ورجلة .

قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الخُضْرَيَّ الْمَسْنَا

قلائصُ لم تعرف حنيناً على طلائ^(١) ولم تدر ما قرعُ القَيْنِيّ ولا الهِنَا

فذكر أن قلائصهم التي امتطوها إليه نعلهم ، فأخرجه كما ترى خرج اللغز ،
وأتبعه أبو الطيب فقال :

لا ناقتي تحمل الرديف ، ولَا بالسَّوطِ يوم الرّهانِ أجهدّها

شراكها كورّها ، ومفقرّها زمامها ، والشُّسوعِ مِقْوَدُهَا

وقال كُرّةً أخرى في مثل ذلك يتشكى :

وَحَيِّتْ مِنْ خُوصِ الرّكابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَتَدَوَّتْ أُمِّي رَاكِبًا^(٢)

وقال أيضاً يتصملك ويتفقر :

وَمَهْمَ جَبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعَجَّرُ عَنْهُ الْعَرَائِسُ الدُّلُلُ

(١) في الديوان * لم تسقط جنينا من الوجى * والمفوظ * لم تعرف
حنيناً إلى طلائ *

(٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها علي بن منصور الحاجب (ج ١ ص ٨٨)
والخوص : جمع خوصاء ، وهى الناقة الثائرة العنينة من الإغياء . والركاب : الإبل
والدارش : ضرب من السخنيان ، وهو جلد أسود ، يقول : أعطيت بدلا من النياق
الخوص جلدا أسود - وهو الحف - فأنا راكب ماش .

بَصَارِي مَرْتَدٍ ، بِمَخْبَرَتِي ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ^(١)
 ولو شاء قائل أن يقول : إن أبا نواس لم يرد ما ذهب إليه أبو الطيب ،
 لكن أراد أنه معه في بلدة واحدة قصدته في حاجته محتذياً بعليه ؛ لكان ذلك
 أظهر وجهاً ، ما لم يكن الحضريُّ من الجلود مخصوصاً به للمسافر دون الحاضر ،
 وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد .

وقد ذكر أبو الطيب الخليل أيضاً في كثير من شعره ، وكان يؤثرها على
 الإبل ؛ لما يقوم في نفسه من التهيّب بذكر الخليل ، وتماطى الشعاع ، قال^(٢)
 يذكر قدمه إلى مصر على خوف من سيف الدولة :

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْمَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسُ إِيَّانَ تَغْرُبُ
 وَتَعْنِي إِلَى أَذُنِي أَغْرُ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقِي يَتَيْنُ عَيْنِيهِ كَوَكْبُ
 لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِيَّاهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَجِيبٍ وَتَذْهَبُ
 شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءُ أَذُنِي عَيْنَانَهُ فَيَطْفِئُ ، وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْمَبُ
 وَأَصْرَحُ أَيْ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَزْلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ
 وَمَا الْخَلِيلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِنْ لَا يُجْرُبُ
 إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيْئَتِهَا وَأَعْضَائُهَا فَأَلْحَسْنُ عَنْكَ مُقَيَّبُ

(١) البيتان من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار (ج ٢ ص ١٥٠) واللمحه :
 الفلاة . جيته : قطعه وسرت فيه . العرامس : النوق الصلاب الشديدة . الدال :
 للدلالة بالعمل « بصاري مرتد » متناً مؤخراً وخبر مقدم « بمخبرتي مجتزى » :
 مثله أيضاً ، والمخبرة - بالحاء معجمة - المعرفة . يقول : قد قطعت هذا للكان
 القفر وأنا متقلد سيفي مكتب بجلي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل .

(٢) (انظر الديوان (ج ١ ص ١٢٤) .

وليس في زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله ، إلا ما [لا] يمدق له ؛ فالواجب اجتنبه ، إلا ما كان حقيقة ، لاسيما إذا كان للمادح من سكان بلد المدوح : يراه في أكثر أوقاته ، فما أقيح ذكر الناقة والقلاة حينئذ ! .

من شعر مؤلف الكتاب
وقد قلت أنـلـو إن لم أدخل في جملة من تقدم ، ولا بلغت خطته من قصيدة
اعتذرت بها إلى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة غبتها عن الديوان :

| | |
|----------------------------------|---|
| إليك يَخَاضُ البحرُ قَمْعًا كأنه | بأمواجه جيشٌ إلى البر زاحفٌ |
| ويبث خلف الشجر كل منيفة | تربك يداها كيف تطوى التنايفُ |
| من الموجفات اللآء يقدفن بالحصى | ويرمى بهنَّ اللممة للتماذيفُ |
| يطير القنّام الجمدُ عنها كأنه | من القطن أو تلج الشتاء ندائِفُ ^(١) |
| وقد نازعت فضل الزمام ابن نكبة | هو السيفُ لا ما أخلصته المشارفُ |
| فكيف تراني لو أغيثت على النفي | يحدّ ، وإني للنفي لمسارفُ |
| وقد قرب الله المسافة بيننا | وأعجزني الوعد الزمانُ المساوِفُ |
| ولولا شقائي لم أغيب عنك ساعة | ولا رام صرفي عن جنبك صارِفُ |
| ولكنني أخعأت رشدي فلم أصب | وقد يخطئ الرشداً التقى وهو عارفُ |

فذكرت قرب المسافة بيني وبينه حوَطةً وإخباراً أن خوض البحر وجوب
القلاة من صفة غيري من القصاد والفرباء والمنتجعين من الأمصار .

(١) القنّام : الزبد الذي يخرج من الجمل من فمه ، وقد لقم من باب منع . والندائف : جمع نديفة ، وهي القطعة من القطن تضرب بالندف ، وهي الحبة التي يضرب بها التورليق القطن .

ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولي إليه - أدام الله عزه - عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا :

وذئال له رَجُلٌ طَحُونٌ لما نزلت به ، وَيَدُّ زَجُوجُ
يَطِيرُ بَارِيعٌ لَا عَيْبَ فِيهَا لظهران الصَّفَا منها عَجِيجُ
خرجت به عن الأوهام سَبَقًا وَقَلَّ له عن الوهم الخُروجُ
إلى اللك للعز أبي تميم أمرُ بمن سواه فلا أَعِيجُ

ومن أخرى في معنى التفقر والرحلة :

وماء بَيِّدٍ التَّوَرُّ كالتَّجَمُّ في الدَّجَى وَرَدَّتْ طَرُوقًا أَوْ وَرَدَتْ مُهْجَرًا^(١)
على قدم أخت الجناح وأخمس يخال حمى المزاء جمرًا مسمرًا
فريدًا من الأصحاب صلتان الكسا كما أسلم الفصد الحُسامُ للذكرا

ومن الشعراء مَنْ لَا يَجْعَلُ لِكَلَامِهِ بَسْطًا مِنَ النِّسْبِ ، بَلْ يَهْجُمُ عَلَى مَا يَرِيدُهُ مَكَاخِفَةً ، وَيَتَنَاوَلُهُ مَصَافَحَةً ، وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ هُوَ : الْوَبْ ، وَالْبَر ، وَالْقَطْعُ ،
وَالْكَسْعُ ، وَالْاِقْتِصَابُ ، كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ . . وَالْقَصِيدَةُ إِذَا كَانَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ
بَرَاءً كَالْمُخْطَبَةِ الْبَرَاءِ وَالْقَطْعَاءِ ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَبْتَدَأُ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَادَتِهِمْ
فِي الْخُطْبِ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا كَانَ مَذْحُفٌ فَالنِّسْبُ الْمَقْدَمُ أَكُلُّهُ فَصِيحٌ قَالَ شَيْخٌ مُتَمِّمٌ ؟
فَأَتَكَرَّ النَّسِيبُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَ هَذَا الْبَابَ وَفَتَحَ هَذَا الْعَمَى
أَبُو نَوَاسٍ بِقَوْلِهِ :

لَا تَبْكُ لَيْلٍ ، وَلَا تَعْرَبُ إِلَى هِنْدٍ وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ شِعْرَاءِ كَالْوَرْدِ

(١) الطرق - بفتح فسكون - ومثله الطروق - بضم الطاء والراء جميعاً -
الإنبان بالليل ، والطروق - بفتح الطاء - الوصف منه . ومهجرًا : اسم فاعل من
هجر ، إِذَا آتَى وَقْتُ الْمَاجِرَةِ .

طريق أبي
نواس في
الابتداء

وقوله وهو عند الخاتمي فيا روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر
من القدماء والمحدثين :

صِفَةُ الطَّلُولِ بِلَاغَةُ الْقَدِيمِ فَاجْتَلِ صِفَاتِكَ لَا بِنْتَ الْكَرِيمِ
ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخر ، وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال :
أَعْرِضْهُنَّكَ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَا قَدْ طَلَمَا أَرَى بِهِ نَعْتِكَ انْخَمَرَا
دَعَانِي إِلَى نَسْتِ الطَّلُولِ مُسَلَّطٌ تَصْبِقُ ذِرَاعِي أَنْ أُرْدَ لَهُ أَمْرَا
فَسَمِعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةً وَإِنْ كُنْتُ قَدْ جَسَمْتُنِي مَرْكَبًا وَغَرَا
فجهر بأن وصفه الأطلال والقفر إنما هو من خشية الإمام ، وإلا فهو عنده
فراغ وجمل ، وكان شعوى اللسان ، فما أدري ما وراء ذلك ، وإن في اللسان
وكنة ولوعه بالشئ لشاهداً عدلاً لا ترد شهادته . وقد قال أبو تمام :

* لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ *^(١)

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلاً ، كما يصنع
بعض أهل زماننا هذا ، وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح إن
شاء الله تعالى .

ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ، ولا يتكلف له ، ثم يجيد باقي القصيدة
وأكثرهم فضلاً لذلك البحتري : كان يصنع الابتداء سهلاً ، ويأتي به جفواً ،
وكما نمدى قوى كلامه ، وله من جيد الابتداءات كثير ؛ لكثرة شعره ،
والنائب عليه ما قدمت ، غير أن القاضى الجرجاني فضله بمجودة الاستهلال -
وهو الابتداء - على أفى تمام وأبى الطيب ، وفضلهما عليه بالخروج والقامة ،
ولست أرى لذلك وجهاً ، إلا كثرة شعره كما قدمت ؛ فإنه لو حاسبهما ابتداء

من الشعراء
من لا يجيد
الابتداء

(١) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ،
وصدوره * وبما كانت الحكماء قالت * انظر الديوان (ص ٨٠) .

جيداً بابتداء مالأرضي عليهما وقصرا عن غيره . . فأما الخاتمي فإنه يغض من أبي عبادة غضاً شديداً ، ويجور عليه جوراً يئناً لا يقبل منه ولا يسلم إليه .

من ابتداءات
أبي تمام الجيدة

وكان أبو تمام فخم الابتداء ، له روعة ، وعليه أبهة ، كقوله :
الحقُّ أبلجُ ، والسُّيوفُ عوارٍ فَعَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرَبِ حَدَارٍ

وقوله :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ السُّكُتِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

وقوله :

أَصْنَى إِلَى الْبَيْنِ مُنْقَرًا فَلَا جَرَمًا^(١)

وقوله :

يَارْبَعُ تَوَرَّبُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ^(٢)

والغالب عليه تحت اللفظ . وجهارة الابتداء . .

وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي يفضل ابتداءات البحري جداً ، وهو الذي وضع كتاب اللوازنة والترجيح بين الطائفتين ، ونوه فيه بالبحري أعظم تنويه . . ومن جيد ابتداءاته قوله :

من جيد
ابتداءات
البحري

عَارَضْنَا أَصْلًا فَقُلْنَا الرَّبُّ رَبُّ حَتَّى أَضَاءَ الْأَفْخُونَ الْأَشْشَبُ

وقوله :

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وَقُوفِ الرَّكَّابِ فِي مَقَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ التَّصَانِي ؟

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصمى ، وعجزه *

إن النوى أسأرت في عقله لما * انظر الديوان (ص ٣٠١) .

(٢) وهذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق السابق ، وعجزه * مستسلم

لجوى الفراق سقيم * انظر الديوان (ص ٣٠٠) .

وقوله :

صَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي لَا أَسْلُو^(١)

وقوله :

تُرَى عِنْدَهُ عِلْمٌ يَشْجُو وَيَأْذُمِي وَأَنْتَى مَتَى أَسْمَعُ يَذِكْرَاهُ أَجْزَعُ ؟
وأما الخروج فهو عندهم شيء بالاستطراد ، وليس به ؛ لأن الخروج إنما هو
أن يخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تهادى فيما خرجت إليه
كقول حبيب في المدح :

الخروج
أمثله

صُبُّ القِرَاقِ عَلَيْنَا ، صُبِّ مِنْ كَتَبَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا
سَيْفُ الإِمَامِ الَّذِي سَمَّيْتُهُ هَيْبَتُهُ لَمَّا تَخَرَّجْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ مُخْرَجًا^(٢)
ثم تهادى في المدح إلى آخر القصيدة .

وكقول أبي عُبَادَةَ البَحْتَرِيِّ :

سَمِعْتُ رَبَّكَ بِكُلِّ نَوْءٍ حَاجِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَقَالُومَا
وَلَوْ أَنَّي أُعْطِيتُ فِيمَنْ أَلْفَى لَسَمَّيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا^(٣)

وأكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو العلي ؛ فإنه ما يكاد يفلت له ، ولا
يشذ عنه ، حتى ربما قبض سقوطه فيه ، نحو قوله :

هَافًا نَظَرِي أَوْ فَطَلْتِي بِي تَرَى حُرْقًا مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا قَدَّ وَأَلَا

(١) هذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ، وعجزه :

* وَأَنْ فَوَادِي مِنْ جَوِي بَكَ لَا يَخْلُو * وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ (ج ١ ص ٣٧ طبع الجواب) .

(٢) في الديوان (ص ٣٠٢) * صته صته تخرم أهل الشربة *

(٣) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل ، انظر الديوان

(ج ١ ص ١٨٦) .

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي إِلَى آلِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا^(١)
 فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً ، وليس هذا من قول أبي نواس :
 سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواناً ؛ لعل الفضل يجمع بيننا
 في شيء ؛ لأن أبا نواس قال « يجمع بينا » ثم أتبع ذلك ذكر المال والسخاء
 به ، فقال :

أَمِيرٌ رَأَيْتُ الْمَالَ فِي نَمَائِهِ مَهِينًا ذَلِيلَ النَّفْسِ بِالْعَيْنِ مُوقِنًا
 فكأنه أشار إلى أن جمعه بينهما بالمال خاصة : يُفْضِلُ عَلَيْهِ ، وَيُجْزِلُ عَظِيمَةً ،
 فيزوجهما أو يتسرّى بها ، وأبو الطيب قال : « يشفع » والشفاعة رغبة وسؤال ،
 ثم أتبع بيته بما هو موقوف لمناه في القيادة فقال :
 أَقْبَنْتُ أَنْ سَمِعِدًا طَالِبٌ يَدِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِارْتِئَاعٍ مُتَقَلِّدًا^(٢)
 فدل على أنه يشفع ، فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك ، وإلا رجع
 إلى القهر . . .

والذي يشاكل قول أبي نواس قوله :

أَحْبَبْتُ آلِي فِي الْبُذْرِ وَنَهْمًا مَشَاهِدًا وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُهُ شَكْلٌ^(٣)
 فلفظة « الشكوى » تحمل عنه كالحاحات عن أبي نواس
 وبما سقط فيه — وإن كان مليح الظاهر — قوله يخاطب امرأة نسب بها :

(١) ثلاثة الأبيات — هذان والذى سيذكره بعد عدة أسطر — من كلمة له يمدح
 فيها سعيد بن عبد الله بن الحسن السكلاقي النجبي ، وهي بما قاله في صباه (انظر
 الديوان : ج ٢ ص ١٢٣) وها : حرف دال على التنبيه . ووال : نجا
 (٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها شجاع بن محمد الطائي النجبي (الديوان : ج
 ٢ ص ١٣٣) .

لَوْ أَنَّ قَنَّا خُسْرَ صَبَحَكُمْ وَبَرَزَتْ وَحْدَكَ عَاقَةُ الْمَرْزَلِ^(١)
وَتَفَرَّقَتْ فَنُفْهُ كِتَابُهُ إِنْ الْمِلَاحَ خَوَادِعُ قُتِلَ^(٢)
مَا كُنْتَ فَاعِلَةً وَصَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَيْخَلُ
أَتَمَّعِينَ قِرَى فَتَفْتَضِيحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ
بَلَّ لَا يَحُلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ يُحُلُّ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ

ختم على فنا خسرو بأن النزل يعوقه ، وأن كتابه تنفر عنه ، وجهه
يسأل هذه المرأة ، وتشكك هل تمنعه أم تبذل له ، ثم أوجب أن البخل لا يحل
بحيث حل ؛ فأوقعه تحت الزنى أو قارب ذلك ، ولعل هذا كان اقتراحا من
فنا خسرو ؛ وإلا فما يجب أن يقابل مَنْ هو ملك للملك بمثل هذا ، وما أسرع
ما انحط أبو الطيب : بينا هو يسأل الأمير أن يشفع له إلى عشيقته صار يشفع
للأمير عندها ..

الاستطراد

والاستطراد : أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع ،
يقطع عليها الكلام ، وهي مراده دون جميع ما تقدم ، ويعود إلى كلامه الأول ،
وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية ، وجُلُّ ما يأتي تشبيهاً ،
وسيرد عليك في باب مبيّن إن شاء الله تعالى ..

التخلص

ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوسلاً ، وينشدون أبياتاً منها :
إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ الْفَقَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ جَرَمِ

- (١) هذه الأبيات من قصيدة له مدح بها عضد الدولة ، وذكر وقعة وهوذان
بالطرم ، وكان ركن الدولة أبو عضد الدولة قد أخذ إليه جيشاً من الرى فهزمه
وأخذ بلده (انظر الديوان : ج ٢ ص ٢١٣ وما بعدها)
(٢) في الديوان * وخرقت عنكم كنيائهم *

ولو أن جَزَمًا أَلْعَمُوا شَحْمَ جَفَرٍ لَبَاؤُا بِطَانَا يَضْرُطُونَ مِنَ الشَّحْمِ

وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره . ثم رجع إلى ما كان فيه . كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر :

وكفكفتُ مَنَى عِبرَةً فَرَدَّتْهَا إِلَى النَحْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ^(١)

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الشَّيْبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ!!

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال :

وَلَكِنْ هَمًّا دُونَ ذَلِكَ شَاغِلٌ مَكَانَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ^(٢)

وَعِيدُ أَيْ قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدَوَى رَاكِسٍ فَالضَّوَاجِعُ^(٣)

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال :

فَبَيْتٌ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبِيلُهُ مِنْ الرُّقَشِ فِي أَنْبَاءِهَا الشُّمُوعُ تَأْفِقُ

يُسَهِّدُ فِي لَيْسَلِ التَّعَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَمَاعُ^(٤)

(١) في الديوان (ص ٦٨) * فكفكفت . . . على النحر . *

(٢) في الديوان * وقد حال هم دون ذلك وألج . . . *
والشغاف : حجاب القلب ، أوجيته ، وهو بزنة محاب .

(٣) في غير كُنْهِهِ : أي : في غير وقته . وراكس والضواجع : موضعان .

(٤) في الديوان * يسهد من ليل التام . . . * ويسهد : يمنع النوم .
وليل التام - بكسر التاء - ليل الشناء الطوال . والقماقع : جمع ققعة ، وهو الصوت ،
والسليم : اللديخ ، سموه بذلك تفاؤلاً له بالسلامة ، وكان من عادة العرب إذا لبغ
أحدهم علقوا عليه حلى النساء ؛ ليسمع صوتهما فلا ينام ، ومن أمثالهم « السليم لا ينام
ولا ينام » .

تَنَادَرَهَا الرَّاqُونَ مِنْ سُوءِ مَعْمَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا تَرَاجِعُ^(١)
فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه ما شاء ، ثم تخلص إلى الاعتذار
الذي كان فيه فقال :

أَنَا - أَيْتَ النَّسْنِ - أَنْكَ لُتَيْتِي وَتَلَكَ أَلَي تَسْتَكُ مِنْهَا التَّسَامُعُ^(٢)
ويروى * وَخَبَّرْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَنْكَ لُتَيْتِي * ثم اطرده ما شاء من
تخلص إلى تخلص ، حتى انقضت القصيدة ، وهو مع ماشرت إليه غير خاف إن
شاء الله تعالى .

وقد يقع من هذا النوع شيء يعترض في وسط النسيب من مدح من يريد
الشاعر مدحه بتلك القصيدة ، ثم يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من النسيب ،
ثم يرجع إلى اللح ، كما فعل أبو تمام وإن أتى بمدحه الذي تمادى فيه منقطعا ،
وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة :

ظَلَمْتُكَ ظَالِمَةً الْبَرِيءِ ظَلُومٌ وَالظُّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَذْمُومٌ
زَعَمْتُ هَوَاكَ عَفَا الْعَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولُ بِاللَّوَى وَرُسُومٌ
لَا ، وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى أَجَلٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(٣)

(١) يروى « . . . من سوء معما » تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضا بها ،
والراقون : جمع راق . وهو الذي يغفل الرقية ، وسوء معما : أي أنها لاتسمع
فلا تحيب إلى رقية الراق ، ومن يروى « من سوء معما » فهو ظاهر للمعنى .
(٢) ككرر النابغة هذا المعنى بهذه الألفاظ في كلات من اعتذاراته : منها هذا في
هذه القصيدة ، ومنها قوله في أخرى :

أَنَا - أَيْتَ النَّسْنِ - أَنْكَ لُتَيْتِي وَتَلَكَ أَلَي أَهَمُّ مِنْهَا وَأَنْسَبُ

(٣) يذكر علماء اللغى هذا البيت هكذا * لَا ، وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى *
صبر - إلغ .

مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوُدَادِ وَلَا عَدَّتْ نَفْسِي عَلَى لَأْفِ سِيَوَاكَ تَعُومُ
ثُمَّ قَالَ بِمَدِّ ذَلِكَ :
لِحَمْدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَيْبَةَ نَحْنُ إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مُقِيمُ
وَيَسَى هَذَا النُّوعَ الْإِلَامُ .

وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى اللح ، بل يقولون عند طريق العرب
فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله : « دع ذا » و « عد عن ذا » في الخروج
و يأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن للشدة ابتداء للكلام الذي يقصدونه ،
فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى اللح متصلا بما قبله ولا منفصلا بقوله « دع ذا »
و « عد عن ذا » ونحو ذلك سمى مفرقا واقطاعا . وكان البحترى كثيرا ما يأتي به ، ونحو قوله
لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمُتُّ مِنَ أَلَمِ الْهَوَى لَكِنْ قَلْبِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلُ
إِنَّ الرَّغِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ مُهْرِيَّةٍ مَدَّ سَاسَتَهَا الْمُتَوَكَّلُ
ولربما قالوا بعد صفة الناقة وللغازة « إلى فلان قصدت » و « حتى نزلت
بفناء فلان » وما شاكل ذلك .

وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسيله
أن يكون محكما : لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان
أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه .

وقد أرني أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة ، إلا
أنه ربما عَفِدَ أو ائُلَّ الأسماء فقه بنفسه ، وإغرابا على الناس ، كقوله أوله قصيدة :
وَقَاؤُكُمْ كَمَا كَالْتَرَبِيعِ أَشْجَاهُ طَامِسَةٌ بَأَنْ تُسَمِّدُوا وَالنَّمْعُ أَشْفَاءُ سَاحِجُهُ^(١)

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة ، وهي أول ما أنشده ،
وتقديره مع شيء يسير من مخالفة : وقاؤكم كالتربيع أشجاء طامسة أي : طامس الأثر خافي للعالم - والنمغ أشفاء
لقلب المحزون ما كان مدرارا .

فإن هذا يحتاج الأسمى إلى أن يقسر معناه .

ووقع له في الخروج ما كان تركه أولى به ، وأشعر له ، وإنما أدخله فيه حب من سوره
الإغراب في باب التوليد ، حتى جاء بالفث البارد ، والبشع المتكلف ، نحو قوله : خروج للتبني
أيضا

أَحْيَيْكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ تَمَلَّ ثَبِيرًا ، وَأَبْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيحًا
فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا ينبغي على أحد ، وما أغلنه سرق هذا
المعنى الشريف إلا من كذبة كذبها أبو العباس الصيمري عن لسان رجل
زعم أنه قال : رأيت رجلا نام ويده سحرة^(١) جره النمل ثلاثة فواسخ ،
فقد جل أبو الطيب مكان الرجل جبلا ، وإن أغلنا الإغراق في مراده
ولفظه . . وقال :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِغٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
وَبَحْرُ أَبُو الْمِسْكِ الْخَصْمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَحْرَةٌ وَعَبَابُ
يريد وخير بحر^(٢) أبو للسك ، وهذه غاية التصنع والتكلف .

ومن العرب من يحتم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها رغبة
مشبهة ، ويبقى الكلام مبتورا كأنه لم يعتمد جعله خاتمة : كل ذلك رغبة في
أخذ التقو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف
السيل عن شدة المطر :

(١) غمرة - بفتح الغين المعجمة وكسر الليم - أي : دنة من دسم اللحم ،
وفعله من باب فرح .

(٢) تدبير المؤلف لهذا البيت على أن قوله « وبهر » بالجر ، وهو عليه معطوف
على « جليس » في البيت الذي قبله ، ولكننا لا نوافق على ذلك ؛ وقد ضبطناه برفع
« بحر » على أنه خير مقدم ، وقوله « أبو للسك » مبتدأ مؤخر ، و « الخصم »
صفة له . وهذا قول شراحه للتقدمين ، وزجرة : امتداد ماء وكثرته ، وعباب :
كثرة موج .

كَانَ السَّبَّاحَ فِيهِ غَرْقَى غُدِيَّةً بَارُجَانِهِ الْقُصْوَى أَنَا يَشُ عُنْصُلٌ^(١)

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب الملقات ، وهي أفضلها .
وقد ذكره الخدّاق من الشراء ختم القصيدة بالدعاء ؛ لأنه من عمل أهل
الضعف ، إلا للولك ؛ فإنهم يشتهون ذلك كما قدمت ، ما لم يكن من جنس قول
أبي الطيب يذكر الخليل لسيف الدولة :

فَلَا هَجَمَتْ بِهَا إِلَّا عَلَى تَلْفِيرٍ وَلَا وَصَلَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ
فإن هذا شبيه ما ذكر عن بنيض : فإن يصاح الأمير فيقول : لا صَبَحَ اللهُ
الأمير بفاعية ، ويسكت ثم يقول : إِلَّا وَمَسَاءَ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ويماسيه فيقول :
لا مَسَى اللهُ الأمير بنعمة ، ويسكت سكتة ثم يقول : إِلَّا وَصَبَحَ بِأَتَمِّ مِنْهَا ،
أو نحو هذا ، فلا يدعو له حتى يدعو عليه ؛ ومثل هذا قبيح ، لا سيما عن
مثل أبي الطيب .

(٣١) - باب البلاغة

تكلّم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم : « كم دون لسانك من حجاب ؟ » فقال : شفتاي ، وأسناني ، فقال له :
« إن الله يكره الانمحاق في الكلام ، فَتَضَرَّ اللهُ وَجْهَ رَجُلٍ أَوْ جَزَ فِي كَلَامِهِ
وَأَقْصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ » .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : فيم الجلال ؟ فقال : « في اللسان »
يريد البيان .

(٢) يروى * ... غرقى عشية * والأنايبش : جماعات من العنصل
تجمعها الصبيان ، ويقال : الأنايبش المروق ، سميت بذلك لأنها تنبش أى تخرج من
تحت الأرض ، والعنصل - بوزن قنفذ وجندب - يصل برى يعمل منه خل شديد
الحموضة .

وقال أصحاب للنطق : حد الإنسان : الحى الناطق ؛ فن كان فى النطق
أعلى رتبة كان بالإنسانية أولى.

حدود للبلاغة
والبناء

وقالوا : الروح عماد الجسم ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .
وسئل بعض البلقاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يُفهم ، وكثير لا يُسأم .
وقال آخر : البلاغة إجابة اللفظ ، وإشباع للمنى .
وسئل آخر فقال : مَعَانِي كثيرة ، فى ألفاظ قليلة .
وقيل لأحدهم : ما البلاغة ؟ فقال : إصابة للمنى وحُسن الإيجاز .
وسئل بعض الأعراب : مَنْ أبلغ الناس ؟ فقال : أسهلهم لفظاً ، وأحسنهم
بديهةً ..

وسأل الحجاج ابن القبيصة : ما أوجز الكلام ؟ فقال : ألا تبطل ، ولا
تخطئ ، وكذلك قال سحر^(١) المبدى لمعاوية بن أبى سفيان .

وقال خلف الأحمر : البلاغة لحة دالة .

وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمة تكشف عن البقية .

وقال المفصل الضبي : قلت لأعرابى : ما البلاغة عندهم ؟ فقال : الإيجاز من
غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى إلى عمرو بن مسعدة : إذا كان
الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً .
وأشد للبرد فى صفة خطيب :

طَيِّبٌ يَدَاهُ فَنُونُ الْكَلَامِ م لَمْ يَنْبَغِ يَوْمًا وَلَمْ يَهْذِرْ

(١) سحر - بضم الصاد للهمة وتخفيف الحاء - رجل من عبد القيس ، وفى
التونسية « سحر » بالدين ، وليس بشيء .

فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَفَى لِلطَّلِيلِ عَلَى الْمُنْزِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَفَى لِلْقِيلِ عَلَى السُّكْرِ

قال أبو الحسن على بن عيسى الرَّمَّانِي : أصل البلاغة الطبع ، ولها مع ذلك آلات تمين عليها ، وتوصل للقوة فيها ، وتكون ميزاناً لها ، وفاصلة بينها وبين غيرها ، وهي ثمانية أضرب : الإيجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والبيان ، والنظم ، والتصرف ، والمشاكلة ، والمثل ، وسيرد كل واحد منها بمكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقال معاوية لعمر بن العاص : مَنْ أبلغ الناس ؟ فقال : من اقتصر على الإيجاز ، وتكسب الفضول .

وسئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ فقال : اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة : فيها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون شمرّاً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون خجواً ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون خطبياً ، ومنها ما يكون رسائلٍ ؛ فجامعة هذه الأبواب الوسخى فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة .

قال صاحب السكتاب : فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الإيجاز وقال بعض السكاكين :

وَإِنْ مِنْ الشُّكُوتِ إِبَانَةٌ وَفِي السُّكُوتِ مَا يَكُونُ خَبَالًا
وَقُلْتُ أَمَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

وَأُخْرَقَ أَكْثَرُ لَاحِظِ صَدِيقِهِ وَلَيْسَ لِجَارِي رَيْقِهِ بِمُسِيغٍ
سَكَتُهُ صَدٌّ بِمِثْلِهِ قَدْ أَحْبَبَ وَرُبَّ جَوَابٍ فِي الشُّكُوتِ يُلَيِّغُ
وَقُلْتُ أَيْضًا وَلَمْ أَذْكَرْ بِلَاغَةَ :

أَيُّهَا الْمَوْحِي إِلَيْنَا فَنَقَّةَ الصَّلِّ الصُّمُوتِ
مَا سَكَّتْنَا عَنْكَ عِيًّا رَبُّ نَطْقِي فِي السَّكُوتِ
لَكَ بَيْتٌ فِي الْبُيُوتِ مِثْلُ بَيْتِ الْمُنْكَبُوتِ
إِنْ يَهْنُ وَهْنًا فَفِيهِ حِيلَتْنَا سَكْنَى وَقُوتِ

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : إِبْلَاجُ التَّكَلُّمِ حَاجَتَهُ بِحَسَنِ إِفْهَامِ السَّامِعِ ، وَلِفِكَ سَمِيَتْ بِالْبَلَاغَةِ .

وقال آخر : البلاغة أن تُفْهِمَ الْخَاطِبُ بِقَدْرِ فِهْمِهِ ، مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ عَلَيْكَ .

وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .

وقيل : البلاغة حسن العبارة ، مع صحة الدلالة .

وقيل : البلاغة أن يكون أول كلامك يدلُّ على آخره ، وآخره يرتبط بأوله .

وقيل : البلاغة القوة على البيان ، مع حسن النظام .

ومن قول السيد أبي الحسن — أدام الله عزه — في صفة كاتب البلاغة وحسن الخط :

من شعر أبي
الحسن في
البلاغة

فَصَلَ الْأَنَامَ بِفَضْلِ عِلْمِهِ وَاسِعِ وَعَلَا مَقَالَهُمْ بِفَضْلِ الْمَنْطِقِ
وَحَكَى لَنَا وَشَى الرِّيَاضَ وَقَدَّوْشَتْ أَفْلَاحَهُ بِالنَّقْشِ بَطْنَ الْمُهْرَقِ

فيلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف . ونحو ذلك قوله أيضا :

إِذَا مَشَقَّتْ يَمْنَاكَ فِي الطَّرْسِ أَشْطَرَا حَكَيْتَ بِهَا وَشَى لِللَّاهِ الْمَعْضَدِ^(١)
بِرُوقٍ مُجِيدٍ خَطَّ حُسْنُ حُرُوفِهَا وَيُجَبِّبُ مِنْهَا بِالْمِغَالِ الْمُسَدَّدِ

وهذا الشعر كالأول في الحز ، وإصابة المفصل ، وإن أبا الحسن لسكا قال

سميَّه أبو الطيب خاتم الشعراء :

عَلِمْتُ بِأَمْثَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّثَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا
بَلْ كَمَا قَالَ وَلِي نَعْمَتِهِ ، وَشَاكَرَ مَتَتِهِ :

(١) اتفقت الأصول على هذه الكلمة ، وأظنها « للتضد » بالنون بدل العين .

إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُحْسِنُ عِقْدَهُ شِعْرٌ مِنَ الْأَشْعَارِ مَعَ إِحْسَانِهِ
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ دُرُّ النَّهْيِ يَقْدُ التَّجَارُ بِهِ عَلَى دِهْقَانِهِ
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَجْهَدُ أَبَا الطَّيِّبِ حَقَّهُ ، وَلَا أَنْكَرُ فَضْلَهُ ، وَقَدْ قَالَ :
 مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ يَصْعَعُ الثُّوبَ فِي يَدَيْ بَرَّازٍ

ثم نرجع إلى وصف البلاغة ، بعد ما أفضنا ووشحنا هذا الباب من ذكر عود إلى حد
 البلاغة والبلاء السيد ، فنقول : وقالوا : البلاغة ضد المي ، والمي : المعجز عن البيان .

وقيل : لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ،
 ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمك من معناه إلى قلبك .

وسأل عامر بن الظرب التدواني حمانة بن رافع اللوسي بين يدي بعض ملوك
 حمير فقال : من أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى للزير^(١) باللفظ الوجيز ، وطبق
 المفصل قبل التحزير .

قيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاستمارة .

وقال الخليل : البلاغة ما قَرَّبَ طَرَفَاهُ ، وبعد منتهاه .

وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة للمعنى ، والقصد إلى الحجة
 وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ قال الجزالة ، والإطالة ، وهذا مذهب
 جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في مثوره .

وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ قال : تقصير الطويل ، وتطويل القصير ،
 يعنى بذلك القدرة على الكلام .

وقال أبو التيناء : من أجزأ بالليل عن الكثير ، وقرب البعيد إذا شاء ،
 وبعد القريب ، وأخفى الظاهر ، وأظهر الخفى .

(١) اللزير - بزعين - اللذيذ الطعم ، مأخوذ من تسميتهم الحمر مزة ، والمعنى
 على التشبيه ، وهو واضح .

وقال البحترى يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر ، ويصف بلاغته :

ومعان لو فضلتها القوافي ^(١) هجئت شمر جرؤل وليد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنن ظلمة التعقيد
وركن القفط القريب فأدر كن به غاية المراد البعيد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد ^(١) بفضل الشعر على النثر .
وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله : كفى من حظ البلاغة
ألا يؤتى السامع من سوء إلهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع .
ثم قال الجاحظ : أما أنا فأستحسن هذا القول جداً .

ومن كلام ابن المعتز : البلاغة بلوغ المعنى ، ولما يطل سمر الكلام .
وقال ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البنية ، ودلالة قليل على كثير .
وقال بعض الحديثين : البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة
من اللفظ .

ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل النعماني ، قال : قال بعضهم :
البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة . وقال : خير الكلام ما قل
ودل ، وجل ولم يمل . وقال : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل تجارزه ، وكثر
إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه . قال : وقيل : البليغ من يمتحن من الألفاظ
نوارها ، ومن المعاني يمارها .

(١) أراد المؤلف أن يجد لمنهجه دليلاً ، وإن لم يكن في معرض الاستدلال
عليه ، فتصيحت عليه الكلمة ، وصوابها * ومعان لوفساتها القوافي *
بالمصاد المهمة .

وهذا الذى حكاه الثمالى مما يدلك على حذف أبى الطيب فى قوله لابن السعيد:
قَطَفَتِ الرَّجَالُ الْقَوْلَ قَبْلَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتُ أَنْتَ الْقَوْلَ لَهَا نَوْرًا
وكان يمكنه أن يقول « لما أمر » لكن ذهب إلى ما قدَّمْتُ ، وإنما اقتضى
بقول أبى تمام :

وَيَجِيئُ نَوَارُ الْكَلَامِ ، وَقَلَمًا يُبَلِّغُ بَقَاءَ الْفَرَسِ بَعْدَ الْمَاءِ
وكان بعضهم يقول : تلخيص للمانى رفق ، والاستعانة بالغريب عجْز ،
والتشادق فى غير أهل البادية قص ، وانطروج مما بنى عليه الكلام إسهاب .
وقال المتأبى : قَيِّمَ الْكَلَامَ الْعَقْلَ ، وزينه الصواب ، وحلته الإعراب ،
ورائضه اللسان ، وجسمه القريحة ، وروحه للمانى . .

وقال عبد الله بن محمد بن جيل المعروف بالباحث : البلاغة الفهم والإنهاك وكشف
المانى بالكلام ، ومعرفة الإعراب ، والاتساع فى اللفظ ، والسداد فى النظم ،
والمعرفة بالقصد ، والبيان فى الأداء ، وصواب الإشارة ، وإيضاح الدلالة ، والمعرفة
بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار ، وإمضاء المزم على حكومة الاختيار .
قال : وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض ، كحاجة بعض أعضاء
البدن إلى بعض ، لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر ؛ فنأحاط معرفة بهذه الخصال
فقد كل كل الكمال ، ومن شذَّ عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع
فيه منها .

قال : والبلاغة تخير اللفظ فى حسن إنهام .

وسئل الكندى عن البلاغة ، فقال : ركنها اللفظ ، وهو على ثلاثة أنواع :
فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه ولا تتكلم
به ، وهو أحدها .

ومن كتاب عبد الكريم قالوا : حسن البلاغة أن يصور الحق فى مبهورة
الباطل ، والباطل فى صورة الحق .

قال : ومنهم من يعيب ذلك المعنى ، ويعدّه إسهاباً ، وآخره بعده نفاقاً .
 قال : وسر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
 يشق البصرة فقال عبد الله بن عامر : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ! فقال
 غيلان : أجل والله أيها الأمير : يتعلم فيه القوم صبيانهم . ويكون لسقيهم ،
 ومسيل مياههم ، ويأتيهم بميرتهم . . قال : ثم مر غيلان يساير زياًداً على ذلك
 النهر وقد كان عادي ابن عامر . فقال له : ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر !!
 فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير : تزدى منه دورهم ، ويفرق فيه صبيانهم ،
 ومن أجله يكثر بؤوسهم ؛ فكره الناس من البيان مثل هذا ، انفضى كلام
 عبد الكريم .

والذي أراه أنا أن هذا النوع من البيان غير معيب بأنه نفاق ؛ لأنه لم يجعل
 الباطل حقاً على الحقيقة ، ولا الحق باطلاً ، وإنما وصف محاسن شيء مرة ،
 ثم وصف مساويه مرة أخرى : كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم — وقد سأله عن الزبرقان بن بدر ، فأنشئ خيراً — فقال : مانع
 لحوزته ، مطاع في أذنيته — ويروى في أذنيه — فلم يرض الزبرقان بذلك ،
 وقال : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، ولكن حسدني لشرفي — وفي رواية
 أخرى حسدني مكاني منك ، يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم — فأنشئ عليه
 عمرو شراً ، وقال : أما لئن قال ما قال لقد علمته ضيق الصدر ، زمر
 المروءة ، أحق الأب ، لثيم الخلال ، حديث النقي ، ثم قال : والله يا رسول
 الله ما كذبت عليه في الأولى ، ولقد صدقت في الآخرة ، ولكن أرضاني
 فقلت بالرضا ، وأنسخني قلت بالسخط ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : «إن من البيان لسحراً»^(١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكان المعنى —
 والله أعلم — أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف
 (١) انظر ص ١٧ و ٢٧ و ٢٥٤ من هذا الجزء ، وانظر التلخيص رقم ١ في مجمل
 الأمثال بتحقيقنا .

القلوب إلى قوله ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكأنه سحر السامعين بذلك .

وقال الجاحظ : الربى يعاف البذاء ، ويهجو به غيره ، فإذا ابتلى به فخر به ، كلام في البذاء ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه .

ودخل أبو العيناء على المتوكل ، فقال له : بلغني عنك بذاء ، قال : إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛ فقد زكّي الله وذم فقال : (نعم العبد إنه أواب) وقال : (هازي مشاه بنميم ، متاع للخير معتد أثم ، عتل بعد ذلك زنيم) فذمه حتى قذفه ، وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذي فقد أعاد الله عبدك من ذلك ، وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم الجبّس اللئيم المذمماً
فقيم عرفت الخير والشر بأثمي وشق لي الله السامع والفعا

قال الجاحظ : قال ثمامة بن أشرس : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : وصف البيان أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ، ويخبر عن مغزائك ، ويخبر عن الشركة ، ولا يستعين لجعفر بن يحيى عليه بالكثرة ، والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، برياً من التعميد ، غنياً عن التأويل . قال الجاحظ : وهذا هو تأويل قول الأحمسي :

البلغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر .

قال أبو عبيدة : البلغ : التبلغ ، بفتح الباء ، وقال غيره : التبلغ : الذي يبلغ ما يريد من قول وفعل ، والبلغ : الذي لا يبالي ما قال وما قيل فيه ، كذلك قال أبو زيد ، وحكى ابن دريد كلام بَلغ وبلغ ، وقال ابن الأعرابي : يقال بَلغ وبلغ ، ولا شك أن ابن الأعرابي قال : إما هو في الأهوج الذي لا يبالي حيث وقع من القول .

وقد تكررت في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني ، ولا غفلته ، لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات ، ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة

وَصْنَعُ الْكَلَامِ مَوْضِعُهُ مِنْ طُولِ أَوْ إِيْجَازٍ ، مَعَ حَسَنِ الْعِبَارَةِ ، وَمِنْ جَيِّدِ مَا حَفِظْتَهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : الْبَلَاغَةُ شِدَّةُ الْكَلَامِ مَعَانِيهِ وَإِنْ قَصُرَ ، وَحَسَنُ التَّأْلِيفِ وَإِنْ طَالَ .

(٣٢) — بَابُ الْإِيْجَازِ

حد الإيجاز عند الرُّمَّانِي على ضربين : مطابق لفظه لمعناه : لا يزيد عليه ، ولا ينقص عنه ، كقولك : « سَلِّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ » ، ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع ، كقول الله عز وجل : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) وعبر عن الإيجاز بأن قال : هو العبارة عن الفرض بأقل ما يمكن من الحروف ، ونعم ما قال ، إلا أن هذا الباب متسع جداً ، ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة . .

المساواة فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة . ومن بعض ما أنشدوا في ذلك قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمُصَحَّلِيُّ غَيْرَ شَيْعَتِهِ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخَلْقُ
وَلَا يَوَاتِيكَ فَيَأْتَابُ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ ، فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ، ولا معناه على لفظه شيئاً . . ومثله قول أبي التماهية — ورواه بعضهم للحطيئة ، وهذا شرف عظيم لأبي التماهية إن كان الشعر له ، ولا أشك فيه :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي فِي جِوَارِفَتِي حَامِي الْحَقِيقَةِ نَقَّاعَ وَضَرَارِ
لَا يَرْفَعُ الْعَرُوفَ إِلَّا عِنْدَ مَكْرَمَةٍ مِنْ الْحَيَاءِ ، وَلَا يُغْنِي عَنِ عَارِ

وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن :

بِأَنَّمَا الدَّلَقَاءُ هُمُ فَلْيَدْعِنِي مَنْ يَلُومُ
أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعًا حِينَ تَمُتْشِي وَتَقُومُ

مثال من
اعتدال الوزن

أَصِلُ الْجَبَلِ لِقَرْصَى وَفِي الْجَبَلِ صَرُومٌ
ثم قال : عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة من إقامة الوزن ، وهذه الأبيات
وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .

والضرب الثاني مما ذكر الرماني -- وهو قول الله عز وجل (واسأل القرية) - الاكتفاء
يسمونه الاكتفاء ، وهو داخل في باب المجاز ؛ وفي الشعر القديم والحديث منه
كثير ، يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب : من ذلك قول الله
عز وجل : (وَتَوَّانًا قَرَّانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ
الْمَلُوكَ) كأنه قال : لكان هذا القرآن . ومثله قولهم : لو رأيت علياً بين
الصفين ، أى : رأيت أمراً عظيماً ، وإنما كان هذا ممدوداً من أنواع البلاغة لأن
نفس السامع تتسع في الفطن والحساب ، وكل معلوم فهو هين ؛ لكونه محصوراً ،
وقال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا^(١)

كأنه قال : لمان الأمر ، ولكنها نفس تموت موتات ، ونحو هذا ، ومن الحذف
قول الله عز وجل : (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بِلَايَمَانِكُمْ) أى :
فيقال لهم : أكفرتكم ببلإيمانكم ؟ . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قوله للمهاجرين
وقد شكروا عنده الأنصار : « أليس قد عرفتم ذلك لهم ؟ » قالوا : بلى ، قال :

(١) في الديوان تموت جمية . وقدروى « تساقط » بفتح
التاء على أن الأصل « تساقط » غنط إحدى التائين ، وهذه رواية الأصمعي ،
وقال في معناها : لو أنى أموت بدفعة واحدة ، ولكن نفسي لما في من المرض تخرج
شيئاً فشيئاً ، وتفسير المؤلف من هذا القليل ، وأنكر الوزير أبو بكر هذا التفسير
وهذه الرواية ، فروى « تساقط » بضم التاء ، وقال : معناه يموت بموتها بشر كثير ،
كما قال عبيد بن الطيب :

فإن كان قيس هلكه هلاك واحد ولكنه بنيان قوم تهديما

« فإن ذلك » يريد فإن ذلك مكافأة لهم . وروى أبو عبيدة أن سفيان الثوري قال : جاء رجل من قريش إلى عمر بن عبد العزيز يكلمه في حاجة له ، فجعل يحث بقرابته ، فقال عمر : « فإن ذلك » ثم ذكر حاجته ، فقال : « لعل ذلك » ..
وقال الطرمح يوما للفرزدق : يا أبا فراس ، أنت القاتل :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَاؤُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
أعز ما ذا وأطول مما ذا؟ وأذن المؤذن ، فقال له الفرزدق : يَا لُسْكَمَ أَلَا تَسْمَعُ
مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ « اللهُ أَكْبَرُ » أَكْبَرُ مَاذَا أَعْظَمُ مَاذَا؟ فَاقْطَعْ الطَّرْمَاحَ انْقِطَاعًا قَاضِيًا
فوزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عز يزطويل ، ولكنه بناء على فعل مثل أبيض
وأحمر وما شاكلهما ، فجعله لازماً لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى .

من الإيجاز

ومن الإيجاز قول الأعرابي في صفة الذئب :

أَطْلَسَ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَنَارُهُ

فقوله في الشفرة والنار إيجاز مليح .

وقال آخر في صفة سهم صادر :

* غَادِرُ دَاهٍ وَبَحَاصِيحَا *

وقال آخر في صفة ناقة :

* خَرَقَاهُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعُ *

وقال أبو نواس يصف جنتين ناقةً مُخَدَّجًا^(١) :

* مَيِّتُ النِّسَاءِ حَيُّ الشُّمْرِ *

وقال ابن المعتز يصف بازياً :

* مَبَارَكٌ إِذَا رَأَى فَقَدْ رُزِقَ *

(١) يقال : خدعت الناقة ، إذا ألتت ولدها قبل أوانه ، وإن كان تام الحلق ،
ويقال : أخذته - بالهمزة - إذا ولده ناقص الحلق ، وإن كان لتمام الحمل ، ومخدج :
اسم مفعول من ذى الهمز ، والنسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ،
هذا أصله .

مثل من
الإيجاز
البدع

ومن الإيجاز البدع قول الله عز وجل : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءكِ ،
وَيَا سَمَاءُ اقلِي ، وَغِيضَ الْمَاءِ ، وَفُضِيَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ، وَقِيلَ :
بُذِّرَ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) وقوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنْ
الْجَاهِلِينَ) فكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير ، وهي على ما ترى
من الإحكام والإيجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم ،
هم الممدوء ، فاحذَرُهم ، قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) وقوله تعالى : (وأخرى لم
تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله : (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هُوَ إِلَّا أَنس)
وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصَار : « إِنكُمْ لَتَكْذِبُونَ عِنْدَ الْفَرَزِ ، وَتَقُولُونَ
عِنْدَ الطَّمْعِ » وقال « كَفَى بِالْإِسْلَامِ دَاءً » ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ،
وَمِنْ أَوَّلَى مِنْهُ بِالْفَصَاحَةِ وَأَحَقُّ بِالْإِيجَازِ ؟ وَقَدْ قَالَ : « أُعْطِيتُ جَوَامِعَ السَّكَمِ »

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « كَفَى بِالْسَيْفِ شَأْنًا » يريد « شَاهِدًا »
فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب : أحدهم عبد الكريم ، والذي أرى أن
هذا ليس مما ذكروا في شيء ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قطع الكلمة
وأمسك عن تمامها لثلاث تصير حكماً ، ودليل ذلك أنه قال : « لَوْلَا أَنِ بَتَّاعِ
فِيهِ الْفَيْرَانِ وَالسَّكْرَانِ » فهذا وجه الكلمة والله أعلم ، لا كما قال علقمة
ابن عبدة :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَلَى عَلَى شَرَفٍ مَّعْدَمٌ بِسَبَابِ الْكَتَانِ مَلُتُومٌ

يريد « بسباب الكتان » فحذف اضطراراً ؛ لأن الوزن لا يستقيم له إلا
بعد الحذف ، وكذلك قول ليبي (١) :

(١) قد ذكر سيويوه في أول كتابه باباً سماه « باب ما يحتمل الشعر » وذكر
فيه أمثلة من هذا النوع ، وبينها أعلم شارح شواهد بياناً واضحاً فارجع إليه إن شئت

* دَرَسَ لَنَا بِتَالَعِ فَأَبَانَ *

يريد « للتأزل » غذف للضرورة أيضاً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر . فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير ؛ لحب الاستخفاف ، وتارة للضرورة ، وسيد عليك في باب الرخص ، إن شاء الله تعالى .

(٣٣) — باب البيان

حد البيان قال أبو الحسن الرماني في البيان^(١) : هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك ، وقيل ذلك ثلثا يلجس بالدلالة ؛ لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء .

وقال : البيان : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التقيد في الكلام الذي يدل ، ولا يستحق اسم البيان .

قال صاحب الكتاب : وقد مرّ بي في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله مادحاً وذاتاً ، وهو من جيد البيان عندهم ، وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » وقال مثل ذلك للعلاء ابن الحصين^(٢) وقد سأله : هل تروى من الشعر شيئاً ؟ فأشدد :

حَتَّى دَوَى الْأَصْغَانِ تَسْبِ عُقُوكُمْ تَحْيِيكَ الْحُسْنَى وَقَدْ يُرْقَعُ النَّمْلُ

(١) انظر ص ١٧ و ٣٧ و ٤٤٨ من هذا الجزء .

(٢) الذي في اللسان (مادة دحس) : « قال الأزهري : وأشد أبو بكر

لأبي العلاء الحضرمي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم » .

فَإِنْ دَحَسُوا بِالْكُرهِ فَأَغْفُ تَكْرِمًا وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ^(١)
فَإِنَّ^٢ الذى يُوْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الذى قَالُوا وَرَأَى لَمْ يُقَلْ
فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحَكْمٌ » وَرَوَى « لِحَكْمَةٌ » .

ومن البيان اللوجز الذى لا يقرن به شئ من الكلام قولُ الله تعالى :
(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِكْمَةٌ) وقوله فى الإعراب عن صفة : (قل هو الله أحد ،
الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) فبين تعالى أنه واحد لا ثانى
معه ، وأنه صمد لا جوف له - وقيل : الصمد السيد الذى يُعْتَمَدُ إليه فى الأمور
كلها ، ولا يعدلُ عنه ، وقيل : العالى المرتفع - وأنه غير والد ولا مولود ، وأنه لا شبيهَ
له ولا يُثَلَّ - وقيل : إِنْ الْكَفَوُ ههنا صاحبة تعالى الله - وإِذَا نَزَلَتْ هَذِهِ
السُّورَةُ لَمَّا سَأَلَتْ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُ : صِفْ لَنَا رَبَّكَ
وَأَنْشِبْ فَقَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي التَّوْرَةِ وَنَسَبَهَا ، فَأَكْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ذَلِكَ ، وَقَالَ : لَوْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَصِفَ لَكُمْ الشَّمْسَ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ هَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ (قل هو الله أحد) السُّورَةُ .

ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم قوله
صلى الله عليه وسلم : « لِّلْمُسْلِمِينَ تَسْكَافَاتُ دِمَاؤِهِمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ،
وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » والمرء كثير بأخيه « فهذا كلام فى نهاية البيان
والإيجاز .

وقال أبو بكر رضى الله عنه فى بعض مقاماته « وليت أموركم ولست بخيركم ،

(١) فى اللسان « فَإِنْ دَحَسُوا بِالْكُرهِ » ، وكان فى الأصل « وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ »
الحديث « وَكُتِبَ فى هامشه « وفى نسخة : حَسَبُوا عَنْكَ » والصواب ما أثبتناه كما
فى اللسان ، وقال بعد إنشاده : « وَهَذَا حِجَّةٌ لِمَنْ جَعَلَ خَنَسَ وَاقِعًا » أ ه أراد :
متمددا ، ومعنى دَحَسُوا أَقْسَدُوا .

أطيعوني ما أَمَرْتُ اللهَ ورسوله ، فإن عصيتُ [الله] فلا طاعة لي عليكم » فقد بلغ بهذه الألفاظ الموجزة غاية البيان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه « أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحدٌ أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه » روى ذلك المبرد عن العتي ، و ذكر الأخصف عن على بن سليمان هذه الخطبة فقال : الصحيح عندي أنها لأبي بكر ..

ومن كلام عمر رضى الله عنه « كفى بالمرء غياً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يحفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه » .

وكتب عثمان بن عفان إلى على بن أبى طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به « أما بعد فإنه قد جاوزَ الماء الزُبى ، وبلغ الحزام الطَّبَّيَّين ، وتجاوز الأمرى قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه .

فإن كنتُ ما كُولاَ فَكُنْ أنتَ آكِلي

وإلا فَأدركى ولما أَمَرَكَ »

البيت الذى [قد] تضمنته الرسالة من شعر المَرْزُوقِ العبدى ، يقوله لعمر و ابن هند فى قصيدة مشهورة ، و به سُمى المَرْزُوق ، واسمه شاس بن نهار .

وخطب عثمان علياً يماثيه وهو مُطَرِّق ، فقال له : ما بالك لا تقول ؟ فقال على : إن قلت لم أقول ، إلا ما تسكره ، وليس لك عندي إلا ما تحب ، قال للمبرد : تأويل ذلك : إن قلت اعتذرتُ عليك بمثل ما اعتذرت به على ، فدرغك عتابى ، وعقدى ألا أفعل - وإن كنت عاتباً - إلا ما تحب .

وهذا قليل ^(١) من كثير يستدل به عليه ، ولو تفصيت ما وقع من ألفاظ التابعين ، وما تقدمت به شعراء الجاهلية والإسلام ؛ لأنبت العمر دون

(١) نحمد أكثر الأمثلة التى أثمرها المؤلف فى هذا الفصل فى مطلع كتاب « الكامل » لأبى العباس اللرد .

ذلك ، وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ — وهو علامة وقته — الجهدَ وصنع كتاباً لا يُبْلَغُ جودُهُ وفضلاً ، ثم ما ادمى إحاطة بهذا الفن لكثرة وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل .

٣٤ — باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ : أجود الشعر ما رأيتُه مُتَلَّاحِمَ الأجزاء ، سهل أجود الشعر الخارج ، فسلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ؛ فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان .

وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لَدَّ سماعه ، وخَفَّ مُحْتَمَلُهُ ، وقرب فهمه ، وعذب النطق به ، وحلَّى في فم سامعه ، فإذا كان متتافراً متتابعاً عسر حفظه ، وتقل على اللسان النطق به ، وَجَعَتْهُ السامع فلم يستقر فيها منه شيء .

وأنشد^(١) الجاحظ قال : أشدني أبو العاصي قال : أنشدني خلف :
وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَبْنَاهُ عَلَقَ يُكَدُّ لِسَانَ النَّاطِقِ لِلتَّحْفُظِ
وأنشد عنه عن أبي البيداء الرياحي :
وَشِعْرٌ كَبَعْرِ السَّكْبَشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ
واستحسن أن يكون البيت بأشهرِ كأنه لفظة واحدة تخففته وسهولته ، واللفظة كأنها حرف واحد ، وأنشد قول التقي :

مَنْ كَانَ ذَ عَصْدٍ يَذْرُكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الدَّ لَيْلَ النَّيِّ لَيْسَتْ لَهُ عَصْدُ
تَذْبُو بِدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْتَفُ الضَّمِيمُ إِنْ أَرَى لَهُ عَدْدُ

(١) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٠ و ٧١) .

مثل من
مزوجة
الألفاظ

والناس مختلفو الرأي في مزوجة الألفاظ : منهم من يجعل الكلمة وأختها ،
وأكثر ما يقع ذلك في ألفاظ الكتاب ، وبه كان يقول البيهقي في أكثر
أشعاره ، من ذلك قوله :

تَطِيبُ بِمَسْرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ فَيَنْفَعُ رِيَّاهَا وَيَصْفُو نَسِيمَهَا^(١)
ففي القسم الآخر تناسب ظاهر .. وكذلك قوله :

صَاقَ صَدْرِي بِمَا أُجِنُّ وَقَلْبِي بِمَا أُجِنُّ
وقوله أيضاً في مدح التوكل :

لَقَدْ اصْطَفَى رَبُّ السَّمَاءِ لَهُ الْخَلَائِقَ وَالشَّيَمَ

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ، ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة
تكلف : فمن التناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه
« أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وزخرف ونجد ، وبني وشيد » فأنجم
كل لفظة ما يشاكلها ، وقرنها بما يشبهها . ومن الفرق المنفصل قول امرئ
القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَاداً لِلذِّدِّ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أَسْبِأِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ ، وَلَمْ أَقُلْ لِيَخِيلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد
يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ، ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه ، وظهر على
صاحبه بالحجة الواضحة ، فأنشد يوماً هذين البيتين ، فقال : قد خالف فيهما
وأفسد ، لو قال :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً ، وَلَمْ أَقُلْ نَخِيلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَلَمْ أَسْبِأِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ لِلذِّدِّ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالٍ
لكان قد جمع بين الشيء وشكله ؛ فذكر الجواد والكر في بيت ،

(١) فضمه الطيب : سد خياشيمه وملأها ، ووقع في كل الأصول « فينعم » .

وذكر النساء والحرف في بيت ، فالتبس الأمر بين يدي سيف الدولة ، وسئلوا له ما قال ، فقال رجل من حضر : ولا كرامة لهذا الرأي ، الله أصدق منك حيث يقول : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعزى ، وأنت لا تظلم فيها ولا تصحى) فأتى بالجوع مع العزى ولم يأت به مع الظلم ، فسر سيف الدولة ، وأجازه بصلة حسنة .

قال صاحب الكتاب : قول امرئ القيس أصوب ، ومعناه أعر وأغرب ؛ لأن اللفة التي ذكرها إنما هي الصيد ، هكذا قال العلماء ، ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء : فجمع في البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال الماترئ لنقص فائدة عظيمة ، وفضيلة شريفة تدل على السلطان ، وكذلك البيت الثاني : لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللفة حشو لا فائدة فيه ؛ لأن الزق لا يسبأ إلا لفة ، فإن جعل الفتوة كما جعلناها فيا تقدم الصيد قلنا : في ذكر الزق الروى كفاية ولكن أرى القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالملك والرفاهة .

وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء ؛ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل المادة ، وفيه مع ذلك تناسب ؛ لأن المادة أن يقال : جائع عريان ، ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن ، وقوله تعالى « تظلم » و « تصحى » متناسب ؛ لأن الضاحى هو الذي لا يستتر شيء عن الشمس ، والظلم من شأن من كانت هذه حاله .

وقال الجاحظ : في القرآن معان لا تكاد تفرق ، من مثل : الصلاة والزكاة ، والخوف والجوع ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس ، والسمع والبصر .

ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يمدوه ؛ فيكون كلامه ظاهراً

في القرآن
ألفاظ لا تكاد
تفرق

عيب التقديم والتأخير في الكلام غير مشكل ، وسهلا غير متكلف ، ومنهم من يُقدّم ويؤخر : إما لضرورة وزن ، أو قافية وهو أعذر ، وإما ليدل على أنه يعلم تصريح الكلام ، ويقدر على تعقيده ، وهذا هو العيب بعينه ، وكذلك استعمال الترائب والشذوذ التي يقل مثلها في الكلام ، فقد عيب على مَنْ لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق :

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْبَحْرِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ^(١)

فخفض حاتما على البدل من الماء التي في «جوده» حتى رأى قوم من العلماء أن الإقواء في هذا الموضع خير من سلامة الإعراب مع السكفة ، وكذلك قوله :

فَنَلَقْنَاهُمْ هَامًا لَمْ تَنْلَهُ أَكْفُنًا بِأَسْيَافِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقَاقِمِ

أراد : فخلق بأسيا فنامهم للملوك القاقم ، ثم نبه وقرر فقال : هاما لم تلهأ أكفنا ، يريد أى قوم لم تملكهم وتهمهم ، وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتسل ، لا تعرفه العرب المطبوعون ، وكذلك :

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَةٌ طَلَّتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ

نصب الأوعال بطالت ، ويروى «عزت» . وأكثر شعر أبي الطيب من هذه العلامة ، وما لا بأس به قول الخنساء :

فَتَمَّ الْفَتَى فِي غَدَاةِ الْهِيَاجِ إِذَا مَا الرَّمَاخَ نَجِيمًا رَوَيْنَا

فقد تمت «نجيما» على «روينا» مبادرة للخبر بالرى من أى شىء هو ، وكذلك قول أبى السفاح بكير بن معدان اليربوعي :

نَهْنَهْتُهُ عَنْكَ فَلَمْ يَنْتَهْ بِالسَّيْفِ إِلَّا جَدَّاتٌ وَجَاعُ

(١) يروى هذا البيت هكذا :

على حالة لو أن في القوم حاتما على جوده صفت به نفس حاتم

أراد نهته عنك بالسيف ، أو أراد فلم ينه إلا جملات وجاع بالسيف ،
وكلاهما فيه تقديم وتأخير .

ورأيت من علماء بلهنا مَنْ لا يحكم للشاعر بالتقدم ، ولا يقضى له بالملم ، إلا
أن يكون في شعره التقديم والتأخير ، وأنا أستقل ذلك من جهة ما قدمت ، وأكثر
ما تجده في أشعار النحويين

ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر فتثقل على اللسان ، نحو قول ابن بشر :
لم يَـفْـيَـرْها وَالْحَنـدُ لله شَيْءٌ وَأَنْتَ نَحْوَ عَرْفِ نَفْسِ ذَهولٍ
فإن القسم الآخر من هذا البيت ثقیل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي
من السين .

وقال آخر :

وَكَبُرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفَرٍ وَلَيْسَ قُرْبُ قَفَرٍ حَرْبٍ قَفَرٍ
فتكررت الألفاظ ، وزدت الحروف ، حتى صار ألقى^(١) يختبر به الناس ،
ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات إلا عثر لسانه فيه وغلط .

وقال كعب بن زهير :

تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتُ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَقْلُوبٌ
فجمع بين الضاد والذال والطاء ، وهي مقاربة متشابهة .

ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مُتَّبِعٍ ، والتتبيج : جنس من
المعاطلة ترد في بابها إن شاء الله تعالى .

ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيا بمضه على بمص ، وأنا أستحسن أن
يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ، وما سوى ذلك
فهو عندي تقصير ، إلا في مواضع معروفة ، مثل الحكايات وما شاكلها ، فإن بناء
(١) الألقى - على مثال أفصوله - ما يلقي من مسائل المأياة ، ومثلها الأحجية .
والأدعية ، ورناء ومعنى .

عيب تقارب
الحروف
وتكررها

التتبيج

قيام كل
بيت بنفسه

اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ، ولم أستعن الأول على أن فيه بعداً ولا تنافراً ، إلا أنه إن كان كذلك فهو القى كرهت من التثبيح .

(٣٥) — باب المخترع والبديع

حد المخترع : ما لم يُستَبَقْ إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه ، كقول امرئ القيس :

مَمَاتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا مُمَوَّ حَبَابٍ لِلْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ

فإنه أول من طرّقَ هذا المعنى وابتكره ، وسَلَّمَ الشعراء إليه ، فلم ينزاعه أحد إليه ، وقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعَذَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وله اختراعات كثيرة يضيّقُ عنها الموضع ، وهو أول الناس اختراعاً في الشعر ، وأكثرهم توليداً .

ومن الاختراع قولُ طرفة :

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَقَى ^(١) وَجَدْتُكَ لَمْ أَخْفِلْ مَتَى قَامَ عُوْدِي
فَمِنْهُمْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ ^(٢) بِشَرِّهِ كُفَيْتُ مَتَى مَا تُقَلِّ بِالْمَاءِ تَزِيدُ
وَكَرَّيْ إِذَا نَادَى لِلضَّافِّ مُحْتَبَاً كَسِيدِ الْقَضَاذِي الطَّخِيَةِ الْمُتَوَرِدِ ^(٣)

(١) بروي * ... هن من عيشة الفقى *

(٢) بروي * سبقى العاذلات ... *

(٣) بروي * كسيد الضانته المتورد * والحنب - الحناء للجمعة ، ووقع في الأصول بالجم موحدة وهو تحريف - فرس ألقى الدراع ، ونصب بكرى . والسيد : الذئب ، والضنا : شجر ، وذئابه أخبت الذئاب . ونهته : هيجته . وللتورد : الذى يطلب ورود الماء .

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْدَّجْنُ مُمَجَّبٌ بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ لِقَمَدٍ^(١)

وقوله يصف السفينة في جريها :

يَشُقُّ حَبَابَ اللَّاهِ حَيْرُومَهَا يَهَا كَمَا قَسَمَ الثَّرْبُ لِلْقَائِلِ بِالْيَدِ

وله أيضا اختراعات أكثرها من هذه القصيدة . وقال نابتة بن ذبيان :

سَقَطَ النِّصِيفُ وَلَمْ تُرْذِ إِسْقَاطُهُ فَتَسَاوَلَتْهُ وَأَتَقَتْنَا بِالْيَدِ

وقوله أيضا من الاختراعات :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبَدَ إِلَهَهُ صُرُورُهُ مُعَبَّدِ

كَرْنَا لِرُؤُوسِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَتَنَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرُشِدِ

وما زالت الشعراء مخترع إلى عصرنا هذا وتولد ، غير أن ذلك قليل في الوقت

التوليد

والتوليد : أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ؛ فلهذا يسمى التوليد ، وليس باختراع ؛ لما فيه من الاقتداء بغيره ، ولا يقال له أيضا « سرقة » إذا كان ليس آخذا على وجهه ، مثال ذلك قول امرئ القيس :

تَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَأَمَ أَهْلُهَا ثُمَّ حَبَابَ لِلَّاهِ حَالًا عَلَى حَالِ

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقيل : وضاح اليمن :

فَأَسْقُطْ عَلَيْنَا كَسَقُوطِ النُّوَى لَيْلَةً لَا نَأَمُ وَلَا زَاجِرُ

فوله معنى مليحا اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس ، دون أن يشركه في شيء من لفظه ، أو ينحو نحوه إلا في الموصول ، وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية . وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخليل :

(١) الدجن : لباس الغيم السماء وإن لم يكن مطر . أو هو الندى والطر الحفيف ، والبهكة : الجارية الخفيفة الروح ، والطراف للعمد : الحباء ذى العمدة .

يَخْرُجَنَّ مِنْ مُسْتَطِيرِ النَّعَمِ دَائِمَةً كَأَنَّ أَذَنَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

قال عدى بن الرقاع يصف قرن النزال :

تُزْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فوله بعد ذكر القلم لصابته مداد الدواة بما يقتضيه للمنى ؛ إذ كان القرن .

أسود . وقال العُماني الراجز بين يدي الرشيد يصف القرس :

تَحَالُ أَذُنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلْبًا مَحْرُفًا^(١)

فوله ذكر التحريف في القلم ، وهو زيادة صفة .

ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدعان :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ ثَبِيجٌ وَصَلْبٌ وَأَنْتَ الرَّأْسُ أَوَّلُ كُلِّ هَادٍ

قال نَصِيبٌ لمولاه عمر بن عبد العزيز :

فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وَأَبْنُ سَيْدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فوله هذا الشرح وإن كان مجملًا في قول أمية بن أبي الصلت . . . ثم أتى

على بن جبلة فقال يمدح حميد بن الحُميد :

فَالنَّاسُ جِسْمٌ ، وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

فأوقع ذكر العين على مشبه معين ، ولم يفعل نصيب كذلك ، اسكن أنى

بالسمع والبصر على جهة التعظيم ؛ لأن من ولد عمرو بن عبد ، ففي قول على بن

جبلة زيادة . . وجاء ابن الرومي فقال :

عَيْنُ الْأَمِيرِ هِيَ الْوَزِيرُ ، وَأَنْتَ نَاطِرُهَا الْبَصِيرُ

فرتب أيضًا ترتيبًا فيه زيادة ، فهذا مجرى القول في التوليد .

(١) يروى النحويون هذا البيت * كَأَنَّ أَذُنِيهِ ... قَادِمَةً أَوْ قَلْبًا مَحْرُفًا * ويستدلون به على أن من الناس من ينصب للبنداء والخبر جميعا بعد كان .

وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً - فيما يقول الخذاق - أبو تمام ، وابن الرومي .

والفرق بين الاختراع والإبداع - وإن كان معناها في العربية واحداً - أن الاختراع : خَلَقَ المعاني التي لم يُسَبِّق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط ، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ، والذي لم تجر المادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثرت وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى ، والإبداع للفظ ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد ، وحاز قصب السبق .

واشتقاق الاختراع من التلحين يقال « بيت خرج » إذا كان ليناً ، والخروج فِعْلٌ منه ، فكأن الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه .

وأما البديع فهو الجديد ، وأصله في الحبال ، وذلك أن يقتل الحبل جديداً ليس من قُوَى حبلٍ تقضت ثم قتلت فتلا آخر . وأشدوا لاشمّاج بن ضرار : أطار حقيقة عنه نسلاً وأدمج دمج ذى شطر بديع

والبديع ضروب كثيرة ، وأنواع مختلفة ، أنا أذكر منها ما وسعته القدرة أنواع البديع عند ابن المعتز وساعدت فيه الفكرة ، إن شاء الله تعالى ، على أن ابن المعتز - وهو أول من جمع البديع ، وألف فيه كتاباً - لم يعد إلا خمسة أبواب : الاستعارة أولاً ، ثم التجنيس ، ثم المطابقة ، ثم رد الأعجاز على الصدور ، ثم للذهب الكلامي ، وعدّ ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن ، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً ، وخالفه من بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها والاختيار فيها حيناً وقت من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

٣٦ - باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز ، وتعدّه من مفاخر كلامها ؛ فإنه دليل منزلة المجاز الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لنتها عن سائر اللغات

معنى المجاز

ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه ، وهو مصدر « جُرْتُ مجازاً » كما تقول « قمت مقاماً ، وقلت مقالا » حكى ذلك الحاتمي ، ومن كلام عبد الله بن مسلم ابن قتيبة في المجاز قال : لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً ؛ لأننا نقول : نَبَتَ البَقْلُ ، وطالت الشجرة ، وأبمنت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخصَ السر ، ونقول : كان هذا الفعل منك في وقت كذا ، والفعل لم يكن وإنما يكون ، ونقول : كان الله ، وكان بمعنى حدث ، والله قبل كل شيء ، وقال في قول الله عز وجل : (فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض) فأقامه (لو قلنا لسكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا انهيار ؟ لم يجد بداً من أن يقول : بهم أن ينقض ، أو يكاد ، أو يقارب ، فإن فعل قد جعله فاعلاً ، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من أسنة المعجم إلا بمثل هذه الألفاظ .

المجاز أبلغ من الحقيقة

والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً تحضاً فهو مجاز ؛ لاحتماله وجوه التأويل ، فصار التشبيه والاستمارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، إلا أنهم خصوا به — أعنى اسم المجاز — باباً بهينه ؛ وذلك أن يستى الشيء باسم ما قاربته أو كان منه بسبب ، كما قال جرير ابن عطية :

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ^(١) رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
أراد المطر لقر به من السماء ، ويموز أن تريد بالسماء السحاب ؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء ، وقال « سقط » يريد سقوط المطر الذي فيه ، وقال « رعيناه » والمطر لا يُرْعَى ، ولكن أراد النبات الذي يكون عنه ؛ فهذا كله مجاز ، وكذلك قول التتائي :

(١) يروى * إذا نزل السماء . . . *

يَالَيْلَةَ لِي بِجَوَارِينِ سَاهِرَةٍ حَتَّى تَكَلِّمَ فِي الصَّبَاحِ الْعَصَافِيرُ
 فَيَجْعَلُ الْإِلَهَ سَاهِرَةً عَلَى الْمَجَازِ ، وَإِنَّمَا يُسَمَّرُ فِيهَا ، وَجَعَلَ لِلْعَصَافِيرِ كَلَامًا ،
 وَلَا كَلَامَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ سُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ وَعَلَيْهِ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَاكَ مَنَطِقَ الطَّيْرِ) وَإِنَّمَا الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ الْإِنْسُ
 وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ ، فَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا ، وَلَكِنَّهُ مَجَازٌ مَالِيحٌ وَاتِّسَاعٌ ، وَهَذَا أَكْثَرُ مَنْ
 أَنْ يَحْصِرَهُ أَحَدٌ ، وَمِثْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَسْأَلُ
 الْقُرْيَةَ) وَمِثْلُهُ (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَجْلَ بِكُفْرِهِمْ) يَعْنِي حُبَّهُ ، وَمَنَّهُ : (فَتَبَارَكَ
 اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وَهُوَ الْخَالِقُ حَقًّا وَغَيْرُهُ خَالِقٌ مَجَازًا ، وَقَوْلُهُ : (وَاللَّهُ خَيْرُ
 الْمَسْكُورِينَ) وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ مَكْرًا لِكَوْنِهِ مُجَازَاةً عَنْ مَكْرٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :
 (فَيُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) وَالْعَذَابُ لَا يُبَشَّرُ بِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَنَّهُ مَكَانُ الْبَشَارَةِ .
 وَمِنْ أَنَاشِيدِ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِمَجَانِيهِ نَهَارٌ
 وَقَالَ يَمْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : بَارِضٌ بَنَى فُلَانٌ شَجَرًا قَدْ صَاحَ ؛
 إِذَا طَالَ ، وَأَنشَدُوا لِلْمَجَاجِ :

* كَالْكَرْمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ *

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : لَمَّا تَبَيَّنَ الشَّجَرُ بَطُولُهُ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ جَمْلُهُ كَأَنَّهُ صَاحٌّ ؛
 لَأَنَّ الصَّاحَّ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَأَنشَدَ غَيْرُهُ قَوْلَ سُؤَيْدِ بْنِ كَعْبٍ :
 نَحْوُ هَذَا :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ ، وَرَافَهُ لَمَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّكَادِكُ وَأَعَدَّ
 يُقَالُ : نَبَاتٌ وَأَعَدَّ ، إِذَا أَقْبَلَ كَأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ بِالْإِتْمَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا نَوَّرَ أَيْضًا
 قِيلَ : قَدْ وَعَدَ . وَمِنْ الْمَجَازِ عِنْدَهُمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ وَغَيْرِهِ : فَضَلْتُ ذَاكَ وَالزَّمَانَ غَيْرًا ،
 وَالزَّمَانَ غُلَامًا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيدُ نَفْسَهُ لَيْسَ الزَّمَانُ ، وَلَا أَرَى ذَلِكَ مُسْتَقِيمًا

بل عندى الصواب ونفس الاستعارة أن يبقى الكلام على ظاهره مجازاً ؛ لأنما نجد في هذا النوع ما لا ينساغ فيه هذا التأويل ، كقول بعضهم :

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَاسٍ هَلْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْوَهْدُ ؟

فليس معناه شربتُ وأَكَلْتُ عليهم ؛ لأنه إنما يعنى بعد العهد لا السووقلة

الوفاء . وقال أبو الطيب :

أَنْتَ مَوْذَنٌ لِّمَنَّا إِلَى بَعْدِنَا وَمَشَى عَلَيْهِمُ الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدٌ

فإنما أراد الدهر حقيقة . وقال الصنوبري :

كَانَ عَيْشِي بِهِمْ أَتَقَى فَوْتِي وَزِمَانِي فِيهِمْ غُلَامًا فَشَاخَا

فليس مراده كُنْتُ فِيهِمْ غُلَامًا فَشِخْتُ ، ولكل موضع ما يليق به من

الكلام ويصح فيه من المعنى .

وأما كون التشبيه داخلاً تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يشابهان بالمقاربة على الساحة والاصطلاح ، لا على الحقيقة ، وهذا يبين في بابيه إن شاء الله تعالى .

التشبيه من
المجاز

وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل إخباراً عن عيسى ومريم عليهما السلام : (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان ، وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما : (فَلَمَّا تَنَسَّاهَا) كناية عن الجماع ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « المين وكاء الله » وقوله لحارث كان يحذبه « إياك والقوارير » كناية عن النساء لضف عزائمن ، إلى أكثر من هذا .

الكتابة

٣٧ - باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حيل الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام إذا وقعت مَوْقِعَهَا ، ونزلت موضعها ،

منزلة
الاستعارة

والناس مختلفون فيها : منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه ،
كقول لبيد :

وَعَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّوْهُ إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّامِلِ زِمَامُهَا^(٧)

فاستعار للريح الشمال يداً ، وللعَدَاةَ زِمَاماً ، وجعل زمام العداة ليد الشمال
إذ كانت الغالبة عليها ، وليست اليد من الشمال ، ولا الزمام من العداة . ومنهم
من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذو الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْمَوْدِ وَالتَّوْصَى وَسَاقَ السُّرِّيَّاءِ فِي مَلَأَتْهِ الْفَجْرُ

فاستعار للعجر مَلَأَةً ، وأخرج لفظه مخرج التشبيه .. وكان أبو عمرو بن
المَعْلَاءِ لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة ، ويقول : ألا ترى كيف صير له ملاءة ،
ولا ملاذله ، وإنما استعار له هذه اللفظة ؟ وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع
بيت ذى الرمة ناقص الاستعارة ؛ إذ كان محمولا على التشبيه ، ويفضل عليه ما كان
من نوع بيت لبيد ، وهذا عندي خطأ ؛ لأنهم إما يستحسنون الاستعارة القريبة ،
وعلى ذلك مضي جِلَّةُ العلماء ، وبه أنت النصوح عنهم ، وإذا استعير للشيء
ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ، ولو كان البعيداً حسن استعارة
من القريب لما استهجنوا قول أبي نُوَاس :

(١) وزعت : كغفت ، وبروى « كغشت » يريد أنه وزع القر وكفه بالطعام
الطعام وإيقاد النيران . وقوله « إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّامِلِ زِمَامُهَا » أى : إِذْ أَصْبَحَتْ
العداة الغالب عليها ربح الشمال وهى أبرد الرياح ، قال التبريزى « وجعل للرياح يدا
وللعداة زماما » اهـ وقال الشيخ عبد القاهر : « ليس في بيت لبيد شيء أكثر من
أن يخل إلى نفسك أن الشمال في تصريف العداة على حكم طبيعتها كالمدبر للصرف
لما في زمامه يده ومقادته في كفه ، وذلك كله لا يعتمدى التحيل والتوهم » اهـ

من معيب
الاستعارة

بِحُ صَوْتُ الْمَالِ مِثْلًا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فأى شيء أبعد استعارة من صوت المال ؟ فكيف حتى يُح من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع ؟ ولم يرد أبو نواس فيما أقدر ؛ لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيداً ، وكذلك قول شار :
وَجَذْتُ رِقَابَ الْوَصْلِ أُمِّيَّافُ هَجَرِهَا وَقَدَّتْ لِرَجْلِ الْبَيْنِ نَمْلِينَ مِنْ خَدَيِ
فما أهجن « رجل البين » وأقبح استعارتها ! ! ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك « رقاب الوصل » ولا مثل قول ابن المعتز وهو أشد النقاد :

* كُلُّ وَقْتٍ يُبُولُ زُبُّ السَّحَابِ *

فهذا أردأ من كل ردى ، وأمقت من كل مقية .

حدود مختلفة
للاستعارة

قال القاضي الجرجاني : الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاً كما بقرب التشبيه ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منازعة ، ولا يقين في أحدهما إعراض عن الآخر وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد ، وعلم في أول وهلة أنه مستعار ، فلم يدخله لبس ، وعاب على أبي الطيب قوله :

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَلِيلُ الْمِتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النُّعْلِ

إذ كانت الخليل لها عيون في الحقيقة ، ورجح عليه قول أبي تمام :

مَأْسَ الْأُمُورَ سِيَاسَةَ ابْنِ تَجَارِبٍ رَمَقَتْهُ عَيْنُ الْمَلِكِ وَهُوَ جَنِينُ
إِذْ كَانَ الْمَلِكُ لَا عَيْنَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ .

وقال أبو الفتح عثمان بن جنى : الاستعارة لا تكون إلا للبالغة ، وإلا فهي

حقيقة ، قاله في شرح بيت أبي الطيب :

فَقَى يَمْلَأُ الْأَفْئَالَ رَأْيًا وَحَكْمَةً وَبَادِرَةً أحيانَ يَرْضَى وَيَنْضَبُ

وكلام ابن جني أيضاً حسنٌ في موضعه ؛ لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة ، فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة ، إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ، ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوساطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق :

وَقَدْ لَبِستَ لبسَ المَلُوكِ ثيابها وأبدتَ لك الدنيا بكف ومصم
وترمق أحياناً بعينٍ مريضةٍ وتبسّمُ عن مثلِ الجانِ للنظم

وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض ، وشبه اللبس بالجان ، وهذا إفراطٌ غير جيد هنا .

قال أبو الحسن الرماني : الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة ، وذكر قول الحجاج « إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطعها »

وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ، ويستهنونها ، كما يجتنبها المحدثون ويعافون أمثالها ظرفاً ولطافة ، وإن لم تكن فاسدة ولا مستحيلة . ؛ فهذا قول امرئ القيس :

وهِرَّ تصيدُ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَأُفْلِتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حَجْرٍ

فكان لفظه « هِر » واستعارة الصيد معها مضحكة هيجنة ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين هذه الاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح :

لَيْتُ بَئِراً يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَفْرَاهِ صَدَقاً

لاعلى أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرآن تحسنه ، وقرائن تقبحه ، كذكر الصيد في هذين البيتين .

وامل معترضاً يقول : العرب لا تعرف إلا الحقائق ، ولا تلتفت إلى كلام

السفلة ، فقد قدمت هذا في أول كلامي ، وعرفت أنه لا يلزم ، ولكن يرغب عنه في الواجب ، ألا ترى أن بعض الوزراء — وقيل : بل هو للأمنون — غيّر للسلحة^(١) واستهجنها لما فيها فقال : قولوا الصلحة ، وليس ذلك لعله إلا موافقة كلام السفلة .

وقال الرماني : الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ، ببيان لا تنوب منابه الحقيقية ، كقول امرئ القيس :
* قَيْدِ الْأَوَابِدِ^(٢) *
واستدزل قول بعض المولدين :

* اسْفِرْ لِي النِّقَابَ بِأَصْرَةِ الشَّمْسِ *

بأن قال : آتراه ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة !؟ وإلا فأئى وجه لاختياره هذه الاستعارة .

ومثل قول امرئ القيس للتقدم ذكره في القبيح قول مسلم بن الوليد :
وَلَيْسَ لِحُلَيْسَتٍ لَعِينٍ مِنْ سَنَةِ هَتَكْتُ فِيهَا الصَّبَا عَنْ بَيْضَةِ الْحَجَلِ
فاستعار للحجل — يعنى السكل — بيضة ، كما استعارها امرؤ القيس للخنجر في قوله :

* وَبَيْضَةَ خَنْدَرٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا^(٣) *

وكلاهما يعنى المرأة ، فاتفق لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ ؛ لأن بيضة الحجل من الطير تشاركها ، وهى لعمري حسنة للنظر كما عرفت . . وقال في موضع آخر :

(١) للسلحة : موضع السلاح ، وهى أيضا الثغر أى اللوز الذى يخاف أن يأتى منه العدو . وإعما كره لفظها لأنه يأتى من السلاح — بصم السين — وهو التعوط (٢) ذلك فى قوله من المعلقة :

وقد أغتدى والطير فى وكساتها عنجود قد الأوابد هيكلا
(٣) غامه : * تمتت من لوبها غير محجل *

رُمْتُ الشُّلُوْءَ وَنَاجَانِي الضَّمِيرُ بِهِ فَاسْتَمَطَفْتَنِي عَلَى بِيضَاتِهَا الْحَبْلُ
فَا الَّذِي أَعْجِبُهُ مِنْ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ قَبِيحُهَا اللَّهُ !!! وَلَوْ قَالَ «الْكَلْبُ» لَتَخَلَّصَ
وَأَبْدَعَ فَكَانَ تَبَعًا لَامْرِيءِ الْقَيْسِ فِي جُودَةِ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ ..

وَقَالَ حَبِيبٌ عَلَى بَصَرِهِ بِهَذَا النُّوعِ :

* وَاللَّهُ مُفْتَاَحُ بَابِ لِلْعَقْلِ الْأَشْبِ *
*

فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى اسْمَهُ مُفْتَاَحًا ، وَأَتَى طَائِلٌ فِي هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ
الْبِشَاعَةِ وَالشَّنَاعَةِ !!! وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّمَا أَرَادَ أَمْرُ اللَّهِ وَقَضَاءَهُ .

وَاعْتَرَضَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

لِلْجُودِ بَابٌ فِي الْأَنَامِ وَلَمْ تَزَلْ مُذْ كُنْتَ مُفْتَاَحًا لِدَاكِ الْبَابِ
بِحُضْرَةِ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، وَقَالَ : أَتَى إِلَى مَدْحُوهِ لُجْلُهُ مُفْتَاَحًا ، فَهَلَا قَالَ
كَمَا قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

قَبْلُ أَنْ أَمْلَهُ فَلَسَنِي أَنْ أَمْلَا - لِكَيْمَنْ مَفَاتِيحُ الْأَرْزَاقِ

فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ : عَجِبْتُ مِنْكَ تَعْيِبُ أَنْ يَجْعَلَ مَدْحُوهُ مُفْتَاَحًا وَقَدْ جَعَلَ رَبُّهُ
كَذَلِكَ ، وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ لِلتَّقْدِمِ عَجْزُهُ .

وَقَالَ فِي مَدْحٍ ذَكَرَ أَنَّهُ يَعْطِيهِ مَرَّةً وَيَشْفَعُ لَهُ أُخْرَى إِلَى مَنْ يَعْطِيهِ :

فَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتُ كُنْتُ قَلْبِيًّا

لُجْلُهُ مَرَّةً حَيْلًا وَمَرَّةً يَثْرًا .. وَقَالَ الْآخَرُ هُوَ أَبُو تَمَامٍ :

ضَاحِي الْحَيَا لِلْهَجِيرِ وَلَلْقَنَا تَحْتَ الصَّبَاحِ تَحَالَهُ مَحْرَانًا

فَلَمَنَ اللَّهُ عَلَى الْحَرَاثِ هَهْنَا ، مَا أَقْبَحَهُ وَأَرْكَهُ !!! وَأَيْنَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ قَوْلِهِ

، الْمَلِيحُ الْبَدِيعُ :

أَوْ مَا رَأَتْ بَرْدَى مِنْ نَسْجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خَضَابَ اللَّهِ وَهُوَ خَضَابِي

وإن كان إنما أخذه من قول الله عز وجل : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً) قالوا : يريد الختان ، وقيل : الفطرة .

والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة ، ليس ضرورة ؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم ، فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً . ألا ترى أن الشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعملون له مع ذلك ؟ على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يُعبر بها عن معاني كثيرة ، نحو « المين » التي تكون جارحة ، وتكون الماء ، وتكون الميزان ، وتكون الطر الدائم الفزير ، وتكون نفس الشيء وذاته ، وتكون الدينار ، وما أشبه ذلك كثير ، وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ، ولكنه من الرغبة في الاختصار ، والثقة بفهم بعضهم عن بعض . ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرناها اسمٌ غير المين أو أسماء كثيرة ؟

وما اختاره ابن الأعرابي وغيره قول أُرطاة بن سُهَيْبَة .

قلتُ لها يا أمَّ بِيضَاءَ^(١) إني هَرِيْقُ شَبَابِي واستشَنَّ أَدْيِي

السرفي
استعارتهم لفظ
الشيء لغيره

أمثلة من
الاستعارة
المختارة

قال * هَرِيْقُ شَبَابِي * لما في الشباب من الرونق والطلاوة التي هي كالماء ، ثم قال * استشَنَّ أَدْيِي * لأن الشَّنَّ هو القربة الياسة ؛ فكأن أديمه صار شناً لما هَرِيْقُ ماء شبابيه ؛ فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم تبعد . ومثل ذلك في الجودة ما اختاره ثعلب وفضله جماعة ممن قبله ، وهو قول طَلْقِيلِ الْفَنَوِيِّ :

فوضعتُ رجلي فوقَ نَاجِيَةٍ يَبْقَتَاتُ شَحْمٍ سَنَامِهَا الرَّحْلُ^(٢)

(١) في نسخة « يا أم عمران »

(٢) الناجية : الناقة السريعة ، والرحل : ما يقتعد عليه الراكب ، يريد أن الرجل فوقها دائماً - كناية عن طول ما يسافر عليها - فينقص شحم سنامها .

فجبل شحم سنامها قوتاً للرحل ، وهذه استمارة كما تراها كأنها الحقيقة
لتمسكها وقرىها ، وقد تناولها جماعة منهم كلثوم بن عمرو التتائي : قال في قصيدة
يعتذر فيها إلى الرشيد :

ومن فوق أكوار المهارى^(١) كُبَانَةٌ أحلّ لها أكل القرى والقوارب

ثم أتى أبو تمام وعوّل على التتائي وزاد المعنى زيادة لطيفة بينة فقال :
وقدأ كلوا منها القوارب بالشرى فصارت لها أشباحهم كالقوارب

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ، ويقدمه بحسن الاستمارة والتشبيه ،
لاسيما بقوله :

فلما رأيتُ الليلَ والشمسُ حَيَّةَ حَيَاةِ الذي يقضى حُشَاةُ نازع

لأن قوله « والشمس حية » من بديع الكلام والاستمارة ، وباقي البيت
من مجيب التشبيه . واختار الخاتمي في باب الاستمارة في وصف سحائب - وأظنه
لابن ميادة ، واسمه الرماح بن أبرد من بني مرة ، وميادة أمه :

إذا ما هَيَّطَنَ القاعَ قد مات بَقْلُهُ بَكَيْنَ به حَتَّى يعيش هشيم

ورواه قوم لأبي كبير ، وابن ميادة أولى به وأشبهه .

والاستمارة كثيرة في كتاب الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم :
من ذلك قوله تعالى : (لِمَا ظَنَى الْمَاءُ) وقوله : (فَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ)
وقوله : (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) ، فالشهيقة والغَيْظُ
استمارة ، وقوله تعالى : (يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكِ) وكثير من هذا لو تعمى لطل
جداً . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ » ، وقوله لحالب
حلب ناقة : « دَعِ دَاعِيَ الْبَيْنِ » يعنى بقية من البين في الحلب ، وقوله : « تَمَسَّحُوا

أمثله من
الاستمارة
في القرآن
والحديث

بالأرض فإنها بكم برة . قال أبو عبيد : يريد أنها منها خلقتهم ، ومنها معادهم ،
وهي بعد الموت : كَفَأْتُهُمْ^(١) وقوله : « رب تقبل تَوْبَتِي ، وَاغْفِرْ حَوْبَتِي »
فتسل الحوبة استعارة مليحة .

ومن أناشيد هذا الباب — وهو فيما زعم ابن وكيع أول استعارة وقعت —
قولُ امرئ القيس يصف الليل :

وتَلِيلُ كَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُّوْلَهُ طَلَّ بِأَنْوَاعِ الْمَهْمُومِ لَيْتَلِي
قَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْرِهِ^(٢) وَأَرْدَفَ أَحْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَلِ

فاستعار ليل سدولا رخيها ، وهو الستور ، وصُلْبًا يتمطى به ، وأعجازاً يردفها ،
وكل كلا ينوء به ، وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه :

ضَحَّوْا بِأَتَمَطَ عُنْوَانُ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ الْآتِلَ تَسْبِيحًا وَقِرَاءًا

فلاستعارة قوله * عُنْوَانُ السَّجُودِ بِهِ * وقد أخذ من قول الله تعالى :
(سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ) وقال جميل المدري :

أَكَلَمَا بَانَ حَتَّى لَا تُتْلَأَ مِنْهُمْ وَلَا يَبَالُونَ أَنْ يَشْتَقَّ مَنْ فَجَعُوا
عَلَقَتْنِي بِهِوًى مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَعَلَتْ مِنَ الْفِرَاقِ حَصَاةَ الْقَلْبِ تَنْصَدَعُ

البديع « حَصَاةُ الْقَلْبِ » . ومن كلام اللولدين قولُ أبي نواس :

بَصَحْنِ خَدَّيْكَ بِفَضْ مِائَةٍ وَلَمْ تَخْفُضْ أَعْيُنَ النَّاسِ

البديع كل البديع عجز البيت . وقال أيضاً :

فَإِذَا بَدَا اقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ قَسْرًا إِلَيْهِ أَعْيُنَ الْخُنُوفِ

(١) الكفات - بكسر الكاف - للوضع يضم فيه الشيء ويجمع .

(٢) في إحدى روايات المعلقة * قَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ * وهي رواية
الحطيب والأعلم ، والذي رواه المؤلف رواية الأسمعي ، ولغني لما تعدد بوسطه .

البديع « أعنة الحدق » وقوله « اقتادت » . وقال أبو الطيب :
 ضمنت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوا في تحتها والقوادم
 أراد بالجناحين مئمنة العسكر وميسرته ، وبالقلب موضع اللك ، وبالخوا في
 والقوادم السيوف والرماح ، وهذا تصنع بديع ، كله حسن الاستعارات .. وقال :
 صدمتهم بخميس أنت غرته وسهرته في وجهه تميم
 وهذا كالأول جودة .. وقال السري للوصلي :
 يشق جيوب الورد في شحراته نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد
 فالبديع قوله « متى ينظر » .

(٣٨) - باب التمثيل

ومن ضرور الاستعارة التمثيل ، وهو المائلة عند بعضهم ، وذلك أن تمثل
 شيئا شئاً فيه إشارة^(١) ، نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ، ولم يأت
 أملح منه :

وَمَا ذَرَوْتَ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَعْدَحِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ^(٢)
 فمثل عينها بسهمي اليسر - يعني للقتل ، وله سبعة أنصباء ، والرقب ، وله
 ثلاثة أنصباء - فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينها ، ومثل
 قلبه بأعشار الجزور ؛ فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .

وقال حريث بن زيد الخليل :

أَبَانَا^(٣) بَقْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً كِرَامًا ، وَلَمْ نَأْكُلْهُمْ حَشَفَ النَّخْلِ

- (١) كذا ، وربما كان صوابها « به استعارة » ويؤيده قوله في آخر تعليقه على
 بيت امرئ القيس « تمت له جهات الاستعارة والتمثيل »
 (٢) ذرفت : دمعت ، إلا تعدحى : يروي في مكانه « إلا لتضربى » في أعشار
 قلب : أى في قلب معتر ، أى : مكسر ، مقتل ، مذل ، منقاد ، يقول : ما بكيت
 إلا لتضربى قلباً قد ذله المشق . (٣) في الأصول « أفانا » .

حد التمثيل
 وأول من
 ابتكره

فمثل خساس الناس بجشف النخل ، ويموزأن يريد أخذ الدية فيكون
حيثخذ حذفاً أو إشارة . . وقال الأخطل لئابنة بنى جعدة :
لَقَدْ جَازَى أَبُو لَيْلَى بِقَعْمٍ وَمُنْتَكِبَةٍ عَنِ التَّقْرِيبِ وَإِنْ
إِذَا هَبَطَ الْخَبَّارَ كَبَا لَيْفِهِ وَخَرَّ عَلَى الْجِحَافِ وَالْجِرَانِ
وإنما عبره بالكبر ، وإنما هو شاب حديث السن وقال بعض الرواة :
لإنما تهاجيا في مسابقة فرسين ، وهو غلط عند الخذاق .
ومن التمثيل أيضا قوله :

فَتَحْنُ أَخٌ لَمْ تَلَقَ فِي النَّاسِ مِثْلَنَا أَخَا حِينَ شَابَ الدَّهْرُ وَابْتِئَصَ حَاجِبُهُ
ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا وكذا وكذا
وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عبيدة ، وقد قتله جميل بن
معمر يوم حنين مأسورا :

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
يقول : نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل ، وإلا فكنا نقتل قتله ،
وهو من قول الله عز وجل في بني إسرائيل (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ) يريد بذلك الفرائض المانعة لهم من أشياء رخص فيها لأمة محمد
صلى الله عليه وسلم ، وإلى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدى كرب حين خفقه عمر
رضي الله عنه بالدرّة ، فقال له : أَلَمْ يَأْخُضْ عَنِّي لَكَ ، يعنى الدين ، وإن كان للتل
قديمًا إنما [هو] أَلَمْ يَأْخُضْ عَنِّي للنوم .

ومن جيد التمثيل قول ضُبَاعَةَ بنت قُرْطُطَرَى زوجها هشام بن المغيرة المخزومي :

إِنَّ أَبَا عُمَانَ لَمْ أَنْتَهْ وَإِنْ صَمَمْتُ عَنْ بَكَاءِ حُبِّهِ
تفادوا من معشرا ما لهم أَى ذَنْوٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلْبِ ؟

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله : « الصوم في الشتاء
النعيم الباردة » وقوله : « ظَهَرَ الْمُؤْمِنُ مَشْجَبُهُ ، وَخَزَانَتُهُ بَطْنُهُ ، وَرَاحِلَتُهُ رَجُلُهُ ،

وذخيرته ربه « وقوله : « للؤمن في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف
مرتحل ، والعارية مؤداة ، ونعم الصهر القبر » .

ومن مليح أناشيد التمثيل قول ابن مقبل :

إني أقيدُ بالمأثور راحتي ولا أبالي وإن كنا على سفر

قوله * أقيدُ بالمأثور * تمثيل بديع ، والمأثور هو السيف الذي فيه أثرُ ،
وهو الفرند ، وقوله * ولا أبالي * حشو مليح ، أفاد مبالغة عجيبة ، وقوله * وإن

كنا على سفر * زيادة في المبالغة ، وهذا النوع يسمى إيهالاً ، وبعضهم يسميه
التبليغ ، وهو يرد في مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .
(الإيهال أو التبليغ)

ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قولُ ابن أبي ربيعة :

أيها المنكحُ الترياً سهيلاً عمرَكَ اللهُ كيف يلتقيان!!

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى

يعنى التريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت نهاية
في الحسن والكمال ، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان غاية في القبح
والدمامة . فتل بينهما وبين سميهما ، ولم يرد إلا بُدَّ ما بينهما وتفاوته خاصة ،
لا أن سهيلاً اليماني قبيح ولا دميم ، ولا أدري هل هذا الرأي موافق لرأى
عبد الكريم أم لا ؟ وحسبك أن الشاعر لم ينكر إلا القضاء .

وقال أبو العليوب وذكر نزاراً :

فأقرحت المقاديرُ ذِفْرَينها وصكّرَ خدما هذا العذار

ووصف ربحاً فقال ، وهو مليح متمكن جداً :

ينادر كلَّ ملتفتٍ إليه ولبته لثبطه وِجارُ

وقال يخاطب سيف الدولة :

بنوكم وما أنرتَ فيهم يدٌ لم يذمها إلا السَّوارُ

الفرق بين
الاستعارة
والتشبيه
والتمثيل

بها من قطعها أَلَمْ وَتَمَّصْ وفيها من جلالتها افتخار
والتمثيل والاستعارة من التشبيه ، إلا أنها بغير أدواته ، وعلى غير أسلوبه ،
وللثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة :
سَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
راجع إلى ما ذكرته ؛ لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لشريك ويأتيك
بالأخبار من لم تزود كما حرت عادة الزمان . . وتسمية المثل دالة على ما قلته ؛
لأن التَّلَّ والمِثْلَ التشبيه والنظير ، وقيل : إنما سمي مثلاً لأنه مائل لخاطر الإنسان
أبدًا ، يتأسي به ، ويعظ ويأسر ويزجر ، والمائل : الشاخص المنتصب ، من قولهم
« طَلَّ مائل » أى : شاخص ، فإذا قيل « رسم مائل » فهو الدارس ، والمائل من
الأضداد . . وقال مجاهد في قول الله عز وجل (وقد خلت من قبلهم المثلثات) :
هى الأمثال . وقال قتادة : هى العقوبات . وقال قوم : إنما معنى المثل المثل الذى
يُحْدِثُ عليه ، كأنه جعله مقياساً لغيره ، وهو راجع إلى ما قدمت . . وقال بعضهم :
فى المثل ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد يكون
المثل بمعنى الصفة ، من ذلك قول الله تعالى : (مثل الجنة التى وَعِدَ الْمُتَّقُونَ) أى :
صفة الجنة ، وقوله : (وله المثل الأعلى فى السموات والأرض) أى : الصفة العليا ،
وهى قولنا « لا إله إلا الله » وقوله تعالى : (ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى
الإنجيل كزرج أشجر شَطَاءً) أى : صفتهم .

(٣٩) — باب المثل السائر

أفضل المثل

المثل السائر فى كلام العرب كثير نظماً ونثراً ، وأفضله أَوْخَرُهُ ، وأحكمه
أَصْدَقُهُ ، وقولهم « مِثْلُ شُرُودٍ وَشَارِدٌ » أى سائر لا يَرُدُّ كالجبل الصَّعْبُ الشَّارِدُ الذى
لا يكاد يعرض له ولا يرد . . وزعم قوم أن الشُرودَ مالم يكن له نظير كالأشاذ
والنادر ، فأما قول أبى تمام وكان إمام الصنعة ورئيسها :

لَا تُنْصِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي تَمَاحِي حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أُحْتَفَ فِي ذِكَاةِ إِبَاسٍ
فإنه يشهد لقول الأول ؛ لأن النمل يعمرو وحاتم مضروب قديماً ، وليس
بمثل لا نظير له كما زعم الآخر . *

وقد تأتي الأمثال الطوال محكمة إذا تولاهما الفصحاء من الناس ، الأمثال الطوال
فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإيجاز ، قال الله عز وجل : (كُتِلَ
الْمَكِيدُونَ أَخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لِبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ) وقال :
(فَتَلَهُ كُتْلًا سَكَبَ : إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ، أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ) وقال :
(كُتِلَ الْحَارِبُ بِحِمْلِ أَسْفَارِهِ) فهذه أمثال قصار . . وقال : (إِنْ أَلْفٌ لَا يُسْتَحْيَى
أَنْ يُضْرَبَ مِثْلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا) ومن الأمثال الطوال قوله تعالى : (ضَرَبَ
اللَّهُ مِثْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ) الآية (وضرب الله مثلا للذين آمنوا
امْرَأَةً فِرْعَوْنَ) الآية (ومريم ابنة عمران) الآية ، وقال : (فَتَلَهُ كُتْلًا صَفْوَانٍ
عَلَيْهِ تَرَابٌ) الآية ، وقال (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيمَةٍ يُحْسِبُهُ
الظَّالِمَانِ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ بِمِذَةٍ شَيْئًا) الآية ، ثم قال : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ)
الآية . . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله : « كُلُّ الصَّيْدِ فِي
جَوْفِ الْفَرَا » قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم ، وقوله : « مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ الْخَلَامَةِ
مَنْ الزَّرْعُ تَمِيلُهَا الرِّيحُ مَرَّةً هَكَذَا وَمَرَّةً هَكَذَا ، وَمِثْلُ الْمُنَافِقِ مِثْلُ الْأُرْزَةِ لِلْجَذْبَةِ »^(١)

(١) في اللصرتين « الْأُرْزَةُ الْمَحْرِيَّةُ » وفي التونسية « الْمَجْدِيَّةُ » وكل هذا
تصنيف ، وإنما هو « مِثْلُ الْأُرْزَةِ الْمَجْدِيَّةِ » كما أثبتناه ، قال ابن الأثير : « الْأُرْزَةُ
بِسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا - شَجَرَةُ الْأُرْزَنِ وَهُوَ حَشْبٌ مَعْرُوفٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الصَّنُوبَرُ ،
وَقَالَ فِي بَعْضِهِمْ - هِيَ الْأُرْزَةُ - بَوَازِنٌ فَاعِلَةٌ - وَأَسْكُرَهَا أَبُو عَيْدٍ » ١٠ ، وقال في
مَوْصِعٍ آخَرَ : « الْمَجْدِيَّةُ : هِيَ الثَّابِتَةُ النَّصْبَةِ ، يُقَالُ : جَدْتُ تَجْدُو ، وَأَجْدْتُ
مَجْدَى » ١١

على الأرض حتى يكون انجفافها مرة » وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها فقال :
« وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطًا أو يُيْلَمُ » وقوله : « وإلّا كم وخَضْرَاءُ الدِّمَنِ »
قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في اللَّيْلِ السَّوِّءِ »
والأنشيد في هذا الباب كثيرة : فمنها ما فيه مثل واحد ، ومنها ما فيه مثلان ،
ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ، ومنها ما فيه أربعة أمثال ، وهو قليل جداً ، وكل نوع
من هذه الأنواع فيه احتياج واستثناء .

لم نظم اللث ؟ وللثلث إنما وزن في الشعر ليكون أشركه ، وأخف للثقل به ، فقي لم يترن
كان الإتيان به قريباً من تركه .. وقد حكى الخاتمي أشياء لا أدرى كيف وجهها ،
وزعم أن حمادا الراوية سئل : بأي شيء فضل النابضة ؟ فقال : إن النابضة
إن تثلثت بيت من شعره اكتفيت به ، مثل قوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ الْفِرَّةَ مَذْهَبُ

بل لو تثلث بنصف بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله * وليس وراء
الله للمرء مذهب * بل لو تثلث بربع بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله
* أي الرجال للهذب ؟ * ^(١) ولا أعرف كيف يحمل حماد هذا ربع بيت وفيه
زيادة سببين وهما أربعة أحرف ؟ إلا أن يُريد التقريب ، فهذا من الاحتياج
الذي ذكرته ؛ لأنه لا يتمثل به على أنه شعر إلا احتاج إلى ما قبله واستغنى
ما قبله عنه ، ألا ترى [أنه] لو قال * ولست بمستبق أحداً لا تلمه * أنه يكون
مثلاً كافياً ، ثم لا يتعلق قوله * على شعث * بشيء من اللث الثاني وإن بقي
موزوناً ، فإذا رده على الصدر تعلق به وبقي للث الثاني مكسوراً .

ومثله قول القطامي ، واسمه عُمَيْرُ بْنُ شُعَيْمٍ التَّمْلُجِي :

(١) البيت يتامه هو قوله :

ولست بمستبق أحداً لا تلمه على شعث ، أي الرجال للهذب ؟
ويستغنى على هذا البيت مغرماً في كلام المؤلف .

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَ خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى ، وَلَا مَ الْخَطِيءِ الْمَبْلُ
 قوله * وَلَا مَ الْخَطِيءِ الْمَبْلُ * مثل ، إلا أنه غير موزون حتى يتصل بقوله
 * ما يشتهى * وذلك من تمام للثل الأول الذى فى صدر البيت ، وهذا كله احتياج
 وبما لا احتياج فيه قول امرئ القيس :

اللَّهُ أَجْتَحَّ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْبُرْ خَيْرُ حَقِيبةِ الرَّحْلِ

فى كل قسم من هذين مثل قائم بنفسه ، غير محتاج إلى صاحبه .
 وكذلك قول الخطيئة :

مَنْ يَقْتُلِ الْخَيْرَ لَا يَفْدِمُ جَوَازِيهَ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وقال عبيد بن الأبرص الأسدى :

الخير يبتى وإن طال الزمان به والشرُ أخبثُ ما أَوْعَيْتَ من زاد
 وبما فيه مثل واحد قول حفرة العباسى :

نُبِئْتُ سَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَمَى وَالْكَفَرُ حَبِيبةُ لِنَفْسِ النَّمْعِ
 فجاء بالمثل غير محتاج إلى ما قبله . . وقال أبو ذؤيب :

تَرْكُوا هَوًى وَأَغْنَقُوا هَوَاهُمُ فَتَخِرُّمُوا وَلِكِلِ جَنْبٍ مَضْرَعُ

فإن بدأت بالقسم الثانى كان مثلاً سائراً ، وإن أسقطت جزءاً منه بقى للثل
 سائراً غير موزون ، إلا أن يكون فى الرفع من الأمثال مُصَنَّمٌ يأتى فى البيت
 بأسره كقول الأول :

وَأَنْتَ لَنْ تَرَى طَرْدًا لِحُرَّةٍ كَالْإِصْبَاقِ بِهَ طَرَفِ الْهَوَانِ

وقول أبى نواس :

إِذَا ائْتَمَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وبما فيه ثلاثة أمثال قول زهير :

وفى الحلم إذْعَانُ ، وفى العفدُ دُرْبَةٌ ، وفى الصدق منجاة من الشر فاصْدُقْ

فأتى بكل مثل في ربع بيت ، ثم جعل الربع الآخر زيادة في شرح معنى ما قبله . وكذلك قول النابغة الذبياني :

الرفقُ يُمنُّ ، والأناةُ سلامة فاستأن في رفقٍ تُتلاقى نجاها
فجاء بثلاثة أمثال إلا أنها مُدَاخِلَةٌ لم تسلم سلامة ما قبلها من كلام زهير .
وقال ابن عبد القدوس :

كُلُّ آتٍ لَا يَدَّ آتٍ ، وَذُو الْجَمَلِ مُنَى ، والنم والحزن فَضْلُ
فأتى بثلاثة أمثال مداخلة الوزن أيضاً ، وكان قول ضابيء بن الحارث :
وفي الشك تفريط ، وفي الحزم قوة ، ويخطيء في الخدس القتي وَيُصِيبُ
أحسن تعديلاً في القسمة ؛ لأن شطره الأول مشتمل على مثلين ، وشطره
الثاني مشتمل على مثل قائم بنفسه . وقال عبد الله بن المعتز :

والعِيشُ هَر ، وللوت مر مستكره ، وَلُفَى صَلَالُ
والحرص ذل ، والبخل قَد وآفة النائل اللطال

ففي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج ، وفي البيت الثاني ثلاثة أمثال
لا احتياج فيها على حَدِّ ما أتى به ضابيء ، ولم أر بيتاً فيه أربعة أمثال كل
واحد منها قائم بنفسه إلا قليلاً ، أنشد الأصمعي :

فألمُ فَضْلُ ، وطول العيش منقطع ، والرزق آتٍ ، وَرَوْحُ الله منتظر
وقال أبو الطيب وحكم عليه الوزن أيضاً :

والره يأملُ ، والحياة شهية ، والشيبُ أقر ، والشيبة أنزقُ
فأتى بمثلين في كل قسم ، وصنعت أماً :

كلُّ إلى أجلٍ ، والدمرُ نَدْوَلُ والحرصُ مخيبة ، والرزقُ مقسوم
وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ، ولا أعرف منه في حفظي إلا بيتاً

واحداً للقرآن السناط في بسط قصيدة مدح بها الأمير عم بن [العزيز] معد ، وهو قوله :

خَاطِرٌ تُفْدُ، وَأَزَتْ تَحْمِدُ، وَكَرَّمُ تُسْدُ وَأَقْدُ تُقْدُ، وَاصْفَرُّ تُعْدُ الْأَكْبَرُ
وأما ما فيه ستة فإني صنعت :

خُذِ الْمَقْوَ، وَأَبِ الصَّيِّمَ، واجتنبِ الْأَذَى

وَأَغْضِ سُدَّ، وَارْفُقْ تَقْلَ، وَأَسْخُ مُحَمَّدٍ

ومن الأمثال أيضاً كلمات سارت على وجه الدهر : كقولهم « نسمع بالمعدي خير من أن تراه » يضرب مثلاً للذي رؤيته دون السماع به ، وفي كل ما جرى هذا المجرى ، وكذلك قولهم : « كل أهلها جئت برأش » يضرب مثلاً للرجل يهلك قومه بسببه . وأما قولهم في تفسير ما يقع في الشعر من جنس قول الحطيئة :

• شَدُّوا الْمَنَاجَ وَغَدُّوا قَوْقَهُ السَّكْرِيَا •

هو مثل ؛ فإما ذلك مجاز ، أرادوا التمهيل.

وهذه الأشياء في الشعر إنما هي نِيْذٌ تستحسن ، ونكت تستظرف ، مع القلة ، وفي الندرة ، فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة ، فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة كشر صالح بن عبد القدوس ؛ فقد قَدَّ به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لإكثاره من ذلك ، وما نص عليه العلماء في كتبهم ، وكذلك لا يجب أن يكون استعارته بديعاً كشر أبي تمام ؛ فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز ، وكيف قال فيه ابن قتيبة ، وما ألف عليه التقبيون كألجرجاني وأبي القاسم بن بشر الأمدى وغيرهما ، وإنما هرب الخذاق عن هذه الأشياء ؛ لما تدعو إليه من التكلف لا سيما إن كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف . وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه ؛ لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء البيان . ولا ينبغي للشعر

أن يكون أيضاً خالياً مفصولاً من هذه الحليّ فارغاً بكثير من شعر أشجع وأشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة ، مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه ، ويسهل عليه تناولها : كأبي نُوَاس في الغر ، وأبي تمام في التصنيع ، والبحتري في الطيف ، وابن المعتز في التشبيه ، وديك الجن في للرأي ، والصنوبري في ذكر النور والطير ، وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله . وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر ؛ لكثرة اختراعه ، وحسن افتنائه ، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به ؛ فصار يقال : أهجى من ابن الرومي ، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به ، وليس هجاء ابن الرومي بأجودَ من مدحه ولا أكثر . ولكن قليل الشر كثير .

ما اشتهر به
جماعة من
المحدثين

(٤٠) — باب التشبيه

حد التشبيه التشبيه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم « خذ كالورد » إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها ، لا ما سوى ذلك من صفة وسطه وخضرة كائنه ، وكذلك قولهم « فلان كالبحر ، وكالليث » إنما يريدون كالبحر سَمَاحَةً وعلماً ، وكالليث شَجَاعَةً وقوماً ، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ، ولا شتامة الليث وزهوته ؛ فوقع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر ؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد ، اختلفت أنواعها أو اتفقت ؛ فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه ، كقولهم « عين كمين للهاة ، وجيد كجيد الرِّيم » فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والهاة ، واسم الجيد واقع على هذا المعضوم من الإنسان والريم ، والكاف للفقارة ، وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كمين للهاة ، وأن هذا الجيد لا تنصابه وطوله كجيد الرِّيم ، ألا ترى أن الأصمى

مثل عن الحَوَرِ فقال : أن تكون العين سوداء كلها كميون الظباء والبقر ، ولا حور في الإنسان ، هذا أحد أقوال الأَصْمَعي في الحور ، وبذلك على أن التشبيه إنما هو بالمقاربة كما قلنا .

والتشبيه والاستمارة جميعاً يُخْرِجان الأغمض إلى الأوضح ، ويقربان فائدة التشبيه البعيد ، كما شرط الرماني في كتابه ، وهما عنده في باب الاختصار .

قال : واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن ، وتشبيه قبيح ؛ فالتشبيه الحسن أنواع التشبيه هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً ، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك ، قال : وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب ؛ فالأول في العقل أوضح من الثاني ، والثالث أوضح من الرابع ، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد في الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ، ثم طاب على بعض شعراء عصره :

صُدَّغُهُ ضِدُّ خَدِّهِ مِثْلُ مَا التَّوَعَّدُ - إِذَا مَا اعْتَبَرْتُ - ضِدُّ الْوَعِيدِ

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض ، وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه ، وكذلك قوله :

وَلَهُ غُرَّةٌ كَلَوْنٍ وَصَالٍ فَوْقَهَا طُرَّةٌ كَلَوْنٍ صُدُودٍ

وقال في موضع آخر : التشبيه على ضربين والأصل واحد : فأحدهما التقدير ، والآخر التحقيق ؛ فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه ، والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الإطلاق ، وهو التشبيه بالنفس ، مثل تشبيه الغراب بالغراب ، وحجر الذهب بحجر الذهب إذا كان مثله سواء ، وحجرة الشقائق بحجرة الشقائق .

فال صاحب الكتاب : أما ما شَرَطَ في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع ،

لا أنه قد حل على الشاعر في أخذ عليه ؛ إذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة ، كأنه أراد المبالغة ، ولعله يقول أو يقول المحتج له : معرفة النفس وللمقول أعظم من إدراك الحاسة ، لاسيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح : قال الله عز وجل : (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) فقال قوم : إن شجرة الزقوم - وهي أيضاً الأشتن^(١) - لها صورة منكورة وثمره قبيحة يقال لها : رؤوس الشياطين ، وقال قوم : الشياطين الحيات في غير هذا المكان ، والأجود الأعراف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح ؛ لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صور الجن والشياطين ، وإن لم يروها عياناً ، فخوفنا تعالى بما أعد للعوبة ، وشبهه بما نخاف أن نراه ، وقال امرؤ القيس :

أَبْقَتَايَ وَالشَّرِّ مَصَاحِيبي وَمَسُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها . وعلى هذا التأويل قال أبو تمام وفيه عكس :

وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ يُفْتَحُهُ النَّدَى^(٢) بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ اللَّطَالِبِ

وقال أعرابي قديم :

يَرْمَلُونَ حَدِيثَ الضُّفْنِ بَيْنَهُمِ وَالضُّفْنُ أَسْوَدُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلْتُ

فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس ، كأنه يقول : لو كان صورة لكان هكذا ، وقال بعض المولدين :

(١) قال الجدي : الأستن والأستان - بفتح الهمزة وسكون السين فهما - أصول الشجر يفسو في منابته فإذا نظر الناظر إليه شبهه بشخص الناس ١ هـ .

(٢) في نسخة « تفتحه الصبا » .

وَتُدِيرُ عَيْنًا فِي صَفِيحَةٍ فَضَّةٍ كَسَوَادِ يَأْسٍ فِي يَكَاظِ رَجَاءٍ
 فالْيَأْسُ عَلَى الْحَقِيقَةِ غَيْرُ أَسْوَدَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُدْرِكُ بِالْعِيَانِ ، لَكِنْ صَوْرَتُهُ فِي
 لِلْقَوْلِ وَتَمَثِيلُهُ كَذَلِكَ عَجَازًا ، وَالرَّجَاءُ أَيْضًا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِي الْبَيَاضِ .
 وَقَدْ يَقُولُ الْمُحْتَجُّ الْأَوَّلُ : إِنْ هَذَا دَاخِلٌ فِي بَابِ الْأَسْطِرْدَادِ ، كَانَ الشَّاعِرُ
 لَمْ يَقْصِدِ الْإِخْبَارَ عَنِ الْفَرَةِ وَالطَّرَةِ وَشَبَهَهُمَا ، لَكِنْ عَنِ الْوَصَالِ وَالْمَصْدُودِ ، وَعَكْسُ
 التَّشْبِيهِ ثَقَّةٌ بِأَنْ مَا أَشْبَهَ شَيْئًا مِنْ جَمَّةٍ فَقَدْ أَشْبَهَهُ الْآخَرُ مِنْ تِلْكَ الْجَمَّةِ .
 فَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ الْعَتَرِ يَصِفُ شَرْبَ حَارٍ :

وَأُقْبِلْ نَحْوَ الْمَاءِ بِشَتْلِهِ صَفْوَهُ كَأَنَّ عَدْنَتِي أَيْدِي الصَّيَاقِلِ مُنْمَعِلًا
 فَإِنَّهُ بَدِيعٌ ، يَشْبَهُ فِيهِ انْسِيَابُ الْمَاءِ فِي شَدْقِيهِ إِلَى حَلْقِهِ بِمَنْصَلٍ يُفْعَدُ ، وَهَذَا
 تَشْبِيهُهُ مَلِيحٌ بِدَرْكِ الْبَحْسِ ، وَتَمَثِيلٌ فِي الْمَقُولِ ، وَكَرَّرَ هَذَا التَّشْبِيهِ فَقَالَ يَذْكُرُ
 لِمَا بَلَّ سَفَرُ :

وَأَعْدَنِي فِي الْأَحْثَاقِ أَشْيَافَ كَلْبَةٍ مَصْفَلَةٌ تُفَرِّمِي بَهْنًا الْفَاوِزُ
 وَزَعَمَ قَدَامَةُ أَنَّ أَفْضَلَ التَّشْبِيهِ مَا وَقَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ اشْتَرَاكُهُمَا فِي الصِّفَاتِ
 أَكْثَرَ مِنْ أَفْرَادِهِمَا ، حَتَّى يَدْنِيَ بِهِمَا إِلَى حَالِ الْإِتِّحَادِ ، وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ وَهُوَ عِنْدَهُ
 أَفْضَلَ التَّشْبِيهِ كَافَّةً :

لَهُ أَبْطَلَا ظُلْمِي ، وَمَا قَا نَعَامَةً وَلِإِخْوَانِهِ حَانَ ، وَتَقَرَّبْتُ تَنْقُلُ
 وَهَذَا تَشْبِيهُهُ أَعْضَاءَ بِأَعْضَاءِهِ هِيَ بَسِينُهُ ، وَأَفْصَالُ بِأَفْصَالِ هِيَ أَيْضًا بَعْضُهَا ،
 إِلَّا أَنَّهَا مِنْ حَيَوَانَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ كَأَنَّ قَدَمَتِ ، وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ فِي قُرْبِ التَّشْبِيهِ ، إِلَّا أَنَّ أَفْضَلَ
 الشَّاعِرُ فِيهِ غَيْرُ كَبِيرٍ حَيْثُ نَزَّ ؛ لِأَنَّهُ كَتَبَ تَشْبِيهِهُ نَفْسَ الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّمَانِيُّ
 فِي تَشْبِيهِهِ الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا حُسْنُ التَّشْبِيهِ أَنْ يَقْرَبَ بَيْنَ الْبَعِيدَيْنِ حَتَّى تَصِيرَ بَيْنَهُمَا
 مَنَاسِبَةٌ وَاشْتِرَاكٌ ، كَمَا قَالَ الْأَشْجَبِيُّ :

كَأَنَّ أَزْبَرَ الْكَبِيرِ إِزْهَامَ شَخْبِيهَا إِذَا امْتَنَحَهَا فِي مَحْلَبِ الْحَيِّ مَا تَحُ

فشبه ضرع العنز بالسكير، وصوت الحلب بأزيزه ، ف قرب بين الأشياء البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت ، ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب أن يشبه الأشجعي ضرع غنزة بضرع بقرة ، أو خِلْفَ ناقية ؛ لأنه إنما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن ، وكان يعبدل عن ذكر السكير وأزيزه الذي دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه .

سبيل التشبيه وسبيل التشبيه - إذ كانت فائدته إنما هي تقريب التشبه من فهم السامع ، وإيضاحه له - أن تشبه الأودون بالأعلى إذا أردت مدحه ، وتشبه الأعلى بالأودون إذا أردت ذمه ، فقول في اللدح : تراب كالْمَسْك ، وحصى كاليافوت ، وما أشبه ذلك ، فإذا أردت التمس قلت : مسك كالمسك^(١) ، أو التراب ، ويافوت كالزجاج أو كالحصى ؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع ، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها، إلا أن المتعارف وموصوع التشبيه ما ذكرت .

أصل التشبيه وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كان وما شاكلها شيء بشيء وفي تشبيه وفي تشبيه في بيت واحد ، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَأْسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحُشْفُ الْبَالِي

فشبه شيتين بشيتين في بيت واحد ، واتبه الشعراء في ذلك ؛ فقال لبيد ابن ربيعة

وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الْعُلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ نَجْدٌ مَتَوَّهًا أَقْلَامَهَا

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام ، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه

(١) السك : إلقاء النعام ما في بطنه ، أو الرمي بالسلاح رقيقا ، وقد أراد به المؤلف نفس السلاح أو ما في بطن النعام ، وهو ظاهر .

بتجديد تلك تلك . وحكى عن بشار أنه قال : ما قرّبي القرار مذ سمعت قول
امرى القيس * كأن قلوب الظير رطباً وإيساً * حتى صنعت :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَهْوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

فإن كان مراده الترتيب فصديق ، ولم يقع بعد بيت امرى القيس في ترتيبه
صحيته ، وإن كان المراد تشبيهين في بيت فقد قال الطرمّاح في صفة نور
وحشى :

يَبْدُو وَنُصْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُقَمِّدُ

وهذا نهاية في الجودة . وأما قول من قال في بيت الحارث بن حِزَازة .
وَحَيِّبَتْ وَقَعَ سَيُوفُنَا بَرْدَهُمْ وَقَعَ السَّحَابَةُ بِالطَّرَافِ الْمُشْرِجِ
إن فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس ؛ فمحتمل ،
إلا أن الشاعر لم يصرح إلا بالوقع خاصة ، يريد بذلك الحس وحده . ظاهر الأمر
ولذلك خص الطراف ؛ لكونه من الأديم ، فصوت القطر عليه أشد منه على
غيره من سائر البيوت . وقال بشار أيضاً :

خَلَقْنَا سَمَاءَ قَوْفِهِمْ بِنُجُومِهَا سُبُوقًا وَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرَفُ أَقْتَمَا

وقال فُشْبه شَيْثَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ بِشَيْثَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ :
مِنْ كَالِ مُشْتَهَرٍ فِي كَفِّ مُشْتَهَرٍ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَالسَّيْفَ نَجْمَانِ
وربما شبهوا شيئاً شَيْثَيْنِ كقول التَّمَلَّامِي :

فَهِنْ كَالْحُلَلِ الْمَوْشِيَّ ظَاهِرُهَا أَوْ كَالْكِتَابِ الَّذِي قَدَمَتْهُ الْبَلَلُ
وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحري :

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُو مُنْظَمٌ ، أَوْ بَرْدٌ ، أَوْ أَقْلَحُ

فقول الشاعر « أو » زيادة تشبيه وإن لم يصح من جميع التشبيهات إلا
شيء واحد من جهة الحكم في « أو » . ومن الناس من يرويه :

صكأنا يسلم عن لؤلؤ أوفضة، أو برد، أو أقالح
وهي - زعوا - رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب؛ فيكون حينئذ النمر مشبهها
بأربعة أشياء، وقد تقدم أبو تمام فقال:

وثناياك إنهما أغريضٌ ولآلِ تومٌ وبرقٌ وميمصٌ

فشبهها بثلاثة أشياء حقيقة؛ لأن حكم الواو غير حكم «أو» لا سيما وقد أتى
التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخواتها، غناء كأنه إيجاب وتحقيق.

وكثر تشبيههم شيتين بشيتين حتى لم يهتز مجباً، وقد جاءوا بتشبيه ثلاثة
أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد: بالكاف، وبغير كاف؛ فقال مرقش:

النشْرُ مسكٌ، والوجوه دنا نير، وأطراف الأكف عَنَمٌ

وقال ابن الرومي:

كأن تلك الدموعَ قطرٌ ندَى يَقْطُرُ من نرجسٍ على ورد

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش:

إن أقبِلْتَ فالبدْرُ لاح، وإن مَسَّتْ فالنصن مَادَ، وإن رَنَتْ فالزَّيْمُ

وقال ابن المنز:

بدرٌ وليلٌ وعُصْنٌ وجهٌ وشَمْرٌ وَقَدْ

خمرٌ ودرٌ ووُردٌ رِيْقٌ وقَفَرٌ وخَدٌ

وقال صاحب الكتاب:

كأن ثناياه أقالحٌ، وخَدَهُ شَقِيقٌ، وعينه يَفِيقَةُ نَرْجِسٍ

وقال أيضاً على جهة التضمير:

بكووسٍ حَكَيْنٍ من شَفٍّ قَلِيٍّ شَفَّةٌ لم تذقِ وتَفَرَّا وريقاً

يريد حافة الكأس والحباب والخر.

تشبيه
ثلاثة بثلاثة

تشبيه
أربعة بأربعة

ثم أنونا بتشبيه أربعة بأربعة : بالكاف أيضاً ، وبغير كاف ، قال
امروؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب :

له أَيْطَلَاظِي ، وساقا نامة ، وإرخاء سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَقْفَلٍ
فجاء بتشبيه إضافة كما ترى حتى جعله تحقيقاً لولا مفهوم الخطاب .

وقال أبو العلي :

بَدَتْ قَمَرًا ، ومالت خُوطًا بِأَنٍ ، وَفَاحَتْ عَنَبَرًا ، وَرَنَتْ غَزَالًا

فجاء بالتشبيه على إسقاط الكاف . وقال أيضاً :

تَرْنُو إِلَى بَيْتَيْنِ الظُّلِيِّ مُجْهَشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بَالْتَمِ

فشبه في القسم الأول عينها بين الظلي ، وشبه في القسم الآخر ثلاثة بثلاثة ،

وقد تقدم أبو نواس فقال :

يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّرَمَ مِنْ تَرْجِسٍ وَيَلْعَلُمُ الْوَرْدَ بِمُنَابِ

وهذا مليح جداً . مثل ابن منذر : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ فقال : الذي يقول :

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَائَتِهِمْ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّرَمَ مِنْ تَرْجِسٍ وَيَلْعَلُمُ الْوَرْدَ بِمُنَابِ

هذا أشعر الجنب والأنس . وقد جاء بالشعر على سجيته - أعنى أبا نواس -

وشاهد ذلك ظاهره في لفظه ، وإلا فهو قادر أن يحمل مكان البر الطل حتى

يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة ؛ لما فيه من البكفة

ومن الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه * فيذري الدر من جفنه *

ومما شبه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حاجب - وهو عبد العزيز

وزير القادر بالله أبي العباس النعمان - :

مُفَرَّ وَحْدٌ وَنَهْدٌ وَاحْتِضَابٌ يَدِ كَالطَّلْعِ وَالْوَرْدِ وَالرُّمَانِ وَالْبَلَحِ

وقال صاحب الكتاب :

بَفَرْجٍ وَوَجْهٍ وَقَدَرٍ وَرَدْفٍ كَلِيلٍ وَبَذَرٍ وَغُصْنٍ وَحِفْيفٍ
 وما وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواواء ، وأتى به بغير
 تشبيه
 خمسة بخمسة
 آلة تشبيه :

فَأَشْبَهْتَ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَصْنَتْ عَلَى الْمُنَابِ بِالْهَرْدِ
 وقال أبو الفتح البستي شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة :
 قد شابهتني في لونٍ وفي قَصَفٍ وفي احتراقٍ وفي دمعٍ وفي سهرٍ

قوله * قد شابهتني * أظهر مقدرة من المحيىء بالكاف ؛ لأنهم إنما
 استصحبوا ذلك مع الكاف وأخواتها من جهة ضيق الكلام بها ، فهذا الذي
 أتى به البستي أشد ضيقا ، ألا ترى أنه لو قال « كأنها أنا » لكان هو الصواب
 ويكون قد أتى بكأنٍ وضيقين بعدها فضلا عن الكاف .

ومنه من يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف كقول امرئ القيس :
 سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ السَّمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ
 وقوله أيضا :

إِذَا مَا التُّرْبِيَا فِي السَّمَاءِ تَمَرَّضَتْ تَمَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمَفْضَلِ
 يريد كسوم حَبَابِ اللّاء ، وكترض أثناء الوشاح .
 وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل الشكري :
 دَاقَقْتُهَا فَتَدَاقَقَتْ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْفَدِيرِ
 وإنما براعته عندهم لما لم يكن قبله فعلٌ من لفظه .

ومن مليح التشبيه قول أبي كبير الهذلي :
 فَالطَّنْ شُقْشُقَةً ، وَالضَّرْبُ هَيْمَةً ضَرْبُ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْمُضْعَدَا

التشبيه
 بغير أداة

من مليح
 التشبيه

وَلَلْقَيْسِ أَرَامِيلٌ وَغَمَمَةٌ حِسَّ الْجَنُوبِ تَسُوقُ الْمَاءَ وَالْبَرْدَ^(١)
فالأول من نوع بيتي امرئ القيس ، والثاني من نوع بيت النخل ، وأنا
استحسن هذين البيتين جداً .

وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين : كقولك « العسل في حالوته تشبه المختلفين
كالصبر في مرارته ، أو كالنخل في حوضته » .

قال أبو الحسن الرماني : وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلا بقصيد وتفسير
ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يستدر :

لَيْتَ جَحْدَتِكَ مَمْرُوفًا مَمْنَتَ بِهِ إِنْ لَفَى اللُّؤْمُ أَحْطَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
وكذلك قول أبي نواس :

أَصْبَحَ الْحُسْنُ مِنْكَ يَا أَخْسَنَ الْأُمَمَةِ يَحْكِي سَمَاجَةَ ابْنِ حَيْشٍ
يريد أن هذا غاية كما أن ذاك غاية .

قال الجرجاني : التشبيه والتنمیل يقع مرة بالصورة والصفة ، وأخرى بالحالة
والطريقة ، اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب :

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَفِ بِهَا وَقُوفٍ شَجِيعٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُهُ
إنه إنما أراد وقوفاً خارجاً عن التعارف . وأنشد :

رُبَّ تَلِيلٍ أَمَدُ مِنْ نَفْسِ الْعَا شَقِي طُولًا قَطَعْتُهُ بَانْتِحَابِ

(١) نسب صاحب اللسان البتتين لعبد مناف بن ربيع الهذلي . والشغشفة : ضرب
من الهدير ، وحكاية صوت الطعن على التشبيه بالأول . والمهيمة : ضرب النسي .
اليابس على مثله كالحديد ، وهي أيضاً حكاية لصوت الضرب . والعلول : الذي
يسى العالة ، وهو شجر يقطعه الراعي فيجمله على شحرتين يستظل تحته من المطر .
والمعصد - بفتحين - معصد من الشجر ، أي : قطع . والقيس : جمع قوس .
والعممة - في الأصل - كلام عبريين . والجنوب : الریح للعروسة .

فهذا والله هو النقد المجيب الذي غفل الناس عنه ، بل عَمُوا وَصَمُوا .
والبيت لحمد بن عبد الملك الزياني ، ويروي لماي الموسوس . ومثله قولُ
أبي تمام :

وَمَسَافَةٌ كَمَسَافَةِ الْهَجْرِ أُرْتَقَى فِي صَدْرِ بَاقِي الْحُبِّ وَالْبُرْحَانِ
وَأُنْشِدَ الرَّمَايَ لَذَى الرِّمَةِ :

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي لَمَرٍّ عَفْرِيَةٍ مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ
ثم قال : قد اجتمع الثور والكوكب في السرعة إلا أن انخفاض
الكوكب أسرع ، واستدل بهذا على جودة التشبيه .

وأنا أرى أن فيه دركا على الشاعر ، وإغفالا من الشيخ للفسر ، وذلك أن
الثور مطلوب ، والكوكب طالب ، فشبهه به في السرعة والبياض ، ولو شبهه
بالعفريت وشبه الكلب ورائه بالكوكب لكان أحسن وأوضح ، لكنه
لم يتمكن له المعنى الذي أراد من قوت الثور الذي شبه به راحلته ؛ وأما ما أغفله
الشيخ فإن الشاعر لما رغِبَ في تشبيه الثور بالكوكب ، واحتمل عكس التشبيه :
بأن جعل المطلوب طالبا لبياضه فإن الثور لم يَلْحَقْ لا محالة ؛ وأما السرعة التي زعم فإن
العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعته لما كان مقصرا ، ولا متوسطا ، بل فوق ذلك .

التشبيهات العقم ومن التشبيهات عقم لم يُسَبِّقْ أصحابها إليها ، ولا تعدى أحد بعدهم عليها ،
واشتقاقها فيما ذُكِرَ من الريح القيم ، وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، نحو
قول عنترة العنسي يصف ذباب الروض :

وَحَلَّ الدُّبَابُ بِهَا فليس بارج
غَرَدًا كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَمِّمِ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ نِزَاعَهُ
قَدَحَ الْمُسْكَبِ عَلَى الزَّادِ الْأَجْذَمِ
وقوله أيضا في صفة الفأب :

خَرِقُ الْجَنَاحُ كَأَنَّ لَحْيِي رَأْسِهِ جَلَّانَ ^(١) بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ
وقال الخطيئة يصف لفام ناقته :

تَرَى بَيْنَ لَحْيَيْهَا إِذَا مَا تَرَعَمَتْ لَفَامًا كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الْمَدْدُورِ
وقال الشماخ يصف آثار ريش نعامه :

كَأَنَّمَا مُنْتَنِي أَفْصَاعَ مَا مَرَّطَتْ مِنْ الْعَفَاءِ بِلَيْتَيْهَا التَّالِيلِ ^(٢)
وقول عدى بن الرقاع يصف قرن طلي :

تَرْجِي أَغْنٍ كَأَنَّ إِهْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا ^(٣)
وقول الراعي يصف جعد الرأس :

جَدَلَا أَسْكُ كَأَنَّ فَرْوَةَ رَأْسِهِ بَذِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهَا فُلُقْلَا
وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الأُرْطَى وقد كشفها نور :

يَشِيرُ وَيُبْدِي عَنْ عُروْقٍ كَأَنَّهَا - أَهْنَةُ خَسْرَازٍ نَحَطُ وَتَنْشُرُ
وقول الطاهر ملاح في صفة الظلم :

(١) جلان : مثني جلم ، وهو للقراض ، وقوله « بالأخيار » بالياء المثناة ، وفي نسخة « بالأخبار » بالباء للوحدة ،

(٢) اللثى : اللثى ، والأفصاع : جمع قفص ، وهي بثرة تخرج في أصول الأشجار يريد أن ريشها يشبهها ، وروى « كأنما منتني أقام » والأفصاع : جمع قفص ، وهو يابس البقل ، وقوله « مرطت » معناه أسرعت ، وروى في مكانه « مرحت » من الريح وهو النشاط ، والتاليل : البثور التي تكون في الجسد . روى أن الرشيد سأل الأصمعي : هل تعرف تشبيها أبعد وأرق من تشبيه الشماخ لنعامه سقط ريشها وبقي أثره ؟ وأنشده هذا البيت ، فقال له الأصمعي : لا والله يا أمير المؤمنين .

(٣) ترجى : تسوق ، والروق : القرن من كل ذى حافر .

مُجْتَنَبٌ شَمْلَةٌ بَرَجْدٍ لِسِرَاتِهِ قِدَادًا ، وَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرَجْدِ^(١)

وقول ذى الرمة فى صفة الليل :

وَلَيْلٌ كَجَلْبَابِ الْعُرُسِ قَطَّقَتْهُ^(٢) بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

وقول مُصَرَّرٍ بن رُبَيْعٍ فى صفة رأس النعامة :

سَكَاةٌ عَارِيَةٌ الْأَخَادِعِ رَأْسُهَا مِثْلُ الدُّقِّ وَأَنْفُهَا كَالْمِسْرَدِ^(٣)

وقال النابغة فى صفة السور :

رَأَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عِيُوسُهَا جُلُوسُ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمِرَانِبِ^(٤)

وهذا التشبيه عندهم عقيم ، إلا أنى أقول : إنه من قول طرفة يصف عقابًا :

وَعَجَبَرَاءُ دَفَّتْ بِالْجَنَاحِ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبُوحِ شَيْخٌ فِي بَحَادٍ مَقْنَعٍ^(٥)

(١) روى « مجتنب حلة برجد » والبرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء مخطط ضخم ، وسراته ، ظهره ، وقدا : فرقا ، وبرى : وأحلف ماسواه البرجد » وبعد هذا البيت قوله :

يبدو وتضموه البلاد كأنه * سيف على شرف يسلم ويشمد

وقد تقدم ذكره (ص ٢٩١) أول الباب ، وكان أبو عبيدة والأصمعي يضلان الطرماع بهذين البيتين بزعمان أنه أضر الناس بهما .

(٢) روى * وليل كجلباب العروس ادرعته *

(٣) سكاء : مقطوعة الأذنين ، اللدق : حجر يدق به الطبيب ، وقياسه كسر الليم ، ولكن للمصنف ضمها وضم الدال . والسر : للشب .

(٤) خزرا : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه ، ثياب المِرَانِبِ - بالنون موحدة - ثياب إلى السواد أقرب ، ويقال : كساء مرنباني . أى : أخذ من جلد الأرنب ، شبه ألوان النسور بها .

(٥) دفت - بالدال المهملة - دنت فى طيرانها من الأرض ، وبالهمزة حركته وضربت به ، والجداد : الكساء . ومقنع : متفش به ، وأراد عقابا ؛ لأن فى عجزها يضا ، ويقال : لأنها شديدة الداريتين .

و ينظر أيضاً إلى قول امرئ القيس قبله :

كَأَنَّ تَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
وقال عبد الله بن الزبير الأسدی فی تشبيه رأس القطاة :

تَقَلَّبُ لِلْإِصْصَاءِ رَأْسًا كَأَنَّهَا بَيْنِيْمَةٌ جَوْزٌ أَغْبَرَتْهَا السَّكَائِرُ

وفي الشعر من هذا صدر جيد ، وفي القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى : (والقمر قدرناها منازل حتى عاد كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) وقوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ يحسبه الظَّمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وقوله : (وإذا غَشِيَهُمْ مَوجٌ كَالْظُلْلِ) وقوله : (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم « الناس كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » وقال « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وكثير من هذا يطول تفصيله .

وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولودون إلا القليل عن مثلها استبشاعاً لها ، وإن كانت بديعة في ذاتها ، مثل قول امرئ القيس :

وَتَمَطُّوْا بِرَحْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظُبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ^(١)

فالبنانة لا بحالة شبيهة بالأشروعة ، وهي دودة تكون في الرمل ، وتسمى جماعتها بنات النقا ، وإياها حتى ذو الرمة بقوله :

حَرَاعِيْبُ أُمْتَالٍ كَأَنَّ بَنَاتَهَا بَنَاتُ النَّقَا تَحْفَى مِرَاراً وَتَنْظَرُ

وهي كالحسن البنات : لينا ، وبياضاً ، وطولاً ، واستواء ، ودقة ، وجمرة رأس ، كأنه ظفر قد أصابه الخناء ، وربما كان رأسها أسود ، إلا أن نفس الحصري المولد إذا سمعت قول أبي نؤاس في صفة الكاس :

(١) تمطو : تتناول . برحص : أراد به بنانا رخصا لينا ، غير شتن : ليس يحشن . أساريع : دود صفار ، ظبي : اسم رملة بعينها ، إسحل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالأراك .

تُعَاطِيكُمَا كَفَّ كَأَن بَنَانَهَا إِذَا اغْتَرَصَتْهَا الْعَيْنُ صَفُّ مَدَارِي
أَوْ قَوْلِ عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّومِيِّ :
سَتَى اللَّهِ قَصْرًا بِالرَّصَافَةِ شَأْفِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رَصَافِي
أَشَارَ بِقُضْبَانٍ مِنَ الدُّرِّ قُمَعَتِ يَوَاقِيتَ حُمْرًا فَاسْتَبَاحَ عَفَافِي
أَوْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ اللَّعْزِ :

أَتَرَنَ عَلَى خَوْفٍ بِأَغْصَانِ فِضَّةٍ مُقَوِّمَةٍ أُنْمَارُهُنَّ عَقِيقُ
كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ تَشْبِيهِ الْبَنَانِ بِالذُّودِ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَإِنْ
كَانَ تَشْبِيهِهُ أَشَدَّ إِصَابَةً . وَفِي قَوْلِ الطَّائِي أَبِي تَمَامَ :
بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَةً أَسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُثَلَّةً يَنْبُوعًا
وَقَرَّبَ هَذَا عِنْدَهُ وَهُوَ مَدْحٌ مِنْ قَوْلِ حَسَّانَ فِي الْمَجْنُونِ :

وَأُمِّكَ سَوْدَاهُ نَوْبِيَّةٌ كَأَنَّ أُنَامِلَهَا الْخُنْطَبُ (١)

إِذَا كَانَا جَمِيعًا مِنْ خَشَاكِشِ الْأَرْضِ . فَأَمَّا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ * أَوْ مَسَاوِيكَ
إِسْحَلْ * فَجَارٍ يَجْرِي غَيْرُهُ مِنْ تَشْبِيهِاتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَهَا بِالْعَسَمِ وَالْأَقْلَامِ
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَالْبَنَانُ قَرِيبُ الشَّيْءِ مِنْ أَعْوَادِ الْمَسَارِيكِ : فِي الْقَدْرِ ، وَالِاسْتَوَاءِ ،
وَالْإِمْلَاسِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ عَلَى كَرَاهَتِهِ أَشْبَهَ بِهَا ، وَالْإِسْحَلُ : شَجَرُ الْخَيْطِطِ .
وَقَدْ اسْتَبْشَعَ قَوْمٌ قَوْلَ الْآخِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

كَأَنَّ شَقَائِقَ الثُّغَمَانِ فِيهِ رِيَّاتٌ قَدَرَوَيْنَ مِنَ الدِّمَاءِ

فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيْهَا مَصِيْبًا فَإِنَّ فِيهِ بَسَاطَةً ذَكَرَ الدِّمَاءَ ، وَلَوْ قَالَ مِنَ الْعَصْفَرِ
مَثَلًا أَوْ مَا شَاكَ لَسَكَانُ أَوْ قَعٌ فِي النَّفْسِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسِ .
وَكَذَلِكَ صَفَّتُهُمُ الْخَمْرُ فِي حَبَابِهَا بِلَتِجِ الشَّجَاعِ وَمَا جَرَى هَذَا الْجَرَى مِنَ التَّشْبِيْهِ ،

(١) الخنطاب : دابة مثل الخنفساء ، وفيل : هو صرب من الخنافس طويلة

فإنه وإن كان مصيباً لعين الشبه فإنه غير طيب في النفس، ولا مستقر على القلب، ومن ذلك قول أبي عون الكاظمي:

تلاعبها ككف الزناج حبة لها، وليجري ذات بينهما الأنس
فتريد من تيه عليها كأنها غيرة خدر قد تحببها المس
فلو أن في هذا كل بديع لكان مقيماً بشعاً، ومن ذا يطيب له أن يشرب
شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تحببه الشيطان من المس؟!

وكأنى أرى بعض من لا يحسن إلا الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا
الذهب، وقال: رد على امرئ القيس، ولم أفل، ولكني بينت أن طريق العرب
القدماء في كثير من الشعر قد حُولت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله.
وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة:

نظرت إليك بمحاجة لم تقصها نظرت السقيم إلى وجوه العود
على أنه تشبيه لا يلحق، ولا يشق غبار صاحبه، ولم يحذفه المطنن إلا
بذكر السقيم؛ فإنه رغب عن تشبيه المحبوبة به، وفصل عليه قول عدى بن
الرقاع العاملي:

وكانها وسط النساء أعارها عيني أخور من جادر جاسم
وشنان أقصده الثعاس فرتقت في عيني سنة وليس بنائم
وأجری الناس هذا المجري قول صريع النواني على أنه لم يقع لأحد مثله،

وهو:

فلطت بأينها ثمار تجورها كأيدي الأسارى أفلتتها الجوامع^(١)
فهذا تشبيه مصيب جداً، إلا أنهم عابوه بما بينت، وإنا أشار إلى قول

النابغة:

(١) الجوامع: الأكبال، قال النابغة:

وذلك أمر لم أكن لأقوله ولو جمعت في ساعدي الجوامع

[و] يَخْطِطَنَّ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَتَجَنَّبَنَّ رَمَانَ الثَّدْيِ التَّوَاهِدِ
ومثله قول أبي مجعن الثقفي في وصف قينة :
[و] تَرْمَعُ الصَّوْتُ أَحْيَانًا وَتَخْفِضُهُ كَمَا يَطْنُ دُبَابُ الرُّوحَةِ الْفَرْدُ
فأي قينة تحب أن تشبه بالدباب ؟ وقد سرق بيت عنتره وقلبه فأفسده .

٤١ — باب الإشارة

منزلة الإشارة والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغة عجيبة ، تدل على بعد الرمي وفُرْطُ المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر البرز ، والحاظق الماهر ، وهي في كل نوع من الكلام لحقة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملًا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ؛ فن ذلك قول زهير :

فإني لو لقيتــــــــــــــــك واتَّجَعْنَا لَكَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كِفَاهُ (١)
فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه ، هذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة . . وقول الآخر :

جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاخًا لَهُ وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَمْتَنِقُ

وهذا النوع من الشعر هو الوسخى عندهم . . وأنشد الحاتمي عن علي بن هارون عن أبيه ، عن حماد ، عن أبيه إسحاق بن إبراهيم اللوصلي :

جَلَلْنَا السَّيْفَ بَيْنَ أَكْطَدٍ مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادٍ لِمَتِهِ عُسْذَارَا

(١) رواية البيت في الديوان هكذا :

وإني لو لقيتك لاجتمعنا لكان لكل مندية لقاء

والمندية : الداهية التي تندى صاحبها عرقًا لشدها ، ولقاء أي : شيء ، تلاقى به حتى يصلح الله أمرها .

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على
كيفيتها، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه ، وروى * بين الجسد * ومثله
قول الآخر :

وَيَوْمَ يُبِيلُ النِّسَاءُ الدِّمَاءَ جِلَّتْ رِءَاكُ فِيهِ خِثَارًا
يريد بالرداء الحسام كما قال مُتَمِّمُ بْنُ نُورٍ :

لَقَدْ كَفَّنَ اللَّتْمَالُ نَحْتِ رِءَاثِهِ فِي قَفَرٍ مِطْلَانِ الْمَشِيَّاتِ أَرْوَعًا
وقوله إنه جعله خاراً أى قنعت به القرسان، وأشار بقوله * يبيل النساء
الدماء * إلى وضع الحوامل من شدة القزع .

ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً
وما جاء من الإشارة على
الإشارة على
معنى التشبيه

* جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط *

فإنما أشار إلى تشبيه لونه ؛ لأن الماء غلب عليه فصار كلون الذئب .

ومن أنواع الإشارة التضمين والإيماء ؛ فاما التضمين فكقول الله تعالى :

(القارعة ما القارعة) وقد قال كعب بن سعد النوى :

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرِعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبُ
وأما الإيماء فكقول الله عز وجل : ﴿ فَتَشْبِهِمْ مِنْ أَلِيمٍ مَاعِشِهِمْ ﴾ فأوماً إليه
وترك التفسير معه . . وقال كثير :

تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا إِلَيَّ حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

قوله * وخلفت ما خلفت * إيماء مليح . . ومثله قول ابن ذريح :

أَقُولُ إِذَا نَفَسَى مِنَ الْوَجْدِ أَصْعَدْتُ بِهَا زَفْرَةً تَمْتَدُّنِي هِيَ مَايَا

ومن أنواعها التعريض : كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَفِيْتَنِي مِنْ قُرَيْشٍ قَالِ قَاتِلُهُمْ بَيْطَانُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُلُولا

مرض بعمر بن الخطاب — وقيل : بأبي بكر رضى الله عنهما ، وقيل :

برسول الله صلى الله عليه وسلم — تعريض مدح ، ثم قال :

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِي يَمْضِيهِمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ الشُّودُ التَّنَابُلُ
 فقيل : إنه عرض في هذا البيت بالأنصار ، فضضبت الأنصار ، وقال
 المهاجرون : لم تمدحنا إذ ذمتهم ، حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها :
 مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَرْكَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
 ومن ملحق التعريض قول أئمن بن خريم الأسدي لبشر بن مروان بمدحه
 ويعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين قفاه من مصر على يد نصيب
 الشاعر مولاه :

كَأَنَّ النَّجَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ جَلَّوْهُ لِأَعْظَمِ الْأَعْيَادِ عِيدًا
 يُصَافِحُ خَدَّ بَشِيرٍ حِينَ يُنْمَسِي إِذَا الظُّلُمَاءُ بِأَشْرَتِ الْأَعْدَادِ

فهذا من خفي التعريض ؛ لأنه أوهَمَ السامع أنه إنما أراد المبالغة بذكر الظلماء
 لاسيما وقد قال * حين يمسى * وإنما أراد الكلف ، هكذا حكى الرواة .
 ومن أفضل التعريض ما يحمل عن جميع الكلام قولُ الله عز وجل : (ذُقْ
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ السَّكِيمُ) أى : الذى كان يقال له هذا أو يقوله ، وهو أبو
 جهل ؛ لأنه قال : ما بين جبلية - يعنى مكة - أعز منى ولا أكرم ، وقيل : بل
 ذلك على معنى الاستهزاء به .

التلويح

ومن أنواعها التلويح ، كقول المبتون قيس بن معاذ العامري :
 لَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبِّ لَيْلَى قَلَمَ يَزَلْ (١) بِي النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ حَتَّى عَلَانِيَا
 فلوح بالصحة والكتان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا ، وإياه قصد أبو
 الطيب بعد أن قلبه ظهره لبطن قتال :
 كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَسْكِرْمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِنْشِرَازِي وَإِعْلَانِي

(١) يروى * لقد كنت أعلو الحب جيتا فلم يزل *

لأنه زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جَنِّهِمْ كَيْثَانِي
إِلَّا أَنَّهُ أَخْفَاهُ وَعَقَدَهُ كَمَا تَرَى ، حَتَّى صَارَ أُحْجِيَّةً يَتَلَقَّاهَا النَّاسُ .

ومن أجود ما وقع في هذا النوع قولُ التابضة يصف طول الليل :

تَمَّاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ يَمُنْقَضِ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بَأَيِّبٌ ^(١)

« الذي يرعى النجوم » يريد به الصبح ، أقامه مقام الراعى الذي يخلو

فيذهب بالإبل والماشية ؛ فيكون حينئذ تلويمه هذا عجباً في الجودة ، وأما من

قال : إن الذي يرعى النجوم إنما هو الشاعر الذي شكَا السَّهْرَ وطول الليل ؛ فليس

على شيء . وزعم قوم أن الأيب لا يكون إلا بالليل خاصة ، ذكره عبدالكريم .

ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل ، كما قال ابن مقبل — وكان جافياً

في الدين : يبكي أهل الجاهلية وهو مسلم ، فقل له مرة في ذلك — قال :

وَمَاتِي لَا أَبْكِي الدَّيَّارَ وَأَهْلَهَا وَقَدْ رَادَهَا رُودَاؤُكَ عَلَتْ وَحَيْرَا

وجاء قطلاً لأحباب من كل جانب فَوَقَعَ فِي أُعْطَانَا ثُمَّ طَيَّرَا

فكسى عما أحدثه الإسلام ومثل كما ترى .

ومن أنواعها الرمز : كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسيت : ^{الرمز}

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَّةَ الْحَصَى مَعَ الصَّبْحِ أَوْ مَعَ جُنْحِ كُلِّ أُصِيلٍ

يريد أنى لم أعطاها عقلاً ولا قوداً بزوحها ، إلا الهن الذي يدعوها إلى عِدَّةِ

الخصي ، وأصله من قول امرئ القيس :

ظَلَلْتُ رِدَائِي قَوْقَ رَأْيِي فَاعْدَا أَعْدُ الْخَصَى مَا تَنْقَضِي عِبْرَانِي ^(٢)

(١) في رواية الديوان * تطاول حتى ولبس الذي يهدي

النجوم *

(٢) يريد أنه لما عشى ديار الحى فلم يجد أحداً وضع رداءه فوق رأسه

وحلس معكراً بيد الخصي ودموعه لارقاً .

ومن مליح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة :
 قَرَارُهَا كَسْرَى ، وَفِي جَنَبَاتِهَا مَهَا تَدْرِيبُهَا بِالْقَيْسِ الْفَوَارِسُ
 فَلْخَمَرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

يقول : إن خذ الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التراقي
 والنُحُور ، وزد الماء فيها مزاجاً ، فانتهي الشراب إلى فوق رموسها ، ويموز
 أن يكون انتهاء الحباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزادت ، والأول
 أملح ، وفائدته معرفة حدّها صرفاً من معرفة حدّها ممزوجة ، وهذا عندهم
 مما سبق إليه أبو نواس ، وأرى — والله أعلم — أننا نخلق على المعنى من قول
 أخرى القيس :

فَلَمَّا اسْتَطَابُوا صَبَّ فِي الصَّحْنِ نَصْفُهُ وَوَفَّى بِمَاءٍ غَيْرِ طَرَقٍ وَلَا كَدِيرٍ^(١)
 ويروى « ووافوا » وإياه أردت ، ويروى « استطالوا » من الغل مكان
 « استطابوا » : جعل للماء والشراب قسمين لقوة الشراب ، فسلق الحسن عليه^(٢) ،
 وأخافه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة في الكؤوس ، إلا أنها
 سرقة ظريفة مليحة ، ولم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ
 القيس وأصحابه .

وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم استعمل حتى صار الإشارة
 وقال القراء : الرمز بالشفتين خاصة .

ومن الإشارات اللَّمَّحَة ، كقول أبي نواس يصف يوماً مطيراً :

اللمحة

- (١) استطابوا : أخذوا أطيب الماء وأعده ، هو الصحن : قلع كبير ، ويروى *
 وشجت بماء * أي : مزجت ، وغير طرق : لم تطرقه الإبل لتبول فيه ، فهو يريد
 أنه نظيف حتى لا كدر فيه ، وجد هذا البيت قوله :
 بماء سحب زل عن متن صخرة إلى بطن أخرى طيب ماؤها خمر
 (٢) الحسن : هو أبو نواس .

وَسَمَّيْنَاهُ حُرَّةً مُخَدَّرَةً لَيْسَ لَهَا فِي سَمَائِهَا نُورٌ

فقوله «حرة» يدل على ما أراد في باقي البيت ؛ إذ كان من شأن الحرة أَنْ تُفَرَّ والحياء ، ولذلك جعلها مخدرة ، وشأن التقيان والموالات التبذل والتبرج ، وأما زعم مَنْ زَعَمَ أن قوله «حرة» إنما يريد خلوصها كما نقول : هذا الملقُ من حُرِّ المتاع ؛ خطأ ؛ لأن الشاعر قد قال : «ليس لها في سمائها نور» فأى خلوص هناك ؟ وكذلك قول حسان ويكون أيضاً تنبيهاً :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومُسْتَقَرٍّ عز ، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع .
ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللفز ، وهو : أن يكون للكلام ظاهر عجب
لا يمكن ، وباطن ممكن غير عجب ، كقول ذى الرمة يصف عين الإنسان :
وأصغر من قَمْبِ الْوَلِيدِ تَرَى بِهِ يَبُوتًا مَبْنُوءَةً وَأَوْدِيَّةً قَفَرًا

طالبه في «به» للالصاق كما تقول «لست بيدي» أى : ألصقتها به وجعلتها آلة
اللمس ، والسامع يتوهمها بمعنى فى ، وذلك ممتنع لا يكون ، والأول حسن غير ممتنع
ومثله قول أبي المقدم :

وَعَلَامَ رَأَيْتَهُ صَسَارَ كَلْبًا ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ صَارَ غَزَاً

فقوله : «صار» إنما هو بمعنى عَطَفَ وما أشبهه من قول الله عز وجل : (فخذ
أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) ، ومستقبله بَصُورٌ ، وقد قيل «يصير» وهى لغة
قليلة ، وليس صار التى هى من أخوات كان مستقبلها يصير فقط ومنهاها استقر
بعد تحول

واشتقاق اللفز من الْفَرَ اليربوع والفرز ، إذا حضر لنفسه مستقياً ثم أخذ بمنته وبسرة ،
يرى بذلك ويعمى على طالبه .

ومن الإشارات اللَّحْنُ ، وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه ، وإن كان على

غير وجهه ، قال الله تعالى : (ولتعرّفنهم في لحن القول) وإلى هذا ذهب الخدّاق في تفسير قول الشاعر :

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا نَاءٌ وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

ويسميه الناس في وقتنا هذا الحاجة لدلالة الحجا عليه . وذلك نحو قول الشاعر بمحذر قومه :

خَلَوْا عَلَى السَّاقَةِ الْجَرَاءِ أَرْحَلَكُمْ وَالْبِازِلَ الْأَصْهَبَ الْقَوْلَ فَاصْطَلَمُوا

إِنَّ الدَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بَرَائِفُهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَكْرٌ إِذَا شَبِعُوا

أراد « بالناقعة الجراء » الدَّهْنَاءُ ، و « بالجلل الأصهب » الصَّانِ ، و « بالدَّنَاب »

الأعداء ، يقول : قد اخضرت أقدامهم من المشي في الكلأ والخصب ، والناس

كلهم إذا شبعوا طلبوا الفزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدوكم . .

ومثل ذلك قول مهلهل لما غدره عيدا وقد كبرت سنه وشق عليهما ما يكلفهما من

الغارات وطلب الثارات ، فأرادا قتله ، فقال : أوصيكما أن ترويا عنى بيت شعر ،

قالا : وما هو ؟ قال :

مَنْ مُبْلِغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلَهْلَا اللَّهُ دَرَكَا وَدَرِ أَيُّكَمَا

فلما زعما أنه مات قيل لهما : هل أوصى بشيء ؟ قالا : نعم ، وأنشدنا البيت

المقدم ، فقالت ابنته : عليكم بالعبدین فإنما قال أبي :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا : أمسى قتيلًا بالقلاة مجذلا

لله دركما ودر أيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستقرئوا العبدین فأقرأ أنهما قتلاه ، ورويت هذه الحكاية لمرفش .

وسبيل الحاجة أن تكون كالتمر يض والكناية ، وكل فز داخل في الأحاجي ،

وقد حاجني شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له :

أحاجيك عبّاد كز ينب في الوري ولم تؤت إلا من حيم وصاحب

فأجابه التلميذ بأن قال :

سأكنتم حتى ماتمسن^١ مدامعى بما انهل منها من دموع سواكب
فكان معكوس قول أبى عبد الله « عباد كزيب » شرك ذائع ، فقال
الآخر « سأكنتم » فأجابه على الظاهر إجابة حسنة ، ومعكوس سأكنتم « منك
أنيت » فكانه قابل به قول الشيخ « ولم تؤث إلا من صديق وصاحب » وهذا
كله مليح .

ومنها التسمية ، وهذا مثل للطير وما شاكله ، كقول أبى نواس :

التسمية

« واسم عليه خين للصفا »

وما أشبهه ، وهو معنى مشهور .

ومن الإشارات مصحوبة ، وهى عند أكثرهم معيبة كأنها حشو واستعانة
على الكلام ، نحو قول أبى نواس :

من الإشارات
مصحوبة

قال إبراهيم البلسا ل كذا غربا وشرقا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً ، ولكن شطارة وعبثاً بالكلام ، وإن شئت
قلت بياناً وتقيفاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيد الله بن عمرو
ابن العاص : « وكيف بك إذا بقيت فى حُكالة من الناس ، قد مرجت عهدهم
وأمانتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا ؟ وشبك بين أصابع يديه » ، ولا أحد أنصح
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبد كلاماً منه من الحشو والتكلف .

وقالوا : مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت ، فهذا باب تتقدم الإشارة
فيه الصوت ، وقيل : حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ،
جاء بذلك الرماني نصاً ، وقاله الجاحظ من قبل ، وأخذ على بعض الشعراء
فى قوله ^(١) :

أشارت يَطرَفِ التَّيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ

(١) هاملعمر بن أبى ربيعة الخزوى

فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المقيم

إذ كان هذا كله مما لا تحمله إشارة خائف مذعور .

ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذى السكلاع فقال : هذا أمير المؤمنين ، وأشار بيده إلى معاوية ، فإن مات فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فن أبى فهذا ، وأشار إلى السيف ، ثم قال :

مُعاويةُ الخليفةُ لا تمارى فإن يَهْلِكْ فسائِغًا يزيد
فن غلب الشقاءُ عليه جهلاً تحمك في مفارقة الحديب

وقد جاء أبو نواس بإشارات أحر لم تجر العادة بمثلا ، وذلك أن الأمين ابن زيدة قال له مرة : هل تصنع شعراً لا قافية له ؟ قال : نعم ، وصنع من فوره اربعمائة :

ولقد قلت للليحة قولي من بعيد لمن يحبك : (إشارة قبله)
فأشارت بهمهم ثم قالت من بعيد خلاف قولي : (لا لا)
فنفست ساعة ثم إلى قلت للبغل عند ذلك : (امش)

فتمعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تانيه ، وأعطاه الأمين صلة شريفة .

الحذف

ومن الإشارات الحذف ، نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته :

إِنْ شِئْتُ أَشْرَفْنَا جَمِيعًا قَدَعَا اللَّهُ كُلَّ جَهْدِهِ فَأَسْمَعَا
بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَإِلا وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأِلا

كذا رواه أبو يزيد الأنصاري ، وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش ، وقال : لأن الرجز يدل عليه ، إلا أن رواية النحويين « وإن شرأفا » و « إلا أن تا » قالوا : يريد وإن شرأفسر ، وإلا أن تشأني .. وأنشدوا :

نَم تَنَادَوْا بَعْدَ تِلْكَ الضُّوْضَا مِمَّ بِهَاتِ وَهَلْ وَيَا
 نَادَى مُنَادٍ مِنْهُمْ أَلَا نَا قَالُوا جِيئَا كُلُّهُمْ بَلَى قَا
 وَأَشَدَّ الْفَرَاةَ :

* قُلْتُ لَهَا : قَوْمِي ، فَقَالَتْ : قَا ف*

يُرِيدُ قَدْ قَتَ .

التورية

وَمِنْ أَنْوَاعِهَا التُّورِيَّةُ كَقَوْلِ عُلْيَا بِنْتِ الْهَدْيِ فِي مَلَلِ الْخَادِمِ :
 أَيَا سُرْحَةَ الْبِسْتَانِ طَال تَشْوَقِي فَهَلْ لِي إِلَى طَلَلٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ
 مَتَى بَشْتَفِي مَنْ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ ؟
 فَوُرِّثَ بَطْلٌ عَنْ طَالٍ ، وَقَدْ كَانَتْ تَجِدُّ بِهِ ، فَفَنِعْمَ الرَّشِيدُ مِنْ دُخُولِ الْقَصْرِ ،
 وَنَهَايَهَا عَنْ ذِكْرِهِ ، فَسَمِعَهَا مَرَّةً تَقْرَأُ : (فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَابِلٌ) فَسَا نَعَى عَنْهُ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْ (فَطَلَّ) فَقَالَ : وَلَا كُلْ هَذَا .

وَأَمَّا التُّورِيَّةُ فِي أَشْغَارِ الْعَرَبِ فَإِنَّمَا هِيَ كُنَايَةٌ : بِشَجَرَةٍ ، أَوْ شَاةٍ ، أَوْ بَيْضَةٍ ،
 أَوْ نَاقَةٍ ، أَوْ مِهْرَةٍ ، أَوْ مَا شَاءَ كُلِّ ذَلِكَ كَقَوْلِ الْمُسَيَّبِ بْنِ عَمْسٍ :
 دَغَا شَجَرَ الْأَرْضِ دَاعِيَهُمْ لِيَنْعِرَهُ السَّدْرُ وَالْأَنَابُ
 فَكُنِيَ بِالشَّجَرِ عَنِ النَّاسِ ، وَهَمْ يَقُولُونَ فِي الْكَلَامِ لِلنَّشُورِ : جَاءَ فُلَانٌ
 بِالشُّوْكِ وَالشَّجَرِ ، إِذَا جَاءَ بِجَبِيشٍ عَظِيمٍ .

وَكَانَ عَمْرٌو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ — قَدْ حَفِظَ عَلَى الشُّرَاءِ ذِكْرَ
 النِّسَاءِ ، فَقَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْمَدَائِلِيُّ :

تَجَرَّمُ أَهْلُهَا لِأَنِّ كُنْتُ مَشْعَرًا جَنُوبًا بِهَا ، يَطْلُوْنَ هَذَا التَّجْرَمَ
 وَمَالِي مِنْ دَنْبِ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ سَوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ يَا سُرْحَةَ اسْلُمِي
 بَلَى فَاسْمِي ثُمَّ اسْلُمِي نَمَّتْ اسْلُمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكْتَلَمْ
 وَقَالَ أَيْضًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ سُرْحَةَ مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَنْفَانِ الْمَصَادِ تَرُوقِ

فيا طيبَ رثاءها ، وبأبردَ ظلها إذا حان من شمس النهار شروق
 فهل أنا إن علّلتُ نفسي بـسُرْحَةٍ من السّرحِ مَسْدُودٌ عَلَى طَرِيقِ ؟
 حَتَّى ظَلَمْتُ شَكْسَ الخَلِيقَةِ خَافَ عليها غرامُ الطّائِفِينَ شَفِيقُ
 يريد بذلك بَغْلَهَا أو ذا حَرَمِهَا
 فَلَا الظَّلَّ مِنْ بَرْدِ الضَّحَى سَتَظْلِمُهُ وَلَا النَّيَّ مِنْهَا فِي الْعَمَى نَدُوقُ
 وقال عنقرة العبسى :
 يَا شَاةَ مَا قَنَعِي لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرُمْتُ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ
 وإنما ذكر امرأة أبيه ، وكان يهواها ، وقيل : بل كانت جاريته ؛ فلذلك
 حرمها على نفسه ، وكذلك قوله :

* والشاة يمكنه لمن هو مرتضى *

والعرب تجمل الأمهات شاة ؛ لأنها عندهم ضائنة الطلاب ، ولذلك يسمونها نعمة ،
 وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قولُ الله عز وجل في إخباره عن خُصَمِ داود
 عليه السلام : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِيَ نِعْمَةً وَاحِدَةً) كناية
 بالنعمة عن اللّراء ، وقال امرؤ القيس :

وَيَسْتَصْنِي خَدِيرًا لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا تَمَتَّتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرُ مُعْجِلِ
 كناية بالبيضة عن اللّراء . . وروى ابن قتيبة أن رجلا كتب إلى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه :

ألا أبلغ أبا حفصٍ رسولا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي تَمَّةٌ لِمَا رَى
 فلا تُصْنَا هَذَاكَ اللَّهُ ، إنا شغلنا عنكُم زَمَنَ الحِصَارِ
 فَا قُلُوصَ وَجِدَنَ مَعْقَلَاتٍ قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ النِّجَارِ

يَعْلَمُونَ جَمْعُهُ شَيْطَانِيٌّ وَبِئْسَ مُعَمِّلُ الدَّوْرِ الظُّوَارُ^(١)

وإِنَّمَا كُنِيَ بِالْقُلُوبِ - وهى النوق الشواب - عن النساء ، وعرضَ برجل يقال له « جمدة » كان يخالف إلى اللحيات من النساء ، ففهم عمر ما أراد ، وجمدة جمدة ونفاه .

ومن الكناية اشتقاق الكنية ؛ لأنك تَكْنِي عن الرجل بالأبوة ، فتقول : أبوفلان ، باسم ابنه ، أو ما تعرف في مثله ، أو ما اختار لنفسه ؛ تعظيما له وتعظيما ، وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .

قال المبرد وغيره : الكناية على ثلاثة أوجه : هذا الذى ذكرته آنفا أحدها ، الكناية بلامته والثانى : التسمية والتعظية التى تقدم شرحها ، والثالث : الرغبة عن اللفظ الخسيس ^{أضرب} كقول الله عز وجل : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فإنها فيما ذكر كناية عن الفروج . ومثله فى القرآن وفى كلام الفصحاء كثير .

(٤٢) - باب التثنية

ومن أنواع الإشارة التثنية ، وقوم يسمونه الجاوز ، وهو : أن يريد الشاعر ^{حد التثنية} ذكر الشيء فيتجاوز ، ويذكر ما يتبعه فى الصفة وينوب عنه فى الدلالة عليه ، وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة : وَيُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ قَوْقُ فَرَاشِهَا نَوْمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَفِقْ عَنْ تَفْصُلِ قَوْلِهِ « يضحى فتيت المسك » تثنية ، وقوله « نَوْمُ الضُّحَى » تثنية ثان ، وقوله « لَمْ تَنْتَفِقْ عَنْ تَفْصُلِ » تثنية ثالث ، وإِنَّمَا أراد أن يصفها بالترفة ، والنعمة ،

(١) شيطمى : الشيطم الطويل ، وقيل : الجيم ، والياء زائدة . وقيل : الشيطم الطاق الحش الوجه الذى لا احتباس له اهـ عن اللسان .

وقلة الامتهان في الخدمة ، وأنها شريفة تكفية للؤنة ، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الأخطل يصف نساء :

لَا يَصْطَلِينَ دُخَانَ النَّارِ شَائِبَةً إِلَّا يُمُودُ يَلْنَجُوجُ عَلَى فَحْمٍ

فذكر أنهم ذوات تملك وشرف حال . وأين من هذا قول النابغة في معناه وقصده :

لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَغْفَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ وَلَا تَبِيعُ بَجَنِّي نَحْلَةَ الْهُرْمَا^(١)

كانها إن لم تكن سوداء العيين بياعة للهرم كانت في نهاية الحسن والشرف والذعة .

وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق . وتماثل الخلقه فيها فذكر القُرْطُ ؛ إذ كان مما يتبع وصف العنق ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الشعراء :

إِذَا ارْتَمَشَتْ خَافَ الْجَبَانُ رَعَايَهَا وَمَنْ يَتَمَلَّقُ حَيْثُ عَلَّقَ يَفْرُقُ^(٢)

فجعل رعايتها يخاف ويفرق ، وعذره يبعد مسقطه ، فتناول هذا المعنى عمر ابن أبي ربيعة فأوضحه بقوله :

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا ، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ

وتبعه ذو الرمة فزاد للمعنى وضوحاً بقوله :

(١) الأعقاب : جمع عقب ، إذا انصرفت : يريد أنها إن انصرفت عنك فنظرت إليها لم تجد عقبها أسود ، بل هي بيضاء ناعمة رخصة القدم ، والعرب تستدل بحسن قدم المرأة على حسن ساورها ، ويقولون : إذا حسن موقف المرأة حسن ساورها . ونحلة : بستان عبد الله بن معمر . والبرم : جمع برمة ، وهي قدر النحاس يريد أنها مصونة مخدرة لائمتين بخدمة .

(٢) ارتمشت : ليست الرعات ، وهو القرط .

وَالْقُرْطُ فِي حُرَّةِ الذَّفَرَى مُعَلَّهٌ تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضْطَرِبُ^(١)

وَقَالَ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ يَصِفُ فَرَسًا ، وَيُرْوَى لغيره :

هَرَيْتُ قَصِيرَ عَذِيرِ اللِّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلَ عِذَارِ الرِّسَنِ

فلو ترك المهرت والأسالة لكان من هذا الباب ، لكنه الآن لم يقصد التنبيع ، وإنما جاء به كالتوكيد لما قبله ، هذه رواية ابن قتيبة ، وأما رواية اللحاس عن شيوخه عن الأصمعي فإنها :

وَأَحْوَى قَصِيرَ عِذَارِ اللِّجَامِ وَهُوَ طَوِيلُ عِذَارِ الرِّسَنِ

وهذا تنبيع لا شك فيه . وأما قول الأخطل :

أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ ، أَمَا وَشَاحُهَا فَجَارٌ ، وَأَمَا الْحَبْلُ مِنْهَا فَمَا يَجْرِي

ففيه التنبيع في ثلاثة مواضع ، وهي صفة الخلد بالسهولة ، وصفة الخصر بالركة ، والساق باللفظ . ومثله قول الأعشى :

صِفْرُ الْوَشَاحِ ، وَمِلُّ الدَّرْعِ ، خَرْعَبَةٌ إِذَا تَأْتَى يَكَادُ الْخَصَرُ يَنْخَزِلُ^(٢)

ف قوله « صفر الوشاح » دال على رقة الخصر ، « وملى الدرع » دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر ومجبرة ، وكل ما وقع من قولهم : طويل

(١) القرط : من حلى الأذن ؛ قيل : عام ، وقيل : خاص بما كان في شحمتها فإن كان في أعلاها فهو الشنف ، يفتح فسكون . والذفرى : عظم في أعلى العنق من الإنسان ، وهما ذفريان ، عن يمين النقرة وشمالها ، قاله في اللسان عن القتيبي .

(٢) صفر الوشاح : يريد أنها حمصة البطن دقيقة الخصر ؛ فوشاحها يعلق عنها ويضطرب لذلك ، ملى الدرع : يريد أنها ضخمة ، خرعبة : يروى في مكانه « بهكنة » والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلو . والخرعبة : الرخصة اللينة الحسنة الخلق . وتأني : ترفق ، من قولك : هو يتأني الأمر ، وقيل : تأني أى تنبأ للقيام ، وأصله بناء بن خذف إحداهما ، ينحزل : يتثنى ، وقيل : ينقطع

النَّجَاد ، وكثير الرماد ، وما يشا كلهما فهو من هذا الباب . وقالت ليلي الأخيلية :
وَمُحَرَّقٌ عَنْهُ الْقَمِيمُ تَحَالُهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً
أرادت أنه يجذب ويتعلق به للحاجات لجوده وسؤدده وكثرة الناس حوله ،
وقيل : إنما ذلك لعظم مناهيه ، وهم يحمدون ذلك .

ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حَجَر :
حَتَّى بَلَغَ مَحِلَّهُمْ وَيُوتِيَهُمْ لَهَبٌ كَنَاصِيَةِ الْحِصَانِ الْأَشْفَرِ
أراد الحرب التي هي للقصود بالصفة ، هكذا الرواية الصحيحة ، وبهذا
التفسير فسره جملة العلماء وهم الأكثر ، وقال آخرون : بل إنما أغراء بإحراق
النخل والبيوت فعمل ، ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب .
ومن التجاوز قول رؤبة بن العجاج يصف حوافر الخيل :

سَوَّى مَسَاجِيهِنَّ تَقْطِيطُ الْحَقِيقِ *

أراد أن يشبهها بالمساحي فجعلها أنفسها مساحي ، يريد العظم .
ومثله قول ابن دريد :

يَدِيرُ إِعْلِيطِينَ فِي مَلُومَةٍ إِلَى لُوحَيْنِ بِالْحَاظِ الْأَلَايِ
أراد أن يشبه أذن الفرس بالإعيط - وهو وعاء تمر للرخ - فجعل الأذن
قسمها إعيطاً ، كما فعل رؤبة في المساحي ، ومثله كثير .
ومما يدخل في باب التجاوز قول النابغة :

تَقْدُّ السَّالِقُ لِلْمَضَاعِفِ نَسْجُهُ وَتُوقَدُ بِالضُّفَّاحِ نَارُ الْحُبَّاحِبِ (١)

(١) تقد : الضمر المستتر فيه عائد على السيوف التي ذكرها في قوله قبل ذلك :
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتائب
والسائق : نسبة إلى سائق ، وهي مدينة بالروم ، وإليها تنسب أجود المدروع

وإنما أراد السلوقي* مع ما فيه من الجسد وما تحت لا به زعموا من السرج والقرس ، فذا عن الجميع ، وجاء بما يتبعه ، ويستغنى به عن ذكره ، إذ^(١) كانت لا تقد السلوقي إلا أن تقد ما فيه ، ولا تنتهى إلى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بأداته إلا بعد أن تأتى على السرج والقرس ، على أن من الناس من رد « يوقدن » على الخليل . . وإلى مثل هذا الإفراط ذهب النمر بن تولب في صفة السيف الذى شبه به نفسه فقال :

تقلّ تحفر عنه إن صرّبت به بعد القراعين والساقين والمهادى^(٢)

وروى الخذاق « القينين والمهادى » وهو واضح فى المعنى .

ومن التنبيع قول زهير :

وَمُلْجِمُنَا مَا إِنْ يَنْتَالُ قَدَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضُ إِلَّا أَنْامِلُهُ^(٣)

فأشار إلى طول عنقه وقوامه بذكر تطاول اللجم إشارة مجيبة ، وتبعه ابن

مقبل فقال :

تَمَطَّيْتُ أَخْلِيهِ الْأَجَامَ فَبَدَّى وَشَخْصِي يُسَامِي شَخْصَهُ وَهُوَ طَائِلُهُ

= وأفضلها ، المضاعف نسجه : أراد الذى نسج حلقتي حلقتي . الصفاح : ما يجعل على الدارع من الحديد ، ونار الجباب : هو ما اقتدح من شرر النار فى الهواء ، وقيل : ذباب له شعاع بالليل .

(١) فى للصريتين « إذا » وهو تحريف .

(٢) القينان فى رواية الخذاق التى ذكرها للؤلؤف : مثق قين ، وهو موضع التقيد من القرس ومن كل ذى أربع يكون فى اليدين والرجلين ، والمهادى : النقب سميت بذلك لأنها تتقدم على البدن وتهديه .

(٣) ملجمنا : يريد الذى يلجم خيلهم ، وقوله « ما إن ينال قذاله » يريد أنه لا يكاد ينال قذال القرس لطوله ، وقوله « ولا قدماه » هو على تقدير ولا تنال قدماه الأرض ، أى : أنه قد قام على أطراف أصابعه فلا ينال من قدميه الأرض إلا أنامله يرفع نفسه ليدرك قذال القرس فلا يبلغه .

وإنما تناول زهير هذا اللغى من أبي حؤاد الإيادي ، و يروى لعبد بن ثعلبة
الأسدي حيث يقول :

لَا يَسْكَادُ الطَّوِيلُ يَبْتَغُ مِنْهُ حيث يثني على القص المذار
وأنا أقول : إن بيت الذياني في الرعاث مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص :
مَاطُوا الرعاثَ بَنَهْدٍ لَوْ يَزِلُّ بِهِ لاندقّ دون تلاقى اللبة القرط
وقال ابن حديد وأتى بهديح ملبح :
قَرِيبُ مَا يَبِينُ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بعيدُ مَا يَبِينُ الْقَذَالِ وَالصَّلَا
فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق . .

وقال بعض الشعراء فلعن وظرف :
فَمَا يَكُ فِي مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
أشار إلى كثرة غشيان الضيوف ، حتى إن الكلب ما أنس جبناً أن ينبع
فضلا عما سوى ذلك ، وهُزِلَ فصيله دال على أن الألبان مبذولة للضيغان ، قتل
ما بقي له منها .

وقد قال امرؤ القيس :

* سِجَانُ الْكِلَابِ عِجَافُ الْفِصَالِ *

فعبف الفصال للعملة التي قدمت ، وسمن الكلاب لكثرة ما ينحرون
ويذبحون .

ومن أعجب التنبيع قوله :

أَمْرَخُ خِيَامَهُمْ أُمُّ عَشْرٍ أُمُّ الْقَلْبِ فِي إِزْمٍ مُنْجَدِرٍ^(١)
يقول : أنزلوا نجداً الذي من نباته المرخ أم الغور الذي من نباته المشر ؟

(١) انظر (ص ١٧٤) من هذا الجزء تجد تفسير هذا البيت في تعليقاتنا هناك

وإن الأعراب يعملون خيامهم من نبات الأرض التي يزلونها ، فإذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي يزلون به ، هكذا شرح العلماء هذا البيت المتقدم ، ولا أرى الأعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها ، وإنما يتعاورون ذكر الوَيْدِ ، اللهم إلا أن تكون الأعمدة وما شاكلها تنتخب وتحمل وإنما للطَّرَحُ (١) ما جعل فوقها وسُدَّ به خصاصُها فدفع الحر والبرد فنم ، ولا شك أن هذا هو الصحيح ، ويدل عليه قول جرير يذكر منزلاً :

فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذْكُرَ أَوْ تَرَى ثَمَامًا حَوَّالِي مَنْصَبِ الْعَلِيمِ بَالِيَا

فذكر الثمام مطرَحًا ، وقال أبو دواد :

عَهْدْتُ لَهَا مَنَزِلًا دَائِرًا وَالْأَعْلَى عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلُنْ أَلَا

فالآل الأول : أعمدة الأخبية ، والآل الثاني : الشخص الذي يرتفع عند اشتداد الحر ، هكذا فسروه ، منهم قدامة ، والذي قال الحذاق : يعنى أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة ، وقوله « على الماء » يعنى للماء العِدُّ الذى هو المحضر يرجعون إليه بعد تبديهم واقطاع ماء السماء ، وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت .

ومن أحسن ما وقع فى هذا الباب من التتبع قول حسان بن ثابت :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قُبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ لِلْفَضْلِ

فقوله « حول قبر أبيهم » تتبع مليح ، أشار به إلى أنهم ملوك مقيمون لا يهاجرون فينتقلون من مكان إلى مكان ، وأنهم فى مستقر عز وأرض خصب

(١) للطرح : المطروح الذى يتركه القوم عند رحيلهم ، وفى نسخة « المرخ » وما أثبتناه أولى ؛ فإن المرخ إز اتخذ لسد خصاص البيوت فيضيه يتخذ لذلك كاثام فى كلام جرير ، وغيره .

لا تجذب ، أراد الشام ، وأن ذلك دأبهم من القدم ، فهم حول قبر أبيهم ، وهذا كما قال ابن مقبل :

نَحْنُ لِلْقِيَمُونَ لَمْ تَبْرَحْ عَلَمَانِنَا لَا سَتَجِيرُ، وَمَنْ يَخْلُقْ بِنَا يُجِرْ

ومن هذا الباب أيضاً قول عنقرة بن شداد العبسي :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُحَذِي نِمَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

أراد أنه ملك ؛ لأن نِمَالِ السَّبْتِ لا يحتنئها عندهم إلا كل شريف ، بذلك على ذلك قول عبيدة بن مرداس للعروف يابن فسوة يذ كر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لأم فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

إِلَى نَفَرٍ لَا يَخْضِفُونَ نِمَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتِ مَا لَمْ يَخْصُرْ

ومن التثنية قول الحطيفة :

لَعَمْرُكَ مَا قَرَأْتُ بَنِي كَلِيبِ إِذَا نَزَعَ الْقَرَادُ بِمُسْتَطَاعِ

وذلك أن الفعل إذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئاً فلذلك ذلك ، وسكن إليه ، ولأن لصاحبه حتى يلقي الخطام في رأسه ، فزعم الحطيفة أن هؤلاء لا يخذعون من عزهم وإهانتهم فيقدر عليهم .

وأما قول ذي الأصبع السدواني واسمه خُرْثَانُ بن الحارث :

يَا عَمْرُو ، إِمَّا تَدْعُ شَتِيَّيَ وَمَنْفَقَتِي أَضْرَبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي

فيجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الأعراب ، فيكون من هذا الباب ، ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ بآرك وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير :

* لَدَى حَيْثُ أَقَتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَرُ *

فيخرج عن هذا الباب . . . وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله :

فَيَابَنُ الطَّاعِينَ بِكُلِّ لَذْنٍ مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشُّمَالَا
أراد الصدر ، أو النحر . .

وبيت البحترى فى صفة الذئب ، و يروى لمارة بن عقيل :

فَأَوْجَرْتُهُ أُخْرَى فَأُظْلَمْتُ رِيَشَهَا بِمِثْثِ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْخَفْدُ

خير من بيت أبى الطيب وأجمع للصفة ، وقوله « أظلمت » بمعنى صيرت
ويروى بالضاد .

٤٣ — باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة : منها للمائة ، وهى : أن تكون اللفظة واحدة
من التجنيس باختلاف المعنى ، نحو قول زياد الأعجم ، وقيل : الصَّلَتَانِ الْعَبْدَى يَرْنَى لِلْمَغِيرَةِ
ابن للهلب :

فَأَنَحَ الْمَغِيرَةَ لِلْمَغِيرَةِ إِذْ بَدَتْ شِعْوَاهُ مَشْعَلَةَ كَنْجَحِ النَّابِجِ

فالْمَغِيرَةُ الأولى : رجل ، والمَغِيرَةُ الثانية : الفرس ، وهو ثانية الخليل التى تغير .

وقال صاحب الكتاب : قال الله تعالى : (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) وقال
تعالى : (ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ) وفى كلام النبى صلى الله عليه وسلم
« سُلَيْمٌ سَالِمُهُ اللَّهُ ، وَغَفَّارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعَصِيَّةٌ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » وإن كان
من غير هذا الباب . . وأنشد^(١) سيويه :

أُنِخِثْتُ فَأَلَقْتُ بِلَدَةٍ قَوْقَى بِلَدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَمْوَاتُ إِلَّا بَنَاهُمَا

(١) انظر كتاب سيويه (ج ١ ص ٢٧٠) ونسبه لحنى الرمة ، والرواية برفع
« بنام » على جمل « إلا » صفة بمعنى « غير » ظهر إعرابها على ما جدها كما هو
معروف فى كتب النحو .

البلة الأولى : صدر الناقة ، والثانية : المكان من الأرض .

ومثله [ما] أنشد[ه] ثعلب :

وَتَنِيَّةٍ جَلَّوْزُهَا يَنْبِيَّةٍ حَرَفٍ يُعَارِضُهَا نِيَّةُ أَذْهَمِ

فالثنية الأولى : عقبه ، والثانية : ناقة ، والثني الأدهم : الظل ، استعاره

هذا الاسم . . . وروى « حبيب أدهم » .

ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء :

* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ *

وقال : الأول الشيخ ، والثاني : الجبل للسن ، والثالث : الطريق القويم قد

دُلِّلَ بكثرة الوطء عليه .

ويجوز هذا المجرى قول الأودي :

وَأَقْطَعُ الْهُوجْلَ مُسْتَأْنَسًا يَهْوِجِلْ عَيْرَانَةَ عَيْطُمُوسٍ^(١)

أنشده قدامة على أنه طباق ، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب ، وقد

جاء رد الأخفش على بن تليان عليه في ذلك وإنكاره على رأى التحليل

والأصح في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي .

وعلى القول الأول قال أبو نواس في ابن الربيع :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا حَصَرَ الْوُغَى وَالْفَضْلُ فَضْلُ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

وقال أبو تمام :

لِيَا لَيْتَا بِالرَّقَمَتَيْنِ وَأَهْلُنَا سَقَى الْعَهْدِ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ

فالعهد الأول المسقى هو الوقت ، والعهد الثاني هو الحِفَاطُ ، من قولهم « فلان

ماله عهد » والعهد الثالث : الوصية من قولهم « عَهْدُ فلان إلى فلان ، وعهدت

(١) الهوجل الأول : الأرض التي لا نبت فيها ، ومنه قول ابن مقبل :

وجرداء خرقاء السارج هوجل بها لاستداء الشعشعات مسبح

والهوجل الثاني : الناقة السريعة .

إليه « أى : وصانى ووصيته ، والهد الرابع : للطر ، وجمعه عهاد ، وقيل : أراد مطراً بعد مطر بعد مطر ، وفسر ذلك بقوله :

سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبْ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلُهُ فَلَا رَجِلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ وَلَا جَمْدٌ
واستقل قوم هذا التجنيس ، وحق لهم .

ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومى :

للسود فى السود آثار تركن بها لما من البيض تَفْنِي أعين البيض
فالسود الأول : اللبالي ، والسود الآخر : شَمَرَاتُ الرَّاسِ واللحية ، [و] البيض
الأول : الشيبات ، والبيض الآخر : النساء . .

وزعم الحامى أن أفضل تجنيس وقع لحدث قول عبد الله بن طاهر :
وَأَنَّى لِلنَّغْرِ الْخَفِيفِ لِكَالِى وَلِلنَّغْرِ يَجْرِى ظَلْمُهُ لَرَّشُوفٍ^(١)

فهذا وما شا كله التجنيس المحقق ، والجرجانى يسميه المستوفى .

ويقرب منه — وليس محضاً — قول ابن الرومى :

له نائل ما زال طالب طالبٍ ومرتاد مرتادٍ وخاطبٍ خاطبٍ

أدخل التردد ، والترديد : نوع من المجانسة يفرد له باب إن شاء الله تعالى .

والتجنيس المحقق : ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن ، رجع إلى الاشتقاق أو لم

يرجع ، نحو قول أحد بني عُبَيْس :

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ وَأَنَّ أَفْكَكُمْ لَا يَتَرَفُّ الْأَفَا
فاتفقت الأنفُ مع الأنفِ فى جميع حروفهما^(٢) دون البناء ، ورجعاً إلى أصل

(١) النثر الأول : فمر البلاد التى يحافظ عليه من غارة العدو . وكالى : حافظ

وراع . والنثر الثانى : قم المبوب ، والظلم — بفتح الظاء — ريقه .

(٢) فى المصريتين « فاتفقت الأنف فى الأنف فى جميع حروفها » وفى هذا

تحريراً لا يخفى

واحد ، هذا عند قدامة أفضل تجنيس وقع ، [و] مثله في الاشتقاق قول جرير -
والجرجاني يسميه التجنيس المطلق ، قال : وهو أشهر أوصافه :

وما زال مَقْفُولًا عِقَالٌ عن الندى وما زال محبوبًا عن الخير حَائِسُ
وقال جرير أيضًا ، وفيه للضارعة والمائلة والاشتقاق ، وأنشده ابن المعتز :
تَقَاعَسَ حَتَّى فَاتَهُ الْجِدُّ قَقَعَسَ وَأَعْيَا بَنُو أَعْيَا وَصَلَّ الْمَضَلُّ
وقال خلف بن خليفة الأقطع :

فَإِنْ يَشْتَقُّونَا عَنْ أَذَانِ فَإِنَّا شَقَلْنَا وَلِيدًا عَنْ غَنَاءِ الْوَلَانِدِ
يعنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق :
بحوافِرِ حَفِيرٍ وَصَلْبٍ صَلْبٍ وَأَشَاعِرِ شَعْرِ وَخَلْقٍ اخْتَلَقِ
جنس بثلاث لفظات ^(١) . ومثله قول البحتري :

صَدَقَ الْغُرَابُ ، لَقَدْ رَأَيْتُ شُمُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غُرُبِ
ويقرب من هذا النوع قول ذى الرمة * وَاشْتَرَجَتْ هَامِهَا الْمِمْ الشَّعَامِمْ *
فالهم والمام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق ، وربما جعلها بعض الناس من
أصل واحد ، وكذلك قوله :

كَانَ الْبَرْزَى وَالنَّاجِ عَجِبَتْ مَتَوْنَهَا عَلَى عُسْرِ نَهْيٍ بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحَ ^(٢)
قال ابن المعتز « نهى به السيل » أى : بلغ به إليه فهو أنعم له وأكثر لدونه .

(١) بل بأربع لفظات ، كما هو ظاهر ، وانظر ص ١٣٢ من هذا الجزء

(٢) قال أبو حنيفة : « العسر من الضم » وهو من كبار الشجر وله صمغ
حلو ، وهو عريض الورق ، ينبت صمدا في السماء ، وله سكر يخرج من شعبة
ومواقع زهره يقال له سكر الشجر ، وفي سكره شيء من مبرارة ، ويخرج له قناخ
كانها شقائق الجبال التي تهدر فيها ، وله نور مشرب مشرق حسن للنظر « ١ »

وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهياً ، وهو التذير ، وذلك أتم لما أراد ابن المعتز ، اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك فإنه أتم وأجود ، أى : لم يجد منصرفاً فأقام . وقال البحرى :

وَذَكَرَ نِيكَ وَالذَّكْرَى عَنَّا مَشَابَهُ مِنْكَ بَيِّنَةُ الشُّكُولِ
تَسِمُ الرُّوْضَ فِي رَيْحِ شِمَالٍ وَصَوَّبُ اللَّزْنَ فِي رَاجِ كَمُولِ
وقال أبو تمام :

مِلَّتِكَ الْأَحْسَابُ ، أَيْ حَيَاةٌ وَحَيَاةُ أَرْزَمَةٍ وَحَيَاةٌ وَادٍ^(١)

ويقرب من هذا النوع نوع بسمونه المضارعة ، وهو على ضربين كثيرة : من التجنيس
للمضارعة منها أن تزيد الحروف وتنقص ، نحو قول أبي تمام — والجرجاني : يسميه
التجنيس الناقص — :

* يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصٍ *^(٢)

وهما سواء لولا الميم الزائدة . وكذلك قوله * قَوَاضٍ قَوَاضٍ * سواء لولا
الباء ، ومع ذلك فإن الباء والميم أختان . ومثله قولُ البحرى :
فِيَالِكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهَا جَدِيدُ الْبَيْلِ تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَاخِ
ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر ، كقول الطائي :

يَبِضُ الصَّفَاخُ ، لَأَسْوَدَ الصَّحَافِ ، فِي مُتُونِهِ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
فقوله « الصَّفَاخُ » لَأَسْوَدَ الصَّحَافِ « هو الذى أردت . وقال البحرى :
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُّوعُهَا

(١) ملئت : متعتك ، حيا أرزمة : مطر شدة ، يريد أنه يكشف الشدة بمجوده

(٢) تمامه * تصول بأسياف قواض قواض * وسيذكر للؤاف بعض هذا

ومثله قول أبي الطيب :

مُنْمَعَةٌ مِّنْ مَّنْمَعَةٍ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَقَظَهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا
وحكى ابن دريد أن أعرابياً شتم رجلاً فقال : ملج أمه ، فقدم إلى السلطان
فقال : إنما قلت : ملج أمه ، فدرأ عنه . .

قال أبو بكر : لجلها : أتاها ، وملجها : رضعها .

وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف ، وفي كلام العرب منه كثير غير
متكلف ، والمحدثون إنما تكلفوه ؛ فمن العجز قول الله عز وجل : (وَمَنْ يَنْهَوْنِ
عَنْ وَيَأْتُونَ عَنْهُ) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو يشد على سبيل
الافتخار — وقيل : بل سأله عن نسبه فقال :

إني امرؤٌ حَيْرَى حِينَ تَنْسِبِي لَأَمِنْ رَيْبِ عَمَّةٍ أَبَايَ وَلَا مَضَرَ
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك والله لألم لجذك ، وأضرع لجذك ،
وأقل لجذك ، وأقل لجذك ، وأبعد لك عن الله ورسوله » وقوله عليه الصلاة والسلام
« نعوذ بالله من الأيمة والميعة والنيمة والكزيم والقزم » الأيمة : الخلو من النساء ،
والميعة : شهوة الابن ، والنيمة : العطش ، والكزيم : قصر اللسان خلقة أو من
بجل ، ويقال : الكزيم شدة الأكل ، والقزم : شهوة اللحم .

وهذا النوع يسميه الرمانى المشاكلة ، وهى عنده ضرب : هذا أحدها ، وهى
للمشاكلة فى اللفظ خاصة ، وأما المشاكلة فى المعنى فتنبيه عليها فى أما كتبها إن شاء
الله تعالى . .

وقال ابن هرمة :

وَأَطْمَنُ لِلْقِرْنِ يَوْمَ الْوَعَى وَأَطْمَنُ فِي الزَّمَنِ لِلْحَالِ
وله أبو تمام :

رُبَّ خَفَضٍ تَحْتَ الثَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ
وأبعد من هذا قليلا قول ساعدة بن جؤوبة الهذلي :

رَأَى شَخْصًا مَسْعُودًا بَنِي بَشِيرٍ بِكَفِّهِ حَدِيدٌ حَدِيثٌ بِالْوَقِيمَةِ مُعْتَدٌ^(١)
 ومن المضارعة بالتصحييف ونقص الحروف قول بعضهم :
 فَإِنْ حَلَوْا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ وَإِنْ رَحَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ
 وقال البحتري يمدح المعتز بالله :
 وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُعْتَزِ بِاللَّهِ إِنْ سَرَى لِيَمِيزَ وَالْمُعْتَزِ بِاللَّهِ طَالِبَهُ
 فجاء بتصحييف مستوفٍ . وقال :
 مَا بَعِثَنِي هَذَا الْغَزَالُ الْفَرِيرِ مِنْ فُتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ مِنْ فُتُورِ
 وقال غيره - وأظنه قابوس بن وشمكير - :

إِنْ الْمَكَارِمِ فِي الْمَكَارِمِ رَهْ وَالْفَنَائِمِ فِي الْفَنَائِمِ
 وقال بعض العلماء : ربما أَسْقَرَ السَّقَرُ عَنِ الْفَقْرِ ، وَتَسَدَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ
 الْوَطَرِ . [و] قال آخر : خُلْفُ الْوَعْدِ خُلُقُ الْوَعْدِ . وقال ابن المعتز :
 لَنْ تَرْهَقَ سَمَكٌ عَنْ كَلَامِي لَقَدْ نَزَهْتُ فِي خَدْيِكَ طَرَفِي
 لَهُ وَجْهٌ بِهِ يُصْنِي وَيُصْنِي وَمُبْتَسَمٌ بِهِ يُشْقِي وَيُشْقِي
 وقال آخر أيضا في مثل ذلك ، وفيه تفسير كثير بتصحييف :

فَمَنْ دَاعٍ وَمَنْ رَاعٍ وَمَنْ مَطَرٍ وَمَنْ مَطَرِقٍ
 وَكُلُّ خَاشِعٍ الْطَرَفِ لَدَيْهِ خَاضِعُ الْمَطَلِقِ
 أعني بالتفسير ضاد « خاضع » ليست مناسبة لشين « خاشع » فيكون
 تصحيحا ، وإنما التصحييف فيما تناسب من الخط ، ومن هذا قوله « داع »

(١) في الديوان (ص ٣٧ طبع أوربة) * رأى شخص مسعود بن سعد . . . * وبعد هذا البيت قوله :

فَجَلَّالٌ وَخَالَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بِهِ وَقَدْ خَلَّ سَهْمٌ صَوِيبٌ مُعَرَّدٌ

من المضارعة
 بالتصحييف
 ونقص
 الحروف

و « راع » لبعد ما بينهما في اللفظ والمجاء .
ومن الإسقاط الذي لا يظهر إلا في الخط قول شمس للمعالى قابوس بن وشمكير :
وَمَنْ يَسْرِفُ فَوْقَ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةً من المجدِ نَسْرِي فوق جبهة النسرِ
ومن يَخْتَلِفُ في المَلَلِينَ يَحَارُهُ فَإِنَّا مِنْ العَلِيَاءِ نَجْزِي على نَجْرِي
فيا الوصل في « النسر » جانت به « نسري » وصار لقاء النون كسرة
الماء من جبهة كالتنوين في الماء ، وكذلك صلة « نجر » جانت به « نجري »
فإذا صرت إلى الخط زالت المجانسة .

وقد أحدث اللولون تجانساً منفصلاً يظهر أيضاً في الخط كقول أبي تمام :
رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكَلَابِ ، وَشَقَقُوا فِيهِ الزَّادَ بِمَحْفَلِ كَالْغَلَابِ^(١)
الكاف للتنشبيه ، واللاب : جمع لابة ، وهي الحُرَّةُ ذات الحجارة السود . .
هذا أصح الروايتين ، وأما قوله بمحفل كَلَّابٍ أى كأن به كلاباً فليس بشيء ،
وإنما القول ما قدمناه ، وليس بتجانس صحيح على ما شرطه اللقّدمون ، ولكنه
استغرف فأدخل في هذا الباب تملحاً . . وأكثر من يستعمله : الميكالي ، وقابوس ،
وأبو الفتح البُستِي ، وأصحابهم ؛ فن ذلك قوله :

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْ دَعَانِي

قوله « أودعاني » إما هي « أو » التي للعطف ، نسق بها « دعاني » وهو
أمر الاثنين من « دع » على قوله « عارضا » الذي في أول البيت ، وقوله « أودعاني »
الذي في القافية فعل ماضٍ من اثنين ، تقول في الواحد « أودعَ يودعُ » من
الوديعة . وقال أيضاً :

(١) انظر (ص ٥٩ من هذا الجزء) ؛ فقد رصحت هذه الكلمة هناك « كلاب »
على أنها صفة مبالغة ، وهي الرواية الأخرى ، وفي الديوان « بمحفل غلاب » وهي
ترجيح ماضفه .

وإن أقرَّ على رَقَّةٍ أنانيَّةُ أقرَّ بارقٍ كُتَّابُ الأنايمِ له

وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتى كالإيطاء وليس بإيطاء إلا في اللفظ
مجازاً ، ولا بتجنيس إلا كذلك . . قال عربن على الطوسي :

أَمِيرٌ كُلُّهُ كَرَمٌ سَعِدْنَا بِأَخْذِ الْمَجْدِ مِنْهُ وَاقْتِيَابِيَّةِ
يَحَاكِي النَّيْلَ حِينَ يُسَامُ نَيْلًا وَيَحْكِي بِاسْلَافٍ فِي وَقْتِ بَاسِيَةِ

[أراد أن] يناسب جاء القافيتان كما ترى في اللفظ ، وليس بينهما في الخط
إلا مجاورة الحروف ، وهذا أسهل معنى لمن حاوله ، وأقرب شيء من تناوله ، من
أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا يُشْكُ في تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء
الساقية للتقبيون في ثرم ونظمهم حتى بردوا ، بل تدرَّكوا ، فأين هذا الصل من
قول القائل ، وهو أبو فراس :

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلِهِ
وَمَا السَّلَافُ دَهَتْهُ بِلِ سَوَافِهِ وَلَا الشَّمُولُ زَهَتْهُ بِلِ شَمَائِلِهِ
أَلْوَى بِصَبْرِي أَصْدَلُ لَوْ بِنَ لَهُ وَغَلَّ صَدْرِي مَا تَحْوَى غَلَائِلُهُ
فا كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن ، وما ظهرت فيه الكلفة
فلا فائدة فيه .

وقد يحى التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته التي تردفياً بعد :

مَا تَرَى السَّاقِي كَشْمَسٍ طَلَمَتْ تَحْمِلُ لِلرَّيْحِ فِي بَرَجِ الْجَمَلِ
فَبِهَذَا التَّجْنِيسِ تَمَّ اللَّغْنُ وَظَهَرَ حَسَنُهُ ؛ إِذْ كَانَ بَرَجُ الْجَمَلِ بَيْتُ الْمَرْجِ
وموضع شرف الشمس ، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ، ومظهراً لخفي
بحاسنه ، وحصل التجنيس فضلة على اللغني ؛ لأنه لو قال في موضع الجمل «الطمح» ^(١)

(١) الطمح - ومثله الناطح - السرطان ، وما قرنا الجمل - وفي المصرية
«الطمح» بالجم ، وهو تصحيف ، والكبيش : الجمل ، إذا أئى ، أو إذا خرجت
رباعيته .

أو «الكبش» لكان كلاماً مستقيماً ؛ فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ،
ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً إليه ، مأخوذاً منه ما ساحت فيه
القرينة ، وأعان عليه الطبع . .

وقد يمدُّ قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط قطعاً ، كقوله تعالى :
(وَمَنْ يَتَّبِعْهُمْ يَحْسَبْهُمْ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وهي مضارعة بعيدة ألا يجب أن يمد
مثلاً . . واختلف الناس في قول الأعشى :

إِنْ تَسُدَّ الْخَوْصَ فَلَمْ تَمُدَّهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ

فقال الجرجاني على بن عبد العزيز القاضى : هو مجانسة ؛ لأن أحدهما رجل ،
والآخر خييلة ، وقال غيره : بل معناها واحد ، وأنا على خلاف رأى الجرجاني
لأن الشاعر قال بنى عامر وأضاف بنى إليه ، ولو قال ساد عامراً يعنى القبيلة
لسكان تجنيساً غير مدفوع . قال الجرجاني : وأراه - يعنى بيت الأعشى - يخالف
قول الآخر :

فَقَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضَّيِيعَاتِ كُلِّهَا ضَبِيعَةٌ قَيْسٍ لَا ضَبِيعَةَ أَضْحَا

لأن كليهما قبيلتان ، فكأنه جمع بين رجلين متفقى الاسم ، انتهى كلامه ،
وهو يشهد بما قلته في بيت الأعشى إذا حققه من له ميزٌ وتدير . .

وقد ذكرنا تجنيساً مضافاً ، أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجاني :

أَيَا قَرَّ النَّهَامِ أَهَنْتَ ظَلَمًا عَلَى تَطَوَّلِ اللَّيْلِ النَّهَامِ

فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيساً ، وإذا انفصل لم يكن
تجنيساً ، وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال « ليل
النهام » كما قال « قر النهام » والرماني سمي هذا النوع مزاجياً ، ومثله عنده
قول الآخر :

حَتَّى مِيَاهِ الْوَفْرِ مِنْهَا مَوَارِدِي فَلَا تَحْمِيَانِي وَرَدَ مَاءِ الْعَنَاقِدِ

مما يمد
قوم من
المضارعة

التجنيس
المضاف
(وللزواج)

ومن الزاوجة عندهم قول الله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) وقوله: (مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) وقوله: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُنَ اللَّهِ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) وكل هذه استعارات [و] عجاز؛ لأن الراد المجازاة فزواج بين اللفظين .

وكان الأسمى يدفع قول العامة « هذا مجانس لهذا » إذا كان من شكله، متى كانت
تسمية
التجنيس؟ يقول: ليس برأي خالص، حكى ذلك ابن جني . . . فأما ابن المعتز فقال - وهو
أول من نحا هذا النحو وجمعه - والمجانسة: أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف
حروفها على السبيل الذي ألف الأسمى كتاب الأجناس عليها، قال: والمجنس
أصل لكل شيء: تتفرع منه أنواعه، وتعود كلها إليه، كالإنسان وهو جنس
وأنواعه عربي ورومي وزنجي، وأشياء ذلك، ولم تكن القدمات تعرف هذا القلب
- أعنى التجنيس - بذلك على ذلك ما حكى عن رؤية بن المجاج وأبيه، وذلك
أنه قال له يوماً: أنا أشعر منك، قال: وكيف تكون. أشعر مني وأنا علمتك
عطف الرجز؟ قال: وما عطف الرجز؟ قال: * عاصم يا عاصم لو اعتصم * قال:
يا أبت، أنا شاعر ابن شاعر، وأنت شاعر ابن معجم^(١)، فأنت ترى كيف
سماه عطفاً، ولم يسمه تجانساً، اللهم إلا أن يذهب بالمطف إلى معنى الالتفات فنعم
ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفرى - واسمه عامر^(٢) بن عمرو الأزدى:

وبننا كأن البيت حُجِرَ فوقنا بريحانة ريحت عشاء وظلت

وقال على بن محمد بن نصر بن بسام:

فاشربْ على الوردِ مَنْ وَرْدِيَّةٍ عتقت كأنها خدٌ ريمٍ ريمٍ فامتنعنا

وقال الفرزدق:

(١) ربما قرئت « ابن مقحم » .

(٢) في اسمه خلاف طويل ذكرناه في شرحنا على ديوان شعره وأخباره .

ألم يأتيه أني تخللُ ناقتي بنعمانَ أطرافَ الأراكِ النواعم
وحقيقة المجانسة عند الرمانى للناسبة بمعنى الأصل ، نحو قول أبي تمام:
* في هذه الحدث بين الجد واللعب *^(١)

قال : لأن متناهما جميعاً أبلغ ، وأما قولك قرب واقترب، والطلوع والمطلع ،
وما شاكل هذا ؛ فهو عنده من تصرف اللفظ ، ولا يده تجنيساً ، ومن تصرف
المعنى عنده قولك : عين لليزان ، وعين الإنسان ، وعين الماء ، ونحو ذلك . ومن
التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك : الضرب والمضاربة والاستضراب ، وما
أشبه ذلك ، كل هذه الأنواع عنده من باب التصرف .
وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ، ويفطن أنه
فد أتى بشيء من فرائب التجنيس .

وأما قول دحيل في امرأته سلمى :
أحبك حباً لو تَصَنَّنهُ سَلْمَى^(٢) سَمِيكَ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِ
فقد جنس من غير ذكر جنس ؛ لأن قوله « سميك » دال على مراده .
ومثله قول الآخر :

ضيعتي مثل اسمها العا م ودارى مستقره
أنشدته الرمانى . . وقال الآخر ، وهو أبو تمام :
إذا صدوق ولا كَنُودَ اسمها كالمعنيين ولا النوار نوارا
المراد صدر البيت لا معجزة .

وإذا دخل التجنيس تَقَى عُدَّ طباقاً ، وكذلك الطباق يصير بالنفى تجنيساً ،
وسأفرد لها باباً إن شاء الله تعالى فيما بعد باب التردد .

التجنيس
والطباق

(١) صدره * السيف أصدق إنباء لحق الكتب *

(٢) يريد به « سلمى » أحد جيلي طيء .

(٤٤) — باب التردد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يردّها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه ، أو في قسم منه ، وذلك نحو قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّهَابَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلْفًا
فعلق « يلقى » بهرم ، ثم علقها بالسحابة . وكذلك قوله أيضا :

وَمَنْ هَابَ أَشْبَابَ الْمَلَأَا يَنْقُلُهُ وَلَوْ رَامَ أَشْبَابَ السَّمَاءِ يَسْلُمُ
فردد « أسباب » على ما بينت . ولبعض المجازيين :

وَمَنْ لَا مَنِي فِيهِمْ حَبِيبٌ وَصَاحِبٌ فَرَدَّ بِنَيْطٍ صَاحِبٌ وَحَمِيمٌ
وقال مجنون بني عامر :

قَضَاهَا لِقَاءُ بَرِيٍّ وَابْتِلَاءُ يُحِبُّهَا فَهَلَّا يَشُقُّهُ غَيْرُ لَيْلٍ ابْتِلَاءِيَا
وقال أبو تمام :

خَفْتُ دُمُوعَكَ فِي إِرَاقِطَيْنِ لَدُنْ خَفْتُ مِنَ الْكُتُبِ الْقَضِيَانِ وَالْكِتَابِ
الترديد في « خفت » ولو جعلت الكتاب ترديدا لجاز . . وقال ابن المعتز

لَوْ شِئْتُ لَا شِئْتُ خَلَيْتُ الشَّلْوَ لَهُ وَكَانَ لَا كَانَ مِنْكُمْ فِي مُمَاثِي
وقال أيضا في مثل ذلك :

أَتَذَلِّنِي فِي يُوسُفٍ وَهَوَّ مِنْ تَرَى وَيُوسُفُ أَضْنَانِي وَيُوسُفُ يُوسُفُ
ولبعضهم — وأغنه الصنوبري :

أَنْتَ عُدْرِي إِذَا رَأَوْكَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ عُدْرِي إِذَا رَأَوْكَ تَحُونُ
الترديد في قوله « إذا رأوك » . . وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء :

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بَخِيلٌ بَأْنُ لَا يَجُودَا

الترديد في أول البيت ، وهذا النوع في أشعار الحديثين أكثر منه في أشعار القدماء جدا .

والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النخري وتسليم فضيلة هذا الباب إليه في قوله :

الْأَحَى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ لَكُنَايَا لَبِسْنَا الْبِلَ مِمَّا لَبِسْنَا الْأَلْيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرُّ يَوْمًا وَلَيْلَةً تَقَاضَى شَيْءٌ لَا يَمِلُّ التَّقَاضِيَا
والترديد الذي اتفرد فيه بالإحسان عندهم قوله * لبسنا البلى مما لبسنا
اللياليات * وكذلك قوله * إذا ما تقاضى المرُّ يوماً وليلة * ثم قال * تقاضاه
شيء لا يميل التقاضيا * لأن الهاء كناية عن المر ، وإن اختلف اللفظ .
ويلحق بهذا قول أبي نواس :

* لَوْ مَسَّهَا حَبْرٌ مَسَّتُهُ سَرَّاهُ * (١)

وقول الحسين بن الضحاك الخليلي :

لَقَدْ مَلَأْتُ عَيْنِي بِفُرِّ تَحَاسِينِ مَلَأْتُ فُؤَادِي لَوْنَةَ وَمُحُومَا
تغرب ما بين اللفظتين ، وكذلك قول الطائي :

رَاحَ إِذَا مَا الرَّاحُ كَانَ مَطِيَّهَا كَانَتْ مَطَايَا الشَّوْقِ فِي الْأَخْشَاءِ

ردد مطيها ومطاي الشوق . وعلى هذا يحمل قول الجحاف بن حكيم ، وقيل :

العباس بن مرداس :

تعرض للسيوف بكل ثمر وُجُوهًا لَا تَمَرُّضُ لِلْطَّسَامِ (٢)

(١) هذا عجز بيت له ، وقوله :

دع عنك لومي فإن اليوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الهاء

صفراء لا تنزل الأكدار ساحتها لومها

(٢) الطسام - بزنة غراب وسحاب وشداد ورمال - كثير النبار وشديده ،

ومراحه بذلك أن يكفى عنهم بالتمتع والترفة .

وحمل قوم قول امرئ القيس * فثوباً لست وثوباً أجراً^(١) * على أنه تكرار لا تردد فيه ، وهذا هو الخطأ البين ، وأى تردد يكون أحسن من هذا ؟ وقد أفاد الثاني غير إقامة الأول حسب ما شرطوا .

ومثله قول بعض الأعراب في مدح هارون الرشيد :

جَهْرُ الْكَلَامِ جَهْرُ الشَّكَايِ جَهْرُ الرِّوَاءِ جَهْرُ النَّفَمِ

ومن أملح ما سمعته قول ابن العميد :

فَإِنْ كَانَ مَسْخُوطًا قَلَّ شَمْرُكَاتٍ وَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا قَلَّ شَمْرُكَاتٍ

وهو داخل عندي في باب التردد ؛ إذ كان قوله عند السخط * شعر كاتب * إنما معناه التقصير ، وبسط الصدر له ؛ إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون « نحو كتابي » إذا لم يكن مجوداً ، وقوله عند الرضا * شعر كاتب * إنما معناه التظيم له ، وبلوغ النهاية في الغرف وللإلاحة ؛ لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات ، فقد ضاد وطابق في المعنى ، وإن كان اللفظ تجنبياً مردداً .

وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع لجملة نصب عينه حتى مَنَعَهُ وَزَهَّدَ فيه ، ولو لم يكن إلا بقوله :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَا قَلَا قَلَّ عَيْشِي كُلُّهُ قَلَا قَلَّ

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل ، ونحو ذلك قوله :

أَسْدُ فِرَاسِهَا الْأُسُودُ يَقُودُهَا أَسْدٌ تَكُونُ لَهُ الْأُسُودُ مُعَالِبَا

فما أدرى كيف تخلص من هذه الغاية للملوءة أسوداً ؟ ولا أقول إنه يت

شعر ، وأين يقع هذا من قول غيره :

فَصُبْحُ الرِّصَالِ وَلَيْلُ الشَّبَابِ وَصُبْحُ الْمَشِيبِ وَلَيْلُ الصُّدُودِ

(١) يروى صدر هذا البيت * فَأَقْبَلْتُ زَحَا عَلَى الرِّكْبَتَيْنِ * ويروى

صدره * فَلَمَّا دَنُوتُ تَسْدِيئَهَا ..

تم - بحمد الله وتوفيقه - الجزء الأول من كتاب « المدة »
لابن رشيح القيرواني ، ويليه - إن شاء الله تعالى -
الجزء الثاني منه ، وأوله (٤٥ - باب التصدير)
أعان الله تعالى على إكمالها ، بحمده وفضله .

فهرس

الجزء الأول من كتاب

الجملة

في محاسن الشعر وقده

فهرس الجزء الأول من كتاب

« السدة ، في محاسن الشعر وقده »

لأبي طى الحسن بن رشيق ، القيروانى ، الأزدي

| ص | للوضوع | ص | للوضوع |
|----|--------------------------------------|----|---------------------------------------|
| ٣ | مقدمة محقق الكتاب | | باب فى الرد طى من يكره الشعر |
| ١٠ | ترجمة مؤلف الكتاب | ٢٧ | الرسول (ص) وأصحابه بمدحون الشعر |
| ١٥ | خطبة مؤلف الكتاب | ٢٩ | معاوية تمنحه من القرار أيات عمرو |
| | باب فضل الشعر | | ابن الإطنابة |
| ١٩ | فضل العرب | — | بين طى وأعرابى سأله حاجة |
| — | الكلام نوعان : منظوم، ومثثور | — | سعيد بن السيب يسب من يكره الشعر |
| ٢٠ | النثر يسبق الشعر | ٣٠ | رأى ابن سيرين فى الشعر |
| — | الشعر أفضل أم النثر ؟ | — | المرى يحض طى رواية الشعر |
| ٢٢ | من فضل الشعر أن الكذب فيه غير معيب | — | ابن عباس يسخر من يكره الشعر |
| — | قصة إسلام كعب بن زهير | — | كانت عائشة كثيرة الرواية للشعر |
| ٢٤ | الأحوص يذكر عمر بن عبد العزيز | ٣١ | أبو السائب المخزومى وجه للشعر |
| — | عطاء الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر | — | الرد طى حجة من يكره الشعر |
| — | حسان بن ثابت واعتذاره إلى أم | | باب فى أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء |
| — | للؤمنين عائشة | ٣٢ | شعر ينسب إلى أبى بكر الصديق |
| ٢٥ | أحد المتقدمين يصف الشعراء | ٣٣ | أيات تنسب إلى عمر بن الخطاب |
| — | كعب الأحبار يغير عمر بن الخطاب | ٣٤ | شعر ينسب إلى عثمان بن عفان |
| — | بما ذكرته التوراة عن الشعراء | — | من شعر طى بن أبى طالب |
| — | ليس لأحد أن يطرى نفسه إلا فى الشعر | ٣٥ | من شعر للحسن بن طى بن أبى طالب |
| — | العلم ثلاث طبقات | — | من شعر لمعاوية بن أبى سفيان |
| ٢٦ | قيد اليونانيون علومهم بالشعر | — | من شعر الحسين بن طى بن أبى طالب |
| — | الشعر معيار الألحان | ٣٦ | من شعر حمزة بن عبد المطلب بن هاشم |
| — | لماذا ينشد الشاعر شعره قائما ؟ | — | من شعر العباس بن عبد المطلب بن هاشم |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|----|---|----|---|
| ٣٧ | من شعر عبد الله بن عباس | ٥٠ | جرير وبنو نعيم |
| — | » » جعفر بن أبي طالب | ٥١ | الريح بن زياد العنبي وليد بن ربيعة |
| — | » » عبد الله بن عبد المطلب | ٥٢ | التجاشي وبنو العجلان |
| — | » » عمر بن عبد العزيز مروان | ٥٣ | ياب من قضى له الشعر ومن قضى عليه |
| ٣٨ | » » عبد الله بن الزبير بن العوام | ٥٣ | الرسول (ص) يدعو للابنة الجعدى |
| ٣٩ | » » القاضي شرح | — | ويدعو لحسان بن ثابت |
| — | » » الفقيه عبيد الله بن عبد الله | — | الأعشى وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل |
| — | ابن عتبة بن مسعود | ٥٤ | أبو دلالة والقاضي ابن أبي ليلى |
| — | رأى جماعة من أصحاب مالك في الفناء | ٥٥ | جرير والحامى الشاعر بين يدي |
| ٤٠ | من شعر الإمام محمد بن إدريس الشافعى | — | قاضي البجامة |
| — | باب من رفضه الشعر ومن وضعه | — | الحسن البصرى يفتى بقول الفرزدق |
| ٤٠ | الشعر يرفع ويضع ، وسر ذلك | — | في شعر له |
| ٤١ | رأى لعل بن أبي طالب فى امرئ القيس | — | عمر بن الخطاب يتعجب من بيت لزهير |
| ٤٢ | على بن الجهم يصف مادعا إلى قوله الشعر | ٥٦ | قتيلة بنت النضر تعتب على رسول الله |
| — | أبو تمام الطائي يقول فى هذا المعنى | — | لأنه قتل أباه (ويقال : بل للقتول أخوها) |
| — | أبو نخيلة السعدي هو السابق إلى هذا المعنى | ٥٧ | علقمة بن عبدة يشفع عند الحارث |
| ٤٣ | السبب الذى من أجله قضى امرأ القيس أبوه | — | ابن أبي فهر فيشفعه |
| — | الحارث بن حازمة يشكرى ممن رفضه الشعر | ٥٨ | أمية بن حرثان يشفع عند عمر |
| — | ابن ثابت | — | العاني يشفع عند هارون الرشيد |
| ٤٤ | ومن بلغ رضوان الله بالشعر حسان | ٥٩ | أبو تمام يشفع عند العتصم للوائق |
| — | ومن رفضه الشعر الأخطل التنبلي | — | أبو تمام يستعطف مالك بن طوق على |
| — | ومنهم الحسن بن هانى أبو نواس | — | بنى تطلب |
| ٤٥ | ومنهم أبو الطيب التنبلي | ٦٠ | أبو قابوس الشاعر يشفع عند الرشيد |
| ٤٦ | بعض الذين لقبوا بشيء من الشعر قالوه | ٦١ | المتنبى يشفع لئى كلاب عند سيف الدولة |
| ٤٨ | الحلاق رقع ما قال الأعشى فيه من الشعر | — | بين النبي صلوات الله عليه وأبي |
| ٥٠ | الحطينة وبنو أنف الناقة | — | عزة الشاعر |

| ص | للوضوع | ص | للوضوع |
|----|--|----|---------------------------------------|
| ٦٢ | أوس بن حجر يحرض على بني حنيفة | ٧٠ | يزيد بن معاوية يسوغ قاطع طريق |
| — | سد يف يحرض السفاح على بني أمية | — | بشعر له رواه |
| — | شبل بن عبد الله يحرض عبد الله بن | ٧٠ | أبو التعمق واثنان من عمال يحيى |
| — | على ، على بني أمية | — | بن خالد |
| ٦٣ | العبدى الشاعر يضري بني أمية | ٧١ | مصعب بن الزبير وأسير من أصحاب المختار |
| ٦٤ | الأحوص يضري الوليد بن عبد الملك | — | يزيد بن عبد الملك يطلق الأحوص |
| — | بابن حزم وآله | — | من الحليس بسبب بيتين من شعره |
| — | ابن الزيات يضري المؤمنين بسمه إبراهيم | ٧٢ | موت ابن الرومي مسموما |
| — | ابن المهدي الذي كان قد خرج عليه | — | موت دعلج بن علي الحزامي ، وسببه |
| — | وعفا عنه | ٧٣ | الرشيد يمنع والبة بن الحباب من |
| — | باب احشاء القبائل بشعرائها | — | الدخول عليه بسبب بيتين من شعره |
| ٦٥ | من مظاهر تمجيد العرب للشعراء | — | يزيد بن أم الحكم التقفى والحجاج |
| — | زياد الأعجم حوى قبيلته من الفرزدق | — | ابن يوسف |
| — | عبد الله بن الزبير السهمي وبنو قصي | — | الفرزدق مع نصيب بن يندى سليمان |
| ٦٦ | بنو حرام والفرزدق | — | ابن عبد الملك يشددانه |
| — | الأحوص ورجل من الأنصار | ٧٤ | ممن ضربه شعره سدیف |
| — | جرير يمان على أبيه وجده بنفسه | ٧٥ | قتل التنبئ بسبب بيت من شعره |
| — | باب من قال الشعر وطيرته | — | وحرمه كافور الولاية لتعاظمه في شعره |
| ٦٧ | حسان يتفادل في شعره بفتح مكه | — | تنبؤه |
| ٦٨ | كان رسول الله يتفادل ولا يتطير | — | باب تعرض الشعراء |
| — | أبو التعمق يتفادل لحالد بن يزيد | ٧٦ | عمر بن الخطاب والنجاشي وكان هجا |
| — | موسى بن عبد الملك وجاعة من الكتاب | — | بني الجحلان |
| — | عجنون ليلي يتمنى في شعره فينتلى | — | عمر والحطيئة وكان هجا الزرقان بن بدد |
| ٦٩ | وللؤمل بن أميل أيضاً | — | أبو عبيدة كان لا يحكم بين الأحياء |
| — | أبو الهول يتطير على جعفر بن يحيى البرمكي | — | من الشعراء |
| — | ابن الرومي ، وتطيره | — | أول من لقب قريشا « سحينة » هو |
| — | باب في منافع الشعر ومضاره | — | خداس بن زهير |
| ٧٠ | للمؤمن وبيت من شعر عمارة من عقيل | ٧٧ | كان الأشراف يتحبون ممارسة الشعراء |
| — | المنصور بهو عن كاتب بيت من الشعر | ٧٨ | للشعراء ألسنة حداد |

| ص | للوضوع | ص | للوضوع |
|----|--------------------------------------|-----|-------------------------------------|
| ٧٨ | بين الفرزدق ورجل مر به | ٨٨ | من شعراء قيس |
| — | بين الفرزدق والبيهقي | — | من شعراء نعيم |
| ٧٩ | بين الفرزدق ومفرس القمصى | — | أشعر الناس حيا هذيل |
| — | الفرزدق والحطيئة | ٨٩ | منزلة اليمن في الشعر |
| — | أبو السمط مروان بن أبي الجنوب وعلي | — | باب في القدماء والمحدثين |
| — | ابن الجهم | ٩٠ | المحدث والمولد |
| — | باب التكسب بالشعر والأخذه منه | — | رأى أبي عمرو بن العلاء في المحدثين |
| ٨٠ | ما كانت العرب تتكسب بالشعر | — | والمولدين |
| — | أول للتكسبين بالشعر النابغة الדיباني | ٩١ | لولا أن الكلام يباد لنفد |
| ٨١ | الأعشى جعل الشعر متجرا | ٩٢ | مثل القدماء والمحدثين |
| — | عمر بن الخطاب يتحدث عن زهير | — | لأبي نواس في معنى هذا المثل |
| — | الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر | ٩٣ | قد يصلح في وقت مالا يصلح في آخر |
| ٨٢ | بين الوليد بن عقبة وليد بن ربيعة | — | بم يتقدم القديم والمحدث ؟ |
| — | الشعر أعلى أم الخطابة ؟ | — | باب المشاهير من الشعراء |
| ٨٣ | مثل من كبر نفس ابن ميادة | ٩٤ | سر تدهيم امرئ القيس |
| — | صلات للوك ، ومن أخذها من | ٩٥ | أقوال للعلاء في السابقين من الشعراء |
| — | جلة العلماء | ٩٦ | للعلقات وأصحابها |
| — | لممدح جميل بن عبد الله أحد قط | — | جرير يتحدث عن أشعر الناس |
| ٨٤ | يقال : إن جملا مدح عبد العزيز | — | وقتية بن مسلم يتحدث |
| — | ابن مروان | — | والحطيئة يتحدث |
| — | موازنة بين عمر بن أبي ربيعة وعباس | ٩٧ | أقوال مختلفة في أشعر الناس |
| — | ابن الأحنف | ٩٨ | رأى عمر بن الخطاب في زهير بن |
| ٨٥ | بين سلم الحاسر ومروان بن أبي حفصة | — | أبي سلمى |
| ٨٦ | أخذه بعض الشعراء من عطايا غير الملوك | ٩٩ | حجة من قدم النابغة الדיباني |
| — | باب تنقل الشعر في القبائل | — | حجة من قدم الأعشى يميم بن قيس |
| ٨٦ | كان الشعر في ربيعة | ١٠٠ | رأى طائفة في أشعر شعراء كل طبقة |
| ٨٧ | من أخبر مهمل بن ربيعة | — | باب المقلين من الشعراء والمقلبين |
| — | للرقتان : الأصغر ، والأكبر | ١٠٢ | ذكر جماعة من المقلين |
| — | جملة من شعراء ربيعة | ١٠٦ | ذكر معنى للقلب من الشعراء |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|--------------------------|----------------------------------|-----------------------|------------------------------------|
| ١٠٦ | الناظية الجمعدى | باب حد الشعر وبنيته | |
| ١٠٧ | من اللطيلين الزبرقان بن بدر | ١١٩ | حد الشعر |
| -- | ذكر جماعة من اللطيلين | ١٢٠ | أركان الشعر |
| ١٠٨ | جماعة من مغلى للولدين | -- | قواعد الشعر |
| باب من رغب من الشعراء عن | | -- | أغراض الشعر |
| ملاحظة غير الأكفاء | | ١٢١ | بيت الشعر كبيت البناء |
| -- | الزبرقان بن بدر | -- | رأى القاضى الجرجاني |
| ١٠٩ | سحيم بن وثيل | ١٢٢ | رأى دعبيل |
| -- | الفرزدق وعمر بن لجأ | -- | آراء مختلفة |
| -- | الفرزدق والطرماع | باب في اللفظ والمعنى | |
| ١١٠ | جرير وبيشار بن برد | ١٢٤ | الارتباط بين المعنى واللفظ |
| -- | بيشار وحماد عجرد | -- | أيهما آخر : اللفظ أم المعنى ؟ |
| -- | ابن الرومى والبحتري | -- | رأى في ابن هاني اللغوي |
| ١١٠ | أبو تمام ومخلد بن بكار | ١٢٦ | من يؤثر سهولة اللفظ |
| ١١١ | اللتبي وابن حجاج البغدادي | -- | رأى في أبي العتاهية |
| -- | ابن هاني وشعراء إفريقية | -- | من يؤثر المعنى |
| -- | من الشعراء من لا يحو قط | ١٢٧ | حجة من أثر اللفظ |
| باب في الشعراء والشعر | | ١٢٨ | للشعراء ألقاظ معروفة وأمثلة مألوفة |
| ١١٣ | طبقات الشعراء أربع | باب في اللطوع وللصنوع | |
| -- | اشتقاق المخضرم | ١٢٩ | حد اللطوع وللصنوع ، وأمثلة |
| ١١٤ | الشعراء أربعة أنواع | للمطبوع | |
| -- | أشعر بيت | ١٣٠ | رأى في أبي تمام والبحتري |
| -- | بيان الشعراء الأربعة | -- | رأى في ابن المعتز |
| ١١٦ | بسمي الشاعر شاعرا ؟ | ١٣١ | رأى في مسلم بن الوليد |
| -- | ابن الرومى يهجو ابن طيفور الشاعر | -- | أول من فتح البديع |
| ١١٧ | صعوبة عمل الشعر | -- | الأعشى وبيشار بن برد (موازنة) |
| -- | قدرة الشعر أبصر به | -- | مق يكون التصنيع مقبولا ؟ |
| -- | من شعر الأصمعي | ١٣٣ | رأى الجاحظ فيما يجب أن يكون |
| ١١٨ | الشعر أربعة أصناف | عليه السلام | |
| -- | للشعر صناعة وثقافة | -- | موازنة بين المتن وأبي تمام الطائي |

| ص | للموضوع | ص | للموضوع |
|-----|---------------------------------|-----|----------------------------------|
| ١٣٣ | عيد الشعر | ١٥٤ | آراء أخرى |
| ١٣٤ | من شعر أبي الحسن | — | لم يمت القافية قافية ؟ |
| | باب في الأوزان | — | حروف القافية وحركاتها |
| ١٣٤ | الوزن ركن الشعر للهيم | ١٦٠ | كان ابن الرومي يلتزم في القافية |
| — | الشاعر للطبوع يستغنى عن معرفة | | ملا يلزم |
| | الأوزان | ١٦١ | للؤوس من الشعر |
| ١٣٥ | أول من ألف في موازين الشعر | ١٦٤ | عدة مايلحق القوافي من الحروف |
| | الحليل بن أحمد | | والحركات |
| — | الجوهري صاحب الصحاح له منهج | — | عيوب الشعر |
| | في الأوزان يذهب إليه حنائق أهل | ١٦٥ | الإقواء |
| | هذه الصناعة | ١٦٦ | الإكفاء |
| ١٣٦ | علة تسمية محور الشعر | — | الإجازة ، والإجارة |
| ١٣٧ | كيفية تقطيع الأجزاء | ١٦٧ | الإسراف |
| ١٣٨ | أجزاء التفاعيل | — | السناد |
| — | الزحاف | ١٦٩ | الإيطاء |
| ١٣٩ | من الزحاف ما يستحسن قليله | ١٧١ | التضمن |
| ١٤٠ | الحزم | ١٧٢ | ألقاب القوافي |
| ١٤١ | الحزم | | باب التفقية والتصريع |
| ١٤٣ | الإقصاد | ١٧٣ | التصريع |
| ١٤٤ | مهمات الزحاف أربعة أعياء | — | التفقية |
| ١٤٧ | للطلق وللقيد من القوافي | ١٧٤ | اشتقاق التصريع ، وأمثلة له |
| ١٤٩ | زحاف الحشو (للماقبة) | ١٧٦ | يقع في التصريع ما يقع في القافية |
| — | للمراقبة | | من العيوب ، وأمثلة لذلك |
| ١٥٠ | الفرق بين للماقبة وللمراقبة | ١٧٧ | من ابتداء القصائد التجميع |
| | باب القوافي | — | للدخايل من الأبيات |
| ١٥١ | منزلة القافية من الشعر | ١٧٨ | القواديس من الشعر |
| — | حد القافية ، واختلاف الطاء فيه | — | للمسط من الشعر |
| ١٥٢ | ترجيح رأى الحليل على رأى | ١٨٠ | اشتقاق التسميط |
| | الأخفش ، ووجهه | — | الخمس من الشعر |
| ١٥٣ | رأى آخر في القافية قوله الزجاجي | ١٨١ | المشطور وللهوك |

| ص | للوضوع | ض | للوضوع |
|-----|--------------------------------------|-----|---|
| ١٨٢ | للتقدمون لاخمسون ولا يسمطون | ١٩٤ | عبيد بن الأبرص |
| | باب في الرجز والقصيد | — | — عبيد بن جميل بين يدي المتصم وقد |
| ١٨٢ | الرجز وأنواعه | | أمر بقتله |
| ١٨٣ | مشطور السربع من القصيد | ١٩٥ | علي بن الجهم |
| ١٨٤ | منهوك المنسرح | — | اشتقاق البديهة |
| — | القريض | ١٩٦ | اشتقاق الارتجال |
| ١٨٥ | الشعراء والرحاز ومن جمع بينهما | | باب في آداب الشاعر |
| | باب في القطع والطوال | ١٩٦ | الصفات التي يجب أن يتحل بها الشاعر |
| ١٨٦ | مق قصص الإطالة ؟ | — | حاجة الشعر إلى مواد الثقافة |
| — | رأى في الفرزدق | ١٩٧ | الرواية أو ثق آلات الشاعر |
| — | حاجة الشاعر إلى القطع | ١٩٨ | رواية بعض الشعراء عن بعض |
| ١٨٧ | منزلة القطع القصار | — | حاجة الشاعر الولد إلى أشعار للولد |
| — | فرق ما بين الطويل والوجز من الشعراء | ١٩٩ | أول ما يحتاجه الشاعر معرفة مقاصد الكلام |
| ١٨٨ | المشهورون بالقطعات من الشعراء | — | لكل مقام مقال |
| — | مق تسمى القصيدة قصيدة ؟ | ٢٠٠ | يجب أن يفقد الشاعر شعره |
| ١٨٩ | مق قصد الشعر ؟ | ٢٠١ | لا يجوز أن يكون الشاعر معجبا بنفسه |
| — | أول من طول الرجز الأغلب العجلى | ٢٠٢ | بين امرئ القيس والتوأم اليشكري |
| — | من يستحق لقب «الكامل» من الشعراء | ٢٠٣ | بين جرير وشاعر يقال له البردخت |
| | باب في البديهة والارتجال | — | بين عتبة بن ربيعة بن الصجاج وبار بن برد |
| ١٨٩ | البديهة ، والفرق بينها وبين الارتجال | ٢٠٤ | إعجاب البحري بنفسه |
| ١٩٠ | أعظم ما وقع من الارتجال | | باب عمل الشعر وشحن القرعة له |
| — | قدرة أبي نواس على البديهة والارتجال | ٢٠٤ | لكل شاعر فترة |
| ١٩١ | مسلم بن الوليد وأبو نواس (موزانة) | ٢٠٥ | رأى في أشجع السلمي |
| — | أبو الصائغ | — | وسائل الشعراء لاستدعاء الشعر |
| ١٩٢ | حد البديهة | ٢٠٨ | أوقات صنعة الشعر |
| — | بديهة الجناز | ٢٠٩ | بعض أحوال أبي تمام في صنعة الشعر |
| — | بديهة أبي تمام | — | بين جرير والفرزدق |
| ١٩٣ | بديهة للتنبؤ ، وارتجاله | — | كيف كان أبو تمام ينظم الشعر ؟ |
| — | شعراء بديتهم مكرويتهم | ٢١٠ | عبد الله بن رواحة |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|---|---|---|---|
| ٢٣٢ من الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له | | ٢١٠ طريقة جماعة من الشعراء في النظم | |
| ٢٣٣ من جيد ابتداءات أبي تمام | | ٢١٢ صحيفة بشر بن النضر في البلاغة | |
| — من جيد ابتداءات البحري | | ٢١٤ أفضل ما استعان به شاعر على صناعة الشعر | |
| ٢٣٤ حد الخروج ، وأمثلة | | باب في القاطع والمطالع | |
| — من روى الخروج في شعر المتنبي | | ٢١٥ حد القاطع والمطالع | |
| (وانظر ص ٢٤٠) | | ٢١٦ حد البلاغة للمتنبي | |
| ٢٣٦ الاستطراد | | باب المبدأ والخروج والنهاية | |
| — التخلص | | ٢١٧ منزلة هذه الأمور الثلاثة | |
| ٢٣٩ طريق العرب في الخروج | | ٢١٨ مختار من المطالع الجيدة | |
| — الانتهاء | | ٢١٩ بين دعبيل الخزاعي وديك الجن | |
| ٢٤٠ من روى الخروج في شعر المتنبي أيضا | | ٢٢١ من عيوب المطالع | |
| ٢٤١ رأى الحناني في حتم القصيدة بالدعاء | | ٢٢٢ مأخذ على جرير | |
| باب البلاغة | | — مأخذ على المتنبي | |
| ٢٤١ منزلة الإيجاز | | — مأخذ على ذي الرمة | |
| ٢٤٢ حدود للبلاغة والبهاء | | — مأخذ على أبي التيجم | |
| ٢٤٤ من شعر أبي الحسن في البلاغة | | — سبب وقوع الشاعر في عيوب المطالع | |
| ٢٤٥ عود إلى حد البلاغة والبهاء | | ٢٢٣ نصيحة لمن يريد أن يجود شعره | |
| ٢٤٩ كلام في البذاء | | — بين النعمان بن النضر وعدى بن زيد | |
| — وصف البيان لجعفر بن يحيى | | ٢٢٤ من دعاء الشعراء للملوك | |
| — الكلام البليغ | | — من إساءات أبي نواس | |
| باب الإيجاز | | ٢٢٥ مذاهب الشعراء في افتتاح القصائد | |
| ٢٥٠ حد الإيجاز | | ٢٢٦ السادة أن يذكروا الشاعر للمفاوز والركاب | |
| — المساواة | | ونحو ذلك قبل أن ينسكب المديح | |
| — مثال من احتدال الوزن | | ٢٢٨ ريماء ذكر الشاعر أنه بلغ بمدوحه ما شيا | |
| ٢٥١ الاكتفاء (مجاز الحذف) | | ٢٢٩ المتنبي يذكر الخيل ويؤثرها على الإبل | |
| ٢٥٢ أمثلة للإيجاز من الشعر | | ٢٣٠ من شعر مؤلف الكتاب | |
| ٢٥٣ أمثلة للإيجاز من القرآن والحديث | | ٢٣١ من الشعراء من لا يعمل لشعره بسطا | |
| | | من النسب | |
| | | ٢٣٢ طريق أبي نواس في ابتداء قصائده | |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|-----|-------------------------------------|-----|---------------------------------------|
| ٢٥٣ | بعض ما يظن من الحذف وليس منه | ٢٧٤ | السرفى استعارتهم لفظ الشيء لغيره |
| | باب البيان | — | أمثلة من الاستعارة المختارة |
| ٢٥٤ | حد البيان | ٢٧٥ | أمثلة للاستعارة من القرآن والحديث |
| ٢٥٥ | أمثلة من البيان للوجز | ٢٧٦ | أمثلة للاستعارة من الشعر |
| | باب النظم | | باب التمثيل |
| ٢٥٧ | أجود الشعر | ٢٧٧ | حد التمثيل ، وأول من ابتكره |
| ٢٥٨ | مثل من مزوجة الألفاظ | ٢٧٨ | أمثلة من جيد التمثيل |
| ٢٥٩ | في القرآن ألفاظ لا تكاد تفتقر | ٢٧٩ | الإيغال (التليخ) |
| ٢٦٠ | عيب التقديم والتأخير في الكلام | ٢٨٠ | الفرق بين الاستعارة والتشبيه والتمثيل |
| ٢٦١ | عيب تهابر الحروف وتكررها | ٢٨١ | باب للثل السائر |
| | التشبيح | ٢٨٠ | أفضل للثل |
| | قيام كل بيت بنفسه | ٢٨١ | الأمثال الطوال والقصار |
| | باب المحترع والبديع | ٢٨٢ | لم نظم للثل ؟ وأمثلة من للثل للنظومة |
| ٢٦٢ | حد المحترع | ٢٨٦ | ما اشتهر به جماعة من المحدثين |
| ٢٦٣ | التوليد | ٢٨٧ | باب التشبيه |
| ٢٦٥ | الفرق بين الاختراع والإبداع | | حد التشبيه |
| | اشتقاق الاختراع | ٢٨٧ | فائدة التشبيه |
| | البديع | | أنواع التشبيه |
| | أنواع البديع عند ابن العز | ٢٨٩ | أفضل التشبيه |
| | باب المجاز | ٢٩٠ | سبيل التشبيه |
| ٢٦٥ | منزلة المجاز | | أصل التشبيه |
| ٢٦٦ | معنى المجاز | | تشبيه شيئين بشيئين |
| | المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأمثلة منه | ٢٩٣ | تشبيه ثلاثة بثلاثة |
| ٢٦٨ | التشبيه من المجاز | ٢٩٣ | تشبيه أربعة بأربعة |
| | الكنائية | ٢٩٤ | تشبيه خمسة بخمسة |
| | باب الاستعارة | | التشبيه بغير أداة |
| ٢٦٨ | منزلة الاستعارة ، وأمثلة منها | | أمثلة من ملبح التشبيه |
| ٢٧٠ | من معيب الاستعارة | ٢٩٥ | تشبيه المختلفين والمتضدين |
| | حدود مختلفة للاستعارة ، وأمثلة منها | ٢٩٦ | التشبيهات القم |
| ٢٧١ | ما يجنبه المحدثون من الاستعارة | | |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|---|---|---|---|
| باب التجنيس | | ٢٩٩ تشبيهات لقدامى تركها للوفدون | |
| ٣٢١ المائنة ضرب من التجنيس ، | | باب الإشارة | |
| وأمثلة لها | | ٣٠٢ منزلة الإشارة | |
| ٣٢٣ التجنيس المحقق | | ٣٠٣ مما جاء من الإشارة على معنى التشبيه | |
| ٣٢٥ من التجنيس نوع يسمى المضارعة | | — التضمين والإيحاء | |
| ٣٢٦ الرمان يسمى للمشكلة | | — التحريض | |
| ٣٢٧ أمثلة من المضارعة بالتصغير | | ٣٠٤ التلويح | |
| وتقص الحروف | | ٣٠٥ الكناية والتثليل | |
| ٣٢٨ التجانس المنفصل | | — الرمز | |
| ٣٢٩ إذا وقع في القافية جاء كالإيحاء القدي | | ٣٠٦ من الإشارات الممعة | |
| هو عيب من عيوب القافية | | ٣٠٧ من خفي الإشارات للفر | |
| ٣٣٠ مما يعده قوم من المضارعة | | — ومنها اللحن | |
| — التجنيس المضاف (المزاج) | | ٣٠٩ ومنها التسمية | |
| ٣٣١ أمثلة يظن أنها من المزاج | | — من الإشارات مصنوعة | |
| — متى كانت تسمية التجنيس مجتعا ؟ | | ٣١٠ من الإشارات الخفية | |
| — من أمثلة هذا الباب | | ٣١١ من أنواع الإشارة التورية | |
| ٣٣٢ التجنيس ، والطباق | | ٣١٣ الكتابة عند البرد على ثلاثة أضرب | |
| — باب الترديد | | باب التنبيح | |
| ٣٣٣ حد الترديد ، وذكر أمثلة له | | ٣١٣ حد التنبيح ، وأمثلة له | |
| ٣٣٥ ولع المتنبي هذا النوع | | ٣٢٠ ما يحتمل أن يكون تنبيعا ولا يكون | |

تمت - بحمد الله واهب القوى والقدر - فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الأول
من كتاب «العمدة» في صناعة الشعر وقدمه «لابن رشيق القيرواني» مفصلة غاية التفصيل
والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام المتقين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى
آله وصحبه أجمعين .

الجملة

في محاسن الشعر، وآدابه، وقده

الجزء الثاني

تأليف

أبي علي الحسن بن رشتي، القزويني، الأزدی

٣٩٠ - ٤٥٦ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

محمد بن أبي عبد الله محمد

عفا الله تعالى عنه

دار الجيل

للشعر والنقد والمصنف والطباعة

تبريز - لبنان

ص. ٨٧٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٥ - باب التصدير

وهو أن يُردَّ أمجاز الكلام على صدره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ، ويكسوه رونقا وديباجة ويزيده مائية وطلاوة .

أقسام التصدير

وقد قسم هذا الباب عبد الله بن المعتز على ثلاثة أقسام :
أحدها : ما يوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الأول ، نحو

قول الشاعر :

يُلْقَى إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرَمَ مَآ فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُقْلُ عَرَمَ مَآ
الآخر : ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه ، نحو قوله :
سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَمُ عَرَضُهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى يَسْرِيعُ
والثالث : ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه ، كقول الآخر :
عَزِيزُ بَنِي سُلَيْمٍ أَفْصَدَتْهُ سِهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِهَامُ

الفرق بين
التصدير
والترديد

والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي
تردُّ على الصدور ، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب للؤلئين ،
وإن لم يذكروا فيه فرقاً ، والترديد يقع في أضعاف البيت ، إلا ما ناسب بيت
ابن العميد للمقدم .

أمثلة للتصدير

ومن أبيات التصدير قول زهير :
كَذَلِكَ خِيَمَتُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ إِذَا مَسَّتْهُمْ الصَّرَاةُ خَيْمٌ
وقال أيضاً في ذلك :
لَهُ فِي الدَّاهِيَيْنِ أَرْوَمٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمٌ

وقال أبو الأسود - واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان السؤلى - :
وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل مسؤت نصحه بليب
فهذا تصدير ، وإن كان ظاهره فى اللفظ ترديدا لليلة التى ذكرتها .
ومن أناشيدهم فى التصدير قول طغفيل الغنوى :
تَحَارَمَكَ أَمْنَعُهَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ إِنِّى أَرَى جَفَنَةً قَدْ صَاعَ فِيهَا لِلْحَارِمِ
وقال جرير وهم يستحسنونه جداً :
سَقَى الرَّمْلَ جَوْزٌ مُسْتَهْلٌ رِبَابُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِنْ حَلِّ الرَّمْلِ
وقال عمرو بن أحرر :

تَفَعَّرْتُ مِنْهَا بَعْدَ مَا تَفَدَّ الصَّبَا وَلَمْ يَرَوْا مِنْ ذِي حَاجَةٍ مَنْ تَفَعَّرَا
« تفعرت » أى : شربت من الفعر ، وهو قدح صغير جداً ، ضربه
مثلاً ، أى : تملئت منها بالشئ القليل ، وذلك لا يبلغ ما فى نفسى منك
من المراد .

ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم اللضادة ، وأنشد للفرزدق :
أَصْدِرْ هُمُومَكَ لَا يَقْلِبِكَ وَارِدُهَا فَكُلُّ وَارِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرُ
وأنشد فى التصدير بيت طغفيل المتقدم ، وبيت جرير ، وخص بيت الفرزدق
بالضادة دون أن يحمله تصديراً كما جله أولاً طبعاً كما يقال فى الأضداد إذا وقعت
فى الشعر ، وقد رأيت فى إحدى النسخ مع أبيات اللطافة ' .
ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومى :

رَحْمَةًهُمْ ذَهَبَ عَلَى دُرِّهِ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِهِ
والكتاب يسمون هذا النوع التبديل ، حكاه أبو جعفر النحاس .
ومن أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرج فى ذكر الشيب :
يَا بَيَاضاً أَذْرَى دُمُوعِي حَتَّى عَادَ مِنْهَا سَوَادٌ عَيْنِي بَيَاضاً

من التصدير
المضافة

وأشد لأبي نواس ، وهو عندى بيمين إحكام الصنعة التى يدخل بها فى هذا الباب ، على أنه غاية فى ذاته ؛ لأن أكثر المادة أن تعاد اللفظة بنفسها :

دَقَّتْ وَرَقَّتْ مَذَقْتُ مِنْ مَائِهَا وَالتَيْشُ بَيْنَ رَقِيقَتَيْنِ رَقِيقُ
وأشد لاسلم بن الوليد :

تَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْأَفَاحِ تَبَسَّمْتُ لَهُ مَرْئَةً صَيِّفِيَّةً فَتَبَسَّما
وهذا البيت أيضاً ترديد ، وأشد لطنائى :

ولم يحفظ مُصَنَّاعَ المَجْدِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَلَمَالٍ لِلصَّاعِ
فالملولون أكثر عناية بهذه الأشياء ، وأشد طلباً لها من القدماء ، وهى
فى أشعارهم أوجد كما قدّمت آخفاً .

٤٦ - باب المطابقة

[للمطابقة فى الكلام : أن يأتلف فى معناه ما يضاد فى لغواه ^(١)] [للمطابقة
عند جميع الناس : جَمْعُكَ بَيْنَ الضَّدِّينِ فى الكلام أو بيت شعر ، إلا قدامة ومن
اتبعه ؛ فإنهم يعملون اجتماع المعنيين فى لفظة واحدة مكررة طباقاً ، وقد تقدم الكلام
فى باب التجانس ، وسعى قدامة هذا النوع - الذى هو المطابقة عندنا -
التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلا ما قدّمتُ ذكره ، ولم يُسمَّه التكافؤ أحد غيره
وغير النحاس من جميع من علمته .

(١) هذه العبارة زيادة فى المصرتين ، وقد كتب بحاشيتهما « سقطت هذه
الجملة من بعض النسخ ، وكأنها من منيات المؤلف على حاشية نسخته فأدخلها بعض
النسّاع فى جملة الكتاب وسيأتى مثل هذا فى أبواب آخر » اهـ والصواب عدم إثباتها ،
وذلك ظاهر كل الظهور لمن يلتفت إلى ما بعدها ، وانظر ص ١٥ من هذا الجزء

قال الخليل بن أحمد : يقال « طابقت بين الشيتين » إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما .

وذكر الأصمعي للطائفة في الشعر فقال : أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأشد لتأنيته بنى جملة :

وَحَيْلٍ بَطَائِقَ بِالْأَرِيعِينَ طِبَاقَ الْكِلَابِ بَطَانُ الْمِرَاسِ

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

لَيْثٌ يَسْتَرْ يَصْطَادُ الرِّجَالَ ، إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .

وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَنَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارٍ تَمْدَنَ لَهُ مُمُودَا

فَرَدَّ شُؤْرُهُنَّ الشُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا

وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب ، واختار أيضا قول طغتكيل

القفوي :

بِشَامِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوعِ مَبْدُولٌ^(١)

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشي . .

وقال الرماني : المطابقة : مساواة للقدار من غير زيادة ولا نقصان .

(١) في المصرتين « بشام الوجه » بالشين معجمة ، وهو تصحيف ، ويقال :

فرس سام الوجه ، إذا كان محمولا على كرهية الجري ، وقال عنترة :

والخيل سائمة الوجوه كأنما سقيت فوارسها نقيع الخنظل

والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق ، وهو من القرس والبعر بمنزلة الأكل من الإنسان .

قال صاحب الكتاب : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره ، وأجمعه لقائده ، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقُدّامة جميعاً ، وأما قول الخليل « إذا جئت بينهما على حذو واحد وألصقتهما » فهو مساواة للتدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني ، يشهد بذلك قول لييد :

تعاورن الحديثَ وطبقته كما طبقتَ بالنملِ المثالا

ومنه « طَبَّقْتُ للفصل » أي : أصبته فلم أزد في المصو شيئاً ولم أنقص منه . . وكذلك قول الأصمعي « أصلها من وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع » هو مساواة للتدار أيضاً ؛ لأن من ذوات الأربع ما تتجاوز رجله موضع يده ، ومنها ما يطابق كما قال خِلْفَةُ ، وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شيء تنقيه على أنفسها ، ولذلك شبه النافذة الجعدي مشى الخيل بوطء الكلاب الهراس ، وهو حُطَامُ الشَّوْكَ ؛ فهي لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .

وأما قول قدامة في المطابق « هو ما اشترك في لفظة واحدة بينهما » فإنه أيضاً مساواة لفظاً لفظاً ، وهي - أعني للمساواة - على رأى الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى ، أي : موافقته ، ألا ترى أنهم يقولون : « فلان يطابق فلاناً على كذا » إذا وافقه عليه وساعده فيه ؛ فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت بينهما معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق « إنه جعلك بين الشيتين على حذو واحد » فيكون الشيطان اللعنين ، والحذو الواحد : اللفظة .

ومن ملاح ما رأيته في المطابقة قولُ كَثِيرٍ مِنْ هَبْدِ الرَّحْنِ يَصِفُ هَبْأً
وَعَنْ تَجَلَاءِ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ ، وَتَفْظَرُ فِي سَوَادٍ

أمثلة من
المطابقة

وقال أيضاً :

وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ بِصَرْمٍ ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

وقال ابن للمز ، ويروى لابن للتدل :

هَوَايَ هَوَى بَاطِنٌ ظَاهِرٌ قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ

وليمض الأعراب :

أُمُورُهُ الرِّجَالِ عَلَى تَلَى وَلَمْ أُؤَزْ عَلَى تَلَى النِّسَاءِ

وقال أعرابي : الدرام ميايم تَسِمُ حُداً أَوْ ذِمّاً ، فَن حَبَسَهَا كَان لَهَا ، وَمَنْ

أَنْفَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَنَظَمَ الشَّاعِرُ هَذَا الْكَلَامَ فَقَالَ :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أُنْفَقَتْهُ فَلَمَّا لَكَ

وَمَنْ الطَّبَاقِ الْحَسَنُ قَوْلُ أَعْرَابِي : خَرَجْنَا حُفَاةً حِينَ انْتَهَلَ كُلُّ شَيْءٍ ظِلَّهُ ،

وَمَا زَادُنَا إِلَّا التَّوَكُّلَ ، وَمَا مَطَّلَانَا إِلَّا الْأَرْجَلَ ، حَتَّى لَحَقْنَا بِالْقَوْمِ .

وقال آخر لصاحبه : إِنْ يَسَارَ النَّفْسَ أَفْضَلُ مِنْ يَسَارِ الْمَالِ ، فَإِنْ لَمْ تَرْزُقْ

غَفَى فَلَا تَحْرَمُ تَقْوَى ، فَرَبِّ شَيْعَانٍ مِنَ النِّعَمِ غَرَّتَانِ مِنَ الْكِرَمِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ

عَلَى خَيْرٍ تَرَحَّبَ بِهِ الْأَرْضُ وَتَسْتَبْشِرُ بِهِ السَّمَاءُ ، وَلَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ فِي بَطْنِهَا وَقَدْ أَحْسَنَ

عَلَى ظَهْرِهَا . : وَلَرِيبَةُ بْنُ مَفْرُومٍ الضُّبِّيُّ :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامٌ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلْ

وَمَنْ أَفْضَلُ كَلَامِ الْبَشَرِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ .

« فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ دَنِيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وَمَنْ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ،

وَمَنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَاتِ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ،

وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ ، إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ » هَذَا هُوَ الْمَعْجَزُ الَّذِي لَا تَكْتَفِي فِيهِ وَلَا

مُطْمَعٌ فِي الْإِنِّيَّانِ بِثَلَاثٍ . وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ،

وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ)

وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل : (ولكم في القصاص حياة) لأن معناه : « القتل انى للقتل » فصار القتل سبب الحياة ، وهذا من أملح الطباق وأخفاه .

ومما استعربه الجرجاني من الطباق واستلطفه قول الطائي :
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَتَلَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَائِلُ
لمطابقتها بهاتَا وتلك ، وإحداها للحاضر والأخرى للثائب ، فكأننا في المعنى بقبضتين وبمثلة الضدين ، هذا قوله ، وليس عندي بمحقق ؛ إنما إحداها للقريب والأخرى للبعيد المشار إليه ، ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة .
ومثل هذا عندي في بابه قول أبي الطيب يذكر خيل المدو الزاحف للحرب :
ضَرَبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهْلَةً فَلَمَّا تَنَاوَيْنَا ضَرَبْنَ بَهَا عَنَا
فقوله « ضربن إلينا » مجيء إقدام ، وقوله « ضربن بها عنا » ذهاب فرار ،
وهما صدان .

ومن أنواع الطباق قول هُدَيْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :
فَإِنْ تَقْتَنَلُونَا فِي الْحَدِيدِ فَإِنَّا قَتَلْنَا أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُكَبَّلْ
فقوله « في الحديد » ضد قوله « مطلقاً لم يكبل » وإن لم يأت على متعارف للمضادة ، وكذلك قوله :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي زَالَ عَنِّي جَهْلُهُ فَا حَسْبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَا
كأنه قال : « وإن يك أنفى أحدع فما حسبي بأجدع » .

قال الجرجاني : وقد يخلط من قصر علمه ويسوء تمييزه بالطباقي ما ليس منه ،
كقول كعب بن سعد اللخمي يري أخاه :

لَقَدْ كَانَ أَمَّا جَدُّهُ فَمُرُوحٌ عَلِينَا ، وَأَمَّا جَهْلُهُ فَمُرَيَّبٌ

لما رأى الحلم والجلل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ، ولو ألحقنا

بما يظن
من المطابق
وليس منه

ذلك بها لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تَسَع الخرق فيه حتى يستغرق أكثر الكلام .

قال صاحب الكتاب : معنى قوله فيما أنكر أن البيت إنما حقه أن يكون في باب المقابلة ؛ لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تفران من مضادتهما ، وليستا بضدين على الحقيقة ، ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مختلفتين إلا مقابلة ، فإن لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة إلا الوزن سمي موازنة ، وسأذكره في باب المقابلة إن شاء الله ، هكذا جرت العادة في هذه التسمية .

وأما قولنا «إن الكلمتين غير متضادتين» فظاهر ؛ لأن الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل ، وإنما ضده السفه والبطش ، وضد الجهل العلم والعرفة وما شاكلهما ، وكذلك الروح ليس ضده المزيب ، وإنما ضده القدو به أو للبكر به ، وما أشبههما ولما ثقل وزن للروح من هاتين اللفظتين وقَلَّ استعماله تسمحت فيهما ، وأما المزيب فهو البعيد والغائب ، ولا مضادة بينه وبين للروح إلا بعيدة ، كأنه يقول : إن هذا يأتي لوقتته وذلك بعيد خفي لا يأتي ولا يعرف ، على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال :

ولقد سَلَوْتُ لَوْ أَنَّ دَارًا لَمْ تَلْعَ وَحَلْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلَ

وقال زهير ، وزعموا أنه لأوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل وألغنا أَصَبْتَ حَلِيًّا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

لما وجده خلأقه طابق بينهما كما يفعل بالضد ، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة ، والناس متفقون على أن جميع الخلوقات : مخالف ، وموافق ، ومضاد ، فمضى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة ، وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير :

من أمثلة
للطائفة أيضا

يَسُودُ نَوَاصِيهَا وَحُمْرُ أَكْفِهَا
وَصُفْرُ تَرَاقِيهَا وَيَبِضُّ خُدُودُهَا

ورواه ابن الأعرابي في نسق أبيات :

بصفر تراقيا وحر أكفا
وسود نواصيا ويبض خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة ، وقال الرماني وغيره : السواد والبياض ضدان ، وسائر الألوان يضاد كل واحد منها صاحبه ، إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة ؛ إذ كان كل واحد منهما كلًا قوى زاد بعدًا من صاحبه ، وما بينهما من الألوان كلا قوى زاد قربًا من السواد ، فإن ضنف زاد قربًا من البياض ، وأيضًا فلأن البياض منصبع لا يصيبغ ، والسواد صابغ لا منصبع ، وليس سائر الألوان كذلك ؛ لأنها كلها تصبغ وتنصبغ ، انقضى كلامهم ، وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد ، وإنما أوردته لإبطال لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم :

بأنا نُورِدُ الرِّايَاتِ بِيضًا
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدَرَوِيًّا

ومن أخف الطباق روحًا ، وأقله كلفة ، وأرسخه في السمع ، وأعلقه في
القلب ؛ قول السيد أبي الحسن في قصيدة :

من شعر
أبي الحسن
في الطباق

أَلَا لَيْتَ أَيَّامًا مَضَى لِي نَعِيمُهَا
تَكْرِهُ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَنَنعَمُ
وصفاء نضحى الشمس من عهد قصير
يَتَوَقُّ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَكْرَمُ
إِذَا مَرَّ جَبَتْ فِي السَّكَّاسِ خِلَتَ لَأَنَّا
تَنَثَّرُ فِي حَاقَاتِهَا وَتَنْظُمُ
جمعنا بها الأشبات من كل لغة
على أنه لم يبض في ذاك محرم

فطابق بين « تنثر وتنظم » وبين « جمعنا والأشبات » أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه ، وأتى في البيت الأول من قوله « مضى وتكره » بأخفى مطابقة ، وأظرف صنعة على مذهب من انتحلله .

وما يخلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجبال والتبجح كقول بعض المحدثين .

أمثلة مما يخلط فيه الناس

وَجْهُهُ غَايَةُ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ ضَلَّ غَايَةً لِكُلِّ قَبِيحٍ
وليس ضده ، وإنما ضده الدُّمَانَةُ ، والتبجح ضده الحسن . وقال الصَّوْلِيُّ
أبو بكر يصف قلماً :

ناحل الجسم ، ليس يعرف مذكاً ن نعيماً ، وليس يعرفُ ضراً
وليس بينهما مضادة . وإنما ضد النعيم اليؤس ، فأما قول أبي الطيب :
فَالسُّلْمُ تَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَا لِي بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاهُ
فإنه داخل في الطباق المحض ؛ لأن المراد بالهيجاء الحرب ، وهي اسم من
أسمائها ، فكأنه قال الحرب ، فأتى بضد السلم حقيقة .

(٤٧) — باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

أسباب
اختلاطهما
من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين : كقولهم « جَلَلٌ »
بمعنى صغير ، و « جلال » بمعنى عظيم ؛ فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره
تجنيساً ، وكذلك « الْجَوْنُ » الأبيض ، و « الجون » الأسود ، وما أشبه ذلك
وكذلك إن دخل النفي كما قدمت ، قال البحرى :

يَقْبِضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى وَيَسْرِي إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ
فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق ؛ لأن قوله « لَا أَعْلَمُ » كقوله
أجمل ، ومثل ذلك قول الآخر :

لِعَمْرِي لَنْ طَالَ الْفَضِيلُ بِنِ دَيْسَمٍ مَعَ الظِّلِّ مَا إِنْ رَأَيْتُهُ بِطَوِيلٍ
كأنه قال : إِنْ رَأَيْتُهُ قَصِيرَ ، وقد جاء في القرآن : (هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون) فأما قول الفرزدق :

لعمرى لئن قلّ الحصى في عديديكم بنى سهّل ما لؤمكم بقليل
ظاهره تجنيس بالقلة ، وباطنه تطبيق بالكثرة ؛ إذ كان معنى « قل الحصى
في عديديكم » أنكم كثير ، ومعنى « ما لؤمكم بقليل » أنه كثير أيضاً ، خالف
الأول ، وقد قال جلهمة بن أد بن مالك - وهو طيء - لولده في وصية « ولا تكونوا
كالجراد ، أكلن ما وجد وأكله ما وجده » فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ،
وما أنشدته فمطب :

أنى حُبِّي سُلَيْمِي أَنْ يَبِيدَا وَأُنْسَى حَبْلُهَا حَلَقًا جَدِيدَا
الجد يدهنها : المجدود ، وهو المقطوع ، مثل قتيل وهزيل بمعنى مقتول [وممزول] ،
كأنه قال مجدوداً ، أى : مقطوعاً ، فليس يطابق ، وإن كان كذلك في الظاهر
عند من لا يميز ، فأما للميز فيعلم أنه لا يكون حلقاً جديداً في حال :
وقال المتأني يهابت للأمون وقد حجب عنه وكان به حفيّا :
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمُهَنْدَةِ الْبَيْضِ عَلَى غَدْرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ
فأتى بالغدر والوفاء جميعاً ، وهما ضدان ، فطابق بينهما في الظاهر ، وباطن
كلامه مجانس ؛ لأن قوله « وتنسى الوفاء » كقوله تقدر .
وقال جرير أيضاً :

« اتَّصَحُّوْا أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ »^(١) *

فقوله « غير صاح » تقيض « اتصحوا » لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة
محصوله بعد ، إلا على مذهب من جعل « أم » بمعنى « بل » فكأنه قال
لنفسه : بل فؤادك غير صاح ، فناقص الصحو ، ودخل كلامه في المطابقة . وقال
قيس بن الخطيم ، ويروى لعدى :

(١) تمامه * عشية هم يحبك بالرواح * وقد تكرر في هذا الكتاب
ذكر صدر هذا البيت (انظر الجزء الأول ص ١٩) .

وإني لأغنى الناس عن مُتَكَلِّفٍ يرى الناس ضلّالاً وليس يمهتدي
 كأنه قال «وهو ضال» فحاش في الباطن ، وإن كان قد طابق في الظاهر .
 ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول ، نحو «خالق ومخلوق» و «طالب
 ومطلوب» هما ضدان في المعنى ، وإن تجانسا في اللفظ ، وكذلك ما كان اسم
 الفاعل منه مُفْعِلٌ ^(١) والمفعول مُفْعَلٌ نحو «مكرم ومكرم» و «مُعْطٍ ^(٢)
 ومُعْطَى» وما جرى هذا المجرى أو زاد عليه في البناء ، وأما قولك «قضيت
 واقتضيت» فظاهره تجنيس وباطنه طباق ، إلا أنه طباق غير محض ، وكذلك
 قولك «أخذت وأعطيت» ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والإعطاء ضده المنع ،
 فهذا مما يظنه من لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ، ولكنه كثر جداً في الكلام ،
 واستعمله الناس ، كما تقدم من قولنا في الحلم والجمل والجمال والقبح .

وبما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر ^(٣) :
 وإني وإن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي ومُنْجِزٌ مَوْعِدِي
 وأول ما يعتد به في هذا الباب قول امرئ القيس :
 فإن تَذَفِنُوا الماءَ لَا تُخَفِّهِ وإن تبشوا الحربَ لَا تَقْعِدِ
 ويروى * فإن تكتسوا الماءَ لَا يَحْتَفِهِ * وقوله «لَا يُخَفِّهِ» أي : لنبيده من

(١) في الصريتين « اسم الفاعل منه مفعول » وهو واضح الخطأ .
 (٢) في الصريتين « معطى ومعطى » بإثبات الياء في الكلمتين ، والأول اسم
 فاعل والثانية اسم مفعول ، والصواب حذف الياء من الأول ما لم تقترب بال كالمعطى
 أو يضاف كعطى الدنانير أو يكون في موضع نصب نحو اللهم أعط معطياً خلقاً .
 (٣) البيت لامرئ بن الطفيل ، وقد روى في ديوانه (ص ١٥٥ طبع أوربة)
 هكذا :

وإني إن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأُنجِزٌ مَوْعِدِي

قوله تعالى : (أأكاد أخفيها) فتكأن الشاعر قال : إن تدفنوا الداء ندعه دفيناً
أو قال : إن تسكتموا الداء نكتبه ، وكذلك قوله « لا قعد » كأنه قال : إن
تبعثوا الحرب نبثها ، ومن كلام السيد أبي الحسن :
وأعلم أن المجد شيءٌ لا يخلدُ وأن الفنى والمال غيرُ مخلص
والبيت من قصيدة شريفة أولها :
صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَعْدَى وَعَنْ أُمِّ سَعْدٍ وَلَمْ يَشْجِي نَوْحُ الْحَامِرِ لِلْعَرْدِ

(٤٨) - باب المقابلة

[المقابلة : مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم ، هذا حد ما انضج عندي^(١)]
المقابلة : بين التقسيم والطباق ، وهى تتصرف فى أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب
الكلام على ما يجب ؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به
آخرأ ، ويأتى فى الموافق بما يوافق ، وفى المخالف بما يخالفه .
وأكثر ما تجيء المقابلة فى الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة أكثر ما تجيء
مثال ذلك ما أنشدته قدامة لبعض الشعراء ، وهو :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا ؛ فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ ، وَمَعَاوِيٌّ عَلَى الْفِيلِ غَادِرٌ ؟
فقابل بين النصيح والوفاء بالقل والقدر ، وهكذا يجب أن تكون المقابلة
الصحيحة ، لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير فى هذا الباب ، وأنشد
للطرمثاء :

أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التَّرَابَا

(١) هذه العبارة زائدة فى الصريتين ، وقد كتب على حواشيهما : « ليس
لهذه الجملة أثر فى بعض نسخ الكتاب » اهـ وقد سبق التنبيه إلى مثل هذه
العبارة فى ص ٥ من هذا الجزء .

فأصبروا لبأسٍ عند حربٍ ولا أدوا لحسنٍ يدٍ ثواباً
 قدم ذكر الإنعام على للأسورين ، وآخر ذكر القتل في البيت الأول ؛ وأتى
 في البيت الثاني بعكس الترتيب ، وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب
 وآخر ذكر الثواب على حسن اليد ، اللهم إلا أن يريد بقوله * فاصبروا لبأسٍ
 عند حرب * القوم للأسورين إذ^(١) لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأمر وإعطاء
 اليد ؛ فإن للمقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا ، وهذه عندهم تسمى مقابلة
 الاستحقاق ، ويقرب منها قول أبي الطيب :

مقابلة
 الاستحقاق

* وَقَعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٢) *

لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل ، فبينهما مناسبة وليست مضادة ،
 ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى ، كما قال تعالى : (فيؤخذ
 بالنواصي والأقدام) .

ومن أناشيد للمقابلة قول النابغة الجعدي :

من أمثلة
 المقابلة

فَقِيَ تَمَّ فِيهِ مَا يَسْرُ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا
 فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعادي ، وهذا جيد ؛ ولو كان كل مقابل
 على وزن مقابله في هذا البيت والبيت الذي أنشده قدامة أولاً لكان أجود ..
 وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي :

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويبقى قبل زادر القوم زادي
 فقال « يبقى بعد » ثم قال « يبقى قبل » فهذا كما أردنا .
 وقال الفرزدق :

وأنا لنمضي بالأسف رباحنا إذا أرعشت أيديكم بالمالحق

(١) في اللمرتين « إن » ونزاة تصحيفا .

(٢) صدره * رجلاه في الركض رجل واليدان يد * يصف جواده بأنه
 يرفع رجله معاً فهما كرجل واحدة ويديه معاً فهما كيد واحدة .

سأل أبو جعفر للتصور أبا دُلَامَةَ فقال : أى بيت قاله العرب أشعر؟ قال :
بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو ذلك؟ قال : قول الشاعر :

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقال يزيد بن محمد الملهي ، يقوله لسليان بن وهب :

فمن كان للآثامِ والذلِّ أرضُهُ فأرضكُم للأجرِ والمزْمَعِلُ
وقال في التنزل :

إن تنبني عنى فسقمًا ورعيًا أو تحلني فينا فأهلاً وسهلاً

والمعجز قول الله تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مُجِيساً ولتبتغوا من فضله) فقابل الليل بالسكون ، والنهار باقتناء الفضل ، وجعل
بعضُ المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان ، والأول أحجب إلى ، وقال تعالى :
(وإنا أو إليكم لعل هدى أو فى ضلال مبين) .

ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطّاح الحنفي :

أَذْكِي وَأَوْقَدُ لِلْعِدَاوَةِ وَالْقِرَى نَارَيْنِ نَارَ وَغَى وَنَارِ زِنَادٍ
وكذلك قوله :

لباسى حُسَامٌ أَوْ لَزَارٌ مُصَفَّرٌ وَدِرْعٌ حَدِيدٌ أَوْ قَيْصٌ مُخَلَّقٌ

إلا أنه لو كان الإزار رداءً كان أجود ، لاسيما والسيف يسمى رداءً ، ولكنا
هكذا روينا .

ومن خفي المقابلة والقصة قول العباس بن الأحنف وأحسن ما شاء :

اليومُ مثلُ الحَوْلِ حتى أرى وَجْهَكَ ، والساعةُ كالشهر

وهذا مליح ؛ لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اتنى عشر .
وقال محمد بن أحمد العلوي :

لا تؤخّرْ عنى الجوابَ فيومى مثل دهر ، وساعتي مثل شهر

(٢ — المدة ٢)

أشعر بيت
قاله العرب

أمثلة
من المقابلة

من جيد
المقابلة

من خفي
المقابلة

فلم يصنع شيئاً ، وكان يمكنه أن يحمل مكان درهم حولا ؛ فتكون قسمة مستوية ، ولكننا هكذا رويناه .

من جيد للقبالة ومن جيد ما وقع في للنشور من للقبالة قول بعض الكتاب « فإن أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأقن والفش » ، وليس من يجمع إلى الكفاية الأمانة كن أضاف إلى العجز الخيانة » ومن كلام إبراهيم بن هلال المصابي « وأعدّ لحسنهم جنة وثوابا ، ولسيئهم نارا وعقابا » .

وقال أبو الفتح محمود بن حسين . كُشاجم :

ترك الحسن والإحسان وقفا إذا برزت لنا وإذا تَنَيْبُ

ومعا عابه الجرجاني على ابن للمتز :

يَبَاحُ في جوانبه أحرار كما احترت من الخجل المخلود

لأن المخلود متوسطة وليست جوانب ؛ فهذا من سوء القبالة ، وإن عده الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وإنما العلة في كونه غلطاً ما ذكرناه .

ومن للأخوذ للعييب عندي قول الكيت يخاطب قضاة :

رَأَيْتُكُمْ مِنْ مَلَائِكٍ وادعائه كرامة الأولاد من عدم النسل

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئاسان خاصة ، لا على صحة للقبالة في الشبهين ؛ لأن هؤلاء - فيما زعم - يدعون أبا ، والرأعة تدعى ولداً ، ومما ضدان .

والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ، أنشد الجاحظ :

حَارُّ في الكتابة يدعيها كدَعَوَى آلِ حربٍ في زياد

وقال أبو نواس :

أرى الفضل لدنيا ولدين جامعا كما السهم فيه القوق والرَّيشُ والنَّصلُ

فزاد في القبالة قسما ؛ لأنه قابل اثنين بثلاثة .

وكذلك قول أبي قيس ابن الأثلث :

الحزم والقوة خير من الإدهان والفكة والتجاع

مما عيب من
للقبالة

تقابل الحزم بالإدهان ، والقوة بالنسكة - وهى الضف - و يروى
 « النمة » وهى الهى ، وزاد الهاع ، وهو الجبن والخفة .
 ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلا وتشبيها
 قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر :

إلى ملك بين الملوك وبينه مسافة ما بين الكواكب والترب

لأنه لما أتى بالملوك أولا وبضمير المدح - وهو الهاء التى فى « بينه » -
 بعد ذلك ، ثم أتى بالكواكب وهى جماعة تقابل الملوك والترب وهو واحد
 يقابل الضمير بالتخاطب ؛ أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب ، وتكون
 الملوك هم الكواكب ، ولم يرد إلا أن يحمله موضع الكواكب ، ويحملهم
 موضع الترب ، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذى إليه انتهى التشبيه
 وصر صناعة الشعر . . . وبذلك على صحة ما طلبته به قول أسرى القيس بن حنجر :

كأن قلوب الطير رطبًا وبأسًا لدى وكرها الثناب والحشف البالى

قابل الرطب أولا بالثناب مقدما ، وقابل اليأس ثانيا بالحشف تاليا . وكذلك
 قول الطرماس :

بيدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يسئل ويغمد

تقابل بيدو يسئل ، وقابل تضمره البلاد يغمد ، على ترتيب ، وكذلك كان
 يجب لهؤلاء أن يصنعوا ، وإلا كانوا مخطئين أو مقصرين .

ومن المقابلة ما ليس مخالفا ولا موافقا كما شرطوا إلا فى الوزن والازدواج
 فقط ، فىسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة :

أخلاق مجدى تجلت ما لها خطر فى البأس والجود بين الحلم والخبر

وعلى هذا الشعر جشأ النعمان بن المنذر فم التابغة درأ .

ويضاف إلى هذا النوع قول أبى الطيب :

من المقابلة نوع
 يختص باسم
 للوزنة

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك . من خيال
فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » وليس بصدده ولا مواضعه ،
وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال ، وإن اختلف حرف اللين فيهما ،
فإن تطايحه في العروض واحد .

فأما قول أبي تمام :

فصكنت لناشيهم أبا ، ولكهلم أحبا ، ولدى القوبس والكبرة أبنيا
فإنه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .

وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطبق ؛ فكلاهما توفر
حظها منهما كانت أفضل .

ومن أملح ما روينا في اللوازنة وتمديد الأقسام مما يجب أن نحم به هذا
الباب قول ذى الرمة :

أستحدث الركب عن أشياهم خبراً أم راجع القلب من أطرايه طرب ؟
لأن قوله « أستحدث الركب » مؤوازن لقوله « أم راجع القلب » وقوله « عن
أشياهم خبراً » موازن لقوله « من أطرايه طرب » وكذلك « الركب » موازن
« القلب » وعن موازن لمن ، و « أشياهم » موازن « أطرايه » وخبراً موازن لطرب .
وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع :

لكنك أنذى من غيوم سواجم وعزمك أمضى من حسام مهند
فكل لفظة من القسم الأول موازنة لأختها من القسم الآخر موازنة
عدل وتحقيق .

(٤٩) — باب التقسيم

حد التقسيم
اختلاف الناس في التقسيم : فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام
ما ابتدأ به ، كقول بشار يصف هزيمة :

بضرب يذوق الموت من ذاق طمسه ويدرك من نجي الفرار مثاليه

من أملح
للوازنة
وتمديد
الأقسام

فراح فريق في الأسارى، ومثله قَتِيلٌ، ومثل لَآذَ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ قَسِيانٌ : إما موتٌ، وإما حياة تورث عاراً ومثلية، والبيت
الثاني ثلاثة أقسام : أسيرٌ، وقَتِيلٌ، وهاربٌ ؛ فاستقصى جميع الأقسام، ولا يوجد
في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر.

ومثل ذلك قول عمرو بن الأهتم إلا أنه أكثر إيجازاً :

أَشْرَبًا مَاشِرَبًا فَهَذِلٌ مِنْ قَتِيلٍ وَهَارِبٍ وَأَسِيرٍ

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد.

ومن التقسيم الجليل قول نُصَيْبٍ :

فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ : لَا، وَفَرِيقُهُمْ : نَعَمْ، وَفَرِيقٌ قَالَ : وَيْحَكَ مَا نَدْرِي^(١)

فلم يبق جواب سائل إلا أتى به ؛ فاستوفى جميع الأقسام، وزعم قوم أنه

أفضل بيت وقع فيه تقسيم .

ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش :

مَتَى مَاتَقَعَ أَرْسَاغُهُ مُعْطَمَةً عَلَى حَجَرٍ رَفَضَ أَوْ يَتَدَحَّرُ

فلم يُبْقِ الشماخ قسماً ثالثاً إلا أن يقول : ينوص في الأرض، وذلك لا يلزم ؛

من جهة أن الحافر عند الجرى وسرعة المشي يقذف الحجر إلى وراء، إلا أنه لو

أتى به لكان حسناً من أجل قوله « معطمة » .

ومن أشرف المتنور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل

لك يا ابن آدم من ماله إلا ما أكلت فأفئيت، أو لبست فألبيت، أو تصدقت فأمضيت »

فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد .. وقال نافع بن خليفة « يا بني،

اتقوا الله بطاعته، واتقوا السلطان بحقه، واتقوا الناس بالمعروف » فقال رجل منهم :

مَا بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا إِلَّا وَدَّ أَمْرَتَنَا بِهِ . . . وَقَالَ أَعْرَاضِي « إِذَا كَانَ

الرَأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَمْلِكُهُ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَنْفَقُهُ

(١) حفظى « وفريق : لئيم الله ماندرى » واللام للابتداء، وإيعن : مبتدأ حذف خبره.

من جيد
التقسيم

من جيد
التقسيم
في المتنور

ضاعت الأمور ، وكان ثابت البناني يقول « الحمد لله وأستغفر الله » فسئل : لم خصهما ؟ فقال : لأني بين نعمة وذنب ؛ فأحمد الله على النعمة ، وأستغفره من الذنوب . . ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسى من كفاف ، أو آثر من قوت ، فقال الحسن : ماترك البلوى منك أحداً إلا وقد سأل .

عود إلى
جيد التقسيم
في الشعر

ثم نعود إلى الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي :
وهبتها كشيء لم يكن ، أو كتنازح به الدار ، أو من هتيت القصار
فلم يبق مما يعبر به من إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت .
وقال آخر ، وأحسبه أبا ذؤيب الجهمي أو طريحا :
لوقلت للسيل دح طريقك والبموج عليه كالمضرب يفتلج
لارتد ، أو ساخ ، أو لكان له في سائر الأرض عنك مُمَرَجُ
ولا يدع السيل طريقه إلا بأحد هذه الأشياء .
وقال أبو المتاهية :

وعلى من كلفني بكم قيدَ وجامعة وغُلُ
فأتى على جميع ما يتخذ للأسور أو المجنون ولم يبق قسماً .
هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم ؛ وأما ما كان في بيتين أو
ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .

أصح
تقسيم

وزعم الحائمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسمر الجهمي يصف فرساً :
أما إذا استقبلته فكأنه يازي يكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق قوموص الوقع عارية النساء
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول : هذا مثل سير حان الفضا
واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس إلا
بشرف الصفات :

إذا أَقْبَلْتُ قلتُ دُبَّاءةً من أَلْطَرِ مغموسة في النَّدْرِ^(١)
 وإن أَدْبَرْتُ قلتُ أَفْقِيَّةً مللمة ليس فيها أُنْزُ^(٢)
 وإن أَعْرَضْتُ قلتُ سُرْعُوفَةٌ لما ذَنَبٌ خَلَقَهَا مُسَبِّطٌ^(٣)

ولو لم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضه من بعض ، وقد صنعت على ضَعْفٍ مَتْنِي^(٤) وتأخر وقتي :

إذا أَقْبَلْتُ أَقْمَتُ ، وإن أَدْبَرْتُ كَبَيْتُ وتعرض طولاً في النان فتسعى
 وكَلَفْتُ حاجاتي شَيْبَةً طائر إذا انتشرت ظَلَّتْ لها الأرضُ تنطوي
 ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادةً تدريجاً وترتيباً فصَعَبَ
 لذلك على متعاطيه وقل جداً . . فأَحْسَنُهُ قولُ زهير بن أبي سلمى :

يظنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضَارَبَ حتى إذا مضار بواغتنفاً

فأني بجميع ما استعمل في وقت الميلاج ، وزاد بمدوحه رتبة ، وتقدم به
 خطوة على أقرانه ، ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ، ويليهِ في بابهِ
 قول حفصة :

إن يلحقوا أَكْرَزُ ، وإن يستلحموا أَشَدُّ ، وإن يُلْقُوا يَضَعُكَ أَزَلُ

ويروى « وإن يقفوا » ومما ينضاف إليهما قول طَرِيح بن إسماعيل الثقفي :

(١) دُبَّاءة : هي في الأصل القرعة ، ومثلها الدبة - بفتح الدال والباء مشددة -
 وكفى بذلك عن لينها وطراءتها وانطوائها ، وقوله « مغموسة في الندر » يريد به
 أنها ربي ، والندر : جميع غدير ، وذلك ما يدل على ما ذهبنا إليمن التكنية بالدياءة
 (٢) الأفقية : الصخرة المستديرة المهيمة ، مللمة : متداخلة مدورة صلبة ،
 الأُنْزُ : أراد به الحنشد .

(٣) سرعوفة : هي الجراة ، مسبطر : طويل متمد .

(٤) لعل الأوفق « على ضعف متني » .

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُحَقِّقُوهُ، وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَذَاعُوا، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا
وقال الحسين بن الحمام :

دَفَعْنَا كُمُ بِالْخِلْمِ حَتَّى يَطْرُقَ نَوْمُ وَبِالْكَفِّ حَتَّى كَانَ رِفْعُ الْأَصَابِعِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُفْتَةٍ وَمَا قَدَمْنِي مِنْ حِلْمِكُمْ غَيْرَ رَاجِعِ
مُسْنَأَ مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا، وَكَانَا إِلَى حَسَبِ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ
فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأَمَهَاتِ وَجَدْنُمُ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ لِلضَّاحِحِ

كَأَنَّهُ يَقُولُ : نَحْنُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ أَمَهَاتٍ ، فَبِذَا هُوَ التَّدْرِيجُ فِي الشَّعْرِ .
وَبَعْضُهُمْ فِي التَّقْسِيمِ عَلَى خِلَافِ مَا قَدَمْتُ : زَعَمَ أَبُو الْعِيْنَاءِ أَنَّ خَيْرَ تَقْسِيمٍ
قِيلَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي رِيْعَةَ :

تَهَبْ إِلَى نُسَمٍ ؛ فَلَا الشَّمْلَ جَامِعِ وَلَا الْحَبْلَ مُوَصُولِ، وَلَا أَنْتَ مُقْصَرُ
وَلَا قُرْبُ نَعْمَ إِنْ دَنَيْتَ مِنْكَ نَافِعُ، وَلَا نَأْيُهَا يُسْلُ ، وَلَا أَنْتَ تَصِيرُ
وَاخْتَارَ قَوْمٌ آخَرُونَ قَوْلَ الْحَارِثِيِّ :

فَلَا كَدَى يَفْقَى ، وَلَا لَكَ رَقَّةٌ ، وَلَا عَنَّاكَ إِقْصَارٌ ، وَلَا فَيْكَ مَطْلَعُ

وَزَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ أَكْلَ بَيْتِ قَالَتِ الْعَرَبُ - أَوْ قَالَ : أَجْمَعَ بَيْتَ - قَوْلِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ .

لَهُ أَتَقَلَّأَ ظِلِّي ، وَسَاقًا نَمَاطٍ وَإِلَّا خَامِيرَ حَائِنٍ، وَتَقْرِبَ تَقَفُّلِ
وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ يَصِفُ فَرَسًا :

سَلَسَ مُقَلَّدُهُ ، أَسِيلَ خَدَّهُ ، مَرَعَ جَنَابَهُ

وَقَالَ هُرَيْرُ بْنُ شَأْسٍ :

مُذْمَجٌ سَابِغُ الضَّلُوعِ طَوِيلُ الشَّخْصِ عَيْلُ الشَّوَى مُرَّةُ الْأَعَالِ
وَقَالَ أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيُّ :

يَعِدُّ مَدَى الْكَرْفِ خَطَايَ الْبُضِيعِ - مُرَّ الطَّعَا سَهَرِيَّ الْقَصَبِ^(١)
 هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف ، وسماه ببعض الخذاق من أهل الصناعة
 التقيب - العين قبل القاف - وأما التقيب^(٢) فمكرهه في الكلام .

جمع الأوصاف
(أو التقيب)

وكان محمد بن موسى للنجم يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجبا بقول
 العباس بن الأحنف :

وَصَالَكُمُ صَرْمٌ وَحُبُّكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ ، وَسَلَكُمُ حَرْبٌ
 ويقول : أَحْسَنَ وَاللَّهِ فَمَا قَسَمَ حِينَ يَمِيلُ كُلُّ شَيْءٍ ضِدَّهُ ، وَاللَّهِ إِنْ هَذَا
 التَّحْسِينُ لَأَحْسَنُ مِنْ تَقْسِيمَاتِ إِبْلِيسَ ، حَكَى ذَلِكَ الصَّوْلِي . .
 ومن مليح التقسيم قول داود بن سلم^(٣) :

فِي بَاغِهِ طُولٌ ، وَفِي وَجْهِهِ نُورٌ ، وَفِي الْعِرَيْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
 فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون .

من التقسيم
التقطيع

ومن أنواع التقسيم التقطيع ، أنشد الجرجاني للناطقة الديباني :

وَلَهُ عَيْنَانِ مِنْ رَأْيِ أَهْلِ قَبِيَّةٍ أَضْرَّ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعَا
 وَأَعْظَمَ أَحْلَامَا وَأَكْبَرَ سَيِّدَا^(٤) وَأَفْضَلَ مَشْفُوعَا إِلَيْهِ وَشَافِعَا

(١) في عامة الأصول * * * * * خاطي البضع * وصوابه ما أثبتناه ،
 والخاطي - بالحاء والظاء للمعجمتين - الكثير اللحم للكثره ، والبضيع - بفتح الباء وبعده
 الضادياء مثناة - هو اللحم ، وقد أنشد ابن بري لهجتوس بنة لقيط :

يَعْدُو بِهِ خَاطِي الْبُضِيعِ كَأَنَّهُ سَمِعَ أَرْلَ

(٢) في عامة الأصول التقيب - بتقديم العين للمهلة على القاف للثناء كالقدي
 قبله - وهو خطأ وتصحيف ، والتقيب في الكلام مثل التفسير ، وتقول : قعب فلان
 كلامه وقمره - بتضمين العين فيهما - وهما بمعنى واحد .

(٣) في الطبوغات كلها «داود بن مسلم» والتصحيح عن الأغاني ١٥٣/٥ بولاني
 والبيت من خمسة أبيات مدح فيها قثم بن العباس وكان منقطعا إليه . والبيت في الأغاني

في وجهه بدر ، وفي كفه حجر ، وفي العينين منه شمم
 (٤) في الديوان (ص ٧٤) * * * * * وأكثر سيديا * بالثاء الثلاثة

وسماه قوم - منهم عبد الكريم - التفصيل ، وأنشد في ذلك :
بيضُ مفارقنا ، تظلي مَراجِلنا نأسُو بأموالنا آثار أيدينا
وقال البحرى :

قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَافِرًا ^(١) أَوْ عَذُولًا
تقطع وفصل كاتراه . وقال أبو الطيب :

فيا شوقُ ما بقي ، وإيالي من النوى ، ويادُ نَمْعِ ما أُجرى ، ويالِ قلبِ ما أُصنى
فصل كما فصل أصحابه ، وجاء به على تقطيع الوزن ، كل لفظتين ربع بيت ..
وقال أيضًا :

لِلنَّبِيِّ مَا تَكْتُمُوا ، وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا ، والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترميع
عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابا عظيما . . وأنشد أبيات أبي
الثلج برئى صَخَرِ النَّبِيِّ :

لو كان قنهر مال عند مثله لكان دهر صخر مالَ قنيان
آبَى المضيئة ، نابٍ بالعظيمة ، متالاف الكريمة ، لا سقطولان وان
حامي الحقيقة ، نَسَّالُ الوريقة ، معشاق الوسيقة ، جَلْدُ غَيْرِ مُنْيَان ^(٢)
رَبَّاءُ مَرْقَبَةٍ ، مَناع مَظْلَبِهِ رِكَابُ سَلْهَبَةٍ ، قِطاع أَقْران ^(٣)

(١) في عامة الأصول « وغادرا » من التدر - بالعين معجمة والداد مهمل -
وهذا تصحيف واضح ، وصوابه ما أثبتناه .

(٢) الحقيقة : الربة ، وما وجب على الرجل أن يدافع عنه ، والوريقة : أسلحه
الشجرة للورقة ، ولعله أراد القبيلة ، والوسيقة : الإبل ، والثنيان - ضم الثاء
وسكون النون - ومثله التنى - بكسر الثاء - ما تكون منزلة بعد منزلة السيد .

(٣) رباء : صيغة للبانة من « ربا » إذا أشرف وصعد ، والورقة : النظرة في
رأس الجبل ، أو هي الحصن ، والأخير أولى بالمراد من البيت ، يريد أنه مقدم قومه =

هَبَّاطُ أودية ، سَحَالُ أودية ، سَهَادُ أُندِيَّة ، سِرْحَانُ فتيان
 يعمطيك مالا تكاد النفس تُسَلِّيه من التَّلَادِ وهوبٌ غير مَتَّانٍ
 وللقدماء من هذا النوع ، إلا أنهم لا يكثرُونَ منه كراهة التكلف . قال ^(١)
 أبو دُوَادٍ يصف فرسا ، وقيل : بل رجل من الأنصار :

فَالْتَيْنُ قَادِحَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ ، وَالْيَدُ سَابِحَةٌ ، وَاللَّوْنُ غَرِيْبٌ ^(٢)
 وَالشَّدُّ مِنْهَرٌ ، وَالْمَاءُ مُنْتَحِدِرٌ ، وَالْقَصْبُ مُضْطَمِرٌ ، وَاللَّتْنُ مُلْحَوْبٌ ^(٣)

وقال السكيت بن زيد في ذلك :

كَالْتَامِطَاتِ الصَّادِقَاتِ تَالَوَاسِقَاتِ مِنَ الْقَحَازِ

= في لقاء العدو ، والفلبة : مصدر غلبه غلبا وغلبا ومغلبا
 ومغلبة ، والسلمية - ومثله السلب بلاهاء - يقال للفرس الذكر إذا عظم وطال
 وطالت عظامه .

(١) نسب الجوهري الشطر الرابع لاسمى القيس في مادة (ق ص ب) وشقه
 عنه صاحب اللسان ، ثم نقل عن ابن بري أن الصواب أنه لإبراهيم بن عمران
 الأنصاري ، وذكر خمسة أبيات منها البيتان ، وهما مع هذه الأبيات مما أثبتته ناشر
 ديوان اسمى القيس للطبري في ١٩٣٠ (ص ٣٥) .

(٢) ضارحة - فالضاد للمجمة والحاء المهمة - يريد أنها تضرع الحصى ، أى :
 تنجيه وتبعمه ، وقيل : معناه أنها واقعة إلى الأمام . سابحة : تسير بلطف وخفة
 كن يسبح في الماء ، أى : أنه لا يجهد راحته ولا يتعبه ، وعريب : أسود ، وجمعه
 غرايب .

(٣) الشد : العدو والجري ، والقصب - ضم القاف وسكون الصاد المهمة -
 اللعى ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء ، وقيل : للراد به هنا الحصر
 وليس بعيداً مما قدمنا .

وإلى هذا ذهب أبو الطيب بقوله :

الناعمات القتاتلات الحبيبات
وقال توبة بن الحميم ، وفيه التفسير والترصيع :
لطيقات أقدام ، نبيلات أسواق
وقال مسلم بن الوليد صريح الغواني :
كأنه قر ، أوضيتم هصر ، أوحية ذكر ، أو عارض هطل
وقال أيضا :

بورى بزندق ، أو يسى بمدك ، أو يفري بمدك ، كل غير محدود
ومن كلام أبي تمام ، وكان يمجيد التصنيع :
نجلي به رندي ، وأنرت به يدى ، وقاض به نمدى ، وأورى به زندي
وقال أيضا وأحسن ما شاء :

تديرومتمم ، بالله منتقم ، لله مرتقب ، فى الله مرتقب
وقال أيضا فى غير هذا النمط :

عن ثامر صافى ، ونبت قرارة ، وافي ، ونور كالمراجل خافى
للمراجل : ثياب . . وقال كشاجم :

هلال فى إضاءته * حياء فى سماحته * شهاب فى انتقاده
ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن :

حرّ الإهاب وسيمه ، رء الإيا ب كريمة ، تحض النصاب صميمه
فأكثر البيت ترصيع كيف ما أدركته (١) . .

وكان المذهب الأول وهو المحمود أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت ، كما

قال امرؤ القيس :

(١) فى عامة الأصول « كيفما أردته .

وأوتأده ماذية^(١) ، وعماده رُدِينِيَّة ، فيها أَسِنَّةُ قَمَصَب^(٢)
وكما قال امرؤ القيس^(٣) :

كحلاه في بَرَج ، صفراء في نَمَج ، كأنها فِصَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ^(٤)
وأما ما هو شبيه بالسبعوع فقول امرئ القيس :
فَتَوَرَّ الْقِيَامُ ، قَطْعُ الْكَلَامِ ، تَفَتَّرَ عَنْ ذِي غُرُوبٍ أَشِيرُ^(٥)
وقوله * أَلَسَ الضُّرُوسُ ، حَتَّى الضُّلُوعُ *^(٦)
فجاء فتور في وزن قطوع ، وكذلك الضروس والضلوع ، وألس وحى .

(١) الأوتاد : جمع وتد ، وهو ما تشد به الحجة . وللأذية : هى الدروع البيض
وقيل : السلاح كله . والعماد : الحشب التى ترفع عليها الخيام . والردينية : الرماح
المنسوبة إلى ردينة . وقمصب : رجل كان يصنع الأسنة .
(٢) لم أجد في شعر امرئ القيس هذا البيت ، ولا وجدته منسوباً إليه فيما
بين يدي من الراجح ، وهذا البيت مشهور لدى الرمة ، وهو في ديوانه (ص ١٢)
من قصيدته التى أولها :

ما بال عينك منها للساء ينسكب كأنه من كل مفرية سرب
والعبارة للذكورة في الأصل تنيد أنها من وضع النساخ ، فإن عادة مؤلف
الكتاب أن يقول فى مثل هذا للوضع : « وكفوله أيضاً » ؛ لأن الشاهد السابق
لامرئ القيس ، فتنبه ، ويستدل به المؤلف مرة أخرى فى باب الاشتراك وينسبه
لدى الرمة على الصواب .

(٣) البرج - بفتح الباء والراء جميعاً - تباعد ما بين الحاجبين ، والنمج -
بفتح النون أيضاً - حسن اللون ، قال الجوهري : « نمج نمج نجاً مثل طلب يطلب
طلبا وامرأة ناعجة حسنة اللون » اهـ وقيل النمج : الايضاض الخالص ، ويبعد
أن يراد هنا .

(٤) فتور القيام : متراخية متكاسلة غير وثابة . قطوع الكلام : قليلته ، تفتّر :
تبسم ، ذى غروب : فم حر الأسنان رقيق للساء ، أشير : روى فى مكانه خسر
(٥) تمامه * تبوع طلوب نشيط أشير *

ثم أدخل المولود في هذا الباب أشياء عنوها تقطعاً وتقسيماً ، وذلك نحو قول أبي السيثل الأعرابي :

فأصدق وعفت وجد وأنصف واحتمل وأصنع ودأر وكأفر واخلم وأشجع
والطف ولين وتأن وأرقق وأثبث واحزم وجد وحام واحمل وأدفع
وكقول ديك الجن :

أخل وامرؤ ، وضر وأفع ولين وأخشن ورش وأبر وأنتدب للمعالى
وقول أبي الطيب :

أقل أنل أقطع أحمل عل سل أعد زط هش بش تفصل أذن سر صيل
ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع :

عش ابق أمم سد قد جد مر أنه رة فيه أسر نل

غظ أرم صب اسم اغز اسب روع زع دلي ان بل

فهذه رقية المقرب كما قال ابن وكيع ، ولا بد من شرحها . . قوله «عش ابق»

دعاء له بالميش والبقاء ، واسم : من السمو ، وسد : من السيادة : أى دم هكذا ،
وقد : من قود الخليل ، وجد : من الجود والساح ، أو من الجود وهو المطر الفزير ،
مرانه : من الأمر والنهى ، رة : من الرزي تثبت الماء فيه أغلته في انشطدون اللفظ ،
على أنه ليس موضع وقف ، ولا يجب أن يكتب بلاهاه لثلاث يخالف المادة وتقع كلمة
على حرف واحد ، والورى : داء في الجوف : أى أصنع ذلك بإعدادك وحسادك ، فهـ :
من الوفاء ، وأسر : من سرى الليل ، يصفه بالعزم والنارات ، ونل : من النيل
والإدراك ، أى : نل ماتعب ، وورى نل [أى] أعط ، من التول ، ويقال : نلته
إذا أعطيته ، وغظ : من غيظ الحسود ، ويروى «عظ» من الوعظ ، وارم : من
رمى العدو بالمكاييد وغيرها ، وصب : من صاب المطر والسهم ، واحم : من حميت
المكان ، واغر : من الغزو ، واسب : من السبي ، ورع : من الروع ، وزع : من
وزعت ، أى : كفت ، ود : من الدية ، ولر : من الولاية للأمور ، وقد يكون من

من المطر الوليّ، وأن : من ثنى أضداده إذا ردّهم ، وبل : من الرابل ، وهذه غاية اللقت والبناضة وإن كان ولا بدّ بقوله أيضا :

داني بعيدٌ ، مُحِبٌّ مبغضٌ ، بهج أغر ، حلومر ، كَيْثٌ شَرِسٌ
نَدِيٌّ أبى غَيْرِي واف أخو ثقة جمدَ بَرِيٍّ نَدْبٌ رِضًا نَدَسٌ
نَدِيٌّ : من الندى ، وغَيْرِي : من غري به ، ونَدِيٌّ : من الندى ، وأصل هذا كَلَّةٌ
من قول امرئ القيس :

أَفَادَ فَبَجَادَ ، وشَادَ فَرَادَ وَقَادَ فَدَادَ ، وَعَادَ فَأَفْعَلَ

٥٠ - باب التسميم

وقدامة يسميه التوشيح . . وقيل : إن الذي سماه تسميماً على بن هارون الاختلاف في التسميم ، وأما ابن وكيع فسماه للطمع ، وهو أنواع : منه ما يشبه القابلة ، وهو الذي تسميته وأنواعه اختاره الحاتمي ، نحو قول جَنْوَبٍ أَخْتِ عَمْرٍو ذِي الْكَلْبِ :

فَأَقْسَمَ يَا عَمْرُو لَوْنِيهَاكَ إِذَا نَبَّهَا مِنْكَ دَاءُ عُضَالَا
إِذَا نَبَّهَا لَيْثٌ عَرِيَّةٌ مُفِيئَةً مُفِيدًا نَفُوسًا وَمَالًا^(١)
وخرقٌ تجاوزت مجمله بوجناء حرف تشكّي الكلال^(٢)

(١) العريسة - بكسر العين للهمة وتشديد الراء - الشجر اللتف ، وهو مأوى الأسد في خيسه ، ومنه قولهم * كبتنى الصيد في عريسة الأسد * ويقال « عريس » أيضا بلاتاء .

(٢) خرق - بفتح فسكون - للكان الواسع تتخرق فيه الرياح ، أرادت الفلاة . والوجناء : الناقة . والحرف : للهزولة ، ولا يقال جل حرف ، وإنما يقال ناقة حرف ، شبهوها إذا كانت ضامرة من الهزال بالحرف من حروف الهجاء ، وهو الألف ، تشكّي : أصله تشكّي ، لحذف إحدى تاءيه . والكلال : التخب والإعياء .

فكنت النهارَ به شمسُهُ وكفت دُجَى اللَّيْلِ فيه الملالَ
أردت قولها « مفيتاً نفوساً ومقيداً مالا » تقابلت مفيتاً بالنفوس ومقيداً
بالمال ، وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ولما ذكرت
الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجلسته قرأ .

وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتضياً قافيته ، وشاهداً بها
دالا عليها كالذي اختاره قدامة للراعي ، وهو قوله :

وإن وُزِنَ الحَصَى فوزنتُ قَوْمي وجدت حَصَى ضَرِبَتَهُم رَزِينَا
فهذا النوع الثاني هو أجود من الأول للطف موقعه .

والنوع الثالث شبيه بالتصدير ، وهو دون صاحبيه ، إلا أن قدامة لم يجعل
بينهما فرقاً .. وأنشد للعباس بن مرداس :

هُمْ سَوْدُوا هَجْنَا وكلُّ قَبِيلَةٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا
وقال نصيب الأكبر مولى بني مروان :

وقد أيقنتُ أن سَتَبِينَ كَلِي وَتُحَجَّبُ عَنْكَ لِمَنْ نَفَعَ الْيَقِينَ

وإن تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعي
وإنما اختير هذا النوع على ما ناسب للقبالة والتصدير لأن كل واحد منهما
مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بالترتيب ، وإما باشتراك المجانسة ، والقافية في
بيت الراعي دالة على قسمها بالمعنى وحده ، فصار استخراجها أحب وأغرب ،
وتمكنها أشد وأؤكد .

وقد حكى أن ابن أبي ربيعة جلس إلى ابن عباس رضى الله عنه ، فابتدأ ينشده :

* تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِرَانَا *

فقال ابن عباس :

* وَلَدَارُ بَعْدَ غَدٍ أَبَدُ *

قال له عمر : هكذا صنعت ، فأنت ترى كيف طبق للقصير ، وأصاب
شاكلة الروى ، لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم ،
واجتنب « أشط » لأنه لا يتزن ولا يستعمل ، وعدا عن أن يقول « أبرح »
وما شاكلة رغبة في قرب للأخذ ، وسلوكا لطريق الفصاحة ، وإتيانا بالمعارف
المستاد المتصاعد .

ويحكى عن عدي بن الرقاع أنه أنشد في صفة الغلبة وولدها:
• تَرْجِي أَهْنُ كَأَنَّ إِهْرَةَ رَوْحِهِ ^(١) •

ففضل المدح عنه، فسكت ، قال الفرزدق لجريز : ما تراه يقول ؟ فقال :
يقول :

• قَلَّ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاءِ مِدَادَهَا •

وأقبل عليه المدح فأنشد كما قال جريز لم يُنَادِرْ حَرْقًا .. وقالت الخنساء :
بييض الصفاح ومُتَمَرِّ الرماح بالبيض ضرباً وبالسر وخزاً
وقالت أيضاً في نحو ذلك :

ونلبس في الحرب نَسَجَ الحديد ونلبس في السلم خَزاً وقزاً
وقال حريث بن مُحَفَّض :

فَإِنْ يَكُ طَمَنٌ بِالرُّدَيْنِ يَطْمَنُوا وَإِنْ يَكُ ضَرْبٌ بِالْمَهْدِ يَضْرِبُوا

وقال ابن الدمينه - واسمه عبد الله بن عبيد الله [أحد بنى عامر ^(٢)] الخنسي:
وَكُونِي عَلَى الْوَاشِينَ لَدَاءَ شَخْبَةٍ كَمَا أَنَا بِالْوَأْسَى أَلَدُ شَعْبُ

(١) الروق - بفتح الراء وسكون الواو - القرن ، وإبرته : طرفه ، على
التشبيه . (٢) في الأصول « بن عبيد الله بن عبد الحمصي »
(٣ - المدة ٢)

وكوفي إذا مالوا عليك صليبة
فالبيتان جميعاً مُسَهَّمان - وقال دعل
وإذا عاندنا ذو نَحْوَةٍ
غَضِبَ الروحُ عليه فخرج
فعل أيماننا يجرى الندى
وعلى أسافنا تجري المهج

ليس يهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخرتهما.

ومن جيد التسهيم قولُ بعضهم :
لو أنقِ أعطيتُ من دَهْرِي للمنى
وما كل من يعطى المنى بمسد
لقلت دُيَّام مضين : ألا أرجى
وقلت لأيام أتين : ألا أبعدى
وكذلك قول الآخر وهو مليح :

حببي غداً لا شك فيه مودعُ
فيا يومُ لا أدبرت هل لك تجبس
فوالله ما أدرى به كيف أصنع
ويا غداً لا أقبلت هل لك مدفع
إذ لم أشيعةُ تقطعتُ حَصْرَةً
ووا كبدى إن كنت من يشنع

من جيد
التسهيم

أردت البيت الأخير .. وما أظن هذه التسمية إلا من تسهيم البرود ، وهو
أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . وأما تسميته
توشيحاً فمن تَعَطُّفِ أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن أن
يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز ، وله فواصل معروفة الأماكن ، فلملهم شبهوا
هذا به ، ولا شك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره إنما هي من هذا ،
وبعض الناس يقول : إن التوشيح بالجميل ، فإن صح ذلك فإنما يسمى من
« وَشَحَّتِ العروقُ » إذا اشتبكت ، فكان الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ..
فأما تسميته الطَّمَعِ فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف ، فإذا حُوِّلَ
امتنع وبَدَّ مَرَّامُهُ .

(٥١) - باب التفسير

وهو : أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به مجلا ، وقل ما يبيء هذا إلا في حد التفسير أكثر من بيت واحد ، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة :

قد جثت قوما لو تجأت إليهم طريد دم أو حاملا ثقل مفرم
لألفيت منهم معطيا ومطاعنا وراك شزرا بالوشيج المقوم

هذا جيد في معناه ، إلا أنه غريب مريب ؛ لأنه فسر الآخر أولا والأول آخرأ ؛ فجاء فيه بعض التفسير والإشكال ، على أن من العطاء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام .

وأكثر ما في التفسير عندى السلامة من سوء التضمن لأنه هو بينه ما لم يكن في بيت واحد أو شيء به كالتى أنشدته سيويه :

خوى على مستويات خمس ركركرة وثغفات ملس^(١)

لأن هذا وإن كان كالبيت للمصرع فهو بيتان من مشطور الرجز
ومن التفسير الجيد قول^(٢) حاتم الطائي ، ويروى لعتيبة بن مرداس :

من جيد التفسير

(١) يقال للناقة إذا بركت فتجافى بطنها في بروكها لضمها : قد خوت - بتشديد الواو - وقد كثر ذلك حتى صاروا يقولون للابل إذا خست بطنها وارتفعت : قد خوت ، والكركرة - بكسر الكافين بينهما راء مهلهة ساكنة - رعى زور البعير والناقة ، وقيل : هو الصدر من كل ذى خف ، والثغفات : جمع ثغنة ، بفتح فسحة - وهى ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ كالركبتين ، وقيل : هو كل ماولى الأرض من كل ذى أربع إذا برك أو ربض ، وتسد الكركرة إحدى الثغفات ، وهن خمس .

(٢) ذكر صاحب اللسان (مادة ق س ب) عن ابن برى وقد أنشد البيت الثالث ، قال : « هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أجده في شعره » اهـ

مق ما يحىء يوما إلى المال وارثي يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ تَلَاىَ وَلَا صَفَرٍ
يَحْدُ فَرْسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارِمًا حَسَامًا إِذَا مَا هَزُّ لَمْ يَرْضَ بِالْمَسِيرِ^(١)
وَأَتَمَّرَ خَطِيئًا كَأَنَّ كُتُوبَهُ نَوَى الْقَسْبَ قَدْ أَرَانِي ذِرَاعًا عَلَى التَّشْرِ^(٢)

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين ؛ لأنه لم يعلق كلامه
بلو كما فعل الفرزدق ، ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كلياً ؛ فلهذا حسن عندي . .
ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأ يرجو ترائي وإنَّ ما يصيرُ له منه فُتْدًا لَقِيلُ
ومالٍ مال غيرِ دِرْعٍ ومِنْفَرٍ وأبيضَ من ماء الحديدِ صَقِيلُ
وَأَتَمَّرَ خَطِيئَةَ الْقَنَاءِ مُتَّقَفٌ وَأَجْرُدُ هَرِيانَ السَّرَا طَوِيلُ
هكذا أنشدوه بالإقواء ، ويجوز أن يرفع على القطع والإخبار ، كأنه قال :

هو صقيل ، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد ، يعني سيفه .

وقال ذو الرمة في التفسير :

وليلٍ بكلِّ بابِ العروسِ أَدْرَعَتْهُ بأُرْبَةِ وَالشَّخْصِ فِي الْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحْمٌ عِلَافِي ، وَأَبْيَضُ صَارِمُ وَأَعْيِسَ مَهْرِي ، وَأَرُوعُ مَاجِدُ
ففسر الأربعة ما هي ، ورفع على شرط ما قدمت من الإخبار ، كأنه
قيل له : ما الأربعة التي شخصها في العين واحد ؟ فقال : كذا وكذا وكذا ...
ومن التفسير ما يفسر الأربعة بالآهل ، وهو من باب الإيجاز والاختصار :

(٢) الهبر - بفتح الهاء وسكون الباء - اللحم ، يريد أن سيفه لا يتقنع بالضرب
في اللحم حتى يصل إلى العظم .

(٣) القسب - بفتح فسكون - الثمر اليابس ، قال الليث : ومن قاله بالصاد
قد أخطأ ، ونوى القسب : أصاب النوى . والقسب : الصلب الشديد . وأراني
كأمرى .

وذلك ما أتت فيه الجلة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب :
 من مبلغ الأعراب أنى بعدها جالت رملات ليس والإسكندرا
 ومالت محرّ عشارها فأضافي من ينحر البدر الثّصار لمن قرى
 وسمت بظليموس دارس كتبه متلكا متبديا متحضرا
 ولقيت كل الفاضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا
 نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأنى فذلك إذ أتيت مؤخرا
 قوله * نسقوا لنا نسق الحساب مقدما وأنى فذلك إذ أتيت * تفسير
 مليح قليل النظير في أ شمار الناس . .

وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت :
 أنى بعد أهل الملى كجملة شيء شرح
 وقد أنى به أبو الطيب في بيت واحد فقال :
 إذا عدّ الكرام قتلك همل كما الأنواء حين تمد عام
 فهذا الذي كنا نرغب فيه لكون للفسر والفسر به في بيت واحد .
 ونظيره قوله أيضا :
 مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد
 فجاء به أيضا في بيت واحد .
 وكذلك قول اسرى القيس :
 فلو أن ما أسى لأدنى ممشة كفانى سولم أطلب - قليل من المال
 ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

فأرسلنا ربيقتنا فأوى فقال : ألا أولى خمس رنوع
 رباعية وقارحها وجحش وثالثة وهادية زموع
 ففسر ما هي ، وأنها الغلبة التأنيث على اسم الدواب . .
 وقال مالك بن خريم ، وقيل : حريم :

فإن يك شاب الرأس مني فإني أتييت على نفسي مناقب أربعة
فواحدة أن لا أبيت بفرقة إذا ما سَوَّام الحى حَوَّلِي تَضوعاً
وثانية أن لا تُفَرِّغَ جارقي إذا كان جار القوم فيهم مُفَرِّغاً
وثالثة أن لا أصمت كلينا إذا نزل الأضياف حِرْصاً لنودعا
ورابعة أن لا أحجل قدرنا على لهما حين الشتاء لنشبعها

«أحجل» أستر ، أجعلها في حجلة لتخني عن الجار رغبة أن نشبع ، ولكن أبرزها
وكتب أحمد بن يوسف - وفي رواية النحاس : عمرو بن مسعدة -
عن للأمون « أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصاييح في
شهر رمضان ؛ فإن في ذلك أنساً للسابقة ، وضياء للمجتهدين ، هَنَفِيّاً لمكامن
الريب ، وتزيهاً لبيوت الله عز وجل عن وَحْشَةِ الظلم » .

ومن جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب :

فتي كالسحاب الجون يُخَشِّي وَبُرْجِي يُرْجِي الحيا منه وَخَشَى الصواعقُ
فإنه قد أحكمه أشدَّ إحكام ، وجاء به أحسن مجيء ، حتى أربى على
البحرَى إذ يقول :

بأروع من طيَّ كأن قيصه يُرْزَى على الشيخين زيد وحاتم
سماحاً وبأساً كالصواعق والخيَّ إذا اجتماعاً في العارض للتراكم
وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله . .

وأصل هذا من المجز قول الله تعالى : (وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً) .
وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :

لن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا في انخط واللفظ والهيجاء قُرْصَاناً
ففسر وقابل كلَّ نوع بما يليق به ، من غير تقديم ولا تأخير ، كالذي وقع أولاً
في بيتي الفرزدق . .

ومن التفسير قول كشاجم - واسمه محمود بن الحسين :

في فيها منك ، ومشمولة ، صِرْف ، ومنظوم من الدر
فالمسك للسكفة والتمر للريفة والازلز للتمر
وهذا من مליح ما وقع للمحدثين .

وقال لقمان لابنه : إياك والبكسل والصَّجَر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد
حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

(٥٢) - باب الاستطراد

وهو : أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع
الاستطراد حد
الناس يسمى الجميع استطرادا ، والصواب ما بينته . .

وأوضح الاستطراد قول السؤال وهو أول من نطق به حيث يقول :
أوضح الإيـنـطـرـاد
ومن أناس لا ترى القتل سُبَّةً إذا ما رآته عامر وسلول
وأول من قاله
يُقرَّب حبُّ الموت أجالنا لنا وتسكره آجالهم فطول
واتبعه الناس ، فقال الفرزدق وأجاد:
كأن ققاع الأسد حول ابن مسمع إذا اجتمعوا^(١) أفواه بكر بن وائل
ثم أتى جرير فأبى وزاد بقوة :
لما وضعت على الفرزدق ميسرى وَصَمَّا أَلَيْمِيثُ جَدَعَتْ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
فهبجا واحداً واستطرد باثنين . .

وقال مخارق بن شهاب للزاني يصف مِرْزَى :
ترى ضَنْفَهَا فِيهَا يَبِيَّتْ بَنْبُطَةٌ وَضَيْفُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَعَوَّبُ
فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال : كيف المخارق بن شهاب

(١) في نسخة « حول يئونهن إذا حلبوا » .

فيكم؟ قال : سيد شريف حسنك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه .
ومن جيد الاستطراد قول دعبيل بن علي الغزالي ، ويروي لبيد بن ربيعة
وهو أصح :

خليلي من كذب أعينا أخاكا على دهره ، إن الكريم معين
ولا تبخلا بمنزل ابن قرعة ؛ إنه تخافة أن يرزحني نذاه حزين
إذا جثته في القراط أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت مكين
ويروي * في حاجة سد بابه * وأنشد البحري أبو تمام لنفسه في صفة فارس
واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي :

وسابع همل التقداه هتان على الجراء أمين غير خوان
أعلى القصوص وما تظلي قوائمه فخل عينيك في ظلمان ريان
فلو تراه مشيحاً والحصى زيم تحت السنايك من مثنى ووحدان
أيقنت إن لم تذب أن حافره من صخر تدرأو من وجه عثمان
قال له : أتدري ما هذا من الشعر؟ قل : لا أدري ، قال : هذا الاستطراد ،
أو قال : المستطرد .

قال الحامي : وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح ،
كقول زهير :

إن البخیل ملومٌ حيث كان ولكن الجواد على علته هرام
فسى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً ، وأنشد في الخروج بالاستطراد من
مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

عرضت عليها ما أرادت من النوى لترضى ، قالت : قم فجنني بكوكبي
فقلت لها : هذا التعت كاه كمن يتشقى لحم عتقاء مُثريب
سلى كل أمر يستقيم طلابه ولا تسألني يادري في كل مذهب
فأقسم لو أصبحت في عز مالك وقدرته أعمى بما رمت مطلبي

فَسَقَى شَقِيَّتْ أَمْوَالَهُ بِمُفَاتِهِ كَا شَقِيَّتْ قَيْسٌ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

فهذا مليح : أوله خروج ، وآخره استطراد ، وملاحظه أن مالكاً بن نفي تغلب
فصار الاستطراد زيادة في مدحه ، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي ،
ومما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور :

يَمُوتُ بِهِ غَيْظًا عَلَى النَّهْرِ أَهْلَهُ كَمَا مَاتَ غَيْظًا فَاتَكَ وَشَيْبُ

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب ؛ إذ ليس
القصـد فيه مدحاً ولا هجاءً للرجلين المذكورين ، ولكن التشبيه والحكاية
لاغير .

وقيل : أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فريـكـز ، وكذلك الشاعر
يريد أنه في شيء فرض له شيء لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة
إلا إليه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإجماع ، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر من الاستطراد
الإجماع لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ للمعتضد :

أَبِي النَّهْرِ مِنْ إِسْعَافِنَا فِي نَفْسِنَا وَأَسْعَفْنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَهُ : نَمَّاكَ فِيهِمْ أَتَمَّا وَدَعْنَا أَمْرَنَا ؛ إِنَّ الْمَهْمَ لِلْقَدَمِ

وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من
عُثْرُ بْنُ مَسْعُودٍ يرد فيه النظر ، فقال : لعلك فكرت في تردى النظر في هذا
الكتاب ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : إني عجبـت من بلاغته واحتياله
لمـاده « كـتـبـت كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله وَمَنْ قَبْلِي مِنْ قَوَادِهِ وَأَجْنَادِهِ فِي
الطاعة والالقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت
أحوالهم » ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفاءه سلطانه من

الإكثار ؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد للتعارف وأغرب .

٥٣ - باب التفریع

حد التفریع ومنزله من الاستطراد وهو من الاستطراد كالتدریج من التقسیم ، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد للموصوف توكيداً ، نحو قول السكيت :

أحلامكم لستقام الجمل شافيةً كما دماؤكم يشفى بها السكلب^(١)

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا . وقال ابن المعتز :
كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرع منه خدع لحظه ، ويصف كذب وعده فرع كذب طيفه . وقال أيضاً يصف ساقى كأس :

فكأن حُمرّة لونها من خده وكأن طيب نسيما من نثره

حق إذا صب المزاج تبسمت عن ثراها غسبته من ثمره

ما زال ينجزني مواعيد عينه فمه ، وأحسب ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفریع ، والبيت الآخر ليس بتفریع جيد ؛ لأن الحمرّة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق ، وحق التفریع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً على الأول درجة : في الحسن إن قصّد المدح ، وفي التبع إن قصد القم ، وهو نوع خفي إلا على الحاذق البصير بالصنعة .

ومثل بيت ابن المعتز قول البحرى :

(١) قال صاحب اللسان وأنشد هذا البيت : « قال الجاني : الرجل السكلب

يمض إنساناً ، فباتون رجلاً شريفاً فيقطر لهم من دم أصبحه فيستقون السكلب فيبرأ » ٥١ .

وإذا تأتّى في التثنية كلائسه المصقولُ خلتَ لسانه من عَصْبِهِ
لأن حقَّ التَّضْبِيرِ في باب اللدح أن اللسان أمضى منه . .

ومن التفریع الجيد قول الصنوبري :

ما أخطأت نوناته ^(١) من صُدْغِه شيئاً ، ولا ألفاته من قـدِه
وكأنما أغفاه من شـمـرِه وكأنما قرطاسُه من جلدِه
فانظر إليه كيف يزيده رتبة في الجودة كلما فرع .

ووصف ابن شيرزاد جارية كاتبة : فقال كأن خطها أشكال صورتها ، وكان
بينها سحر مقلتها ، وكان سكينها غنيج لحظها ، وكان مدادها سواد شعرها ، وكان
قرطاسها أديم وجهها ، وكان قامتها بعض أناملها ، وكان دمعها قلب عاشقها .
وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتباً أنشدته الصولي في أبيات :
كان دواته ^(٢) من ريقٍ فيه تلاقٍ فنشرها أبداً كريحه
وقال كشاجم :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفة نسبته للطيب موصوفه
لو بدّل الله قلبه غنيا ما طمع الناس منه في صوفه
ومن لطيف التفریع قول أبي الطيب يصف ليلاً :

أقلبُ فيه أجفاني كأنّي أعذبها على الدهر الذُّنوباً
بينما هو يصف كثرة سهره وإدارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده . .
وقال فبرد :

ولو تَصَفَّتْ كما قد زِدَتْ من شرف على الوری لأوتى مثل شانيكا

(١) في عامة الأصول « نوناته » وهو تحريف شنيع .

(٢) في المصرتين « دواته » وما أقبحه من تحريف .

هذا الضريح للمعون . . وقال محمد بن وهب :

طللان طالَ عليهما الأمد دَرَا فلا عَمَ ولا نضد
لَوِيسَا إلى فكأنما وَجَدَا بعدَ الأحبة بعض ما أُجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس :

تَمَحُّ البديعةِ ليس بِمَسِكَ لَفْظُهُ فكأنما أَلْقَاهُ من مَالِهِ
وَكأنما عَزَمَاتُهُ وسَيُوفُهُ من حُدَّهَن خَلَقَن من إِقْبَالِهِ
مَتَبَسُّمٌ في الخَطْبِ تحبُّبُ أَنَّهُ نَحْتُ المَجَاجِ مُكْتَمٌ بِنَعَالِهِ

وأخبت ما سمعته في هذا الباب قولُ ابن الرومي يهجو رجلا :

لَهُ سَائِسٌ مَاهِرٌ يَحُولُ على مَتْنِهِ
وَيُطْعَمُ في دَبْرِهِ أَقَانِينٌ مِن طَعْنِهِ
بِأَطْوَلٍ من قَرْنِهِ وَأَغْلَظٍ من ذَهْنِهِ

ومن التفريع أيضا قول أبي الطيب على غير هذا النظام :

أَسِيرٌ إلى أَقْطَاعِهِ في ثِيَابِهِ على طَرَفِهِ من دارِهِ مَحْشَاهُ
وَمَا مَطَرُ ثَنِيَّتِهِ من اليَئُسِ والقَنَا وروم المِبدَى^(١) هَاطَلَاتُ غَمَامِهِ

فهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام :

قَالُوا : فَمَا أَوْلَاكَ ؟ صِفْ بَعْضَ نَيْلِهِ قَلَّتْ لَهُم : من عِنْدِهِ كُلُّ مَا عِنْدِي
وَأَصْلُهُ من قول أبي نواس :

• فَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ من عِنْدِي •

يصف كلب صيد .

(١) المبدى — بتشديد الهمزة مفتوحة — المبدى ، جمع عبد .

٥٤ - باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم ، وسماء آخرون الاستدراك ، حكاية قدامة ،
وسيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يرض له غيره فيعدل عن الأول
إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول ،
كقول كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمَطَالَ
فقوله * وأنت منهم * اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز ،
وجعله باباً على حديثه بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما .
قال الناجية الديباني :

أَلَا زَعَمْتَ بَنُو عَسٍ بَأْنِي - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السَّنِّ قَانِي
فقوله * ألا كذبوا * اعتراض ، ورواه آخرون للجدي * ألا زعمت بنو
كعب * وهو أشبه بالجدي ؛ لأنه أعلى سنامه ؛ فقوله * ألا كذبوا * اعتراض ،
وكذلك ما يجرى مجراه .

وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب :
فَطَلُّوا يَوْمَ - دَعَّ أَخَاكَ بِمَثَلِهِ - عَلَى مَشْرِعٍ يَرَوِي وَلَمَّا بَصُرْدُ
فَقَوْلِكَ * دَعَّ أَخَاكَ بِمَثَلِهِ * التفات مليح .
وقال جرير يرنى امرأته أم حَزْرَةَ :
نَمِ الْقَرِينُ - وَكُنْتُ عُلُقَ مَضْنَةٍ - وَارَى بِنَعْفٍ بَلِيَّةٍ الْأَحْجَارُ
فقوله * وكنت علق مضنة * هو الالتفات .

وقال عوف بن محم لعبد الله بن طاهر :
إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلُغْتَهَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمِيَّ إِلَى تَرْجَمَانِ
فقوله * وبلغتها * التفات ، وقد عده جماعة من الناس تنمياً ، والالتفات

أشكل وأولى بمعناه ، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت ، وإن كان ضده في التحصيل ؛ لأن الالتفات تأتي به عفواً وانهازاً ، ولم يكن لك في خلدٍ تقطع له كلامك ، ثم تصلة بعد إن شئت ، والاستطراد تقصده في نفسك ، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه .

يجيء الالتفات
آخر البيت

وقد جاء الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس :
أبدء الحارث الملك بن عمرو له ملكُ العراقِ إلى عمان
نجاورة بني شَمَجَى بن جَرْمِ هواناً ما أتبع من الموان
ويمسحها بنو شَمَجَى بن جرم مَعِيزَهُمْ ، حنانك ذا الحنان
فقوله • ما أتبع من الموان • وقوله • حنانك ذا الحنان • الالتفات
وحكى عن إسحاق اللوصلي أنه قال : قال لى الأحمسي : أترف التفات جرير ؟
قلت : وما هو ؟ فأشدني

أتنسى إذ تودُّعنا سليبي بسودٍ بَشَامَةٍ ، سُبَيْيَ البَشَامِ !
ثم قال : أما تراه مقبلاً على شعره ، إذ التفّت إلى البشام فدعا له ، وأنشد له
عبد الله بن المعتز :

مضى كأن الخيامُ بذى طلوحٍ سَفِيَّتِ القَمَيْتِ أينما الخيامُ .
وأنشد له أيضاً ابن المعتز :
طَرِبَ الحامِ بذى الأراكِ فهاجنى لا زلتَ في غلٍّ وأُنْكِ نَاصِرِ
لم يبدِ ابن المعتز إلا ما كان من هذا النوع ، وإلا فهو اعتراض كلام في كلام
وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله « هو انصراف للتكلم من
الإخبار إلى مخاطبة ، ومن مخاطبة إلى الإخبار » وتلا قوله تعالى : (حتى إذا
كنتم في الملكِ وَجَرَيْنَ يَوْمَ رَجْعِ طَيْفَةٍ) .

وأنشد غيره لأبي عطاء السندي يرنى يزيد بن عمر بن هبيرة :

وإنك لا تبعد على متهدٍ بلى كل ما تحت التراب بعيد
وهذا هو الاستدراك، ومثله قول زهير :

حتى الديار التي لم يبلها القدم بلى ، وغيرها الأرواح والله أعلم
وكذلك قول جرير :

غداً بأجتماع الحى تقضى كُبانة فاقم لا تقضى لباثنا غداً
وأشد ابن المعتز في هذا النوع ، وهو لبشار :

نبئت فاضح قومه يقتابنى عند الأمير ، وهل على أمير ؟
ومن مليح ما سمعته قول نصيب :

وددتُ ولم أخلق من الطير - أنى أعارُ جناحى - طائر فأطيرُ
فقوله * ولم أخلق من الطير * محجب ، ولما سمعت التي قيل فيها هذا البيت
تنفست نفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أوه قد والله أجبت به بأحسن من شعره ،
والله لو سمعتك لفتق وطار ، فجعله غراباً لسواده .

وأشد الصولى للعباس بن الأحنف :

قد كنت أبكى وأنت راضية حذار هذا الصدور والنضب
إن تم ذا الهجر يا ظلم ، فلا تم ، فاق الميش من أرب
وقال : سمعت ثعلباً يقول : ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .

ومن للمليح أيضاً قول التحيف^(١) بن سليمان الثقيل :

أمنك يا حنيف - نعم لمرى - لى مخضوبة ودم سجال

يخاطب ابنه . . وقال عدى بن زيد العبادى وهو فى حبس النعمان يخاطب
ابنه زيدا ويحرضه :

فلو كنت الأسير ، ولا تكنته ، إذا علمت ممد ما أقول

(١) فى عامة الأصول « التحيف » بالنون ، وهو تحريف .

(٥٥) - باب الاستثناء

تسميته وحده وابن العزير يسميه توكيد المدح بما يشبه القم ، وذلك نحو قول النابغة الذبياني :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِحُونٍ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
فَجَلَّ قُلُوبُ السَّيْفِ عَيْبًا ، وَهُوَ أَوْ كَدٌ فِي الْمَدْحِ . .
وقال النابغة الجعدي :

فَقِي كَمَلَتْ أَخْلَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ قَمَا يُبْنَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فاستثنى جودة القدي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال . وبهذا الاستثناء ثم وزاد كالا وتأكده حسنه . .
وكذلك قوله :

فَقِي تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدِيَا
فكانه لما كان فيه ما يسوء أعدائه لم يطلق عليه أنه يسر فقط ، وذلك زيادة في قوله ، وليس هذا الاستثناء على ما رتبته النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء للعرفه ، وإنما سمي اصطلاحاً وتقريباً ، سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاملي وأصحابه ولم يسم حقيقة . .

ومن ملبح هذا النوع قول أبي هنان [و] قد تقدم به وجوب غاية التجويد :
ولا عيبَ فينا غير أن سَمَّاحَنَا أَضْرَبْنَا ، وَالْبَاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
فَأَفْنَى الرَّدَى أَرْوَاحَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبٍ
فقوله إن السامح والبأس أضربهم ليس بيب على الحقيقة ، ولكن توكيد مدح ، والمليح كل للمليح قوله « غير ظالم » ، وغير عائب « هذا الثاني أعجب من الأول وألطف موصفاً . . وقال آخر :

من ملبح
هذا النوع

ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمشرٍ كرام ، وأنا لا نخطُّ على النمل^(١)
 قصر من جهة قوله * غير عرق لمشر كرام * لأن سبيل هذا الباب أن يؤزر
 فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير ، وإن كان على التحصيل خيراً وفضلاً ، كالقول في
 سيوف النابغة الذبياني ، وإتلاف المال في شعر الجسدي ، وترك الخط على النمل في شعر
 لآخر وأنهم لا يشفون صاحبها ، وهي داء واحدتها النملة ، وأما ذكر السكرم فلا
 وجه له هنا .

ومن هذا الباب قول ابن الرومي :

لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْمِئِينَ عَلَى شِبْهِهِ

فجعل افراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤسه عيباً ؛ فهو
 يزيد توكيد حسنه .

وقال حاتم الطائي :

وَمَا تَتَشَكَّى جَارِيٍّ غَيْرَ أَنِّي إِذَا غَابَ عَنْهَا بَشَلُهَا لَا أَزُورُهَا

(١) قال ابن منظور : « النمل : قروح في الجنب وغيره ، ودواؤه أن يرقى
 بريق ابن الجبوس من أخته ، تقول الجبوس ذلك . . . ثم أشد هذا البيت . .
 أني : لسنا بجبوس تشكح الأخوات . قال أبو العباس : وأنشدنا ابن الأعرابي
 هذا البيت ، وفسره أنا كرام ولأنني بيوت النمل في الجذب لتفطر على ما جمع لنا كله
 . . . وقال الجوهري : النمل : بثور صغار مع ورم يسير ثم يتفجر فيسرى
 ويتسع ، ويسمى الأطباء الدباب ، وتقول الجبوس : إن ولد الرجل إذا كان من
 أخته ثم خط على النملة شفي صاحبها . وفي الحديث : « لارقة إلا في ثلاث : النملة
 والحمة والنفس » اه كلامه بحروفه . والتفسير الذي ذكره أولاً ثم نقله بعد عن
 الجوهري هو اللطابق لما ذكره للؤلؤف هنا ، وهو اللوافق لقول الشاعر * غير
 عرق لمشر كرام * فإنهم كانوا يحدون غير العرب ليسوا من الكرام في شيء ،
 ومنه تعلم أن اعتبار اللؤلؤف ذكر السكرم ممالاً وجه له في الكلام غير سديد ، هذا
 وفي رواية ابن منظور للبيت * غير نمل لمشر * ورواية اللؤلؤف أقرب .

سبيلها خيري ويرجع أهلها إليها ولم تُقصر على سُتورها
لما كان في ترك الزيارة إشكال يبين مراده .
ومن أصحاب التأليف من يمد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر :
فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالفاءِ بغيرِ الماءِ باليدِ
وقال الربيع بن ضبيح القزاري :
كنيتُ وما يفتني صنيعي ومنطقي وكلُّ امرئٍ إلا أحاديثه فأنى
وليس من هذا الباب عندي ، وإنما هو من باب الاحتراس والاحتياط ؛ فلو
أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطلال ، ونخرجنا فيه عن قصده وغرضه
ولكل نوع موضع .

(٥٦) - باب التميم

وهو التمام أيضاً ، وبعضهم يسمى ضرباً منه احتراساً واحتياطاً .
ومعنى التميم : أن يحاول الشاعر معنى ، فلا بدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده
وأنى به : إمامالفة ، وإما احتياطاً واحتراساً من التصغير ، وينشدون بيتاً^(١) طرفة :
فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوَّبَ الرِّبْعَ وَرِيعَةً تَهْنِي
لأن قوله غير مفسدها تتميم للمعنى ، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر .
ومثله قول جرير :

حد
التميم

(١) من قصيدة له يهدد فيها للسبب بن علس الشاعر ، ويمنح قتادة بن مسلة
الحنفي ، وقبله بأربعة أبيات :

أبلغ قتادة غير سائله منى الثواب وعاجل الشك
والشك : العوض والجزاء ، وفتادة هذا من أجواد العرب ، وكان يقال له :
غيث الضريك ، وكان قوم لرفة قد أصابته سنة فأتوه فأحسن عطيتهم .

فساكـ حيث حلت غير قعيدة - مَزَجُ الرِواحِ ودِعة لا تُفْلِحُ
 قوله * غير قعيدة * تميم لما أراد من دنوها وسفياها غير راحلة ولا ميتة
 إذ كانت المادة أن يدعى للغائب الليت بالسقى ؛ فاحترس من ذلك .
 وقد عاب قدامة على ذى الرمة قوله :

ألا يا سُلَيْمِي يا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبَيْتِ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ
 فإنه لم يحترس كما احترس طرفة ، فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء
 بالسلامة للدار في أول البيت ، وهذا هو الصواب . . وقال زهير :
 مِنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّامَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
 قوله * على علاته * مبالغة وتميم عجيب .

والأصل في هذا قول الله عز وجل : (وَيَطْمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ مَسْكِينًا
 وَيَتْبَأُ وَيَسِيرًا) بقوله (على حبه) هو التميم والمبالغة في قول مَنْ قَالَ إِنَّ الْهَاءَ ضَمِيرُ
 الطَّعَامِ ، وَإِنْ كَانَ كِنَايَةً عَنْ اللَّهِ تَعَالَى خَرَجَ الْمَعْنَى عَنْ هَذَا الْبَابِ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ
 اسْمُهُ : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)
 فتم بقوله - (وهو مؤمن) - .

ومن أناشيد قدامة والحاتمي وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوي :
 رِجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيَعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
 قال الحاتمي : فإن المعنى تم بقوله « ويعطوه » وإلا كان ناقصا .
 ويمرر بمجرأ عندي قول عنزة العبي :

أَنْتِ عَلَى كَمَا عَلَسْتَ فَإِنِّي سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْهَرْ
 قوله * إذا لم أظلم * تميم حسن .

وقال آخر :

فَلَا تَبْعِدَنَّ إِلَّا مِنْ السُّوءِ ؛ إِنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ شَقَّتْ بِكَ الدَّارُ نَازِعَ

من أمثلة التميم
 في الشعر

فاستأنوه « السوء » تميم واحتراس جيد .

وقال أبو الطيب بن الوشاء :

لئن كان باقي عيشنا مثل مامقَى قَلَمَوْتُ إن لم ندخل النار أروحُ

وقال مُرافقة البارقي يهجو رَهط جرير :

مصنارٌ مقاربيهم عِظَامٌ جُورمِ بطلا عن الدّاعي، إذا لم يكن أكلاً^(١)
كأنه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلاً.

وقال مريع بن وعوة الكلّابي وقد قتل رجلاً نَهْشَلِيَا :

وقلتُ لأصحابي : النَّجَاءُ ؛ فإنما مع الصبح - إن لم تَسِفُوا - جَمْعُ نَهْشَلٍ

و يجرى على هذه الأناشيد قول ابن محكان السحدي حين قدم للقتل :

ولستُ وإن كانت إلى حبيبةً بياكٍ على الدنيا إذا ماتت

فاستثنى * وإن كانت إلى حبيبة * استثناء مليحاً ، ووى التقديم والتأخير ؛

فذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مُظْهَره ، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد ،

ومن التميم الحسن قول امرئ القيس :

على هيكَلٍ يَطْلِكُ قَبْلَ سؤالي أَفانينَ جَزِيٍّ غيرَ كَرٍّ ولا واني

فقوله * قبل سؤالي * تميم حسن لقوله « أفانين جري » وقول أعشى باهلة^(٢) :

* وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر^(٣) *

يقول : هو يُدَبِّرُ كل شيء سوى الفحشاء فإنه لا يدبرها .

(١) للقاري : جمع مقرى - بكسر الليم وسكون القاف وبعد الراء ألف

مقصورة - وهو إناء يقرى فيه الضيف ، ويقال للجنفة مقراة . وقال ابن الأعرابي :

للقاري : القدور ، وجورم : أراد أستاذهم ، وعظم الاست بما يتأجى به العرب .

(٢) يرثى أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي ، وكان بنو ثعلب قد قتلوه .

(٣) صدره * لا يصعب الأمر إلا لريت يركبه * ولا يصعب الأمر : لا يبدنه

صعباً .

(٥٧) — باب المبالغة

آراء الناس
في المبالغة

وهي ضروب كثيرة . والناس فيها مختلفون : منهم من يؤثرها ، ويقول بتفضيلها ، وبراها الناية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابتة بنى ذبيان ، وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديته ، هكذا أعرفه ، ورأيت بخط جماعة — منهم عبد الكريم والباغاني — من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديته . وروى قوم من حديث النابتة ومطالبتة حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التصدير في قوله :

لَنَا الْخَفَنَاتُ الْغُرُ يَلْمُنُ بِالضَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

* ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم ، ومنهم من يعبها وينكرها ، وبراها عيباً وهجئة في الكلام ، قال بعض الحذاق بنقد الشعر : للمبالغة ربما أحوالت للمعنى ، ولبسته على السامع ؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا آخره ، لأنها لاتقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه ؛ لأنه ينبغي أن يكون من أم أغراض الشاعر والمتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح ، وتقريب المعنى على السامع ؛ فإن العرب إنما فضلت بالبيان والفصاحة ، وحلا منقطعها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة ، تكسبه بيانا وتصوره في القلوب تصويراً ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ، وقد رأيتهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استملوها ، وبالتشكك في الشبهين ، كما قال ذو الرمة :

فِيَاظِيئَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَا جِلٍّ وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ

فلو أنه قال : أنت أم سالم * على نفي الشك بل لو قال « أنت أحسن من
الظبية » لاحتل من القلوب محل التشكك . وكما قال جرير :

فإنك لو رأيت عبيد تنهم وتنبأ قلت : أيهم العبيد

فلو قال « عبيدم » أو « خير منهم » لما ظن به الصدق ، فاحتال في تعريب
للمشابهة ؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصدق .

وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخليل :

كأنه من عرق يسر به ككرسف النداف لولا بقله^(١)

فإنه لو قال « إنه الكرسف » لم يكن في حسن هذا ؛ لأنه يشهد بتقارب
الشبهين إلى أن أوقع في الشك . . . واللبانة في صناعة الشعر كالاستراحة من
الشاعر إذا أعياء المراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال ، ويهول مع
ذلك على السامعين ، وإنما يقصدها من ليس بمتكبر من محاسن الكلام أن
تمسكه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه ، أقصى كلامه .

وفيه كفاية وبلاغ ، إلا أنه فيما يظهر من غوام لم يرد إلا ما كان فيه بُعد ،
وليس كل مبالغة كذلك ، ألا ترى أن التسميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من
اللبانة وإن ظهر أنه من أنواع الحشو المستحسن ، وقد مر ذكره . وكذلك ما مناسب
قول ابن المعتز يصف خيلاً :

صبيها عليها ظالمين سيأطنا وطارت بها أيدي سراح وأرجل^(٢)

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو ، وهو عندى مبالغة ، وكذلك
الإيغال ، وسيرد في باب إن شاء الله .

(١) الكرسف - بضم الكاف والسين بينهما راء مهله ساكنة - القطن ،
وهو الكرسوف أيضاً ، وواحدته كرسفة . والنداف : الذي يضرب القطن بالندف
(٢) انظر ص ٦٩ الآتية .

التقصي من المبالغة وحده
فن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق : التقصّي ، وهو بأوغل الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول عروبن الأيهم التغلبي :
وُنَكْرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُقْبِمُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ كَانَا
فتقصّى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاظه ووصف به قومه .

ترادف الصفات
ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل ندى ، كقول الله تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) .

الغاو
فأما الغلو فهو الذي ينكره مَنْ ينكر المبالغة من سائر أنواعها ، ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه مما بينت ، ولو بطلت المبالغة كلها وعييت لبطل التشبيه وعييت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام : فن آيات المبالغة قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ النَّفَامِ وَرِيحَ الْخَزَائِمِ وَنَشْرَ الْقَطْرِ^(١)
يُعْلَى بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحَرَّ

فوصف فاتها بهذه الصفة سحرّاً عند تمير الأفواه بعد النوم ، فكيف تظنها في أول الليل ؟ ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ، تُشَبُّ لِقْفَالٍ
يَقُولُ : نَظَرْتُ إِلَى نَارِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ تُشَبُّ لِقْفَالٍ وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ، وَقَدْ قَالَ :

(١) في عامة الأصول « نشر المطر » بالعين للمهيلة ، وهو تصحيف دعا إليه ذكر النشر ، وإنما هو « نشر القطر » بقاف مثناة . والقطر - بضم فسكون وضمين - العود الذي يتخربه ، وقد قطر ثوبه - بضميف الطاء - وفطرت الجارية

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا بَيَّتَرَبَ أَذَى دَارِهَا نَظَرٌ عَلِ^(١)
وَبَيْنَ الْمَسْكَانِينَ بُعْدُ أَيَّامٍ ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ الْقَفَالُ مِنَ التَّرْوِ وَالْغَارَاتِ وَجْهَ
الصَّبَاحِ ؛ فَإِذَا رَأَوْهَا مِنْ مَسَافَةِ أَيَّامٍ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَقَدْ خَدَّ سَنَاقَهَا وَكُلَّ مَوْقِدَهَا
فَكَيْفَ كَانَتْ أَوَّلَ اللَّيْلِ ؟ !! وَشَبَّهَ النُّجُومَ بِمَصَابِيحِ الرِّهْبَانِ ؛ لِأَنَّهَا فِي السَّحَرِ
يَضَعُفُ نَوْرُهَا كَمَا يَضَعُفُ نَوْرُ الْمَصَابِيحِ الْمَوْقِدَةِ لَيْلِهَا أَجْمَعُ ، لِأَنَّهَا مَصَابِيحُ الرِّهْبَانِ ؛
لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ مِنْ سَهَرِ اللَّيْلِ فَرَبَّمَا نَسُوا ذَلِكَ الْوَقْتَ ، وَهَذَا مِمَّا أَوْرَدَهُ شَيْخُنَا
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ .

وَقَالَ إِسْرَؤِيلُ الْقَيْسِيُّ يَصِفُ فَرَسًا :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ التَّرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ
أَرَادَ طَوْلَهُ ؛ لِأَنَّ التَّرُوسَ تَجَرُّ ذَيْلَهَا إِذَا مِنَ الْحَيَاءِ وَإِذَا مِنَ الْخِلَاءِ .

وَزَعَمَ الْجَلَّاحُ أَنَّ قَوْلَ غِيلَانَ ذِي الرِّمَّةِ :

وَلَيْلٍ كَجَلْبَابِ التَّرُوسِ أَذْرَعَتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ
أَرَادَ بِهِ سُبُوغَهُ لَوْنَهُ ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى خِلَافِ قَوْلِهِ ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ هَذَا
كَقَوْلِ عَوْفِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَرَّيجِ التَّمِيمِيِّ مِنْ تِمِّ الرِّبَابِ يَصِفُ خَيْلًا :
وَجَلَّانَ دَغْمًا قَنَاعَ الْعُرُوسِ سَ تَدْنِي عَلَى حَاجَتِيهَا الْخِمَارَا

«دَغْمٌ» : جَبَلٌ بَعِيثُهُ ، فَأَرَادَ أَنَّ الْخَيْلَ كَسَوْنَهُ قَنَاعًا مِنَ التَّهَارِ هَذِهِ صِفَتُهُ .
وَمِنْ مُتَعَجِّزِ الْمُبَالَغَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (سِوَاكَ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَعَ الْقَوْلَ وَمَنْ
جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) فَجَلَّ مِنْ بُسْرِ الْقَوْلِ كَنْ
يَجْهَرُ بِهِ ، وَالْمُسْتَخْفِيُّ بِاللَّيْلِ كَالسَّارِبِ بِالنَّهَارِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَشَدُّ مَبَالَغَةً فِي
مَعْنَاهُ وَأَتَمُّ صِفَةً .

(١) انظر ص ٦٢ الآتية .

(٥٨) - باب الإيصال

وهو ضرب من المبالغة كما قلتم ، إلا أنه في التوافق خاصة لا يقدوها ،
والخاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعليل من بلوغ الغاية ، وذلك يشهد
بصحة ما قلته ، ويدل على ما رتبته .

وحكى الخاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد اللبرد قال : حدثني
التوزي قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس
بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجمله خسيساً ، أو ينقص كلامه قبل
القفية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت : محو من ؟ قال : نحو
الأعشى إذ يقول :

كَنَاطِيحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلَحَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
قَدْ نَمَّ اللَّسْلُ بِقَوْلِهِ : وَأَوْهَى قَرْنَهُ ، فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل »
قال : قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطرح ؟ قال : لأنه ينحط
من قُفَّةِ الجبل على قرنه فلا يضيره ، قال : قلت : ثم محو من ؟ قال : [نحو] ذِي الرِّمَّةِ
بقوله :

قَبِيبِ الْعَيْسِ فِي أَعْلَالِ مَيَّةَ وَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَّاءِ السُّلْسَلِ
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « السلسل » فزاد شيئاً ، وقوله :
أَعْلَالُ الذي يمدى عليك سؤالها دَمُوعًا كَتَبْتِهَا الْجَنَانِ الْقُفْلِ
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المقفل » فزاد شيئاً أيضاً .

وليس بين الناس اختلاف أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى
بقوله يصف الفرس :

إِذَا مَا جَرَى شَاوِيْنِ وَأَبْتَلْ عِظْفُهُ تَقُولُ هَزِيرَ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَتَابِ
فبالغ في صفته ، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ويبتل عطفه

حد
الإيصالصفة أعر
الناسأول من
ابتكر هذا
النوع

بالترقي ، ثم زاد إيفالا في صفته بذكر الأثاب ، وهو شجر للريح في أضفاف
أغصانه خفيف عظيم وشدة صوت ، ومثل ذلك قوله :
كَأَنَّ عَيْنَ الطَّيْرِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ
فقوله « لم يثقب » إيفال في التشبيه ، واتبه زهير فقال :

كَأَنَّ فُتَاتَ السَّهْلِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يُحَطِّمْ
فأوغل في التشبيه إيفالا بتشبيهه ما ينتشر من فتات الأرجوان بحب القنا
الذي لم يحطم ؛ لأنه أحر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض
البنة ، وكان خالص الحمرة ، وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :
غَرَاهُ فَرَعَاهُ مَصْفُوقٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهَوَيْنَا كَمَا تَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ
فأوغل بقوله « الوحل » بعد أن قال « الوجي » وكذلك قوله « الوعل »^(١)

وكان الرشيد كثير المعجب بقول صريع التواني :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذَوَابَّةٌ شَارِبٌ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى الْمُقِيدِ فِي الْوَحْلِ
ويقول : قاتله الله ! ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل ، وأنا أقول :
إنه بيت الأعشى^(١) بعينه .

ومن الإيفال قول الطرماح العقيلي يصف فرساً بسمة المنخر :
لَا يَكُمُّ الرِّبْوَ إِلَّا رَيْثٌ يَخْرُجُهُ مِنْ مَنَخْرِ كَوْجَارِ الثَّعْلِبِ أَنْفَرِ
فكونه كوجار الثعلب غاية في اللبانة ، فكيف إذا كان خر با ؟ .

ومن الإيفال الحسن قول الخنساء :

وَلِنْ صَخْرًا لِنَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
فبالفت في الوصف أشد مبالغة ، وأوغل إيفالا شديداً بقولها « في رأسه
نار » بعد أن جعلته علماً ، وهو الجبل العظيم .
وأنشد الجاحظ :

أَلُوِي حِيَازِي بِهِنَّ صَبَابَةً كَمَا تَتَلَوِي الْحِيَةَ الْمُتَشَرَّقُ

(١) في البيت الذي أنشده للؤلؤ أول التجيل لهذا النوع .

فَقَوْلُهُ « الحية للشرق » إيغال ؛ لأنه أشد تلويُّه .

وكذلك قول جرير :

بات القِرْزُ دُقِ عَائِراً وَكَأَنَّهُ قَعَمُوْهُ تَعَاوَرَهُ السَّقَاةُ مَعَارِ
وَإِذَا كَانَ مُعَارِاً كَانَ أَشَدَّ لَاسْتِمَالَهُ وَأَقْلَّ لِلتَّحْفِظِ عَلَيْهِ .

وَقَالَ النَّجَاشِيُّ يَذْكُرُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ :

لَمَّا أَتَانِي مَا يَقُولُ وَدُونَهُ مَسِيرَةُ شَهْرِ الْمَطَى لِلْفَرْدِ
فَأَوَّغَلَ يَقُولُهُ « الْفَرْدِ » إِيْغَالاً عَجِيباً ؛ لِأَنَّهُ أُسِيرَ مِنَ الْحَمْلِ .

وَقَالَ جَمِيلٌ :

إِنِّي لِأَكْتُمُ حَبِيهَا إِذْ بَقِصُهُمْ فِيمَنْ يَحِبُّ كَنَاشِدِ الْأَغْفَالِ
« النَّاشِدِ » طَالِبِ الضَّالَّةِ ، وَإِذَا كَانَتْ غَفْلاً لَيْسَ فِيهَا سِمَةٌ كَانَ أَشَدَّ

لِلْبَحْثِ عَلَيْهَا ، وَأَكْثَرَ لِلسُّؤَالِ وَالتَّكْرَرِ .

وَمِنْ أَحْسَنِ إِيْغَالِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

هَمُّ الْقَوْمِ : إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَاعُوا وَأَجْزَلُوا
فَقَوْلُهُ « وَأَجْزَلُوا » قَدْ أَتَى بِهِ فِي نَهَايَةِ الْحَسَنِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ :

وغيرَ أن من دون النساء كأنه أسامة ذو الشُّبُلَيْنِ حين يَجُوعُ

فَقَوْلُهُ « حِينَ يَجُوعُ » إِيْغَالٌ حَسَنٌ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَدَاعُ دَعَا وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكُنْتُ مَكَانَ الظَّنِّ مِنْهُ وَأَعْجَلَا

فَقَوْلُهُ « وَأَعْجَلَا » زِيَادَةٌ وَصَفٌ ، وَإِيْغَالٌ ظَاهِرٌ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي رِثَاءِ أُمِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

مَشَى الْأَرْءَاءُ حَوْلَ لَيْثِهِمَا حَفَاةً كَأَنَّ الْمَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ

« فَالزَّفُ » : أَصْفَرُ الرِّيشِ وَأَلْيَنُهُ ، وَلَا سِمَاءَ رِيشِ النِّعَامِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ

حَتَّى جَعَلَهُ زِفَّ الرِّثَالِ ، شَبَهَ بِهِ الْمَرْوَ - وَهُوَ مَا صَفَرُ مِنَ الْحَصَى وَحْدَ - فَهَذَا فَوْقَ

كُلِّ مِبَالَةٍ وَإِيْغَالٍ .

ومن هذا نوع يسمى الاستظهار ، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبغا المولى
أوغیره :

فَأَنْتُمْ بَنُو بَيْتِهِ حَوْنًا وَنَحْنُ بَنُو عَمِّهِ السُّلَيْمِ

ف قوله « للسلم » استظهار ؛ لأن الملوية من بنى عم النبي عليه الصلاة والسلام
أيضا أعى أبا طالب ومات جاهليا ، فكان ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة .
وليس بين الإيغال والتسميم كبير فرق ؛ إلا أن هذا فى القافية لا يمدوها ،
وذلك فى حشو البيت .

واشتقاق الإيغال من الإيصاد ، يقال : أوغل فى الأرض ، إذا أبعد ، فيما
حكاه ابن حريد ، وقال : وكل داخل فى شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه
وقال الأصمى فى شرح قول ذى الرمة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ لِيغَالِ هُنَّ بَنَى أَوَاخِرَ اللَّيْلِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيجِ

الإيغال : سرعة الدخول فى الشيء ، يقال : أوغل فى الأمر ، إذا دخل فيه
بسرعة ، فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعد فى اللبالة وذهب فيها كل الذهاب ،
وعلى القول الثانى كأنه أسرع الدخول فى اللبالة بمبادرته هذه القافية .

وكما [أ] كثرت من الشواهد فى باب فيما أريد بذلك تأنيس المتعلم وتجسيده على
الأشياء الرائعة . ولأريه كيف تصرف الناس فى ذلك الفن ، وقلّبوا تلك المعانى والألفاظ

(٥٩) — باب التلو

ومن أسمائه أيضا الإغراق ، والإفراط ، ومن الناس من يرى أن فضيلة
الشاعر إنما هى فى معرفته بوجوه الإغراق والتلو ، ولأرى ذلك إلا محالا ؛ لخالفته
الحقيقة ، وخروجه عن الواجب والمتعارف . . وقد قال الخذاق : خير الكلام
الحقائق ، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها ، وأنشد المبرد قول الأعشى :

أسمائه
وميزته

فَقُولُوا مَا أَبْقَيْنَ مَنِي مُتَعَلِّقٌ بِسُودِ تَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُوْدَهَا
 قَالَ : هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن
 منه ما أصاب الحقيقة فيه ، انقضى كلامه .

وأصح الكلام عندى ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله أصح الكلام
 تعالى ، ونحن نحمده قد قرن النلو فيه بالخروج عن الحق ؛ فقال جل من قائل :
 (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ) .

والنلو عند قدامة : تجاوز في نعت ما لشيء أن يكون عليه ، وليس خارجا عن
 تعريف النلو
 قدامة
 طباعه ، كقول الفر بن تَوَلَّبَ في صفة سيف شبه به نفسه :

تَظَلُّهُ تَحْفَرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ بَعْدَ الْفَرَاعِينَ وَالسَّائِينَ وَالْمَادِي

إذ ليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يفرس بعد
 ذلك في الأرض ، ولأن مخارج النلو عنده على « تكاد » وعلى هذا تأول أصحاب
 التفسير قول الله تعالى : (وَبَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ) أى : كادت .

وقال الجرجاني في كتاب الوساعة : والإفراطُ مذهب عام في المحدثين ، وموجود
 اختلاف الناس
 في الإفراط
 كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون : من مستحسن قائل ، ومستقبح رادٍّ ، وله
 رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سَلِمَ ، ومتى تجاوزها
 اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة
 من الإغراق .

وقال الحامى : وجدت العلماء بالشعر يسميون على الشاعر أبيات النلو قول الحامى
 في النلو
 والإغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويسحب بعض منهم
 بها ، وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرى أنها من إبداع
 الشاعر الذى يُوجِبُ الفضيلة له ، فيقولون : أحسنُ الشعر أكذبه ، وأن النلو
 إنما يراد به البالغة والإفراط ، وقالوا : إذا أتى الشاعر من النلو بما يخرج عن

الوجود ويدخل في باب اللعوم فإنما يريد به للثل وبلوغ الناية في الثعت ،
واحتجوا بقول النابغة - وقد سئل : مَنْ أشعر الناس - فقال : من استجيد كذبه
وأضحك رديته ، وقد طعن قوم على هذا للذهب بمنافاته الحقيقة ، وأنه لا يصح
عند التأمل والفكرة ، اهضى كلامه .

من أبيات
الفلو

ومن أبيات الفلو للقدماء قول مهمل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أُنْمِجَ مِنْ عَجْزٍ صَلِيلٍ الْبَيْضِ تُقَرَّعُ بِاللَّكُورِ

وقد قيل : إنه أكذب بيت قالته العرب ، وبين حُضِرٍ - وهي قصبة
اليمامة - وبين مكان الوقة عشرة أيام ، وهذا أشد غلواً من [قول] امرئ
القيس ^(١) في النار ؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكاً .
ومنها قول النابغة في صفة السيوف :

تَقْدُ السَّوْقُ الْمُضَاعَفَ نَسْجِهِ وَيُوقِدْنَ بِالصُّفْحِ نَارَ الْحَبَابِ

وهو دون بيت امرئ القيس ^(٢) في تَنَوُّرِ صاحبة النار إفراطاً ، ودون بيت النابغة
قول البرن تَوَلَّبَ في صفة السيف أيضاً ، وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب ^(٣)
واختار قوم على يتيق النابغة والنمر قول أبي تمام :

ويهنز مثل السيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَتْهُ مُطْلَاهُ مِنَ الْفُئْدِ
ومن الفلو قول جرير :

فَلَوْ وُضِعَتْ قَهَّاحُ بَنِي مُنِيرٍ عَلَى خَبِيثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَدَا

لأنه شيء لا يذوب أبداً ، وقد نسي على أبي نواس قوله :
وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ التُّطْفُ التِّي لَمْ تُخْلَقِ

(١) هو قوله القيس أنشدته من قبل (ص ٥٦ من هذا الجزء) :

تَوَرَّتْهَا مِنْ أَفْرَعَاتٍ وَأَهْلِيهَا يَثْرِبُ ، أَذْنَى دَارِهَا نَظَرُ عَالٍ

(٢) انظر ص ٦١ السابقة .

إذ جعل ما لم يخلق يخافه . . وكذلك قوله :

حتى الذي في الرحم لم يكُ صورةً لفؤادِهِ من خوفِهِ خَفَقَانُ

وزعم بعض المتعقبات أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام ، وتبعه الناس بعده ، من غلو المتبني وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلوًا ، وأبدهم فيه همه ، حتى لو قَدَّرَ ما أُخْلِى منه بيتًا واحدًا ، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مَنَدُّوحة ، كقوله :

يترشَّن من في رشفاتٍ هُنَّ فيه أُخْلِى من التَّوْحِيدِ

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يجعله التوحيد غايةً للتل في الحلاوة بفيه .

وقوله :

لو كان ذو القرنين أعملَ رأيهِ لَمَّا أُنِيَ الظلماتِ صِرْنَ شَمُوسًا

أو كان صادف رأسَ عازِرَ سيفِهِ في يومِ معركةٍ لأعْيَا عيسى

أو كان لجُ البحرِ مثلَ يمينهِ ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى

فما دعاه إلى هذا في الكلام عوضٌ منه بلا تعلق عليه ؟ فكيف إذا قال :

كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ من خِثَرَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنَيْتُ الإسْكَندَرَ السَّدَّ من عِزِّي

فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ، ثم انحط إلى

الإسكندر ، وربما أفسد أبو الطيب إغراقَهُ هكذا وقص منه بما يظنه إصلاحًا له

وزيادة فيه ، نحو قوله يصف شعره :

إِذَا قَلَّتْهُ لَمْ يَمْتَنِعْ من وصولِهِ جِدَارٌ مُتَلَّى أَوْخِيَا لِمَطْنَبِ

فما وجه الخباء المطنب بعد الجدار المنيف ؟ بيتنا هو في الثريا صار في الثرى !

وإنما أراد الحاضرة والبادية ، وكذلك قوله :

تَصَدُّ الرِّيحُ الهَوِجُ عنها غُفَافَةٌ وَيَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ يَلْقَطَ الْحَبَا

فكف بين خوف الرياح الموج وصمودها ، وبين فرع الطور أن تلتقط الحب ؟
ولاسيا وأفرعُ الطور بهاته التي تلتقط الحب لضعفها وعدمها السلاح ، وأقل خيال
أوتثال يحس مزروعات جنة ، وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول
أبي تمام :

قد بثَّ عيْدُ الخوفِ انتقامه على الليلِ حتى ما تدبُّ عقاربُه
فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وما يشاكل قول أبي الطيب في ألفاظه قول نصر الخبز أرزى ^(١) :

ذبتُ من الشوقِ فلزوجي في مقلةِ النَّائمِ لم ينتبه
وكان لي فيما مضى خاتم فالآن لو شئتُ لَمُنَّطقتُ بهُ

فبين الإغراق والإغراق بونٌ بعيد واختلاف شديد .

وإذا لم يجد الشاعر بداً من الإغراق - لحبه ذلك ، ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك
منه في التدرج ، ويبتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يحمل هجيراً كما يفعل أبو الطيب .
وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكآفة أو ما شاكلها ، نحو
كأن ولو ولولا ، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها
في البشاعة ، ألا ترى ما أعجب قول زهير :

لو كان يَمُتُّ فوق الشمس من كرم قومٍ بأحسابهم أو مجدهم قَمَدُوا

فبلغ ما أراد من الإفراط ، وبني كلامه على صحة .

وما استحسنته الرواة ونس عليه العلماء قولُ امرئ القيس يصف سناناً :

حلت رَدْ يَنْفياً كأنَّ شَبَابَهُ سَنَالَهُبٍ لَمْ يَتَّعِلْ بِدُخَانٍ ^(٢)

(١) للجمهور في هذه النسبة « الخبز أرزى » أو « الخبز أرزى » .

(٢) في الديوان « كأن سنانة » وهو المخطوط ، وهو الموافق لقول المؤلف

« يصف سناناً » .

وإذا نظرت إلى قول أبي صخر :

تَكَادِيْدِي تَنْدَى إِذَا هَا لَمْسَتْهَا وَبَنَيْتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقَ النَّضْرُ

وقول أبي الطيب :

عَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَعَابُ أَكْثَمِهِمْ مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما ، على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحاة والمخالفة لطبعه في حب الإفراط وقلة اللبالة فيه ؛ إذ كان ممكنا أن يقول : إن الصخور أوردت ، ولغة القرآن أَفْصَحُ اللغات ، وأنت تسمع قول الله تعالى : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) وقوله : (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) وقوله : (يَكَادُ زَيْتُهَا يَضَى وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهَا نَارٌ)

اشتقاق
القلو

واشتقاق القلو [من] اللبالة ، ومن غلوة السهم ، وهي مَدَى رَمِيته ، يقال : غاليت فلانا مثالة وغلّاه ، إذا اختبرتما أيكما أبعد غلوة سهم ، ومنه قول النهي عليه الصلاة والسلام : « جَرَى الْمَذَكِيَّاتُ ^(١) غِلَاةً » وقد جاء في حديث داحس « غلاء » و « غلاب » بالياء أيضا ، وإذا قلت : غَلَا السهم غَلَاةً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غَلَّتِ الْقَدَرُ غَلِيًّا أَوْ غَلِيًّا نَا ، إنما هو أن يَجِيْشَ مَاؤُهَا وَيَرْتَفِعَ ، والإغراق أيضا أصله في الرمي ، وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند النزج حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس ، وإنما تفعل ذلك لبعد الغرض الذي ترميه ، وهذه التسمية تدل على ما نحوت إليه وأبشرت نحوه .

الإغراق

(٢) للشهور في رواية هذا للثلث : « جرى المذكيات غلاب » كما أشار المؤلف إليه ، وللدكية من الخيل : التي قد آتى عليها بعد قروحها سنة أو ستان ، ولغلاب : اللغالب . ومن رواه كالتلفأولا « غلاء » بالهمز في آخره فإنما هو جمع غلوة ، يعني أن جربها يكون غلوات ، ويكون هاؤها جيدا ، لا كالجدعان .

(٦٥) - باب التشكك

فائدة
التشكك

وهو من مَلَح الشعر وطَرَف الكلام ، وله في النفس حلاوة وحُسْنُ موقع ،
بجَلَّافٍ ما لا غلو والإغراق .

وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ، ولا يميز أحدهما من
الآخر ، وذلك نحو قول زهير :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمَ آلِ حِصْنٍ أُمَ نِسَاءِ
فَإِنْ تَكُنِ النِّسَاءُ مُخْبِتَاتٍ فَحَقَّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هَذَا

قد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم
نساء ، وأقرب إلى التصديق ؛ ول هذه العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت
ذي الرمة :

أَيَا غَلْبَةِ الْوَحْشَاءِ بَيْنَ جَلَابِلٍ وَبَيْنَ النَّفَاآتِ أُمَ أُمِّ سَلَمَ^(١)
وبيت جرير

• فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ^(٢) •

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل^(٣) .

وقال العرجي^(٤) :

بِاللهِ يَا غَلِيَّاتِ النَّجَاحِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أُمَ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ^(٥)

(١) انظر (ص ٥٣ و ٥٤) من هذا الجزء .

(٢) اضطرب العلماء في نسبة هذا البيت ؛ فزعم قوم أنه لمجنون ليلي ، وكانهم
اغتروا بذلك ليلي فيه ، وقد بحث جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسبته العيني
كالزلف إلى العرجي ، ونسبه الماسي لأعرابي ولم يسمه ، ونسبه البخارزي لبدوي
سماه كاهلا التقي ، ونسبه قوم لحسين بن عبد الله (وانظر حواشينا للمتعة على شرح
الأمثوني ج ١ ص ٢١٣) .

وإنما سلك طريق ذي الرمة .

وقال سلم بن عمرو الخامس :

تَبَدَّثْتُ فَقُلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا يَجْلِدُ غَيِّ الْوُجُنِ عَنْ أَثَرِ الْوُزْرِ
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لَصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَا هُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين ؟ وكيف حللته في الصدر وقبوله ؟ فإنه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ .

وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد النخعي فقال بمدح المستعين بالله :

وَقَائِلُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ نَشَرَ الدُّجَى فَفَعَّلِي بِهَا مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرَدٍ
أَرَى بَارِقًا يَبْدُو مِنَ الْجَوِّ سَقَى بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّهْيِ مُحَمَّدٍ
فَقُلْتُ عَذَارَى الْحَيِّ يَنْظِلْنَ نَحْتَهُ ظَنَارِيَةَ الْجَزَعِ الَّذِي لَمْ يُسَرِّدْ
أَضَاءَتْ لَهُ الْأَفَاقُ حَتَّى كَأَنَّمَا رَأَيْنَا يَنْصِفُ اللَّيْلَ نَوْرَ ضُحَى الْأَنْدِ
فَقُلْتُ : هُوَ الْبَدْرُ الَّذِي تَعْرِفِينَهُ وَإِلَّا يَكُنْ فَالنُّورُ مِنْ وَجْهِ أَحَدٍ

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر إلى خراسان يذكر شك

دققائه واستبعادهم الطريق :

يَقُولُ فِي قَوْمٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا الشَّرَى وَخَطَا لِلْهَرَبَةِ الْقُرْدُ :
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَنْبِيْ أَنْ تَوْمٌ بَنَى ؟ قُلْتُ : كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
فقد صرف المعنى فيه عن وجهه ، وخالف فيه قصده ، ونسب إلى إلى
غيره ، وهو بعيد من قول سلم ، وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس ضرورة ،
ولا عليه مؤول . . وقال ابن ميادة :

وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ - لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فِرَاقِهِ
فَوَاهٍ مَا أَدْرَى : أَيْفَلْبَى الْهَوَى إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ ؟ !

ف قوله في البيت الأول « أظن » ملحيح جداً ، وكذلك قوله في البيت الثاني

« ما أدرى أيتلبنى الموى أم أنا غالبه » .

وأخذ هذا للمنى ابن أبى مية وزاده ملاحه قال :

فديتك لم تشيع ولم ترومن هجرى أيتحسن المجران أكثر من شهر

أراني سألوعتك إن دام ما أرى بلاهة ، لكن أظن ولا أدرى

وقد أحسن أبو الطيب في قوله :

أريقك أم ماء القمامة أم خمر ؟ يني برود وهو في كبدي جمر

ولأ أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله :

أذا الفطن أم ذا الذخض أم أنت فتنة وهذا الذي قبلته الترق أم نمر ؟

وقد در أبى نواس إذ يقول :

ألا أرى مثل أمى اليوم في رسم تنعم به عني ويلفقه وهي

أنت صور الأشياء بيني وبينه فظي كلاً ظن وعلي كلاً علم

ويروى « وجهي كلاً جهل » .

وأول من نطق بهذا للمنى امرؤ القيس :

لمن طلل دارس آية أضربه سالف الأحرس^(١)

تسكروه الثقي من جانب ويعرفه شفق الأفس

أول من
نطق بهذا
للمنى

وقال أعرابي في معنى أبيات الوصلح بن محمد :

أقول والنجم قد مالت ميأسره إلى الغروب : تأمل نظرة حار

ألحة من سنا برقي رأى بصرى ووجه نهم بدا لي أم سنا نار

بل وجه نهم بدا والليل مفتكر فلاح من بين حجاب وأستار

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، دارس : عاف ، آية : جمع آية ،

والهاء ضمير الطلل ، وارضاعه على أنه فاعل بدارس ، سالف : ماضى ، الأحرس :

جمع حرس وهو النهر .

٦١ - باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الانكسار ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذلك في القافية فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لحنه : كالنبي تقدم من التميم ، والاتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكرته آنفاً .

أمثله من
الحشو

من ذلك قول عبد الله بن المعتز^(١) يصف خيلاً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِلَنَا . فطارت بها أيدٍ سراعٍ وأرجل^(٢)

وقد مر ذكره في باب^(١) المبالغة ، فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ، وبالغ في المعنى أشد مبالغة من جهته ، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتميم .. وقال الفرزدق :

سَأْتِيكَ مَيِّئًا - إِنْ بَقِيَتْ - قَصَائِدُ يُقَصِّرُ عَنْ تَحْيِيرِهَا كُلُّ قَائِلٍ

فقوله « إِنْ بَقِيَتْ » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أقام به معنى زائداً ، وهو شبيه بالاتفات من جهة ، وبالاحتباس من جهة أخرى ، فما كان هكنا فهو الجيد ، وليس بحشو إلا على المجاز ، أو بعد أن يُنَمَّتْ بالجودة والحسن ، أو بزيادة لئنه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره عما لا فائدة فيه . وقد أتى التقائى بما فيه كفاية حيث يقول :

إِنَّ حَشْوَ الْكَلَامِ مِنْ لُكْنَةِ الرَّحْمَةِ وَبِمَجَازَةٍ مِنَ التَّقْوِيمِ
فَجَلَّ الْحَشْوُ لَكْنَةً ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَحْشَى بِهِ الْكَلَامُ زِيَادَةً فَائِدَةً لَكْنَةً ،

(١) انظر (ص ٥٤) من هذا الجزء .

وإنما أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبي صفوان الأسدي يذكر بازيا :

تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ حَوَاجِرَ مِنْهُ إِذَا مَا أَغْتَسَدَى
قوله « منه » بمد قوله « من خوفه » حشوا فائدة فيه ، ولا معنى له ، وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة :

خَفَا ابْنَةُ الْفَكْرِ الْمَهْذَبِ فِي الدَّجَى وَالْأَيْلُ أَسْوَدُ سَالَكُ الْجَلْبَابِ
قوله « الدجى » حشو ؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة استمارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بأثره فضلة .

وقال أبو الطيب في نحو من ذلك :
إِذَا عَظِلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَغْتَلَّتِ الْأَرْضُ

وَمِنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْمَخْضُ

قوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنسان والجن جميعا ، والبأس والكرم جميعا ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى : (فيهما فاكهة ونخل ورمان) فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) فإن هذا سائح وليس بحشو حيثئذ .

ومن الحشو قول الكلّبة اليربوعي :

إِذَا لَمَرُّهُ لَمْ يَفْشَ الْكَرْبِيَّةُ أَوْ شَكَّتْ حِيَالُ الْهُوَيْنَا بِالْفَتَى أَنْ تَقْطَعَا
قوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى التزاية والأطنوزة^(١) فإنه يحتمل .

وقال زيد الخليل يخاطب كعب بن رهير :

(١) الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي آخره زاي - وهو السخرية ، وباب فله نصر ، والرجل طناز - بالفتح وتشديد النون - قال صاحب المختار : « وأظنه مولدا أو معربا » ١ هـ .

يَقُولُ : أرى زيدا وقد كان معدياً أراه لعمري قد تمولَ واقتنى
 قوله « أراه لعمري » حشو وأستراحة يُستقنى عنها بقوله « أرى زيدا »
 وما يكثر به حشو الكلام « أضى ، وبات ، وظل ، وغدا ، وقد ، ويوماً »
 وأشباهاها ، وكان أبو تمام كثيراً ما يأتي بها ، ويصكره للشاعر استعمال
 « ذا ، وذى ، والثنى ، وهو ، وهذا ، وهذى » وكان أبو الطيب مولعاً بها ، مكثرأ
 منها في شعره ، حتى حله جبه فيها على استعمال الشاذ وركوب الضرورة في قوله :
 لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي نِكَهُوَ عَقَيْتُ بِمَوْلَدٍ نَسَلَهَا حَسَوَاهُ
 وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره « حقاً » إلا أن تقع له موقعها في
 قول الأخطل :

فَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ حَقِّي يُخَالِفُ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّمْرُ
 فإن قوله ههنا « حقاً » زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً .

ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز :
 وَلَوْ قُبِلَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ فِدْيَةٌ لَقُلْنَا عَلَى التَّحْقِيقِ نَحْنُ فِدَاؤُهُ
 قوله « على التحقيق » حشو مليح فيه زيادة فائدة .

ومن الناس من يسمي هذا النوع من الكلام ارتقاداً ، وأنشد بعض العلماء
 قول قيس بن الخطيم :

قَصَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكَيِّفَهَا سَدَفٌ
 والانسكاك عنده والارتقاد هو قول الشاعر « صورها الخالق » لأن اسم
 الله تعالى قد تقدم .

ووجدت الحذاق يميون قول ابن الخدادة - وهي أمه ، واسمه قيس بن مقذ :
 إِنَّ الْفَوَادَ قَدْ أَمْسَى هَائِماً كِلَفًا قَدْ شَمُهُ ذِكْرُ سَلَى الْيَوْمَ فَاتَّكَسَا
 لحشو : « قد » في موضعين من البيت ثم بـ « أمسى » و « اليوم » على تناقضهما .
 وعاب الخاتمي على الأعشى قوله :

فرميت غفلة قلبه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالمها
لأن تعكير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا تصف من الخاتمي
لأن قلبه غير قلبها ؛ فإما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ
« حبة قلبه وطحالمها » وهو غلط ، ومن ههنا عاية فيا أظن ، ومن الناس من روى
« فرميت غفلة عينه عن شاته » وهي رواية مشهورة صحيحة .

وننوا على أبي الميال الهذلي قوله :

ذكرتُ أخى ضاودنى صداعُ الرأسِ والوصبُ
لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ؛
وعلى جميل قوله :

وما ذُكرتُكِ النفسُ يا بُنَى ترّةً من الدهرِ إلا كادتِ النفسُ تتلفُ
فتكرير « النفس » لبس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه ، وسيرد
إن شاء الله في بابيه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل — بالقاء — وزعم قوم أنه بالعين
كأنهم يعملونه اهوجاجاً من قولهم : ناب أعصل ، وجعله آخرون بالعين وضاد
مجمعة ، كأن عندهم من : تعضل الولد ، إذا عسرَ خروجه واعترض في الرحم ،
وظاهر البيت القى أنشد قدامة يدل على أنه التفصيل — بالقاء — وهو قول دريد
ابن الصمة :

من الحشو
التفصيل

وبلغَ نيمواً — إن عرّضتَ — ابنَ عامرٍ وأى آخر في الثابتات وطالب
ويجري هذا الجرى قول أبي الطيب ، بل هو أقبح منه :
سَلَّمْتُ إليه من لساني حَديقَةً سَقَاهَا الحِيا سَقَى الرِياضَ السَّحائِرَ
لأن التفرقة بين النعت والنسوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ،
وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق »
من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها .

٦٢ — باب الاستدعاء

وهو ألا يكون للقافية قائدة إلا كونها قافية فقط ، فتخلو حينئذ من المعنى
 كقول عدى القرشي ، أنشد قدامة:
 وَوَقَّيْتَ الْخُتُوفَ مِنْ وَارِثٍ وَا لِي ، وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبِّ هُوْدِ
 فإنه لم يأت لمود النبي عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية .
 وما أعجب السيد الحميري في قوله :

أقسم بالقبر وبالشعر والوتر ورب لقمان
 في منزلي محكم ناطق بنور آيات وبرهان
 فالنجرُ فجر الصبح والعشرُ عشرُ النحر . والشفعُ نجيان
 محمد وابن أبي طالب والوتر رب العزة الباق
 بآي سموات بناها بلا تقدير إنس ولا جان
 فانظر إلى قوله « رب لقمان » ما أكره قلبه وأشد ركا كته !!! وأما قوله
 « الباق » فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ، وتجاوز فيه القافية في قتل الروح ،
 والله حسبه .

ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة :
 وسابحة الأذيال زَغَفٍ مفاضة تكثفها معنى نِحَادٍ مخطط
 فلا أدري معنى هذا الشاعر في مخطيط النجاد ، وهذا أقل ما في تكلف القوافي
 الشارده إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها .

٦٣ — باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقيح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار
 في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر
 متى يحسن؟
 ومتى يقيح؟

اللفظ والمضى جميعاً فذلك انْخِذْ لَانَ بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب ، إذا كان في تغزل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ، ولا سَلِمَ سلامته في هذا الباب :

دِيَارُ سَلَمَى عَافِيَاتُ بَذَى الْخِلَالِ أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسَحَمَ هَطَالٍ
وَتَحْسِبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ كَعَدْنَا بَوَادِي الْخُرْأَمَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ
وَتَحْسِبُ سَلَمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلَّالًا مِنْ الْوَحْشِ أَوْ يَبِيضًا بَيْمَاءَ مَحَالٍ
لِيَاكِي سَلَمَى إِذْ تُرِيكَ مُنْصَدًّا^(١) وَجِيدًا كَجِيدِ الرَّيْمِ لَيْسَ بِمَعَالٍ
وكقول هيس بن ذريح :

الْأَبَيْتُ لَبَنِي لَمْ تَكُنْ لِي خُلَّةً وَلَمْ تَلْقَ لَبَنِي وَلَمْ أَذِرْ مَا هَيَا
أو على سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر ، إن كان في مدح كقول أبي الأسد :

وَلَأَمَّةٌ لَا مَمْتَكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى قُلْتُ لَهَا : هَلْ يَبْدَحُ الْقَوْمُ فِي الْبَحْرِ؟
أَرَادَتْ لَتَنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْثِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ؟
كَأَنَّ وَفودَ الْفَيْضِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا إِلَى الْفَيْضِ لَاقُوا عِنْدَهُ لِبَلَّةِ الْقَدْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بِلْدَةٍ مَوَاقِعُ مَاءِ اللَّزْبِ فِي الْبِلَدِ الْقَفْرِ
فتكرر يرأس الممدوح ههنا تنويه به ، وإشارة بذكره ، وتنخيم له في القلوب والأسماع . وكذلك قول الخنساء :

وإِنْ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارِ
وإِنْ صَخْرًا لِنَأْتُمُ الْمُدَّةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

(١) في إحدى روايات الديوان « إذ تريك منصبا » وأراد ثمرًا متسقًا مستويا

أو على سبيل التقرير والتوبيخ . كقول بعضهم :
 إلى كم وكم أشياء منكُمُ تَريئُي أُعَمِّعُ عنها لست عنها بذى عى
 فأما قول محمد بن مَنَافِر الصَّيْثِي (١) فى معنى التكرار :
 كم وكم كم كم وكم كم كم وكم قال لى : أُنَجِّزُ حُرَّ مَا وَعَدَ
 فقد زاد على الواجب ، وتجاوز الحد .
 ولما أنشدوا للصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد قول أبى الطيب :
 عَظُمْتَ فلما لم تُكَلِّمْ مَنَابَةَ بواضتَ وهو العظم عظام عن العظم
 قال : ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي :
 تَعَظَّمْتُ عَنِ ذَاكَ التَّعَظُّمُ فِيهِمْ وَأَوْصَاكَ عَظْمُ الْقَدْرَانِ تَتَنَبَّلَا
 ومن المعجز فى هذا النوع قول الله تعالى فى سورة الرحمن : (فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) كلما عدد منة أو ذكر بنمة كرر هذا . وقد كرر أبو كبير
 المثلنى قوله :

فإذا وذلك ليسَ إلا ذِكْرُهُ وإذا مضى شيء كان لم يفعل
 على بعض الروايات فى سبعة مواضع من قصيدته التى أولها :
 أَزْهَرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدَلٍ أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الْأَوَّلِ ؟؟
 كلما وصف فصلا وأتمه كرر هذا البيت .

أو على سبيل التعظيم للمحكى عنه ، أنشد سيبويه :
 لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَفَسَ الْمَوْتُ ذَا النِّفَى وَالْفَقِيرَا
 أو على جهة الوعيد والتهديد إن كان عتاب موجه ، كقول الأعشى ليزيد
 ابن مسهر الشيباني :

أَبَا ثَابِتٍ لَا تَمْلَقَنَّكَ رِمَاحُنَا أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَغِرْ ضُكَّ سَالِمٍ
 وَذَرْنَا وَقَوْمًا إِنْ هُمْ عَمِدُوا لَنَا أَبَا ثَابِتٍ وَأَقْصِدْ فَإِنَّكَ طَاعِمٌ ۱۱

(١) فى عامة أصول هذا الكتاب « البصري » بتقديم الباء ، وإنما هو
 « الصبيري » بتقديم الصاد على الباء نسبة إلى مواليه بن صبر بن يربوع

أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأيينا ، نحو قول متمم بن نويرة :
وقالوا : أنتبكي كلَّ قبر رأيتَهُ لقبر نَوَى بين اللوى فالدكادك ؟؟
فقلت لهم : إن الأسي يَتَمَتُّ الأسي دَعَوْنِي فُهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجيمة وشدة القرحة التي
يجلدها التنفج ، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .

أو على سبيل الاستغاثة وهي باب المدح ، نحو قول العديل بن الفرخ :
بَنِي مُسْتَمِعٍ لَوْلَا إِلَهِهُ وَأَنْتُمْ بَنِي مُسْتَمِعٍ لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ مُنْكَرًا
ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ، كقول
ذى الرمة يهجو للرقي :
تَسَى أَمْرَ الْقَيْسِ بِنَ سَعْدٍ إِذَا اعْتَزَتْ وَتَأْتِي السَّيَالُ الصَّهْبُ وَالْأَنْفُ الْحُمْرُ
وَلِصَكْنًا أَصْلُ أَمْرِ الْقَيْسِ مَشَرُّ يَحِلُّ لَهْمُ لَحْمِ الْخَنَازِيرِ وَالْخَلَرُ
نَصَابُ أَمْرِ الْقَيْسِ السَّيِّدِ وَأَرْضُهُمْ عَمْرُ^(١) الْمَسَاحِي لَا فَلَائِ وَلَا مَعْرُ
تَخْفَى^(٢) إِلَى الْفَقْرِ أَمْرُ الْقَيْسِ ؛ إِنَّهُ سَوَاءَ عَلَى الضَّيْفِ أَمْ عَلَى الْفَقْرِ
تَحِبُّ أَمْرُ الْقَيْسِ الْقِرَى أَنْ تَنَاقَ وَتَأْتِي مَقَارِيهَا إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(٣)
هَلِ النَّاسُ إِلَّا يَا أَمْرَ الْقَيْسِ غَادِرٌ وَوَافِرٌ وَمَا فِيكُمْ وَفَاءٌ وَلَا غَدِرٌ ؟
وكذلك صنع جرير في قصيدته الدِّمَاطَةُ التي هجأ بها راعي الإبل ؛ فإنه كرر
« بنى نمر » في كثير من أبياتها .

ويقع أيضا على سبيل الازدراء والتهكم والتنفيس ، كقول حماد بن عمار لابن
نوح ، وكان يعرب :

(١) في الديوان « هجر للمساحي » .

(٢) في عامة الأصول « تخفى إلى الفقر » بتقديم التثنية على اللوحدة ، وكذا في
قافية البيت ، وهو تصحيف ، وما أبتناه عن الديوان .

(٣) في نسخة « إذا طلع النسر » .

يَا بْنَ نُوحٍ يَا أَخَا السَّجْئِ وَيَا ابْنَ الْقَتْبِ^(١)
وَمَنْ نَشَأَ وَالِدُهُ بَيْنَ الرِّبَا وَالْكُتْبِ
يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ

ومن اللعيب في التكرار قول ابن الزيات :

أَتَعْرِفُ أَمْ تَقِيمُ عَلَى التَّصَابِي ؟ قَدْ كَثُرَتْ مُنَاقَلَةُ الْعَتَابِ
إِذَا ذَكَرَ السَّلُوَّ عَنِ التَّصَابِي نَفَرَتْ مِنْ اسْمِهِ نَفَرُ الصَّعَابِ
وَكَيْفَ يُبْلَغُ مِثْلُكَ فِي التَّصَابِي وَأَنْتَ فِتَى الْمَجَانَةِ وَالشَّبَابِ !!
سَأَعْرِضُ إِنْ عَرَفْتُ عَنِ التَّصَابِي إِذَا مَا لَاحَ شَيْبُ الْفَرَابِ
أَلَمْ تَرَنِ عَدَلْتُ مِنْ التَّصَابِي فَأَعْرِضْنِي لِلْمَلَامَةِ بِالتَّصَابِي !!
فَلَا الدُّنْيَا بِالتَّصَابِي ، عَلَى التَّصَابِي لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِهِ ، قَدْ بَرَدَ بِهِ الشَّرُّ ،
وَلَا سِيَا وَقَدْ جَاءَ بِهِ كُلُّهُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْوِزْنِ ، لَمْ يَعْذُ بِهِ عَرُوضُ الْبَيْتِ ، وَأَبْنُ
هَذَا مِنْ تَكَرُّرِهِ عَلَى جِهَةِ التَّخْفِيفِ فِي قَوْلِهِ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ مِنْ قَصِيدَةٍ :

إِلَى الْأَمِيرِ الْحَسَنِ اسْتَجِدُّنَهَا أَيْ مَزَارَ وَمُتَلَخَ وَمَحَلَّ
أَيْ مَزَارَ وَمُتَلَخَ وَمَحَلَّ خِلَافِيَّ وَمُسْتَعْرِيشِي ذِي أَمَلٍ

وهذا كقول امرئ القيس :

تَقَطَّعُ أَشْجَابُ الْأَبْنَاءِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا
عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلَوِّي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا^(٢)

ومن تكرر للمعاني قول امرئ القيس ، وما رأيت أحداً نبه عليه :

من تكرر
للمعاني

(١) هذه الأبيات من الرجز المجزوء ، وقد حذف من صدر أولها سبب حفيف

(٢) يروى هذا البيت هكذا :

بَسِيرُ يَضِجُ الْعُودُ مِنْهُ يَمْنَةً أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلَوِّي عَلَى تَعَذَّرَا
وحِمَاةَ وَشَيْرَا : مدينتان من مدن الشام ، والعود : اللسان من الإبل ، يمنة : يمينه
أخو الجهد : السائق الجهد أو رادبه نفسه ، لا يُلَوِّي : لا يلتفت أو لا يولي ، تَعَذَّرَا : قدم عذرا.

فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نَجُومُهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شَدَّتْ يَبْذِلُ
كَأَنَّ التُّرْبِيَّاءَ عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأُفْرَاسِ كَتَانٍ إِلَى صُفٍّ جَنْدَلٍ
فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ يَنْفَى عَنِ الثَّانِي ، وَالثَّانِي يَنْفَى عَنِ الْأَوَّلِ ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ ؛
لَأَنَّ النُّجُومَ تَشْتَمِلُ عَلَى الثُّرَيَّا ، كَمَا أَنَّ يَبْذِلَ يَشْتَمِلُ عَلَى صُفٍّ الْجَنْدَلِ ، وَقَوْلُهُ
« شَدَّتْ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ » مِثْلُ قَوْلِهِ « عُلِقَتْ بِأُفْرَاسِ كَتَانٍ »

وَيَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ بِهِ قَوْلُ كَثِيرٍ :

وَإِنِّي وَهَيَّيْ بَرَّةً يَدْمًا تَخَلَّيْتُ رِمًا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
لِكَأَنَّ تَعْيِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كَلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا الْعَقِيلُ اضْمَحَلَّتْ
كَأَنِّي وَإِبَاهَا سَحَابَةٌ مُجْهِلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهْلَتْ
إِلَّا أَنْ كَثِيرًا نَصْرَفَ ، فَجِئِلَ رَجَاءُ الْأَوَّلِ ظِلَّ الْغَمَامَةِ لِيَقِيلَ تَحْتَهَا مِنْ حَرَارَةِ
الشَّمْسِ فَاضْمَحَلَّتْ وَتَرَكْتُهُ ضَاحِيًا ، وَجِئِلَ لِلْمَحَلِّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي يَرْجُو سَحَابَةً
ذَاتَ مَاءٍ فَأَمْطَرَتْ بَعْدَ مَا جَاوَزَتْهُ .

وَمِنْ مَلِيحِ هَذَا الْبَابِ مَا أَشْبَدْنِيهِ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ لَابْنِ
الْمَعْتَزِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

لَسَانِي لِسَرَى كَتُومٌ كَتُومٌ وَدَمْعِي بِحُبِّي نَمُومٌ نَمُومٌ
وَلِي مَالِكٌ شَفَقَى جُبُّهُ بَدِيعُ الْجَدَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ
لَهُ مُقَلَّتَا شَادِنِ أَحْوَرٍ وَلَقَطُ سَحُورِ رَحِيمٍ رَحِيمٍ
فَدَمْعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

بَابُ مِنْهُ

ذَكَرَ ابْنُ الْمَعْتَزِ أَنَّ الْجَاهِظَ سَمَّى هَذَا النَّوعَ لِلذَّهَبِ الْكَلَامِيِّ .

قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ : وَهَذَا بَابُ مَا عَمِلْتُ أَنِّي وَجَدْتُ مِنْهُ فِي الزَّيْتَانِ شَيْئًا ، وَهُوَ
يَنْسَبُ إِلَى التَّكْلِيفِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

قال صاحب الكتاب : غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها ، وأنشد للفرزدق :

لكل امرئ نفسان : نفسٌ كريمةٌ وأخرى بُعاصها التقى وُبطيها
ونفسك من نفسك تشفع للندي إذا قلَّ من أحرارهن شفيها
وأنشد لآخر ، ولا أظنه إلا إبراهيم بن عباس :

وَعَلِمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتَهُ وَعَلَّكُم مَّتَيْرِي عَلَى ظِلْمِكُمْ ظَلَمِي
فَاعْلَمْ مَالِي عِنْدَكُمْ فِيمِيلُ بِي هَوَايَ إِلَى جَمَلٍ وَأَعْرِضْ عَنْ مَلِي

وعاب على أي تمام قوله :

فَالْتَجِدْ لَا يَرْضَى بَأَن تَرْضَى بَأَن يَرْضَى الْمُؤْمِلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرَّضَا
وحكى أن إسحاق اللوملي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب ، فقال : يا هذا ، قد شددت على نفسك .
وأنشد ابن المعتز لنفسه :

أَسْرَفْتُ فِي الْكُتُبَانِ وَذَاكَ مِنْ دِهَانِي
كَتَمْتُ حَبْلَكَ حَتَّى كَسَمْتَهُ كِتَابِي
فَلَمْ يَصْغُرْ لِي بَدٌّ مِنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِي

وهذه للملاحه نفسها ، والفَرْفُ ببيتة .

ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون ، نحو قول إبراهيم بن المهدي يستنذر إلى الأمان من وثوبه على الخلالة :

البرمك وِطَاءَ الْمَذْرِ عِنْدَكَ لِي . فَمَا فَعَلْتُ ، فَلَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلَمْ
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتِجَّ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَمَمٍ
وكذلك قول أبي عبد الرحمن الطوسي :

فَوَحِّقُ الْبَيَانَ يَمُضُّهُ الْبُرْ هَانُ فِي مَا قَطِرَ أَلَدُ انْخِصَامِ
 مَا رَأَيْتُ سِوَى الْحَيَّةِ شَيْئًا جَعَلَ الْحَسَنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ
 هِيَ تَجْرِي بِجَرَى الْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَتَجْرِي الْأُرُوعُ فِي الْأَجْسَامِ
 وَقَدْ قُلْتُ هَذَا الْبَابَ قَلِيلًا مِنْ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْزِ ، إِلَّا مَا لَاحِظُهُ بِهِ
 مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ التَّمْيِيزِ ، وَاضْطُرَّنِي إِلَى ذَلِكَ قَلَّةُ الشَّوَاهِدِ فِيهِ ، إِلَّا مَا نَاسِبٌ قَوْلِ
 أَبِي نُورٍ :

سَخَّنَتْ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودِ حَتَّى صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
 لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صَفَتِي كَذَلِكَ التَّلَجُّ بَارِدٌ حَارٌ
 هَذَا مَذْهَبُ كَلَامِي فَلَسْتُ . . وَقَوْلُهُ أَيْضًا :
 نِيكَ خِلَافٌ خِلَافِ الَّذِي فِيهِ خِلَافٌ خِلَافِ الْجَمِيلِ
 وَأَشْيَاءُ فَلَكَ عَمَّا فِي هَذَا غَنَى عَنْهُ وَدَلَالَةٌ عَلَيْهِ .

(٦٤) — بَابُ تَقْيِ الشَّيْءِ بِإِيجَابِهِ

وهذا الباب من اللبائنة ، وليس بها غتصا ، إلا أنه من محاسن الكلام ،
 فإذا تأملته وجدت باطنه نفيا ، وظاهره إيجابا . . قال امرؤ القيس :
 عَلَى لَا حَيْبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَزَجْرًا^(١)
 فقوله « لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ » لم يرد أن له منارا لا يهتدى به ، ولكن أراد
 أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .
 وكذلك قول زهير :

(١) لاحب : هو الطريق الواضح . مناره : هو العلامة توضع على الطريق للهداية ،
 وفي الحديث : « إِنْ لَدَيْنِ سِوَى وَمَنَارٍ كَمَنَارِ الطَّرِيقِ » سافه : شمه ، والسوف : الشم ،
 والعود : اللسن من الإبل . النباطي : الضخم ، جرجر : رغاوض ، وأخرج جرته .

بأرض سَلَاحَ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَى، وَمَرْوُفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ^(١)
فَأُثْبِتَ لَهَا فِي اللفظ وَصِيدًا، وَإِنَّمَا أَوَادٌ لَيْسَ لَهَا وَصِيدٌ فَيُسَدُّ عَلَى .
وَيَقْتَصِلُ بِهَذَا قَوْلُ الزَّيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ يَذْكُرُ عَمِيلَةَ بْنِ السَّبَاقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ هَارٍ،
وَكَانَ نَذِيمًا لَهُ وَصَاحِبًا :

صَبَّحْتُ بِهِمْ طَلْقًا بِرَأْسِ إِلَى النَّدَى إِذَا مَا أَقْبَسِي لَمْ تَحْتَضِرْهُ سَفَافُهُ
ضَعِيفًا بَجَحْتِ السَّكَّاسِ قَبِيضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفَرُهُ
فَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَحْمِشُ وَجْهَ النَّدِيمِ، إِلَّا أَنْ أَظْفَرَهُ كَلِيلَةً، وَإِنَّمَا أَرَادَ فِي
الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَا يَظْفَرُ وَجْهَ النَّدِيمِ وَلَا يَنْفِلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ «لَمْ تَحْتَضِرْهُ
مَفَاقَرُهُ» أَيْ : لَيْسَ لَهُ مَفَاقِرُ فَتَحْتَضِرْهُ .
وَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْمَذَلِيُّ يَصِفُ حَضْبَةً :

وَعَلَوْتُ مَرْوَةً^(٢) عَلَى مَرْوَةٍ خَصَاءَ لَيْسَ رَقِيبًا فِي مِثْلِ
عِمْلَاءَ مُنْفَقَةٍ يَكُونُ أَيْنِسَهَا وَزَقَّ الْحَمَامُ جَمِيعَهَا لَمْ يُوَكَّلْ
يُرِيدَانَهُ لَيْسَ بِهَا جَمِيعٌ فَيُوَكَّلْ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ «حَصَاءَ»
وَهِيَ الَّتِي لَا بُتَ فِيهَا .

وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ يَصِفُ فَرَسًا :
مَتَلَقَّ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِيهِ كَالْقَرَطِ صَاوٍ غُورُهُ لَا يَرْضَعُ
فَلَمْ يَرِدْ أَنَّ هُنَاكَ بَقِيَّةَ لَبَنٍ لَا يَرْضَعُ، لَكِنْ أَرَادَ أَنَّهَا لَا لَبَنَ لَهَا فَيَرْضَعُ .
وَالشَّاهِدُ عَلَى جَمِيعِ مَا قُلْتُهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ الْقَائِدِ وَجَلَّ :

(١) الوصيد في الأصل : فناء الدار والبيت ، ومنه قوله تعالى : (وَكَلِمَةً بَاسِطَةً
فَرَاغِهِ بِالْوَيْدِ) وَالْوَيْدُ لِقَّةٌ فِيهِ حَكَاهَا الْفَرَاءُ .

(٢) المَرْتَقِبُ : اسمُ السَّكَّانِ مِنَ الْأَرْتَقَابِ، وَهُوَ الصُّعُودُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ أَوْ
حَصْنٍ، وَضَبَطَهُ فِي اللِّسَانِ عَلَى أَنَّهُ اسمُ فَاعِلٍ يَكْسِرُ الْقَافَ، وَهُوَ وَجْهٌ، وَلِلتَّمْلِصِ
لِللَّجَأِ . وَالْجَمِيمُ : التَّبَتُّ الَّذِي طَالَ بَعْضُ الطُّوَلِ وَلَمْ يَتِمَّ .

(لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَقًّا) قالوا : ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحاق : أى هم لا يسألون البتة .

للمعب من
هذا الباب

وللمعب من هذا الباب قول كثير يرى عزة صاحبه :
قَهْلًا وَقَالِكَ لِلْوَتِّ مَنْ أَنْتَ زَيْنُهُ وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ دَلًّا وَأَقْبَحُ ؟
لأنه قد أوهم السامع أن لها دلا سينا ، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح ،
فكيف إن كان القبح راجعا عليها لا على دلهما ، وليس هذا فى شيء من
قوله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) لأن هذا
لا إشكال فيه

(٦٥) — باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ ؛ فإنها
إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر ، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .
وذلك نحو قول الأعشى :
أمثله

أَقْيَسَ بَنٍ مَسْعُودٍ بِنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شِبَابَكَ وَائِلُ
فَاتَى كَلَامِ الْجَارَى اطراداً وقلة كلفة ، وبين النسب حتى أخرجه عن مواضع
اللبس والشبهة . .

ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة :
قَطْنَا بَعِيدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدٍ قَارِبُ
قال كلتمجب : لولا التقافية لبلغ به آدم ، ورواه قوم « أبأت بعبد الله » .
وقال أبو تمام :

عبد المليك بن صالح بن عيسى بن قسيم النبي في نَسَبِهِ
فهذا سهل العنان ، خفيف على اللسان ، وإن كانت الياء في « المليك » ضرورة
وتكلفاً .

وقال الحارث بن دوس الإيادي :

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجِبُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدٍ
فاطرت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى ، وإن قصص عنه اسما واحداً :

بنصر بن منصور بن بسام افرى لنا شَطَفُ الأيامِ عن عيشة رغد
فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم :

من يكن رَامَ حاجةٍ بَدَدَتْ عَنْهُ وَأَعْيَتْ عَلَيْهِ كُلَّ الْعِيَاةِ

فلها أحدُ الرَجِيِّ بنُ يحيى بنِ مَعَاذِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ رَجَاءِ

بجاء كلامه نَسَقاً واحداً ، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله
« الْمَرْجِيُّ » غير أن مجانة رجاء هَوَّتْ خطيئته وغفرت ذنبه .

وقال الطائي :

عمر بن قنوم بن مالك بن عَتَابِ بْنِ سَهْمِ سَهْمِكٍ لَا يَسْهَمُ

فخاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين ، وهم بنو عم مالك بن طروق ،

فاتعظم له ما أراد من الأسماء ، إلا أنه ظاهر التكلف ، وقال فائق بستة :

مناسبٌ محسبٌ من ضوئها مفازلاً للقمر الطالع

كالدلو والحويت وأشرطه والبطن والنجم إلى البالغ

نوح بن عمرو بن حوَيٍّ بن عمرو بن حوَيٍّ بن الفقي مانع

فأحكم التصنيع وقابل ستة بستة ؛ لأن الأشرط منزلة ، وإن جمعا ، إلا أن

« الفقي » هنا غُصَّةٌ مع بَرْدٍ لفظاً وركاًكة ، ما أحسن أباهؤلاء كلهم يقال له الفقي

وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ، ولكن الفتوة .

وجاء أبو الطيب فجاءك بالتمسف في قوله سيف الدولة :

فأنت أبو الميخا ابن حَذَّانِ يا ابنه تشابه مولودٌ كريمٍ ووالدهُ

وحذان حمدونٌ وحمدون حارثٌ وحارث لقمانٌ ولقمان راشدٌ

ففي هذا المعنى من القصير أنه جاء به في معنى وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله :

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الزوائد
وهم سبعة بالمدوح ، والأنياب في التصارف أربعة ، إلا أن تكون الخلافة
تسمح نيل أو كلب بحر ؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ، اللهم إلا أن يريد
أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة ؛ فإنه يصح ، وفيه من الزيادة
على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد ، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى
أن بلغ راشداً ، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه ، وإنما مقت سره هذا
تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء .

٦٦ - باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء من ليس له تقوى في العلم ولا حذق
بالصناعة ، كجماعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة ، وينسب إليها مكذوباً عليه فيها ،
كاذباً فيها ادعاء منها ، ولتعرفهم في لحن القول .

حد التضمين فأمّا التضمين فهو قصْدُك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر

شعر كافي وسطه كالتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاحم الكاتب :

يا خاضبَ الشيبِ والأيامُ تظهره هذا شبابٌ لعمري الله مصنوع
أذْ كَرْتَنِي قَوْلُ ذِي كُبَرٍ وَتَجْرِيقِ في مثله لك تأديبٌ وتقرير
إن الجديدُ إذا ما زيد في خَلْقِ تبين الناسُ أن التَّوْبَ مرقوعٌ

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة ؛
لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير
مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهاً ، ولو أسقط الست الأوسط

لكان تضميناً عجيباً لأن ذكر التوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في
لغتي ، وهذا عند الخذاق أفضل التضمين ، فإما احتذى كشاجم قول ابن المعتز
في أبيات له :

ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما وفيت لكم ، ربي بذلك عالم
وها أنا ذا مستغيب متوصل كما قال عباس وأغنى راغم :
تحمل عظيم الذنب من تحبه وإن كنت مظلوماً قتل : أنا ظالم
وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت للضمن هي قوله :

وصب أصاب الحب سواد قلبه فأثمله ، والحب داء ملازم
قتل له إذ مات وجداً بحبه مقالة يصنع جانبها المأتم :
تحمل عظيم الذنب من تحبه وإن كنت مظلوماً قتل : أنا ظالم
فإنك إن لم تحمل الذنب في الهوى بفارقك من تهوى وأثلك راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز .

فهذا النوع من التضمين جيد ، وهو الذي أردنا من قبل ؛ وأجود منه أن
يصرف الشاعر للضمن وجه البيت للضمن عن معنى قائله إلى معناه ، نحو قول
بعض المحدثين ، ونسبه قوم إلى ابن الرومي :

يا سائل عن خاله ، عهدي به رطب العجان وكفه كالجلد
كالأصحوان غداة غب سمائه جفت أعالیه وأسفله ندي

هكذا أعرفه ، وروى « عن جعفر » فصرف الشاعر قول النابغة في صفة

النثر ^(١) :

(١) القادمة : ريشة في مقدم الجناح ، وهي أربع قوائم ، أسف لثاته بالإمجد :
أي : ذرت بالإمجد ، وكانوا خرزون اللثة بالإبرة ثم ينرون عليها الإمجد ، والأصحوان :
نبت له نوار أصفر وحواليه ورقي أبيض ، شبه الأسنان بياض ورقة .

تجول بقادمتي حماة أيكمة * برداً أسف لثاته بالإند
كألاقمحوان غداة غب سمانه * جفت أعاليه وأسفله ندى
إلى معناه الذي أراد .

ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومي بلا محالة :

وسائلة عني الحسن بن وهب * وما فيه من كرم وخير
قلت : هو للهنأ غير أني * أراه كثير إرخاء السور
وأكثر ما يُغنيهِ فناء * حُسْنُ حين يخلو بالسرير
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تفرع بالذكور
فالبيت الأخير لاهل ، فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيباً ، وإن كانت
اللفظتان في المعنى غير اللفظتين .

ومن الشعراء من يضمن قسماً نحو قول بعضهم ، أظنه الصولي :
خَلَيْتُ عَلَى باب الأمير كَأَنِّي * قفائك من ذكرى حبيب ومنزل
إذا جئتُ أشكو طولَ ضيقٍ وفاقة * يقولون : لا تَهْلِكُ أَسَى ومحمل
ففاضت دموعُ العين من سوء رَدِّهم * على النحر حتى بَلَّ دمي محمل
لقد طال ترددي وقصدي إليكم * فهل عند رُسْمِ دارسٍ من مُؤَوِّل
ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن
عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك :

لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ * يضم حشاك من شتى ودخلي
كقولٍ للرء عمرو في القوافي * لقيس حين خالف كل عدل
عذرك من خليك من مُرَاد * أريد حياته ويريد قسلي
والبيت المضمن لعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، يقوله لابن أخته قيس
ابن زهير بن هيرة بن مكشوح المرادي ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ،
وحقيقته في شعر عمرو :

أريد حياته ويريد قصلى عذرك من خليك من مراد
 وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن مُلجَم تمثل بهذا البيت.
 ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول على بن الجهم
 يَمْرُؤُ بِفَضْلِ الشَّاعِرَةِ جَارِيَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَبَنَاتِ الْمُتَنَّى وَكَأَنَّا يَتَمَاشِقَانِ فَإِذَا
 غَفَى بَنَانُ :

اسمى أو خبرينا يا ديار الظاعنين
 غفت هي كالحجوبة له عما يقول :
 أَلَا حَيْثُ هُنَا يَمْدِينَا وَهَلْ بَأْسٌ يَقُولُ مَسْلِينَا
 فقال على منهما عليهما في ذلك :

كلما غَفَى بَنَانٌ اسْمِي أَوْ خَبَرِينَا
 أَنْشَدْتُ فَضْلَ أَلَا حَيْثُ هُنَا يَمْدِينَا
 عَارِضَتْ مَعْقَى بِمَعْقَى وَالْبِدَايُ غَافِلُونَا
 أَحْسَنْتَ إِذْ لَمْ تَجَاوِزْهُمْ دِيارُ الظَّاعِنِينَا
 لَوْ أَجَابَتْهُمْ لَهَيْرُنَا آيَةً لِّلسَّائِلِينَا
 وَاسْتَمَادَ الصَّوْتُ مَوْلَا هَا وَحِثَّ الشَّارِينَا
 قُلْتُ لِلْمَوْلَى وَقَدْ دَا رَتْ حَيَّا الْكَاسَ فِينَا :
 رُبَّ صَوْتٍ حَسَنٍ يُنْزِلُ فِي الرَّأْسِ قُرُونَا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمين للأخطل :
 وَقَدْ سَمَا لِلْخَرْمِيِّ فَلَمْ يَقُلْ يَوْمَ الْوَعَى لَكِنْ تَضَائِقُ مُقَدِّمِي
 إشارة إلى قول عنزة العبسي :
 إِذْ يَقْتَوْنَ بِي الْأَسْنَةَ لَمْ أَحِمْ عَنْهَا لَكِنِّي تَضَائِقُ مُقَدِّمِي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو ، وأنشد لآخر :

عَوَّدَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ مَنَى يَبَاسِينَ
فَبِتُّ وَالْأَرْضُ غِرَاشِي وَقَدْ غَفَّتْ «فَنَانِكَ» مَصَارِيْفِي

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ، ويشير به إشارة ، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيه به ، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز * كنا قال عباس وأننى راغم * إنه لم يرد الأبيات للقدم ذكرها ، وإنما أراد قوله للرشيد حين هجرته ماردة :

لَا بَدَ لِلْمَاشِقِ مِنْ وَفَقَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالْمَصْرَمِ
حَقٌّ إِذَا الْمَجْرُ تَمَادَى بِهِ رَاجِعٌ مِنْ يَهُوى عَلَى رَغَمِ
فَهَذَا النُّوعُ أَبْعَدُ التَّضْمِينَاتِ كُلِّهَا ، وَأَقْلَبُهَا وَجُودًا ، وَذَلِكَ بِحَقِّ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
لَمَعَرَوْ مَعَ الرِّمْنَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَفِي أَرْقُ وَأَحْيَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ
أَرَادَ الْيَتَّ لِلضَّرْبِ بِهِ التَّلُّ :
الْمُسْتَجِيرُ بِمَرَوْ عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرِّمْنَاءِ بِالنَّارِ
وَقَدْ صَنَعْتُ أَنَا فِي مَعْنَى الْمَجَاءِ :

عِرْسُهُ مِنْ غَيْرِ ضَيْرٍ عَرَسُ زَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ
أَبْدَأُ تَرْزِي فَإِنْ حَاضَتْ تَقْدُ حَبًّا لِأَيْرٍ
وَلَهَا رَجُلَانِ مِنْ نَا قَةً كَتَبَ بَنُ زَهِيرٍ
هَكَذَا تَبْنَى لِلْمَالِ لَيْسَ إِلَّا كُلُّ خَيْرٍ

* زَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي زَوْجَتِهِ :

تَقُودُ إِذَا حَاضَتْ ، وَإِنْ طَهَّرْتَ زَنْتَ قَعِي أَبْدَأُ يَرْزِي بِهَا وَتَقُودُ
و * كَتَبَ بَنُ زَهِيرٍ يَقُولُ فِي وَصْفِ نَاقَتِهِ :

تَهْوَى عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ وَفَمُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ
فَكَانَتْ هَذِهِ لِلرَّأَةِ فِي حَالِهَا لَا تَقَعُ رِجْلَاهَا بِالْأَرْضِ : إِمَّا لِكَثْرَةِ مَبَاضَةِ
أَوْ شِدَّةِ مَشْيِ فِي فَسَادٍ .

ومن أنواع التضمن تمليق القافية بأول البيت الذي بعدها ، وقد
تقدم ذكره .

وأما الإجازة فإنها بناء الشاعر بيتاً أو قسماً يزيد على ما قبله ، وربما أجاز
بيتاً أو قسماً بأبيات كثيرة ، فأما ما أحيز فيه قسم بقسم فقول بعضهم لأبي
الغضائري : أجز :

* رَدَّ لِلَّاءِ وَطَابَا *

فقال :

* حَبَّذَا الْمَاءَ شَرَابَا *

وأما ما أحيز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلته
فقال :

مَتَارِيكَ أَذْنَابِ الْأُمُورِ إِذَا اعْتَرَتْ أَخَذْنَا الْفُرُوعَ وَاجْتَنَبْنَا أَصُولَهَا
وَأَحْبَلْ ، فَقَالَتْ ابْنَتُهُ : يَا أَبَتِ ، أَلَا أُحْيِزُ عَنْكَ ، قَالَ : أَوْعِنُكَ ذَلِكَ ؟
قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَافْعَلِي ، قَالَتْ :

مَقَاوِيلَ الْمَعْرُوفِ خُرُسٌ عَنْ انْخِلَا كِرَامٌ يَمَاطُونَ الْعَشِيرَةَ سُولَهَا
قَالَ : غَمَى الشَّيْخُ عِنْدَ ذَلِكَ ، قَالَ :

وَقَافِيَةٌ مِثْلُ السَّنَانِ رَدَقَهَا تَنَاوَلْتُ مِنْ جَوْ السَّاءِ نَزُوكَهَا
فَقَالَتْ ابْنَتُهُ :

بَرَاهِمًا الَّذِي لَا يَنْطَلِقُ الشَّرُّ عَنْهُ وَيَمْجِزُ عَنْ أُمْتَالِهَا أَنْ يَقُولَهَا
وَذَكَرَ أَنَّ الْمُبَاسَّ بْنَ الْأَحْنَفِ دَخَلَ عَلَى الدَّقْنَاءِ فَقَالَ : أُجِيرُنِي عَنْ
هَذَا الْبَيْتِ :

أَهْدَى لَهُ أَحْبَابُهُ أَرْجَةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَاةِ زَاغِرٍ
فَقَالَتْ غَيْرُ مَفْكُورَةٍ :

خافَ التَّوَكُّنَ إِذْ أَتَتْهُ لَأَنَّهُ لَوْنَانِ بِأُطْنِهَا خَلَّافُ الظَّاهِرِ
 غَلَّفَ لَهَا بِكُلِّ الْأَيْمَانِ ، وَكَانَتْ تَمْرُهُ ، لَنْ ظَهَرَ الْبَيْتَ إِنْ دَخَلْتَ مَنْزِلَكُمْ
 أَبْدَأُ ، وَأَضَافَهُ إِلَى بَيْتِهِ .

وَأَمَّا مَا أُجِيزَ فِيهِ قِسْمُ بَيْتِ بَيْتٍ وَنَصْفُ قَوْلِ الرَّشِيدِ لِلشَّعْرَاءِ : أُجِيزُوا :
 * الْمَلِكُ اللَّهُ وَحْدَهُ *

[ف] قال الجاز :

* وَالْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ *

وَالْمُحِبُّ إِذَا مَا حَبِيبُهُ بَاتَ عِنْدَهُ
 وَاسْتَجَازَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الطَّيِّبِ قَوْلَ عِيَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :
 أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَقْلِي فِي سَنَائِهِ أَوْفَرُ ؟
 فَصَنَعَ الْقَصِيدَةَ الْمَشْهُورَةَ :

هَوَاكَ هَوَايَ الْقَدَى أَضْمُرُ وَسِرِّكَ سِرِّي فَأُظْهِرُ
 إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فِيهَا عَنِ الْقَصْدِ .

وَالْإِجَازَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْإِجَازَةِ فِي السَّقْيِ ، يُقَالُ : أَجَازَ
 فَلَانٌ فَلَانًا ، إِذَا سَقَى لَهُ أَوْ سَقَاهُ ، الشُّكُّ مَعْنَى ، وَأَمَّا الْتَفْطُلَةُ فَصَحِيحَةٌ فَصِيحَةٌ .
 وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : يُقَالُ لِلَّذِي يَرِدُ عَلَى أَهْلِ الْمَاءِ فَيَسْتَمْتِعُ : مُسْتَجِيزٌ ،
 قَالَ الْقَطَامِيُّ :

وَقَالُوا قَفِيمٌ قَفِيمٌ الْمَاءِ فَاسْتَجَزَ عِبَادَةً ؛ إِنْ لِلْمُسْتَجِيزِ عَلَى قَفَرٍ (١)

اشتقاق
الإجازة

(١) قَالَ شَارِحُ دِيَوَانِهِ : اسْتَجَزَ : اطْلُبْ أَنْ تَسْقَى إِبْلَكَ ، يُقَالُ : أَجَزْنَا ، أَيِ
 اسْتَقْنَا ، وَنَجِيزُكَ : نَسَقِيكَ . وَالْجَوَازُ : الْقَدَى تَشْرَبُهُ مِنْ مَاءِ قَوْمٍ ثُمَّ تَعْرِ . وَهِيَ قَفَرٌ :
 أَيِ عَلَى خَوْفٍ ، وَيُقَالُ : عَلَى خَطَرٍ وَحَذَرٍ مِنَ الْإِلَاقَةِ .

ويموز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وصغيت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها ، قال أبو نؤاس :

وَقُلْتُ لِسَاقِنَا أَجِزْنَا فَلَمْ أَكُنْ لِيَأْبَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا
فَجَوَزَهَا عَنِّي عَفَارًا تَرَى لَهَا إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعًا مُعَلَبَا

وقد تقدم ذكر الإجازة التي فيها عيوب القوافي ، وذكرت اشتقاقها .

التعليق

ومن هذا الباب نوع يسمى التلميط ، وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما يقطع قبل صاحبه ، وفي الحكاية أن اسرا القيس^(١) قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعرا كما تقول فلط أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، قال اسرو القيس :

• أَحَارَ تَرَى بَرِّقًا هَبَّ وَهَنًا •

فقال التوأم : • كَثَارَ بِجُوسَ تَسْعَرُ اسْتَعَارَا •

فقال اسرو القيس : • أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَوْ شَرِيعَ •

فقال التوأم : • إِذَا مَا قُلْتَ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا •

ولا يزالان هكذا ، يصنع هذا قسيما وهذا قسيما إلى آخر الأبيات .

وقد تقدم^(١) إنشادها في باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة ، كما يحكي أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليلي ومسلم بن الوليد الصريح خرجوا في حفلة لهم ومعهم يحيى بن الملط ، فقام يصلي بهم ، فغنى الحمد وقرأ (قل هو الله أحد) فأرتج عليه في نصفها ، فقال أبو نواس : أجيروا :

أَكْثَرَ يَحْيَى غَلَطًا فِي قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

(١) انظر الجزء الأول (ص ٢٠٢) .

قال عباس :

قام طويلا ساهيا حتى إذا أعيأ مسجد

قال مسلم بن الوليد :

بَرَّحَرُ في محرابه زَجِيرَ حَبْلٍ يَوْلَدُ

قال الخليل :

كَأَنَّما لِسَانُهُ شَدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

وأشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستطراف

بها ، وقال : هذا الذي يعجز الناس عنه ، قلت : فما بال عباس وأبي نواس لم يقولوا بعد البيت الأول :

وَنَسَى الْحَدَّ فَمَا مَرَّتْ لَهُ عَلَى خَلَدٍ

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة ، وكذلك جَرَّتِ الحكاية ، فقال : ولئن

البيت ؟ قلت : لابن وقته .

واشتقاق التمليط من أحد شيئين : أولهما أن يكون من اللَّاعِلَيْنِ ، وهما جانبنا

السنام في مرد الكتفين ، قال جرير :

ظَلَنْ حَوَالِي خَدْرِ أَسْمَاءَ ، وَاتَّحَى بِأَسْمَاءَ مَوَارِ اللَّاعِلَيْنِ أَرْوَحُ

فكان كل قسمٍ مِلَاطٍ ، أي : جانبٌ من البيت ، وهما عند ابن السكيت

المضدان . والآخر - وهو الأجود - أن يكون اشتقاقه من اللطاط وهو الطين

يدخل في البناء يملط به الحائط مَلْطًا ، أي : يدخل بين اللين حتى يصير شيئًا

واحدًا . وأما اللَّطِطُ - وهو الذي لا يبالي ما صنع - والأملط الذي لا شمرَ عليه

في جسده ؛ فليس لاشتقاقه منهما وجه .

اشتقاق
التمليط

(٦٧) - باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ؛ فيأتى كل واحد بمعنى ، حد الاتساع
وسيله
من ذلك قول امرئ القيس :
أمثله

مِكْرَةً مِغْرَةً مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطْلُ السَّيْلِ مِنْ عِلٍّ
فإنما أراد أنه يصلح للسكر والقر ، ويمدح مقبلاً ومدبراً ، ثم قال « معاً »
أى : جميع ذلك فيه ، وشبهه فى سرعته وشدة جريه بجلود صخر حطه السيل
من أعلى الجبل ؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته
قوة السيل من ورائه ؟

وذهب قوم - منهم عبد الكريم - إلى أن معنى قوله * كجلود صخر
حطه السيل من عِلٍّ * إنما هو الصلابة ؛ لأن الصخر عندما كلاً كان أظهر
للسنن والريح كان أصلب .

وقال بعض مَنْ فسره من المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلاً
ومدبراً فى حال واحدة عند السكر والقر لشدة سرعته ، واعترض على نفسه ، واحتج
بما يوجد عياناً ؛ فثله بالجلود المتحدر من قُنَّةِ الجبل ، فإنك ترى ظهره فى النصبه
على الحال التى ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك ، ولعل هذا ما مر قط ببال
امرئ القيس ، ولا خَطَرُ فى وَهْمِهِ ، ولا وقع فى خَلَدِهِ ، ولا رُوعِهِ .
ومثله قول أبى نواس :

* أَلَا فَاسْتَقْبِى خَيْرًا وَقُلِّ لِي هِىَ الْخَيْرُ *

فزعم مَنْ فسره أنه إنما قال « وقُلِّ لِي هِىَ الْخَيْرُ » ليلتذ السمعُ بذكرها كما
للتذت العينُ برؤيتها ، والأنفُ بشمها ، واليدُ بلمسها ، والقدمُ بذوقها ،
وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا للذهب ، ولا سلك هذا للشب ، ولا أراه

أراد إلا الخلّعة والمبثّ القذى بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك أنه قال في تمام البيت :

• وَلَا تَسْقِي مِيرًا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ •

ويروى « قد أمكن الجهر » فذهب إلى المجاهرة ، وقلة للبلادة بالناس ، والمداراة لهم في شرب الخمر بينهما التي لا اختلاف بين المسلمين فيها .

وقد ثبت أن اللأمون ذم أخاه الأمين على المنابر ، وذكر في مدامه أنه صاحب شاعر من أمره ومن قصته أنه يجاهر بالمعاصي ، ويقول في قصيدة أولها كذا وأنشد البيت :

فَيَنْتَ يَا نَا اللَّهُ شَرَّ عَصَابَةٍ نَجْرٌ^(١) بِأَذْيَالِ الْفُسُوقِ وَلَا فُخْرُ

ومثل ذلك قول للفضل الضبي بين يدي الرشيد والكسائي حاضرا في معنى قول الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالُحُ

وقد سأل الأمين واللأمون : ما معناه ؟ قلّا : معناه في قوله « قمرها » تغليب المستعمل عندهم ؛ لأن القمر أكثر استعمالا عند العرب من الشمس ، وكذلك قولهم « العمران » لما كان عمر أطول أياما وأكثر تأثيرا ، قال الرشيد : هكذا أخبرنا هذا الشيخ ، وأشار إلى الكسائي ، فقال الفضل : بل مراده بالقرين جدّك إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما ، وبالنجوم الطوالح أنت وآبائك الطيبون ، فأعجب الرشيد بذلك ووَصَلَهُ ، والفرزدق ما قصد إلى شيء من ذلك [و] لا أراداه ، ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين ، وإنما أراد أن كل مشهور فاضل فهو لنا عليكم ، ومنا لا منكم ، فنحن أشرف

(١) يروى * نَجْرُ أَفْيَالٍ . . .

بيتا ، وأظهر فضلا ، وأبعد صوتاً ، إلا أن التى جاء بها للفضل مُلْحَصَةٌ
أغادت مالا .

و يتعلق بهذا قول أبى الطيب يذكر الروم :

وَقَدْ رَدَّتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ^(١) ونحن أناسٌ نُتْبِعُ البارد الشُّخْناً^(٢)

أراد أنا نُتْبِعُ البارد من الدماء سخناً ، كأنه يتوعدم بقتل آخر ، فيكون قد
أخذ من قول سُوَيْدِ بْنِ كِرَاعٍ - وهى أمه - يصف كلاباً وثوراً :

فَهَرَّ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَلِلْمَوْتِ دُونُهُ عَلَى رَوْقِهِ مِنْهُ مُذَابٌ وَجَائِدٌ^(٣)

وقال الأصمى : يعنى بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد ، ويموز أن يكون
أبو الطيب أراد: ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخناً ، وكذلك أيضاً عادتنا في
الدماء ؛ فيكون قد فرغ .

وزعم قوم في قوله يشفع لبنى كلاب إلى سيف الدولة :

وَتَمَلَّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طَرَأَ فَكَيْفَ تَحْمُوزُ أَنْفُسِهَا كَلَابَ

أنه لم يرد القبيلة ، وإنما أراد أن يحلهم كلاباً على باب التحقير تقدروا ،
والتلطف لهم ، كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سُرَّاقاً ، ولا أظن ذلك ، بل
لا أحققه ؛ لأن في القصيدة :

وَلَوْ غَيَّرَ الْأَمِيرُ غَزَا كَلَابًا فَنَاءَهُ عَنْ شُومِهِمْ ضَبَابٌ

(١) اللقان : موضع يبلد الروم . يريد أن دماء الروم التى أسالها سيف الدولة
باللقان قد بردت ، وأراد بهذا الكناية عن تقادم عهدهم بزموم ، ثم ذكر أن عادته
إتباع البارد من الدماء بالساختن

(٢) روقه : قرنه .

ولاقى دونَ ثأبهم طمأنا يُلاقى عندَهَا الدُّنْبُ الثُّرَابُ^(١)
إلا أن يحلوا على الشاعر التناقض ، وينسبوه إلى قلة التحصيل ؛ فذلك إليهم ،
على أن هذه القصيدة قليلة النظر في شعره : تناسبا ، وطبعيا ، وصنعة ، ومثلها
الرائية في وزنها وذكر القصة بينها .

(٦٨) — باب الاشتراك

أنواع الاشتراك وهو أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى ؛ فالذى يكون
في اللفظ ثلاثة أشياء : فأحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد أو خوذتين
من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود ، وهو التجنيس ، وقد تقدم القول فيه ،
والنوع الثانى : أن يكون اللفظ يحتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت
فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد ، كقول الفرزدق :
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَسُكَ أَبُو أُمٍّ حَىْ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فقوله « حى » يحتمل القبيلة ، ويحتمل الواحد الحى ، وهذا الاشتراك
مذموم قبيح ، والمليح [الذى] يحفظ لكثير فى قوله يشبب :
لعمرى لقد حَبَبْتَ كُلَّ قَصْبَةٍ إِلَى ، وَمَا تَذَرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرَ

(١) الثأى : جمع ثأية ، كراى ورأية ، وهى حجارة تحمل حول البيوت بأوى
إليها الراعى ليلا وفيها مبارك الإبل ومهابض النعم . يقول : لو غزا كلابا غير الأمير
لثناه صباب عن شمسهم ، وكأنه يريد وصفهم بالقوة وشدة الدود عن حياضهم ،
ولوجد دون وصوله إلى بيوتهم حربا عوانا يتفانى فيها جيشه حتى يجتمع على جثث
صرعاه الوحوش وهى للراد بالذئاب والطيور وهى المعبر عنها بالثراب ؛ فأما الوحوش
فتأكل عظامهم وأما الطيور فتأكل لحومهم كما قاله عنترة :

لى النفوس ، وللطير الاحوم ، وللوحش العظام ، وللخيالة السلب

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْجِبَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَا؛ نَسَرَ النِّسَاءُ الْجَبَابِرُ
فَأَنْتَ تَرَى فُطْنَتَهُ لَمَّا أَحَسَّ بِاشْتِرَاكِ كَيْفَ نَفَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ مَعْنَاهُ الَّذِي
نَحْنَا إِلَيْهِ .

ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان :

عَمَرْتُهُ بِفَتِيَّةٍ صَبَاحٍ سُمُوحٍ ، بِأَعْرَاضِهِمْ شِحَاحٍ
فنحن نعلم أنه أراد سُمُوحٍ شِحَاحٍ بأعراضهم ، ولكن فيه من اللبس ما هو
أولى من التأويل .

والنوع الثالث ليس من هذا في شيء ، وهو سائر الألفاظ المبثثة للكلم
بها ، لا يسمى تناولها سرقة ، ولا تداولها اتباعاً ؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس
أولى بها من الآخر ، فهي مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها استعارة ، أو
تصحبها قرينة تُحَدِّثُ فيها معنى ، أو تفيد فائدة ، فهناك يتميز الناس ، ويسقط
اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر ، ولو غيرت اللفظة وأُتِيَ بما يقوم مقامها كقول
ابن أحر :

بِمَقْلَسٍ دَرَكِ الطَّرِيْدَةَ ، مَتْنُهُ كَصَفَا أَخْلِيْقَةٍ بِالْفَصَاءِ لِلْمَلِيْدِ^(١)
قوله « دَرَكِ الطَّرِيْدَةَ » وقول الأسود بن يَفْقَرُ :

بِمَقْلَسٍ عَتِدِ جَبْهِي شَدُّهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادِ^(٢)

(١) قال في اللسان : « وصخرة حلقاء بينه الحلق : ليس فيها وسم ولا كسر
وأنشد البيت » ٥١ .

(٢) فرس عتد - بكسر التاء الشاة أو فتحها - شديد تام الحلق سريع الوثبة
معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

جميعاً كقول امرئ القيس :

* بمجرد قيد الأوبد هينكل *

وكذلك قول أبي الطيب :

* أجل الظلم وربة المرحان *

فأما ما ناسب قول الأبيورد البربوعي يرى أخاه :

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعِي الإِلَهَ إِذَا اشْتَكَيْ مِنْ الأَجْرِ لِي فِيهِ ، وَإِنْ عَظُمَ الأَجْرُ

وقول أبي نواس في صفة الخمر :

تَرَى الثَّمِينَ تَسْتَعْفِيكَ مِنْ لَمَانِهَا وَتَحْسِرُ حَتَّى مَا تُقِلُّ جُمُوعَهَا

فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة .

وقد نص عليه القاضي الجرجاني أنه من المقول المتداول المبتذل .

والاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف
المعاني وأنواعه
المبارة عنهما ، فيقاعدا اللفظان ، وذلك هو الجيد المستحسن ، نحو قول
امرئ القيس :

كَيْبَكِرَ لِلْعَانَةِ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءَ غَيْرَ مَحَلٍّ^(١)

وقول غيلان ذي الرمة :

تَجَلَّاهُ فِي بَرَجٍ صَفْرَاهُ فِي نَصَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ^(٢)

فوصفاً^(٣) جميعاً لونا بعينه : فشبه الأول بلون بيضة النعام ، وشبهه الثاني بلون

(١) البكر : أول بيض النعامة ، وللعانة : المخالطة ، يقال : ما يخالطني خلق فلان ، أي : ما يشاكل خلقي ويخالط نفسي ، والبياض : مفعول للعانة ، ونائب الفاعل وهو للقول الأول ضمير مستتر ، والخمر من الماء : الذي ينجم في الشاربة وإن لم يكن عذبا ، وغير محلل : لم يحلل عليه فيكدر .

(٢) رواية الديوان « كحلاه في دمع » وقد سبقت للمؤلف « كحلاه في برج » وذلك في (ص ٢٩) من هذا الجزء .

(٣) في المطبوعتين « فوصفها » وليس بشيء .

الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال «قد مسها»

ونحو قول عبدة بن الطيب يصف ثوراً وحشياً :

مُجْتَابُ يَنْصَحُ جَدِيدٍ فَوْقَ نُفَيْتِهِ وَفِي الْقَوَائِمِ مِنْ خَالِ سَرَائِلِ^(١)

وقال الطرمّاح يصف ظلياً :

مُجْتَابُ شَمْلَةٍ بَرْجُودٍ لِسَرَاتِهِ قَدَرًا فَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجُودِ^(٢)

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصماً جديداً ، وهو الثوب الأبيض ، وشبه ما في قوائمه من السواد والتخطيط بسراريل من الخلال ، وهو ضرب من الوشي .

وقال الناني : إنه مجتاب شملة برجد ، يريد ماعلى الظلم من قرونه ، والبرجد : كساء أسود مُحْتَمَل ، وجعل الشملة قدراً لسراته دون رجله وعقته ؛ فدل على بياضهن

وقال عنتره :

صَتْلِي يَمُودُ بِذِي الشَّيْخَةِ بَيْضَهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرْوِ الْعَوِيلِ الْأَصْلَمِ^(٣)

(١) نصح - بكسر فسكون - ضرب من الثياب شديد البياض ، وعم بعضهم به كل جلد أبيض أو ثوب أبيض ، قاله في اللسان .

(٢) انظر (ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٨) من هذا الكتاب ، وقول المؤلف « وجعل الشملة قدراً لسراته » يدل على أنه بالراء للهجة من القدار ، وقد فسرناه هناك على أنه قد بدالين ، وهذا الذي ذكرناه هناك رواية الأغاني ، وهي أولى .

(٣) الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق ، يمود : يأتى إلى بيضه ، كما تقول : عدت المريض . وذو الشيرة : موضع ، والأسلم : للقطوع الأذنين ، والظلمان كلها لا أذان لها ، قاله الخطيب ؛ وانظره مع كلام المؤلف .

فشيبه بجد طويل عليه فرو أصل ، أي : قصير الذيل ، وإنما خص القرو
لأنهم كانوا يلبسونه مقلوباً ، وجعله عبداً لياض ساقيه وعنفه وإشراهما الحرة
يعنى صفات الروم ، ولم تكن العبيد في ذلك الوقت إلا ييضاً ؛ فهذا اشتراك في
وصف الظهر والتواءم واختلاف في اللفظ والمبارة .

والنوع الثاني على ضربين : أحدهما : ما يوجد في الطباع من تشبيه الجاهل
بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد وما شابهه ، والسخى
بالنيث والبحر ، والعزيمة بالسيف والسيل ، ونحو ذلك ؛ لأن الناس
كلهم - التصحيح والأعجم والناطق والأبكم - فيه سواء ؛ لأننا نجد مراكبا في
الخلقة أولاً .

والآخر ضرب كان مخترعاً ، ثم كثر حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه
الشعراء آخرأ عن أول ، نحو قولهم في صفة الخلد « كالورد » وفي القد « كالنصن »
وفي العين « كعين المأمة من الوحش » وفي النبق « كمنق الظبي » ، وكأبريق
الفضة أو الذهب « فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ، ثم تساوى الناس فيه ،
إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة ، أو ينقصه بقرينة ؛ فيستوجب بها الانفراد من
بينهم ، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والدكاء بشواظ النار ، وسيرد
عليك من قوای باب السرقات وما ناسبها كثير ، إن شاء الله تعالى .

(٦٩) — باب التنابير

وهو أن يتضاد للذهبان في المعنى حتى يتقاربا ، ثم يصحبا جميعاً ، وذلك
من افتتان الشعراء وتصرفهم ونحوهم أفكارهم .
من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلا القود
دون الدية :

لَا يَشْرَبُونَ دِمَاءَهُمْ بِأَكْفِهِمْ إِنَّ الدِّمَاءَ الشَّافِيَاتِ تُسَكَّلُ

وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا أنه فيما زعم قتل دون من قتل له ، و يروى
لامرأة حارثية :

فيقتل خير بامرىء لم يكن له بواء ، ولكن لا تكأيل بالدم
ويروى « فى فقى لم يكن له وفاء » فالأول يقول : لا آخذ بالدم لبناً ، لكن
أخذ دماً بقدره ، فكان ذلك مكابلة ، والثانى يزعم أن قتيله قليل للثل والنظيره
ففى لم يقتل به إلا نظيره بعد اعتقاده ، وعسر إدراكه الثأر فقال : إن العاء
ليست مما يكأيل به فى الحقيقة ، وقيل : إنما معنى بذلك أن الإسلام لما جاء أزال
للمكابلة بالدم ؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيساً مثله .

ومن هذا الباب قول أبى تمام فى التكرم يفضله على الكرم المطبوع :

قَدْ بَلَّوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَّوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
وَوَرَدَنَاهُ سَانِحًا وَقَلْبِيًا وَرَعَيْنَاهُ بَارِضًا وَجَبِيًا^(١)
فلمنا أن ليس إلا بشق النفس صار الكرم يُدعى كريماً

وقال أبو الطيب فى خلافه :

لَوْ كَفَرَ الْمَالُؤُونَ بِشَمَّتِهِ لَمَّا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَلِيَاهَا
كَالشَّشْرِ لَا تَبْقَى بِمَا صَفَّتْ تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن فى قوله :

جَبَّ السَّيْرِ إِذَا يَهَاضُ جَنَاحُهُ لَجَأَ لَطَرَدٍ مُسْتَعَاثُ التَّمْلِقِ

(١) أراد بالسائح : النهر ، والقلب : البئر . والبارض : أول ما يظهر من نبت
الأرض ، وقيل : هو أول ما يعرف من النبات وتشاوله النعم ، وقال الأصمى : أول
ما يظهر من البهى بارض ؛ فلذا تحرك قليلاً فهو نحيم .

جَمَعَ الفضائلَ والحامدَ والمَلَا خُلُقٌ لَعَمْرُ أَيْكَ غَيْرُ خَلْقٍ
وأصلُّ معنى قول أبي الطيب من قول بشار :
لَيْسَ يُعْطِيكَ إِلَّا جَاءَ وَلِلْخَوِ فِ وَلَكِنْ يَلْدُ طَمَمَ المطاء
وقال البحرى فى نحو ذلك :

لا يَتَمَبُّ النَّاتِلُ لِلْبِدُولِ هِمَّتُهُ وَكَيْفَ يُتَعَبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظَرُ ١٢
وكان أبو الطيب لقدرة و اتساعه فى المانى كثيراً ما يخالف الشعراء و يفاير
مذاهبهم ، ألا ترى إلى قول على بن العباس النوبختى - وهو فى رواية الجرجاني
لابن الروى - يصف القلم و يفصله على السيف ، و كتب بذلك إلى على بن مقلة
فى قصيدة :

إِنْ يَتَخَذُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِى خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
كَذَا أَقْبَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتْ أَنْ الشُّيُوفُ لَهَا مَذْأَرْهَقَتْ خَدَمُ
قَالَمُوتُ - وَلِلْوَتِّ لَا شَيْءَ يُعَادِلُهُ - مَا زَالَ يَنْبَغُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
وهذا كلام مُتَقَنِّ البنية ، صحيح المعنى ، لا مَطْمَن فيه ، لجاء أبو الطيب
فخالفه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته الميانُ ، و يصححه البرهان ، فقال :
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : الْمَجْدُ لِلْسِّيفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
ا كَتَبَ بِذَا أَدَا قَبْلَ الْكِتَابِ بِهَا^(١) فَأَمَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله و يفخر :
أَلَمْ تَسْمَعْ يَا بَنِي حَكِيمٍ حِينَهَا إِلَى السِّيفِ تَسْتَبْكِي إِذَا لَمْ تَعْرِ

(١) بدا : اسم الإشارة عائد إلى السيف ، بها : الضمير عائد إلى الأقلام .
ورواية الديوان * اكتب بنا أبداً بعد الكتاب به * وهى التى تتفق مع البيت
السابق (انظر الديوان : ج ٢ ص ٤١٣) .

فجعلها إذا لم تنفرحت إلى السيف واستنكت ؛ لكثرة عاداتها ، وهذا غلو مُعْرِط ، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلها أنها تنحرف له :

تَرَى الثَّيْبَ مِنْ ضَنْفِي إِذَا مَا رَأَيْتَهُ ضُمُورًا عَلَى جِرَاتِهَا مَا مُجْبِرُهَا
فزعم أنها تمنحى حسنها حتى إنها لا تجترخوها من النحر ، وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما :

وَأَيْلَكَ حَقًّا إِنْ لَأَيْلَ مُحَمَّدٍ عَزَلْ نَوَاحٍ أَنْ تَهَبَّ شَمَالُ
وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْفِئَاءِ غَرِيْبَةً فَذُمُوْعُهُنَّ عَلَى الْخُلُودِ سِيحَالٍ^(١)

يقول : إذا هبت الشمال — وهى من رياح الشتاء ، وعلامات للخل — أبقت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرف للضيفان والجران ؛ فعلى نواحي تلك ، وقوله ، وإذا رأيت لدى الفناء غريبة * أى : يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف فتذرى كل واحدة دمعها ، لاتدرى هل هى للنحورة ، وهذا من مليح الشعر ولعنيف المدح ، وقل كل مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن مليح التفسير قول أبي الشَّيْصِ :

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَدِيْذَةٍ حُبًّا لِدِرْكِكَ ؛ فَلْيَلْمُنِي الْوُومُ
وقول أبي الطيب فى عكس هذا :

أَحْبَبُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ ؟ إِنْ لِلْمَلَامَةِ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وهذا عند الجرجاني هو النظر واللاحظة ، وهو يمدح فى باب السرقات ، قال : وأصله من قول أبي تُوَاس :

إِذَا غَادَيْتَنِي يَصْبُوحُ عَذْلٍ فَمَمَزُوجًا بِنَسِيمَةِ الْحَبِيْبِ
ولأبى العلاء المرحى مثله من غير التزام :

(١) غريبة : أراد ناقة غريبة كإقالة المؤلف ، أو طائفة ، أو نسمة ، أو ما أشبه ذلك.

لم يَبْقَ غَيْرُ الْمَذَلِّ مِنْ أَسْبَابِهِمْ فَأَحَبُّ مَنْ يَدْنُو إِلَى عَدُوِّهِ
يَغْلُو فَلَا مُسْتَحْزِرَ عَنْ حَالِهِمْ غَيْرِي ، وَلَا مُسْتَحْزِرَ مَسْئُولِ

(٧٠) — باب في التصرف ، ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو
وجزّل ، وأن لا يكون في النسيب أربع منه في الرثاء ، ولا في المديح أفذ منه في
المجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه
صوتاً في سائرهما ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قَصَبَ السَّبْقِ ، كما
حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده .

مق يجوز
الشاعر قصب
السبق ؟

حكى صاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني
عمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
وقد حضره البحتري ، فقال : يا أبا عُبَادَةَ ، أُمُسلم أشعر أم أبو نُوَاس ؟ فقال :
بل أبو نواس ؛ لأنه يتصرف في كل طريق ، ويبرع في كل مذهب ؛ إن شاء جد ،
وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه
فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ،
ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ؛ فإما يعرف الشعر
من دفع إلى مضائقه ، فقال : وَرَيْتَ بكَ زِنَادِي يَا أبا عُبَادَةَ ، إن حكمتك في
عبيك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عمية جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل
عنهما فضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا
من علم أبي عبيدة ؛ فإما يعرفه من دفع إلى مَضَائِقِ الشعر ، وقد خالف البحتري
أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق ، فقدم الفرزدق ، قيل له : كيف تقدمه
وجرير أشبه طبعاً بك منه ؟ فقال : إنما يزعم هذا من لا علم له بالشعر ، جرير

موازنة بين
مسلم وأبي
نواس

وبين جرير
والفرزدق

لا يبدو في هجائه الفرزدق ذِكْرَ القين وجثن وقتل الزبير، والفرزدق يرميه في كل قصيدة بأبدة، حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .

فإذا كان هذا قد حكم له بالتصرف، وبهذا أقول أنا، وإياه أعتقد فيهما، وإذا لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يمله السامع، حتى إن حبيباً ادعى ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال :

الجِدُّ والمَزَلُ في تَوْشِيْعٍ لِحُمَيْتِهَا

والنبلُ والسُخْفُ، والأشجانُ والطربُ^(١)

وقد قال إسماعيل بن القاسم أبو الصاهية :

لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصَرِّقَةً إِلَّا التَّصَرُّفُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ليحي للنجم في
قد الشعر

وأشد الصاحب لأبي أحمد يحيى بن علي النجم في قد الشعر :

رُبَّ شَعْرٍ قَدَّذَتْهُ مِثْلَ مَا يَنْقُذُ رَأْسَ الصَّيَّافِ الدَّيْنَارَا

ثم أرسلته فصككت معانيسه وأقارظه معاً أبكارا

لو تَأَنَّى لِقَالَةِ الشَّعْرِ مَا أَسْقَطُ مِنْهُ حَافِزَا بِهِ الْأَشْمَارَا

إنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا يَسْتَعِيرُ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعَارَا

وقال الجاحظ : ظلمت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه

فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فمطقت على أبي عبيدة

فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما

أردت إلا عند أدباء الكتاب : كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات .

قال الصاحب على أثر هذه الحكاية : فله أبو عثمان ، فلقد غاص على سر

الشعر ، واستخرج أرق من السحر .

(١) قال الأمدى : قوله « الجذ والمزل في توشيع لحمتها » بيت في غاية الحق ،

ومن يمدح وزيراً ، فلم ضمن قصيدته المزل والسخف ؟ وإن كان هناك ما يدل على

هذا فلم ينب عليه واعترف به ؟ اه ، والتوشيع : من قولهم « وشمت البرد » إذا

جعلت فيه ألواناً وطرائق .

وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها سرهم ، ويستدل بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب إليه من تفضيلهم ، ويشهد إلى بجودة المتن ، وفَرَطُ التثبت والإنصاف ، إن شاء الله تعالى .

(٧١) - باب في أشعار الكتاب

والكتاب أرق الناس في الشر طبعاً ، وأملحهم تصنيعاً ، وأحلامهم أفاظاً ، وألطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبدهم من تكلف .

من شعر إبراهيم الصولي : الكتاب دَهَائِقُ الكلام^(١) ، وما يزيدك على قول إبراهيم ابن العباس الصولي بين يدي للتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتباطاً :

صدّ عني وَصَدَّقَ الأقوالَ وأطاعَ الوُشَاةَ والمُذَالَ
أُراه يكون شَهْرَ صُدُودٍ وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الهِلَالَ

فطرب له للتوكل واهتز ووصّله ، وخلع عليه وحمله ، وجدد له ولاية . وقيل له في التلطف والاستطاف أكثر من هذا ، وأي مدح أروع وأبدع من قوله في الفضل بن سهل :

لَفَضْلٍ تَنِي سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عنها المثل
فِيَا طَبْهَا لَنَدَى وظاهرُها لَلْقَبْلِ
* ونائلها لَلْفِي وَمَطْوَسُهَا لِلْأَجْلِ

أليس هذا للماء الزلال ، والحر الحلال ؟؟

ولقد أجاب ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال :

مُقَبِّلُ ظَهْرِ الكَفِّ ، وَهَابُ بطنِها لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا الحُطِيمُ وزَمَرَمُ

(١) الدهاقين : جمع دهقان - بكسر فسكون - وهو التاجر البارح ، وقال الشاعر :

إِنَّمَا الدِّقَاءُ يَاقُوْتَةُ أَخْرَجَتْ مِنْ كَيْسٍ دِهْقَانُ

فظاهرها للناس رُكُنٌ يُقْبَلُ وباطنها عَيْنٌ من الجود عَيْلِمٌ^(١)
إلا أن الأول أخف وزناً ، وأرشق لفظاً ومعنى . وهذان البيتان - وإن
كانت فيهما زيادة - فإنما هما يلبّان البيت الأوسط من أبيات إبراهيم فقط ..
ومن تنزل إبراهيم قوله :

أراك فلا أَرُدُّ الطرفَ كَيْلًا يكون حجابَ رؤيتك الجفونُ
ولو أنى نظرتُ بكل عين لما استقصتُ محاسنَك العيونُ
فهذا وأبيك البيان ، والخبر الذي كأنه العيان .

وما أجد كل حلاوة وحسن ملاوة ، إلا دون قول [٤] :

ابتدأ بالتجنى واتصفا بالتعطف
واشتغلا بتجسسك لأعدائك مفي
بأى قل لى لكى أعلم لم أهرضت عنى
قد تمى ذلك أعدا لى ، فقد نالوا التنى

وأما المجهاد فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله في محمد بن عبد الملك الزيات :

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وَأَزْعِدْ يميناً وأُبرِقْ شمالاً
نجا بك لؤمك منجى اللباب حتمه مقاذيره أن ينالا^(٢)

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لأحمد بن أبي دؤاد ، وقد أمر من شعر
الرائق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ، ولم يحمل في ذلك رخصة لأحد ،
وكان ابن أبي دؤاد يشتغل بصلاة الضحى إذا أحسن بقدمه أفةً من القيام إليه
في دار السلطان ، وامتنالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صلى الضحى لما استفاد عداوتى وأراه ينسكُ بعدها ويصومُ
لا تدمر من عداوة مشومة تركتك تقعدُ تارةً وتقومُ

ومن تنزله قوله ، وهو في غاية العذوبة :

(١) عيلم - بفتح الهمزة المهملة وسكون الياء الثناة - أصله البحر والماء
الكثير ، والبر الكثرة للماء .

(٢) في كثير من الأصول « حتمه مقاذيره أن ينالا » بدون ياء .

قام بقلبي وقصد
 يا صاحب القصر الذي أسهر عيني ورقد
 وأعطيني إلى فم
 إن قُسم الناس فقصي بك من كل أحد

وقال برني جاريته سلوانة ، وهي أم ولده عمر الأصغر :

يقول لي الخلان : لو زرت قبرها فقلت : وهل غير الفؤاد لها قبر ؟
 على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السن التي معها الصبر
 وقال أيضاً وأحسن ماثلاً :

مالي إذا غبت لم أذكر بواحدة وإن مرضت فطال الشقم لم أعد
 ما أعجب الشيء ترجوه فتخبره قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي
 ومن شره في هذا الباب مقطعات متفرقة تنفي عن الإكثار منه ههنا .
 وأما الحسن بن وهب فن قوله :

من شعر
 الحسن بن
 وهب

لم تنم مُقلتي لعل يكاها ولما جال فوقها من قذاهما
 فالتذى كلها إلى أن ترى وجه سليبي ، وكيف لي أن تراها ؟ !
 أمتدت مقلتي بإدمانها اللد مع وهجرانها الكرى مقتلها
 فلعبي في كل حين دموع إنما تستدرها عينها
 وقدم إليه كانون ، ومعه قينة كان يهواها ، فأمرت بإبعاد الكانون ، فصنع :
 بأني كرهت النار حتى أبعدت فمرفت ما متفأك في إبعادها
 هي ضرة لك بالتماع شماعها وبحسن صورتها لدى إيقادها
 وأرى صيملك بالقلوب صميمها بأراكمها وسياكمها وعسر أداها
 شركتك في كل الجهات بحسنها وصيائها وصلاحتها وفسادها
 ومن يلمح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غيب مطر :

هطلت نسا السماء هطلاً دراكاً جاوز الزر أن فيه السماكا

قلتُ للبَرِّ إذ تَأَلَّقَ فِيهِ : يَا نَادَ السَّمَاءِ مِنْ أَوْرَاكِ (١)
 أَحِبِّيئاً أَحْبَبْتَهُ خَفَافِكا ؟ فَمَسَى دَاكُ أَنْ يَسُودَ كَذَا
 أَمْ تَشَبَّهْتَ بِالْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ فِي جُودِهِ ؟ فَلَسْتُ هُنَا كَا
 وهذا هو الكلام الكتاني ، السهل ، المرسل ، الحسن الطلاوة ، والظاهر
 الحلاوة .

ومن قوله يرني حبيباً الطائي ، وكان صديقاً له جداً :
 سقى بالموصلِ القبرَ التَّريِّبَا سَحَابُ يَنْتَحِيْنُ بِهِ نَحْيَا
 إِذَا أَظْلَنَهُ أَطْلَقَنَ فِيهِ شَيْبَ اللَّزْبِ يُتَبْعُهَا شَمِيَا
 وَلَطَمَتِ الْهَرَقُ لَهُ خُدُودَا وَشَقَّقَتِ الرُّعُودُ لَهُ جِيوَا
 فَإِنَّ تَرَابَ ذَلِكَ الْقَبْرِ يَحْوِي حَبِيْبَا كَانَ يَدْعِي لِي حَبِيَا
 وهي قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً .

ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب ، وهو القائل في طول الليل :
 يَالَيْلُ ، بَلْ يَا أَبَدُ أَنَا نَمُّ عَنْكَ غَدُ ؟
 يَالَيْلُ ، لَوْ تَلَقَى الَّذِي أَلْقَى سَهَا أَوْ أَحَدُ
 قَصَرَ مِنْ طَوْلِكَ أَوْ أَضْعَفَ مِنْكَ الْجَلَدُ

ورواه قوم * أنحل منك الجسد * والأول عندي أصوب ، وعلى كل حال
 فنه أخذ أبو الطيب قوله :

أَلَمْ يَزَلْ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنَيْكَ رُؤْيَى فَتَظْهَرُ فِيهِ رَقَّةٌ وَمَحُولُ
 وليس يلزم الكاتب أن يمارى الشاعر في إحكام صنعة الشعر ؛ رغبة
 الكاتب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يحف على
 (١) تألق : لمع ، وزناد السماء : شبه به برق ، وأوراك : من قولهم « وري
 الزند » إذا قدسه ليحرج نارا .

ملا يلزم
 الكاتب

النفس منها ؛ وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي نظراً ، لا عن رغبة ولا رهبة ،
فهم مطلقون مُخَلَّوْنَ في شهواتهم ، مسامحون في مذهبهم ؛ إذ كانوا إنما يصنعون
الشعر تخيراً واستظرافاً ، كما قال كشاجم الكاتب :

ولئن شعرتُ فما تعددت الهجاء ولا اللديحة
لكن رأيتُ الشعرَ لآدابٍ ترجهَ نصيحة

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء ، والأمراء ، والمترفين من
أهل الأقدار ؛ لا يحاسيون فيها محاسبة الشاعر للبرز الذي الشعرُ صناعته ، والمديح
بصناعته .

وقد أعرب أبو الفتح بن العميد وأغرب في قوله :
فإن كان مَرَضِيّاً قُل : شعر كاتبٍ وإن كان مسخوطاً قُل : شعر كاتب^(١)
ولو حاولتُ أن أذكر من علمت من شعراء الكتاب - سوى من ذكرت -
لَيُمَدُّ الأمد ، وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقم لهذا الفن ديواناً مفرداً ؛
لكنني موَّلت على ابن الزيات ، وابن وهب ؛ لإحالة الجاحظ في الفضل
عليهما ، وأنستهما بثنين ليسا بدونهما ، ولولم آت بهذا الباب إلا بما بنيته
عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أبيده الله لكان ذلك فوق الرضا
والكفاية .

فن ذلك قوله :

من شعر
أبي الحسن

بَاكِرِ الرِّاحِ وَدَعَّ عَنْكَ التَّدَلُّلَ وَاسْتَعِ فِي الصَّحَّةِ مِنْ قَبْلِ الْعِلَلِ
وَاعْنَمِ لِقَةَ يَوْمِ زَائِلِ فَالْتَلِمْ ضَاكِكَاتِ بِالْأَمَلِ
مَا تَرَى السَّاقِ كَشْمَسٍ طَلَّتْ تَحْمَلُ الْمَرْيَحَ فِي بُرْجِ الْحَمَلِ
مَائِئاً كَالنَّصْنِ فِي دَعْصِهَا فَاتِنِ الْقَلْبِ زَيْنَتْ بِالْكَحَلِ

(١) انظر (ج ١ ص ٣٣٥) نجد للمؤلف تعليقا على هذا البيت .

وقوله أيضا يتنزل :

مَرَّ بِنَابِهَنْزُ فِي مَشْيِهِ مثل اهْتَازِ النُّصْنِ الرُّطْبِ
فَقُلْتُ تَرْتَعُ فِي حُسْنِهِ ومقلناه أحرقت قلبي
قوله « أحرقت » وهما مقلتان كقول بعضهم ، وأنشده أبو الجراح في
طبقات الشعراء :

أشركت عيناه ظلمة في دمي يا عظم ما جنت
قال « ظلمة » وقال « جنب » لأن التثنية جمع في الحقيقة ، والجماعة تخبر
عنها كما تخبر عن الواحد : لمكان التأنيث ، والشاهد من قول القدماء قول أحدهم :
لَمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ بها التثنيان تنهل
قال « تنهل » وكان حقه أن يقول « تنهلان » لكن العلة ما قدمت .

ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله :

أَمِنْ الزَّمانِ زَمَانَةُ الْعَقْلِ فَاخْشَ الْآلَهَ وَحُلَّ عَنْ الْجَهْلِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِي الْحَسَابِ غَدًا تُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فَعْلٍ
ومن تشكى أحوال الناس وقلة قوتهم وإنصافهم قوله :

أَيُّارِبُ ، إِنْ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرِيضِي عَلَى حَسَنَاتِي
إِذَا مَدَرَأُونِي فِي رَحَاكَ تَرَدَّدُوا إِلَى ، وَأَعْدَائِي لَدَى الْأَزْمَاتِ
وَمَهْمَا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزَنُوا لَهَا ذُوو أَنْفُسٍ فِي شِدَّةِ جَذَلَاتِ
فَتَانِي مَا دَامَتْ صِلَاتِي لِبِهِمْ وَإِنْ عَنْهُمْ أَخْرُجُهَا فِعْدَاتِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمْ وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ قَالِيَا كَلْطَاتِي
وَأَلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَائِبًا لِعَلِّي أَعَيْنُ مَا أُمِلْتُ قَبْلَ مَمَاتِي
أَلَا إِمَّا الدُّنْيَا كِفَافٌ وَصِحَّةٌ وَأَمِنْ ، ثَلَاثُ هُنَّ طِيبُ حَيَاتِي
قوله « ثلاث » يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال ، كما قال طرفة :

* قَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَدَّةِ الْقَيِّ (١) *

ثُمَّ فَسَّرَهُنَّ فَقَالَ :

* فَهِنَّ سَبْقُ الْمَازِلَاتِ شَرْبَةً (٢) *

* وَكَرَّى إِذَا نَادَى الْمَضَافُ مُجَنَّبًا (٣) *

* وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ (٤) *

وَالسَّبْقُ وَالتَّقْصِيرُ وَالسَّكْرُ كُلُّهَا مَذْكُورَةٌ ، لَكِنْ أَرَادَ مَا قَدِمْتُ .

وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَشْعَارِ قَوْلُهُ :

خَلِيلِيَّ ، إِنْ لَمْ تُسْعِدْ أُنِي فَأَقْصِرَا فَلَيْسَ يَدَاوِي بِالطَّابِ اللَّتِيمُ
تَرِيدَانِ مَنِ النَّسْكَ فِي غَيْرِ حِينِهِ وَغَضَى رِيَانٌ وَرَأْسِي أَسْحَمُ
وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ :

غَرَاهُ وَاضِحَةٌ يَنْوَسُ بَرُّطَهَا جَيْدٌ سَكَى جَيْدَ الْفَزَالِ الْأَعْيِ
صَدَّتْ فَأَغْرَتْ بِالسَّجُومِ مَدَامِي وَالْعَيْنُ تَذْرَفُ بِالْمَوْعِ السُّبْقِ
تَشْكُو الْبَعَادَ إِذَا بَعُدَتْ تَصِيرُ وَإِنْ أَرْتَجَعْتُ إِلَى الزَّيَارَةِ تَفَرِّقِي
وَلَقَدْ بَيْتَ أَخِي الْمَوَدَّةَ لِأُنْمِي فِي حَبَالِ لَوْمِ الشَّفِيقِ لِلشَّفِيقِ
حَتَّى إِذَا طَلَعْتُ فَأَنْصَرَّ شَخْصَهَا أُخْرِجِي جِهَالَةَ لِأُنْمِي الْمُسْتَحَقِّ
كَمْ قَدْ قَطَعْتُ بَوْصَلَهَا مِنْ لَيْلَةٍ وَشَرِبَ صَافِيَةً كَلَوْنَ الزُّبْقِ

(١) عَامَهُ * وَجَدَكَ لَمْ أَحْضَلْ مَقِي قَامَ عَوْدِي *

(٢) عَامَهُ * كَيْتَ مَقِي مَاتِلَ بِالْمَاءِ تَرِيدُ * وَيُرْوَى « سَبْقِ الْمَازِلَاتِ »

(٣) مُجَنَّبًا - بِالْجَمْعِ لِلْوَحْدَةِ - هَكَذَا هُوَ فِي رِوَايَةِ ضَعِيفَةٍ ، وَالرِّوَايَةُ لِلْمَوْثُوقِ

بَصَحَتَهَا « عَجَبًا » بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَعَامَ الْبَيْتِ * كَسِيدَ التَّضَا نَهَيْتُهُ لِلتَّوَرْدِ *

(٤) الْبَيْتُ بِتَمَامِهِ هَكَذَا :

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ وَالدَّجَنُ مُجِيبٌ يَهْكَئُ تَحْتَ الْحَبَاءِ لِلْعَمْدِ

يسمى بها كالبنزير.. لَيْلَةَ نَمَةٍ مَحَارُ الحَظِّ رَحِيمُ المنطقِ
 آلَيْتُ أَتْرُكُ ذَا وَتَلَكَ وَهَذِهِ حَتَّى يَفَارِقَنِي سَوَادُ اللَّفْرِقِ
 فله سلامة هذا الطبع واندفاعه ، وقرب هذا اللفظ واتساعه ، والله رقة معانيه
 وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ، ولطف مواضعها من القلوب ، وسرعة
 تأثيرها في النفوس ، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها ،
 إن شاء الله تعالى .

(٧٢) - باب في أغراض الشعر وصنوفه

وهو بَسْطٌ لما بعده من الأبواب ، وقد فرط البسط له ، وفرغ من مقدمته
 في باب حد الشعر وتبيينه ، وأنا ذا كر هنا مالا بد منه .

للناشيء في
 صناعة الشعر

تَكَلَّمَ قوم في الشعر عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .
 فكتب إليه أبو العباس الناشيء :

أَعَنَّ اللَّهُ صِنْعَةَ الشعرِ ، ماذا من صنوفِ الجِمالِ فيها لَقِينَا؟
 يُوَثِّرُونَ النَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ سَهْلًا لِلسَّامِعِينَ مُبِينَا
 وَيَرَوْنَ الْحَالَ شَيْئًا صَحِيحًا وَخَسِيسَ الْقَالَ شَيْئًا ثَمِينًا
 يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ ، وَلَا يَدْرُونَ لِلْجَلِّ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا
 فَهُمْ هُنْدٌ مِنْ سَوَانَا يَلَامُونَ ، وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا
 إِنَّمَا الشعرُ مَا تَنَاسَبَ فِي النِّظْمِ ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الصِّفَاتِ فَنُونَا
 فَأَنَّى بَهْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضًا قَدْ أَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمُتُونَا
 كُلُّهُ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا تَشْتَقِي لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا
 فَتَنَاهَى عَنِ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ كَادَ حَسَنًا يَبِينُ لِلْمَاضِرِينَا
 فَكَأَنَّ الْأَلْفَاظَ فِيهِ وَجُوهٌ وَالْمَعْنَى رُكْبَانٌ فِيهِ عِيُونَا

فأثما في المرام حَسَبَ الأمانى فيجلى بحسنه المُشْدِدينَا
 فإذا ما مدحت بالشعر جِرا رمتَ فيه مذاهبَ السهيينَا
 فجعلتَ النسيبَ سهلاً قريباً وجعلتَ المدحَ صدقاً ميينَا
 وتكبتَ ما تهجنُ في السمع ، وإن كان لفظه موزونَا
 وإذا ما قرَضتُهُ بهجاء عفتَ فيه مذاهبَ المرفئينَا
 فجعلتَ التصريحَ منه دواء وجعلتَ التعريضَ داء دفينَا
 وإذا ما بكيتَ فيه على الناء دينَ يومًا للبين والظاعينَا
 حُلّتْ دون الأسمى وذُلّتْ ما كا ن من المدح في العيون مَصُونَا
 ثم إن كنتَ عاتباً شبتَ في الوعد وعيدا وبالصوبة لينا
 فتركْتَ الذي عَتَبْتَ عليه حذراً آمناً ، عزيزاً مهينَا
 وأصحُّ التعريضَ ما فات في النظم ، وإن كان واضحاً مستبينَا
 وإذا قيل أطلعَ الناسَ طراً وإذا ريمَ أعجزَ للمجزينَا

قال أبو عبادَةَ الوليد بن عبيد البحتري : كنت في حدائق أروم الشعر ،
 وكنت أرحع فيه إلى طمّيع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضائه ،
 حتى قصدت أبا تمام ؛ فأنقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان
 أول ما قال لي : يا أبا عبادَةَ ، تخيّر الأوقات وأنت قليل الموم ، صفر من النوم ،
 واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت
 الشعر ، وذلك أن النفس قد أخذت حفظها من الراحة وقسطها من النوم ، فإن
 أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيماً ، وأكثر فيه من بيان الصبابة ،
 وتوجع الكآبة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد
 ذى أباد فأشهر متآقيه ، وأظهر مناسبه ، وأبين معامله ، وشرف مقامه ، وتفاضل
 المعاني ، واحذر المجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرّية ، وكن

وصية
 أبي تمام
 للبحتري

كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرج نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظامه ؛ فإن الشهوة نعم للمعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين : فما استحسنته الطماء فأقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله تعالى .

قال صاحب الكتاب : قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشخذ القريحة له ، فلم ألق بحفظي فيه ، حتى صححت فأنبته بمكانه من هذا الباب ^(١) .

لنأشئ أيضاً
في الشعر

ومن قول النأشئ في معنى شعره الأول :

| | |
|---|----------------------------|
| الشعر ما قويت زبغ صدوره | وشددت بالتهذيب أمره |
| ورأيت بالإطناي ^(٢) شغب صدوعه | وهضت بالإيجاز عوره |
| وجعت بين قريبه وبعيد | ووصلت بين محمه ومعينه |
| فإذا بكيت به الديار وأهلها | أجريت للمحزون ماء شؤونه |
| وإذا مدحت به جواداً ماجداً | وفيتته بالشكر حق ديونه |
| أصفينه بنفيسه ورصينه | وخصصته بخطره وثمينه |
| فيكون جزلاً في أنساق صنوفه | ويكون سهلاً في اتفاق فنونه |
| فإذا أردت كناية عن رتبة | بايئت بين ظهوره وبطونه |
| فجعلت سامه يشوب شكوكه | بيانه وظنونه ييقينه |
| وإذا عتبت على آخر في زلة | أدججت شدته له في لينه |
| فترصنه مستأنساً بدمانة | مستيقناً لوعونه وعزونه |

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

(٢) يقال « رأب الشعب » و « رأب الصدع » في معنى أصلح الفاسد .

وإذا نبذت إلى التي علقتها . « إن صار منك يقاتنات شوؤنه
تومتها . بلطفه ودقيقه وشفتها بجيـهـه وكينه
وإذا اعتذرت إلى أخ من زلة واشكت بين محمل ومينه
وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً ،
إن شاء الله سبحانه وتعالى .

(٧٣) — باب النسب

حق النسب أن يكون حلو الألفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ،
غير كثر ولا غلض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ، لين الإيثار^(١) ،
رطب المكسر ، شفاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخف الرصين .
روى أبو علي إسماعيل بن القاسم ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن
الأعمى ، عن أبي عمرو بن الملاء ، عن راوية كثير^(٢) قال : كنت مع جرير
— وهو يريد الشام — فطرب ، وقال : أنشدني لأخي بني مليح — يعني كثيراً —
فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله :

وَأَذِنْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَقْتَنِي^(٣) يَقُولُ يُحِلُّ الْمُعْصَمَ سَهْلَ الْأَاطَحِ

(١) انظر نقد الشعر لقدامة ٤٢ الآتية .

(٢) ربما قرئت « لين الأبطار » .

(٣) في جميع أصول هذا الكتاب « عن رواه عن كثير » وهو خطأ ،
وما أثبتناه عن الأما إلى (ج ٢ ٢٢٨) وقد اعترضه البكري في التنبيه ، قال « هذا
الشعر لمجنون بنى عامر ، لا لكثير ، ولا أعلم أحدا رواه له ، وقد وقع لي في ديوانه
وبعد البيتين :

فأجاب ليلى بالوشيك انقطاعه ولا بالمؤدى يوم رد للنأخ
(٤) في الأما إلى « إذا ما استنيتني » والذى في الأصل موافق لرواية البكري
في التنبيه .

تَجَافَيْتِ عَنى حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ^(١) وَخَلَّفْتَ مَا خَلَّفْتَ^(٢) بَيْنَ الْجَوَامِحِ
 قَال : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسَنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي النَّخِيرُ لَنَخَرْتُ حَتَّى يَسْمَعَ هِشَامٌ
 عَلَى سَرِيرِهِ . .

وَقِيلَ لِأَبِي السَّائِبِ الْخَزْزَمِيُّ : أَرَى أَحَدًا لَا يَسْتَهْجِي النَّسِيبَ ؟ قَال : أَمَّا
 مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

والنسيب والتغزل والنشيب كلها بمعنى واحد . . وأما الغزل فهو ألف النساء ،
 والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ؛ فمن جعله بمعنى التغزل فقد
 أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر^(٣)

الفرق
 بين الغزل
 والنسيب

وقال الخاتمي : من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون
 ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم ، متصلاً به ، غير منفصل منه ، فإن القصيدة مثلها
 مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، ففني انفصل واحد عن الآخر
 وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تَتَقَوَّنُ^(٤) محاسنه ، وَتُتَقَيَّعُ^(٥) معالم جماله ،
 ووجدت خُذَّاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه
 الحال احتراساً يحرمهم من شوائب نقصان ، ويقف بهم على مَحَبَّة الإحسان .
 ومن يختار^(٦) ما قيل في النسيب قول للرار العدوي .

من
 يختار نسيب
 التضمين

(١) في الأمل « حين لا لي مذهب » وكذلك في التنبية (ص ١١٨)

(٢) في التنبية « وغادرت ما غادرت » والقدى في الأصل موافق لا في الأمل

(٣) انظر نقد الشعر ص ٤٢ .

(٤) تتخون محاسنه : أي تنقصها .

(٥) هذه الأبيات من قصيدة للرار احتارها أبو العباس الفضل الضي في
 « المفضليات » وفي رواية للمفضليات أبيات بين بعض هذه الأبيات وبعض ؛ فلعل
 المؤلف لم يقصد إلى اختيار قطعة كاملة من القصيدة يقفو بعض أبياتها بعضاً .

وَفِي هَيْفَاهُ هَضِيمٌ كَسَحَهَا فَخَمَةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْوُتَرُ
صَلَتُهُ الْخُلْدُ طَوِيلٌ جِيدُهَا ضَخَمَةُ الثَّدْيِ (١) وَلَمَّا يَنْكَسِرُ
يُضْرَبُ السَّبْعُونَ فِي خَلْجَاهَا فَإِذَا مَا أَكْرَهَتْهُ يَنْكَسِرُ
لَا تَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا دُونَهَا عَنِ بِلَاطِ الْأَرْضِ ثَوْبٌ مَنْعَفَرُ
تَطَأُ الْخُلْدُ وَلَا تُكْرِمُهُ وَطَوِيلُ الذَّيْلِ مِنْهُ وَتَجْرُ
ثُمَّ تَنْهَدُ عَلَى أَعْمَاطِهَا مِثْلَ مَا مَالِ كَثِيبٍ مَنْعَفَرُ
عَمِيقُ الْعَنَبِ وَالْمَسْكِ بِهَا فَفِي صَفَرَاهُ كَمَرْجُونِ الْعَمْرِ
أَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا خَبَرَتْهَا غَيْرَ مِمَّنْ عَلَيْنِ عَلَيْهَا وَشُورُ

قال عبد الكريم : هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهي أشبه
بنساء الملوك .

وأنشد لغيره :

قليلة لحم الناظرين يزينا شبابٌ ومخفوض من العيش باردُ
أرادت لتفتش الرواق فلم أقم إليه ، ولكن طأطأته الولاؤُ
تناهى إلى هو الحديث كأنها أخو سقطة قد أسلمته العوائد

وأنواع النسب كثيرة ، وهذا الذي أنشدته أفضلها في مذاهب المتقنين ،
والسحدين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضا :

فما أختار من ذلك ما ناسب قول أبي نواس :

حَلَّتْ سَعَادُ وَأَهْلُهَا سَرَفًا قَوْمًا عِدَى وَمَحَلَّةً قُدُفًا
وَكُنْ سَقْدَى إِذْ تَوَدَّعْنَا وَقَدْ اشْرَابَ السَّمْعُ أَنْ يَكْفَا
رَشًا تَوَاصِينَ الْقِيَانِ بِهِ حَتَّى عَقَدَنْ بِأُذُنِهِ شَفَا

بما يختار
من نسب
الهديين

(١) رواية الفضليات « ناهد الثدي » .

لمسلم بن
الوليد

فإن هذا في غاية الجودة ونهاية الإحسان ، وما ناسب قول مسلم بن الوليد :
أحبُّ التي صدَّتْ وقالت لِزَهرِها : دَعِيه ، التُّركُما منه أقربُ من وَضَلِ
أمانتُ وأَحَيَّتْ مُهَيَّجَتِي فَهَيَّ عِنْدَها مُعَلِّقَةٌ بَيْنَ اللُّواعِيدِ وَاللُّعَلِ
وما نِلْتُ منها نائِلاً غَيرَ أنِّي بِشَجْوِ الحَبِيبِ الأَلَى سَلَفُوا قَبْلِي
بلى ، رَما وَكَلْتُ عَينِي بِنَظَرَةٍ إِلَها تَزِيدُ القَلْبَ خَبَلاً على خَبَلِ

للبحتري

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحتري :

رَدَدَنْ ما خَفَفْتُ مِنْهُ الخُصُوفُ إلى ما في المَآزِرِ فَاسْتَقِلْنَ أَرْدافا
إذا نَصَبْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوَنَةً فَتَسْرَنَ عَن لَوَاؤِ البَحْرينِ أَصْدافا
والبحتري أرق الناس نسيبا ، وأما بهم طريقة ، ألا تسمع قوله :

إني وإن جانبت بعضَ بَطالَتِي وتوهمَ الواشونَ أنِّي مُفْعِرُ
لَيَسُوقَ سِجْرُ العَيونِ المَجلِي ويروفي وَرَدُ الخُلُودِ الأَحْمَرِ

وشعره من هذا النمط ، لا سيما إن ذكر العليف ؛ فإنه الباب الذي شهر به ،

ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التفضل ، وإنما يقع له من ذلك التافه

اليسير في خلال القصائد ، مثل قوله :

يَتُّ أَرعى الخُلُودَ حَتَّى إذا ما فارَقوني بَقِيت أَرعى النُّجُومَ
وقوله أول قصيدة :

أَرَأَيْتَ ، كَنتِ ما لَفَ كلَّ رَيمٍ لو اسْتَمْتَعْتُ بالأَنسِ المَقِيمِ
أَدَارَ البُؤْسِ ، حَسَنَتِكَ التَّصانِي إلى فَصْرَتِ جَناتِ النِّعَمِ
وَمِمَّا مَرَّمَ البُرْحاءُ أُنِّي شَكوتُ فَمَا شَكوتُ إلى رَحمِ

للمتدى

وأما أبو الطيب فمن مליح ما سمعت له قوله :

كَثِيباً تَوَقَّاهُ العَوائِلُ في المَوَازِي كما يَتَوَقَّاهُ رِيسُ الخَلِيلِ حَازِمُهُ

قفي تفرم الأولى من لاحظ مُهَجِّي بثانية ، وَلْتَلِفُ الشَّيْءُ غَارِمُهُ
سَقَاكِ وَحَيَاتَا بِكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا على العيسِ تَوَزُّرٌ وَالْخُدُورُ كَأَمَّةُ
قَدْ جَاءَ بِأَمْلَحِ شَيْءٍ وَأَوْفَاهُ مِنَ الظَّرَافَةِ وَالنَّرَابَةِ .
وقوله يذكّر رَجَعَ أَحِبَابِهِ :

تَزَلْنَا عَنْ الْأَكْوَارِ غَمَشِي كَرَامَةٍ لَمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا
نَدِمُ السَّحَابِ الْفَرْقُ فِي ضَلْعَا بِهِ وَنُفْرَضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَمْتَ عَتَبَا
وقال في ذكر الديار أيضاً :

وَدُسْنَا بِأَخْضَافٍ لِلطَّيِّ تَرَابِهَا فَلَا زِلْتُ أَشْتَشِي بِلْتَمِ الْمُنَاسِمِ
دِيَارُ اللَّوَالِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِسَمِ الْقَنَا يُحَقِّظُنْ لَا بِالْتِمَامِ
حَسَاكَ التَّنْقِي يَنْقُشُ الْوُشَى مِثْلَهُ إِذَا مِشَنَ فِي أَجْسَامِهِمِ النُّوَاعِمِ
وَيَبْسِمَنَّ عَنْ دُرِّ تَقْلَدَنَّ مِثْلَهُ كَانَ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ لِلْمُنَاسِمِ

ورد جماعة من الكتاب على المتأبى ، وهو بحلب ، وفي يده رقعة ، وقد
أطال فيها النظر والتأمل ، فقال : أرايتم الرقعة التي كانت في يدي ؟ قالوا : نعم ،
قال : لقد سلك صاحبها واديا ما سلكه غيره ، ففقه دره ، وكان في الرقعة قول
أبي نواس :

| | | |
|----------------|---|--|
| لأبي نواس | رَنِمُ الْبَكْرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلُ | عَفَى عَلَيْهِ بُكَيُّ عَلَيْكَ طَوِيلُ |
| أيضا | يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحَظَاتِهِ | حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ |
| أغزل بيت | زَوْي [الأصمعي عن أبي عمرو بن الملاء أنه قال : أغزل بيت قالته العرب | |
| لابن أبي ربيعة | قول هر بن أبي ربيعة : | |
| لامرئ القيس | فَتَضَاحَكَنَّ وَقَدْ قَلْنَا لَهَا : | حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ |
| | وكان الأصمعي يقول : أغزل بيت قالته العرب قول امرئ القيس : | |
| | وَمَا ذَرَعَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لَتَقْصُرِي | سَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ |

وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتاً أغزل
من قول جميل بن ممر :

لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ وكلُّ قَتيلٍ عندهنَّ شهيدٌ
وفَضَلته بهذا البيت سَكينة بنت الحسين بن عليٍّ رَضوان الله عليهم ، وأثابته
به دون جماعة من حضر من الشعراء .

وقال بعضهم : الأحوص من أغزل الناس بقوله :

إذا قلتُ إني مُشْتَفٍ ببقائها وحُمُّ التَّلَاقِ بيننا زادني سَقَمًا
وقال غيره : بل جميل بقوله :

يَمُوتُ الهوى مَنى إذا ما لَقِيَتْها وَيَحْيَا إذا فَارَقَتْها فيَعُودُ
وقال آخر : بل جرير بقوله :

فلما التقي الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ المَعَى ومات الهوى لما أصيبت مقاتله
والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة ؛ لزيادته سَقَمًا إذا
التقى بالمحبوب .

وقال الحامي : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر :

فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوْىَ كُلِّ تَلِيلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الخُشْرُ
وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً لحديث ، إلا قول أبي نواس :

كَأَنَّ نِيَابَهُ أَطْلَقْنَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرًا
يزيدُكَ وَجْهَهُ حَسَنًا إذا ما زِدْتُهُ نَظْرًا
بِعَيْنٍ خَالَطَ التَّفَتُّيرُ مِنْ أَجْفَانِهَا الخُورًا
وخذَ سَارَى لَوْ نَصَوْبَ مَاؤُهُ قَطْرًا

الأسماء التي
بتغزل الشعراء

وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون فيها

بها زورا نحو : ليلي ، وهند ، وسلي ، ودعد ، ولبنى ، وعفراء ، وأزوى ،
وريا ، وفاطمة ، ومية ، وعولة ، وعائشة ، والرباب ، وبجل ، وزينب ،
ونعم ، وأشياهن .

ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشدته الأصمعي :

وما كان طي حُبها غير أنه يُقامُ بسلي للقوافي صدورها^(١)

وأما غزوة وبينة فقد هما كثير وجمل ، حتى كأنما حرما على الشعراء . .
وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة؛ إقامة للوزن، وتحلية للنسيب ،

كما قال جرير :

أجد رواح القوم؟ بل لآت رَوْحُوا نَمَّ كُلُّ مَنْ يُفَنِّي بِجُمْلٍ مُبَرَّحٍ
ثم قال بعد بيت واحد :

إذا سَايَرْتَ أَسْمَاءُ يَوْمًا ظِلْمَانًا فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الظُّلْمَانِ أُمْلَحُ^(٢)
ظِلْمَانٌ حَوَالِي خِذْرِ أَسْمَاءٍ فَاتَحَى بِأَسْمَاءِ مَوَارِئِ اللَّطَائِنِ أَرْوَحُ
صَحَا الْقَلْبُ عَنْ أَسْمَاءٍ وَقَدْ بَرَّحَتْ بِهِ وَمَا كَانَ يَلْقَى مِنْ تَمَاضٍ أَرْحُ
وأما قول السيد الحميري :

ولقد تسكونُ بها أوانس كالسمي هند وعبدُة والرباب وبوزع
فإنه ثقيل من أجل بوزع .

وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير ، فما ظنك بالسيد الحميري ؟
وكذا كانت اللفظة أخلى كان ذكرها في الشعر أشهى ، اللهم إلا أن يكون الشاعر لم
يُرَوِّزَ الأسم ، وإنما قصد الحقيقة لا إقامة الوزن ؛ فينثذ لاملامة عليه ، ما لم يجد في
الكنية منفوحة . .

وقال يزيد بن أم الحكم :

(١) الطب : العادة والسجية ، وقال الشاعر :

وما إن طبناجين ، ولكن منابنا ودولة آخرنا
(٢) يروي * . . . ظمية . . . من تلك الظمية . . .

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبِ مُتَمَوِّدَا إِذَا أَقُولُ سَحَا يَمْتَادُهُ عِيدَا
 كَانَ أَحْوَرُ مَنْ غَزَا لَأَنِّي ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِمَانَشَةِ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا
 عَلَى أَن بَعْضُهُمْ رَوَاهُ « أَهْدَى لِمَا شَبَّهَ الْعَيْنَيْنِ » وَهُوَ أَجْوَدُ لَا مَحَالَةَ ، وَمِثْلُ
 هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْقَدَمَاءِ ، وَلَسْتُ أَرَى مِثْلَهُ مِنْ عَمَلِ الْمُحَدِّثِينَ صَوَابًا ،
 وَلَا عَلِمْتُهُ وَقَعَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ، إِلَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ السَّيِّدِ الْمُتَقَدِّمِ آتِفًا ، وَقَوْلُ أُمِّ
 تَمَامِ الطَّائِي :

وإِنْ رَحَلَتْ فِي ظُنُونِهِمْ وَحُدُودِهِمْ زَيَانِبُ مِنْ أَحِبَابِنَا وَعَوَانِكَ
 وَمِنْ عِيُوبِ هَذَا الْبَابِ أَن يَكْثُرَ التَّفَرُّلُ وَيَقُلُ اللَّدِيحُ ، كَمَا يَحْكِي عَنْ شَاعِرٍ
 أَتَى نَصْرَ بْنِ سَيَّارٍ بِأَرْجُوزَةٍ فِيهَا مِائَةُ بَيْتٍ نَسِيْبًا وَعِشْرَةَ أَيْيَاتٍ مَدِيْحًا ، فَقَالَ
 لَهُ نَصْرُ : وَاللَّهِ مَا أَقْبَيْتَ كَلِمَةً عَذْبَةً وَلَا مَعْنًى لَطِيفًا إِلَّا وَقَدْ شَغَلْتَهُ عَنْ مَدِيْحِي
 بِنَسِيْبِكَ ، فَإِنْ أُرِدْتَ مَدِيْحِي فَاقْتَصِدْ فِي النَّسِيْبِ ، فَعَدَا عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ :
 هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لَأَمْ غَمِيرُ ؟ دَعُ ذَا وَحَبَّرْ مَدْحَةً فِي نَصْرِ
 فَقَالَ نَصْرُ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

فَأَمَّا مَذْهَبُ الْأَوَّلِ فِي طَوْلِ النَّسِيْبِ وَقَصْرِ اللَّدِيحِ فَإِنْ نَعَسِيْبًا اتَّبَعَهُ فِيهِ ، وَلَكِنْ
 ذَاكَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى اقْتِرَاحٍ فِي الْقَصِيْدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا بَنِي جَبْرِيلَ ، وَأَمَّا الْمَذْهَبُ
 الثَّانِي فَانْتَحَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ :

وَاحِرٌ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِي شَجِيمٌ وَمِنْ عَمْسِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقِيمٌ
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى اللَّدِيحِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

وَيَمَازِي عَلَى الشَّاعِرِ أَن يَفْتَخِرَ أَوْ يَتَعَاطَى [فَوْقَ] قَدْرِهِ ، كَمَا أَخَذَ عَلَى
 صِبَاسِ قَوْلِهِ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي لَا تَفُوتُوا مَهْجَتِي مَصَالِيَتَ قَوْمِي مِنْ حَنِيفَةٍ أَوْجَلِ
 وَعِيبَ عَلَى الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ صَمِيمٌ بِي تَمِيمِ قَوْلُهُ :

يَا أُخْتَ حَاجِيَةِ بْنِ سَامَةَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِي إِبْنِ طَلْبُوادِي
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النِّسَبُ الَّذِي يَصْنَعُ مَجَازَا كَالَّذِي فِي بَسْطِ الْقَصَائِدِ ،
فَإِنْ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَا مَكْرُوهَ فِيهِ .

وَسَمِعَ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَ ابْنِ أَبِي رَيْمَةَ الْحَزْزَمِيِّ :
يَمِينَا يَنْتَمِنُنِي أَبْصَرَنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَمْدُونِي الْأَعَزَّ
قَالَتِ الْكُبْرَى : أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى ؟ قَالَتِ الْوُسْطَى : نَعَمْ ، هَذَا عَمْرُ
قَالَتِ الصَّغِيرَى وَقَدْ تَيَمَّمَا : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ ؟
قَالَ لَهُ : أَنْتَ لَمْ تَنْسُبْ بِهِنَ ، وَإِنَّمَا نَسَبْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَبْنِي لَكَ
أَنْ تَقُولَ : قَالَتْ لِي قَتَلْتُ لَهَا ، فَوَضَعْتَ خَدِي فَوُطِئْتُ عَلَيْهِ .
وَكَذَلِكَ قَالَ لَهُ كَثِيرٌ لِمَا سَمِعَ قَوْلَهُ :

قَالَتْ لَهَا أُخْتَهَا تَعَاتِبُهَا : لَا تُفْسِدِينَ الطَّوَافَ فِي مَحَرِّ
قَوْمِي تَصَدِّي لَهُ لِأَبْصَرِهِ ثُمَّ اغْزَيْهِ يَا أُخْتَ فِي خَفَرٍ
قَالَتْ لَهَا : قَدْ غَزَيْتَهُ فَأَبِي ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أُرَى
أَهَكَذَا يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ ؟ إِنَّمَا تَوْصَفُ بِأَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ مَمْتَنَةٌ .

قَالَ بَعْضُهُمْ - أَظْنَاهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ - : الْعَادَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ أَنَّ الشَّاعِرَ هُوَ
الْمُتَغَزَّلُ لِلنَّائِوتِ ، وَعَادَةُ الْعَجَمِ أَنْ يَحْمِلُوا الْمَرْأَةَ هِيَ الطَّالِبَةُ وَالرَّاعِبَةُ الْمُخَاطَبَةُ ، وَهَذَا لَدِلُّ
كَرَمِ النَّحِيذَةِ فِي الْعَرَبِ وَغَيْرَتِهَا عَلَى الْحَرَمِ .
وَعَابَ كَثِيرٌ عَلَى نُصَيْبٍ قَوْلَهُ :

أَهْمُ بَدْعُهُ مَا حَيَّيْتُ ، فَإِنْ أُمْتُ فَيَالَيْتَ شَعَرِي مَن يَهْمُهَا بَعْدِي
حَتَّى إِذَا قَالَ لَهُ : كَأَنَّكَ اغْتَمَمْتَ لِمَنْ يَفْعَلُ بِهَا بِمَدِّكَ ، وَهُوَ لَا يَكُنِي . .
وَمِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ - وَقَدْ دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ

محسوس - قال: أين هذا الجعفرى الذى يتدبث في شعره ؟ قال على : فقلت أنه يريدنى لقولى :

ولما ندّا لى أمها لا تحبى وأنّ هواها ليس عنى بمنجلى
تمنيت أن تهوى سوىّ ، لعلها تذوق صبايات الهوى فترقّ لى
فما كان إلا عنّ قليل واشفت محبّ غزال أذعج الطرف أ كحل
وعذّبها حتى أذاب فؤادها ودوّقها طعمَ الهوى والتذلل
فقلت لها : هذا بهذا ، فأطرقت حياءً ، وقالت : كل من عايب ابتلى
فقلت : أنا هو جعلت فداك ، وأنا الذى أقول فى النيرة :

ربما سرى صدودك عني وطلاّ بيك وامتناعك مني
حدّر أنّ أكون مفتاح غبرى فإذا ما خلوت كنت التمنى

ويعاب ما ناسب قول الآخر ، وهو جميل :

فلو تركت عفتى معى ما طلبتها ولكن طلاّ بها لما فات من عفتى
لأن الصواب قول عباس ، أو مسلم :

أبكى وقد ذهب القواد ، وإنما أبكى لفقدك لا لفقد الداهب

طرد طرد الخليل والجاراة فى المحبة فهو مذهب مشهور ، وقد ركه جلة الشعراء ، ورواه رواية : منهم طرفة ، وليبد ، ثم جرير ، ثم جميل ، فقال طرفة ، وهو أول من طرقة :

فقلّ لخليل الخنظلية ينقلب إليها ، فأبى وأصل حبلى من وصل
وقال ليبد فى مثل ذلك :

فأقطع لبانة من تمرّض وصله وأشرّ وأصل خلّة صرّانها
يقول : أقطع المزار من تعرض وصله للقطيمة - ويقال : تعرض الشيء ، إذا فسد ، حكاه الخليل - فإن شرّ من وصلك من قطعك بلا ذنب ، يريد

الذى تعرض وصله ، ومن الناس من رواه * ونظير واصل خلة صرامها *
يقول : إن خير من وصل الخلة من قطعها باستحقاق ، يعنى نفسه . .

وقال جرير

طَرَفَتِكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا وَقْتِ الزَّيَارَةِ ، فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
على أن قوما زعموا أنه كان مُحَرِّمًا ، فذلك طرد الخيال ، كأنه تخرج وليس
طرد عتب .

وقال جميل :

وَلَسْتُ - وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى - بِقَاتِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرْمٍ : يَا بُنَيْنُ صَلِي
وجرى على سَنَنِ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَوْلَدِينَ ، وَاعْتَقَدُوا هَذَا الْمَذْهَبَ قَوْلًا
وفعلا ، حتى تمداه بعضهم إلى القتل ، مثل عبد السلام بن رغبان ، ونصر
الحارثي أرو^(١) ومن شاكلهما من الشطار ، إلا أن أصل هذا المذهب عند
قدامة فاسد ، وعاب على نابغة بن تغلب - واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بني
زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب - قوله :

بَحَلْنَا لِبَخْلِكَ لَوْ تَمْلِكُ تَمْلِكِينَ وَكَيْفَ يَسِيبُ بَخِيلٌ بِخِيلًا ؟
لأن الواجب عنده في التفرز أن يكون على خلاف هذا ، وكل ما لا يليق
بالحبيب فهو مكروه في باب النسيب .

قالت عزة لكثير يوما - ويقال بثينة - ما أردت بنا حين قلت :
وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٌ وَأَيُّ هِجَانٍ مُصَمَّبٍ نَمَّ نَهْرُبُ
كلانا به عَرٌّ فَتَنْ يَرَاكَ يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَاءُ تُغْدِي وَأُجْرَبُ
نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مُتَغَلِّ فَلَ هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطَلَّبُ

من الأمان
غير القبولة

إذا ما وردنا منهلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا ، فَلَا نَنْفُكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ
لقد أردت بنا الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ ! فخرج من
ههنا خجلًا

وإنما اقتدى بالفرزدق حيث يقول ، وهذا من سوء الاتباع :
أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا بِمَعْرِينٍ لَا نَرِدُّ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشْلُهُ وَنُقَذَفُ
كَلَانَا بِهِ عَرَّةٌ يُخَافُ قِرَافَهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلُ الْأَشَاعِرِ أَخْشَفُ
بَارِضٍ خِلَافَهُ وَحَدَّنَا وَثِيَابُنَا مِنَ الرِّيطِ وَالِدِيَابِاجِ دَرَعٌ وَمَلْصَفُ
وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ : سُلَافَةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْغَامَةِ قَرَفَتُ
وَأَشْلَاهُ لَحْمٌ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ شَيْنَا صَاحِبُ مُتَأَفُّ
لَنَا مَا تَمَنَّيْنَا مِنَ الْمَيْشِ مَادَعَا هَدِيلاً بَنِمَانٍ حَتَّاهِمُ هُتَفُ

و إذا كان بمرأ فإ هذه الأمنية التي كلها للحيوان الناطق ؟ لولا أنه ردها إلى
نفسه حقيقة ، وإلا فما أملح أن تجلَّ نَشْوَانُ يَصِيدُ الْحُبَارَى بِالْبَازِي .
ومعاب هذا الباب كثيرة ، وفيما قدمت منها دليل على باقيها .

اشتقاق
التشبيب

واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة ، وأصله الارتفاع ، كأن
الشباب ارتفع عن حال الطفولية ، أو رفع صاحبه ، ويقال : شَبَّ الفرسُ ، إذا
رفع يديه وقام على رجليه .

قال المحافظ : يقال شَبَّتِ النارُ شَبْوَبًا ، وشَبَّ الفرسُ بيديه فهو يشب
شبيبًا ، ويقال : مالكت عضاض ولا شباب ، اقضى كلامه .

وجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شَبَّ الْحَجَّارُ وَجْهَهُ الْجَارِيَةَ ، إذا جَلَّاهُ
ووصف ما تحته من محاسنه ؛ فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته
إياها وجَلَّاهَا للعيون ، ومنه الشب الذي يحتل به وجوه الدنانير ، ويستخرج
غشها ، ومنها : شبيت النار ، إذا رفعت سَنَّاها وزدتها ضياء .

وأشد الأسمى لكاشة بن أبي مسعدة :

* يَدْفَعُ عَنْهَا كُلَّ مَشْتُوبٍ أَغْرَ *

قال : للشبوب الذي إذا رأته فَرَعَتْ حسنه . . قال ابن دريد : شبت في الشعر شبيبا ، مثل نسبت نسيبا ، والنسيب أكثر ما يستعمل في الشعر .

(٧٤) — باب في المديح

وسيل الشاعر — إذا مدح ملكا — أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للممدوح ، وأن يحمل معانيه جزلة ، وألفاظه ثقيفة ، غير مبتذلة سوقية ، ويحتمل — مع ذلك — التقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن للملك سامة وضجرا ، ربما غاب من أجلها ما لا يصاب ، وحرّم من لا يريد حرمانه ، ورأيت عمل البهتري — إذا مدح الخليفة — كيف يُقْلُ الأبيات ، ويبرز وجوه المعاني ، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته ، وبلغ مراده .

وقد حكى عن عمارة أن جدّه جريرا قال : يا بُنَيَّ ، إذا مدحتم فلا تطيلوا للمادحة ؛ فإنه ينسى أولها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتم فخالفوا .

قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن عُلفة المرادي ، وحكى غيره قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبد الرحمن : أبا فراس ، دعني من شعرك الذي ليس يأتي آخره حتى يُنسى أوله ، وقال : قل في بيتين يملكان بالرواة ، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي ، ففدا عليه وهو يقول :

وَأَنْتَ ابْنُ بَطْحَاوَيْ قُرَيْشٍ ، وَإِن تَشَأْ

تَكُنْ مِنْ تَقِيفِ سَيْلِ ذِي خَدَرٍ غَمَرٍ ^(١)

(١) في الديوان « تنل من تقيف سيل ذي خدر غمر » .

وأنت ابنُ سوارِ الدينِ إلى السلي
تَكَفَّتْ بِكَ الشَّمْسُ لِلضَّيْئَةِ الْبَدْرِ^(١)
قَالَ : أَحْسَنَتْ ، وَأَمْرُهُ بِشْرَةُ آلَافِ دَرَمٍ .

وإذا كان المدح ملكاً لم يبال الشاعر كيف قال فيه ، ولا كيف كيف يمدح
أطرب ، وذلك محمود ، وسواء المذموم ، وإن كان سوقة فإياك والتجاوز به
خطئه ؛ فإنه متى تجاوز به خطئه ؛ كان كمن قصصه منها ، وكذلك لا يجب أن
يقصر عما يستحق ، ولا أن يعطيه صفة غيره ؛ فيصف الكاتب بالشجاعة
والقاضي بالحيمة والمهابة ، وكثيراً ما يقع هذا لشراء وقتنا ، وهو خطأ ، إلا أن
تصحبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه ، وكذلك لا يجب أن يمدح للـك
بعض ما يتجه في غيره من الرؤساء ، وإن كان فضيلة .

وذلك مثل قول البحتري يمدح المعتز بالله :

لَا الْمَذْلُ يُرَدُّعُهُ وَلَا التَّمْنِيْفُ عَنْ كَرَمِ يَصْدُهُ
فإنه مما أنكره عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وقال : مَنْ ذَا يَنْفُ
الخليفة على الكرم أو يصدده ؟ هذا بالهجاء أولى منه بالمدح .

وعيب على الأخطل قوله في عيد الملك بن مروان :

وَقَدْ جَمَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لِأَبْيَضَ لَا عَارِي الْخِلْوَانَ وَلَا جَذْبَ
وَقَالُوا : لَوْ مَدَحَ بِهَا حَرَسِيًّا لَعِيدَ الْمَلِكُ لَكَانَ قَدْ قَصَرَ بِهِ .
قلت أنا : وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى ، كقول

ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير :

يَلْبَسُ الْجَيْشُ بِالْجِيُوشِ وَيَسْقِي لِبْنَ الْبُخْتِ فِي عِيسَى الْخَلْدَنْجِ
لأن هذا - وإن لم يمدح به مادحة العرب في سقى اللبن - فقد زاده رتبة عرف
بها أنه ملك . وأجود منه في معناه قولُ حسان في آل جَعْفَنَةَ :

(١) في الديوان :

وأنت ابن فرع ماجد لقيمة تَلَقَّتْ لَهُ الشَّمْسُ لِلضَّيْئَةِ بِالْبَدْرِ
(١ - السنة ٢)

يَسْتُونَنَّ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ
بَرَدَى يُصَقُّ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ
ويروى « مسكا » .

وعاينوا على الأصوص قوله الملك :
وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم
فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإنما تمدح
بالإغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله .
ومن هذا النوع قول كثير :

رَأَيْتُ ابْنَ لَيْلَى يَعْتَرِي صَلَبَ مَالِهِ مَسَائِلُ شَتَّى مِنْ غَنَى وَمُعْزِرِيمِ
مَسَائِلُ إِنْ تَوَجَّدَ لَدَيْكَ تَجَدُّ بِهَا يَدَاكَ ، وَإِنْ تُظَلِّمَ بِهَا تَتَقَلَّمُ
لأن هذا التمايق لمن دون الخليفة والملك ، وإنما أخذه من قول زهير بن هَرَمٍ
أَبْنِ سَتَانَ ، وليس بملك ، ولذلك حسن قوله :
هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يَسْطِيكُ نَائِلَهُ عَفْوَاً ، وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا قَيْظِلُ
يريد أنه يسأل أحيانا ما ليس قبله فيحتمله ، هذا ، وقد قال الصولي في
شرح قول^(١) حبيب :

لَوْ يَفَاجِي رُكْنَ اللَّدِيحِ كَثِيرًا بِمَعَانِيهِ خَالِفُ سَبَابِ^(٢)
طَلَبَ فِيهِ اللَّدِيحَ وَالْتَدَّ ، حَتَّى فَاقَ وَصَفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْيِيبِ
سألت هون بن عماد الكندي : لم خص كثيرا ؟ فقال : سمعته يقول : أمدح
الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير .

(١) البيتان في الديوان (ص ٢٦) بتقديم الثاني على الأول من قصيدة يمدح
بها أبا سعيد محمد بن يوسف النخعي .

(٢) رواية الديوان * لوفادى ذكر اللديح كثيرا * وكان في الأصول
كلها « بمعانيه » وهو خطأ ، وبه يتكسر وزن البيت .

وحكى غير الصولى أن مروان بن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى اللدخ على جرير والقرزق .

ومما قدم به زهير قوله :

لو كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ النَجْمِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَمَدُوا
قَوْمٌ سِنَانٌ أَبْوْمٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَلَبَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
إِنْسٌ إِذَا أَمْنُوا ، حِينَ إِذَا فَزَعُوا ، مَرَزَأُونُ بَهَائِلٍ إِذَا جَهَدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَهْمٍ لَا يَنْزَعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُ حَسَدُوا

ويروى * غرّة بهائيل فى أعناقهم صيد * وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع بائى الحيوانات ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك ؛ إنما هى العقل والصفة والعدل والشجاعة ؛ كان القاصد لللدخ بهذه الأربعة مصيباً ، وبما سواها مخطئاً .

فقال زهير :

أَخْبَى قِتْمَةٍ لَا يُهْلِكُ أَنْظَرُ مَا لَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
لأنه قد وصفه بالعمّة لقلة إعطائه فى اللذات وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لإهلاكه ماله فى النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العقل ، ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ ، فزاد فى وصف السخاء منه : بأن جملة يهش ، ولا يلحقه مَضَض ، ولا تَكْرُهُ لفعله . . ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلِهِ لِإِنْكَارِ ضَمِيرٍ أَوْ لِيَصْمِرِ يُجَادِلُهُ

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى ضروب
 للمدح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزادها ما هو وإن
 كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها
 حيث قال « أخى ثقة » فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي
 قدمنا ، وقد تغنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها وكل
 داخل في جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ،
 والصدق بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سقاة الجهلة ، وغير ذلك مما يجرى
 هذا الجرى ، وهى من أقسام العقل ؛ وكذا كرم القناعة ، وقلة الشهوة ،
 وطهارة الإزار ، وغير ذلك ، وهى من أقسام العفة ؛ وكذا كرم الحماة ،
 والأخذ بالتأمر ، والدفع عن الجار ، والنكابة في العدو ، وقتل الأقران ، والمهابة ،
 والسير في اللهاة والقفار الموحشة ، وما شاكل هذا ، وهو من أقسام الشجاعة ؛
 وكذا كرم السماحة ، والتغابن ، والانفلاص ، والتبرع بالنائل ، والإجابة
 للسائل ، وقربى الأضياف ، وما جاس هذه الأشياء ، وهى من أقسام المدل .

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب
 العقل مع الشجاعة الصبر على اللدات ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإياد ؛ وعن
 تركيب العقل مع السخاء البر ، وإنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب
 العقل مع العفة التنزه ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ،
 وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإخلاص ، والإخلاص ،
 وما جاس ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار القواش ، والغيرة على
 الحرم ؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ،
 وما شاكل ذلك .

قال : وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط بين
 طرفين مذمومين .

مدح أبو المتاهية عمر بن العلاء^(١) فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، ففار الشعراء لذلك ، فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض ، إن أحذكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقته بمحسبين بيتا فابيلغنا حتى تذهب لذادة مدحه وروث شمره ، وقد أتى أبو المتاهية فنسب في أبيات يسيرة . ثم قال :

إني أمنتُ من الزمانِ ورَبِّهِ لما عَلِقتُ مِنَ الأميرِ حَبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله كَلَدُوا لَهُ حرّاً الخلدودِ نِبالاً
إِنَّ المطايا تَشْكِيكَ ؛ لأنها قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَاباً وَرَبالاً
فإذا وَرَدَنَ بنا وَرَدَنَ خِفائِفاً وإذا صَدَرَنَ بنا صَدَرَنَ نِقَالاً^(٢)
ومن مليح ما لأبي المتاهية في اللدح قوله :

فَتَى ما استفاد المال إلا أفاده سواء كَأَنَّ للكَ في كفه حلْم
إذا اُبْتِسِمَ المُتَهْدِي نَادَتْ يَمِينَهُ : ألا من أَنانا زائراً فله الحُكْم
وله أيضاً في معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم^(٣) :

(١) كان عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي بمدحاً ، ومدحه أبو المتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء ؛ وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفي ؟ وأى شيء مقدار شعره ؟ ! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجل وقال : إن الواحد منكم ليدور على اللقي فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، حتى يشبب بمحسبين بيتاً ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن اللقي تجمع له ، مدحني فقصر التشبيب ، ثم قال . . . وذكر الأبيات التي أنشدها للولف ، هنه رواية الأغاني هذا ، وقد انفقت نسخة الأغاني في ترجمة أبي المتاهية (١٤٤ / ٣) وترجمة بشار (٢٦ / ٣) على أنه « عمرو » بفتح العين وبالأو ، مع ذكر أبيات لبشار فيه ستأتي في ص ١٨٤ من هذا الجزء ولا تستقيم إلا بقراءته بضم العين وفتح الميم .
(٢) في الأغاني (١٤٤ / ٣) بولاق « فإذا وردن بنا وردن بنا وردن بحة » وقال : أخذ هذا اللقي من قول نصيب :

فاجوا فأتونا بالهدى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

(٣) انظر ص ١٢٨ و ١٢٩ من هذا الجزء .

فَدَامَتْ بَيْتُهُ فِي السَّالِينِ أَعَزُّ بِنَاءٍ وَلَا أَرْغُ
قَبِيَّتْ بِنَاءُهُ لَهُ هَاشِمٌ وَبَيْتُ بِنَاءٍ لَهُ تُبَيْعٌ
وَلَوْ حَاوَلَ الدَّهْرُ مَا فِي يَدَيْهِ لَعَادَ وَهَرَبَتْهُ أَجْدَعُ

ومن المديح المخصوص عليه قول زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حِسَانٍ وَجُوهُهَا وَأُنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَأِنْ جِئْتُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ تَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَاسِهَا الْجَهْلُ
عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَفْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةِ وَالْبَذْلُ
سَتَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَسَكَى يُدْرِكُوهُمْ قَلَمٌ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَلِيُمُوا وَلَمْ يَالُوا
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ أَبَاهُ آبَاؤُهُمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنَبِّتُ أَنْطَلَى إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُنْفَسُ إِلَّا فِي حَنَابَتِهَا النُّخْلُ
وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاقِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خَلْقًا
لَيْتَ يَمُتْ يَصْطَادُ الرَّجَالُ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَفْرَاقِهِ صَدَقًا
يَطْلَعُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقًا
فَضَلَ الْجَوَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ فَلَا يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزِقًا
هَذَا وَلَيْسَ كَنْ يَمِيًا بِخَطْبَتِهِ وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطَقَ نَطَقًا
لَوْ نَالَ حَتَّى* مِنَ الدُّنْيَا تَمَكَّرُمَةً أَفَقَ السَّمَاءَ لَنَاطَتْ كَفَّهُ الْأَفْقًا

ما يمدح به
الكاتب
والوزير

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما اختاره قدامة وغيره ، وكذلك ما ناسب حسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة الحزم ، وقلة الغفلة ، وجودة النظر للحليفة ، والنيابة عنه في التفضيلات بالرأى أو بالقدرة ، كما قال أبو نواس :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِنَّمَا كَفَّيْتَهُ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ بِالْكَفِّ تَشِيرُ

وبأنه محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس ، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة ، والخط ، والتفنن في العلم ؛ كان غاية .

وأفضل ما مدح به القائد : الجود ، والشجاعة ، وما تفرع منها ، نحو ما مدح به القائد التخرق في الهيئات ، والإفراط في النجدة ، وسرعة البطش ، وما شاكل ذلك .

وما مدح به القائد القاضي بما ناسب العدل والإنصاف ، وتقريب البعيد في الحق ، وتبديد القريب ، والأخذ للضعيف من القوى ، والمساواة بين الفقير والغني ، وانساض الوجه ، ولين الجانب ، وقلة اللبالة في إقامة الحدود واستخراج الحقوق ، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع ، والتخرج ، وما شاكلهما ، فقد بلغ النهاية .

وصفات القاضي كلها لائمة بصاحب المظالم ، ومن كان دون هذه الثلاث^(١) الطبقات سوى طبقة الملك فلا أرى لمدحه وجها ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مدح كل إنسان بالفضل في صناعته ، وللعرفه بطريقته التي هو فيها ، وأكثر ما يصول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة ، فإن أضيف إليها فضائل عرضية أو جسمية : كالجمال ، والأبهة ، وبسطة الخلق ، ومدة الدنيا ، وكثرة المشيرة ؛ كان ذلك جيداً ، إلا أن قدامة قد أبى منه ، وأنكره جملة ، وليس ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقول : إن للحد بالفضائل النفسية أشرف وأصح ، فأما إنكار ما سواها كرامة واحدة فما أعلن أحداً يساعده فيه ، ولا يوافقه عليه .

وقد كره الحدائق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لنهره :

(١) هذا استعمال كوفي ، وقد قال عنه الزمخشري : إنه « بمزول عن الصواب » والصحيح عند البصريين أن يقال « ثلاث الطبقات » فيعرف الممدود ويضيف إليه العمد .

لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ فَانِي^(١)
أَنْتَ نَمُ لِلتَّاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَابْقَاءَ لِلنَّاسِ

سليمان بن
عبد الملك
يعجبه جماله

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام ، وهو الخليفة ، يريد
المسلاة ، ونظر في المرأة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه ، فقال : أما الملك
الشاب ، ويروي « الفتى » فقلته إحدى حظاياه ، فقال لها : كيف ترينني ؟
فتمثلت بالبيتين المتقدم ذكرهما ، فتطير بهما ورجع ، فحم فابات إلا ميتا
تلك الليلة

وروى عن بعض الملوك أنه قال : ما هؤلاء الشعراء قاتلهم الله ، ربما
ذكرونا شيئا نحن أكثر ذكرا له منهم فينقصون به علينا أوقات لذتنا ؟ ! !
بذلك الموت .

وما يعاب على

أبي تمام

فما أشنع ما في ذلك قول أبي تمام :
فَلَيْطَلَّ عَمْرُهْ فُلُومَاتُ فِي طَوَسٍ مَقْبَا لَمَاتَ فِيهَا غَرِيْبَا

فما الذي دعاه إلى ذكر الموت ههنا إلا التذكيد والغصاصة ؟

أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم :
عَمَّا يَقْدُمُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ
فِي الرَّسُولِ

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأُذْمَاءَ مُفْتَجِرًا بِالْبَرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيَّ لَيْلَةِ الظُّلَمِ
وَفِي عِطَانَيْهِ أَوْ أَثْنَاءَ رَهْطَتِهِ مَا يَمْلَأُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ

والجهال يروون البيت الأول لأبي دهبيل الجملي ، ويناسبه قول

المعاج :

يَحْمِلُنَ كُلَّ سُودَيْهِ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنَ مَا تَنْدَرِي وَمَا لَا تَنْدَرِي

قال الأعمش : وأصله قول الحارث بن حازم :

(١) البيتان في الأغاني (٣ / ١٢٢ بولاق) منسويين لموسى شهورات ،
يقولهما في عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان موسى قد سأل بعض آل الزبير حاجة
فدفعه عنها ، وقضاها له عبد الله بن عمرو بن عثمان من غير مسألة منه .

وفعلنا بهم^(١) كما علم الله وما إن لالحائنين ذماء
قال : ولم يقل قطُّ شاعر « كما يعلم » أحسن من هذه الثلاثة للماني^(٢)
قال أبو العباس اللرد : من الشراء من يحمل اللدخ ، فيكون ذلك وجهاً
حسناً ؛ لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة ، وبُعْده من الإكثار ، ودخوله
في الاختصار .

وذلك نحو قول الخطيئة^(٣) :

الخطيئة

تُزورُ قَتَى يُعْطِي على الحَدِّ مَالَهُ وَتَمَنْ يُعْطِ أَمَانَ لِلْكَارِمِ يُحْمَدُ
تُزورُ قَتَى يُعْطِي على الحَدِّ مَالَهُ وَيَقْلَمُ أَنْ لَرَّ غَيْرُ غُلْدِ
يَرَى الْبُهْلَ لَا يُبْقَى على الرِّءْ مَالَهُ وَيَقْلَمُ أَنْ لَرَّ غَيْرُ غُلْدِ
ورواه غيره * أن اللال غير غلد *

كُتُوبٌ ومتلافٌ إذا مأسأته تَهْلِكُ وَاهْتَرَأَ أَهْتَازَ الْمُهْنَدِ
مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى صَوِّهِ نَارُهُ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

(١) سقط لفظ « بهم » من الصريتين ، وهو كما ترى ، وورد الشعر الثاني
فيهما * وما إن لالحائنين ذماء * على أن الحائنين بالخاء للجمعة جمع حائن ؛
وذماء بالذال معجمة أيضاً ، والصواب أن الحائنين بالخاء مهملة جمع حائن وهو
المهالك وفعله حان يحين حيناً ، وذماء بكسر الهمزة مهملة ، والغنى وفعلنا بهم فعلا
بليغاً لا يحيط به إلا علم الله تعالى ، ولا ذماء للمتضررين للهلاك ، أي : لم يطلب
بأثرهم وذمائمهم .

(٢) سبق (في ص ١٣٥) الاعتراض على هذا التفسير .

(٣) هكذا وردت رواية الأبيات في أصول هذا الكتاب ، والبيت الثاني
منها لا وجود له في الديوان (ص ٢٤) ولا معنى لبقائه قط ؛ لأنه من زيادات النسخ
لا غير إذ هو عبارة عن تكرير صدر الأول وعجز الثالث .

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح ، وأتى بمجامع الوصف وجملة المدح على سبيل الاقتصاد في البيت الأخير .

ومثله قول الشماخ :

للشماخ

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْتَوُ
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
إِلَى الْعُلِيَاءِ ^(١) مَنطُوعَ الْقَرِينِ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ الْيَمِينِ
انتهى كلامه .

ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره إصابة للفرض ما ناسب قول ابن هرمة للنصور :

أفضل
ما مدح به
الملوك

لَهُ لُحَفَاتٌ عَنْ حِفَافٍ سَرِيرِهِ ^(٢)
فَأُمُّ الدِّيِّ أَمُنْتُ أَمْنَةَ الرَّدَى
وَأُمُّ الدِّيِّ أَوَعَدْتُ بِالْثَّكْلِ ثَاكِلِ ^(٣)
وقول أبي المتاهية في مدح الهادي :

يَضْطَرِبُ الْخُوفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحَزِينِ السَّكَنَانِي فِي عَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَدْ
وَفَدَّ عَلَيْهِ بِمَعْرِ ، وَيُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَقِيلَ : بِلِ قَالِهَا فِيهِ الْعَيْنُ الْمُنْقَرِي ، وَقِيلَ : بِلِ الْأَيَّاتِ لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمَةَ ^(٤)
فِي قُسَمِ بْنِ الْعِيسَى بْنِ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعِيسَى :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهُ عَيْقُ
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
مِنْ كَفِّهِ أَرْوَعَ فِي عِرْنِيْنِهِ تَمِيمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَثِمُ
اجتمع الشعراء بباب المعتصم فيمض إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول
مثل قول منصور النخعي في أمير المؤمنين الرشيد :

الشعراء
باب المعتصم

(١) في الديوان (ص ٩٦) « إلى الخيرات » .

(٢) للصريتين « خفافى » وهو تصحيف .

(٣) في الصريتين « فأما . وأما » وهو تحريف .

(٤) في سائر الأصول « داود بن مسلم » تحريف ، وانظر ج ٢ ص ٢٥ من

هذا الكتاب .

إِن المكارم والمعروف أوديةٌ أَخْلَقَ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللهُ رافعه ومن وضعت من الأقوام مُتَّصِع
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللهُ معتصما فليس بالصلواتِ الخس يتضع
إِن أَخْلَفَ الغيثُ لَمْ يُخْلِفْ أَنَامِلُهُ أو ضاقَ أَمْرٌ ذَكَرناه فَيَتَسَع
فليدخل ، فقال محمد بن وهب : فينا من يقول خيرا منه ، وأنشد :
ثلاثة تُشْرِقُ الدُّنْيَا بيهجتهم تَمْسُ الضحى وأبو إسحاق والقمر^(١)
يَحْكِي أُنْفَاعِلُهُ فِي كُلِّ نَائِلَةٍ الغيثُ والليثُ والصمصامة الذِّكْرُ
فأمر بادخاله وأحسن صلته .

قالوا : لما حضرت الحطيئة الوفاة قال^(٢) : ابلغوا الأنصار أن أخام أمدح
الناس حيث يقول :

يُشْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُرُ كَلَابِهِم لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ
قال ثعلب : بل قول الأعمش :
فَتَى لَوِيبَارَى الشَّمْسِ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرِ السَّارَى لَأَلْقَى الْمَنَاقِدَا
أمدحُ منه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بل بيت جرير :
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَائِيَا وَأَنْذَى الْمَائِلِينَ بَطُونَ رَاحِرِ
أَسِيرٌ مَا قِيلَ فِي اللَّدَحِ وَأَسْهَلُ .
وقال غيره : بل قول الأخطل :
شَمْسُ الدَّوَادِرِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهَا وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وقال دحبل : بل قول أبي الطمَّحان القَتَّيْنِي :
أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْعِنْدَ ثَابِقِهِ^(٣)

(١) حفظي «تشرق الدنيا بطلعتهم» (٢) في الصريتين «قالوا» وليس بشيء .

(٣) حفظي * ... حتى نظم الجزع ثابقه *

قال : وقد تنازع في هذا البيت - يعني بيت أبي الطمحن - قوم ، وفي بيت حسان في آل جفنة ، وبيت الثابتة :

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ
وبيتُ أبي الطمحن أشعرُها .

قال الحاتمي : بل بيت زهير :

تراه إذا ماجسه مُتَهَلِّلاً كأنك تُعطيه الذي أنت سائله
وحكى على بن هارون عن أبيه أنه قال : 'أجمع أهل العلم على أن بيتي أبي نواس أجود ما للولدين في المدح ، وهما قوله :

أنت الذي تأخذ الأيدي بحجزته إذا الزمان على أثنائه كَلَعَا
وكلت بالدهر غيثاً غير غافلة من جودك تفك تأسوكل ماجرحاً

روى الحاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحد بن يحيى قال : سمعت ابن الأعرابي يقول : أمدح بيت قاله مولد قول أبي نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بظِلِّ جَنَاحِهِ فَمِى تَرى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَحْدَاثُ عَنِّي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي

قال صاحب الكتاب : نحن إلى الإنصاف أحوج منا إلى المكابرة والخللاف ، أبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل ، وإلا فاف في صفة الخمول أشد مما وصف ، لاسيما على رواية من روى :

* فلو تسأل الأيام عني *

ومن جيد ما سمعته لمحدث - وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان ابن وهب ، ورأيت من يرويه لأبي الحسين أحمد بن محمد الكاتب - :

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ لم يحمد الأجودان : البَحْرُ وَالْمَطَرُ
ولو أضامت لنا أنوار غرتهِ تضامل النيران : الشمس والقمر

وإن مضى رأيه أو حذَّ عزيمته تأخر الماضيان : السيفُ والقدر
 من لم يبت حذراً من خوفِ سطوته لم يدر ما المزيجان : الخوف والحذر
 يقال بالظن ما يتيها اليقينُ به والشاهدان عليه التيقنُ والأثر
 كأنه وزمامُ الدهر في يده يرى عواقب ما يأتي وما يذرُ
 وقال خلف الأحمر : أغلب اللح أكثره سلقاً كقول زهير :

تراه إذا ما حثته متهللاً كأنك تُشطيه الذي أنت سائمه
 أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال ناره
 غدت عليه غداة فوجدته قعوداً لديه بالصريم عواذله
 يُقدِّنه طوراً، وطوراً يلمنه وأعيى فما يدرين أين تخاذله
 فأعرض منه عن كريم مرزله عزوم على الأمر الذي هو فاعله
 وقال طفيف الغنوى :

جزى الله عنا جفراً حين أزلت بنا نملنا في الواطئين فزلت
 أبوا أن يملونا ولو أن أئمتنا تلاق الذي لا قوه منا لملت
 وقال الأصمعي : أخلب الشر قول حمزة بن بيض :

تقول لي والقيون حاجة : أقيم علينا يوماً، فلم أقيم
 أي الوجه انتجست ؟ قلت لها : لا أي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل حاجياً سرادقي هذا ابن بيض بالباب يفتيم
 قد كنت أسلمت فيك مُقتبلاً فهاذ إذ حل أعطى سلمي
 وسأل الرشيد المنفل الضبي : أي بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال :

أغرأ بلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 هكذا روايته فيه .

قال شرجيل بن معن بن زائدة : كنت أسير تحت قبة يحيى
 ابن خالد ، وقد حج مع الرشيد ، وعديله أبو يوسف القاضي ، إذ

أتاه أعرابي من بني أسد كان يلقاه إذا حج فيمده ، فأنشده شعراً أنكر يحيى
منه بيتاً فقال : يا أخا بني أسد ، ألم أنهك عن مثل هذا الشعر ؟ ألا قلت كما
قال الشاعر :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْقِتَاءِ كَأَنَّهُمْ أَسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خِفَانٍ أَشْبَلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا يَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَكِينِ مَنْزِلُ
بَهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادَاوَلَمْ يَكُنْ كَأَوْلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دَعَا أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْرَلُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِيَةِ وَأَجْهَلُوا

فقال أبو يوسف : لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه ؟ فقال
يحيى : بقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى ، وأوماً إلى ، فكان قوله أسر
إلى من جليل القوائد ، ثم التفت إلى وقال : يا شرحبيل ، أنشدني أجود ما قاله
ابن أبي حفصة في أبيك ، فأنشدته :

نِعْمَ لِلنَّاحِ لِرَاضٍ وَلِرَاهِبٍ مِمَّنْ تَصِيبُ جَوَاحِ الْأَزْمَانِ
مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْقِتَاءِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ يَوْمُ نَذَى وَيَوْمَ طِعَانِ
يَكْسُو الْأَمِيرَةَ وَالنَّاصِرَ بِهَنْجَةٍ وَزِيَّئَهَا بِمَهَارَةِ وَبَيَانِ
تَمَضَى أَسْنَفَتُهُ وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ تَقْيِيرِ الْأَلْوَانِ
نَفْسِي فَذَاكَ أَبَا الْوَلِيدِ إِذَا بَدَا رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالرَّمَاحِ دَوَانِ

فقال يحيى : أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك ، أجود من هذا قوله :

تَنَابَهَ يَوْمُهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلَا فَلَا نَحْنُ نَدْرِي أَيْ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
أَيُّومُ نَدَاهُ الْقَمَرُ ، أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ ؟ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَغْرُ مُحَجَّلُ

بما عيب
في المدح

وما أخذ على الكميت قوله بمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
فاعتَبِ القول من فَوَادِيٍّ والشَّمْرَ إلى مَنْ إِلَيْهِ مُتَعَتِّبٌ
إلى السَّراجِ لِلنَّيرِ أَحَدًا لَا يَغْدِلُنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبًا
عنه إلى غيره ولورفع الناس إلى الميوت وارْتَقِبُوا
وقيل : أفرطت ، بل قصدت ، ولو عَنَفْنِي الْقَاتِلُونَ أَوْ ثَلَمُوا
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ السَّأْرُضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْكُيُوبُ
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجَّاجُ وَالصَّخْبُ
قَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَطْتَ ، أَوْ
يَعْتَفُهُ ، أَوْ يَثْلِبُهُ ، أَوْ يَعْيبُهُ ، حَتَّى يَكْثُرَ الضَّجَّاجُ وَالصَّخْبُ !! ؟ وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ
مِنْهُ ، وَجَهْلٌ بِمَوَاقِعِ الْمَدْحِ ، وَقَالَ مَنْ احْتَجَّ لَهُ : لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَإِنَّمَا أَرَادَ عَلَيْهِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَرَّى عَنْهُ بِذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفًا
مِنْ بَقِي أُمِيَّةَ .

ومن الشعراء من ينقل المدح عن رجل إلى رجل ، وكان ذلك دأب البحري ،
وفعله أبو تمام في قصائد معدودة ؛ منها :

« قَدْ ذَكَرْتُ أَثِيبَ أَرْبَيْتٍ فِي الْفُلُوحِ »

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان ، فأما الذي قال : « هُنَّ بَنَاتِي
أُنْكَحِمْنَ مِنْ شَتَّى » فهو مضمون إن لم يُثَبِّ ، فأما إن أثيب فذلك منه قلة
وفاء ، وفَرَطُ خِيَانَةٍ .

(٧٥) - باب الافتخار

والافتخار هو المدح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل
ما حسن في المدح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ؛ فمن
أبيات الافتخار قول الفرزدق :

يقال فيه
ما يقال في
المدح

أفخر بيت
قاله شاعر

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانَهُ أَعْرُ وَأَطْوَلُ
قال أحمد بن يحيى : أَفْخَرُ بَيْتَ قَالَهُ الْعَرَبُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :
مَا يَنْكُرُ النَّاسُ مُنَاحِينَ عَمَلِكُمْ كَانُوا عَيْدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابًا ؟
وقال دحبل بن علي : أَخْرَجَ الشَّعْرُ قَوْلَ كَسْبِ بْنِ مَالِكٍ :

وَيُبْرِ بِدِرٍ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
وقال الحاتمي : قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
قال : وَيَتْلُوهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا
وقال آخرون : بَلْ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَنْ إِذَا عَدَّتْ مَعْدً قَدِيمَهَا مَكَانُ النَّوَاصِي مِنْ وَجْهِ السَّوَابِقِ
وقال غيرهم : بَلْ قَوْلُهُ لَجَرِيرٍ :

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ فَوْقَكَ دَارِمًا وَالشَّمْسُ حَيْثُ تَقْطَعُ الْأَبْصَارَا
وقيل : بَلْ قَوْلُ ابْنِ مَيْيَادَةَ - وَاسْمُهُ الرَّمَّاحُ بْنُ أَبِرْدَ - :

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمْتُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
وأخر بيت صنمه مُعَدَّتْ عِنْدَهُمْ بِشَارٍ :

إِذَا مَا غَضِبَهَا غَضِبَةً مُضْرِبَةً هَتَكُنَّا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَارَتْ دَمًا

إِذَا مَا أَعْرَنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذَرَا مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَتَلَمَّا

وَرَوَى

* هَتَكُنَّا سَمَاءَ اللَّهِ أَوْ مَطَرَتْ دَمًا *

(١) لم أجِدْ هَذَا الْبَيْتَ فِي دِيْوَانِهِ ، وَلَاعْتَرَتْ عَلَيْهِ فِيهَا نَحْلُهُ امْرِئُ الْقَيْسِ .

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مَنَا يَعْشِ بِحُسَامِهِ وَمِنْ يَفْتَقِرْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ
وَنَحْنُ وَصِفْنَا دُونَ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِبَأْسٍ شَدِيدٍ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَإِنَّا لَنَلْهُو بِالْحُرُوبِ كَمَا كُنَّا فَتَاةً يَعْقِدُ أَوْ سِخَابٍ قَرَنُفُكُلِ

يعنى قول الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ) فدعوا في خلافة أبي بكر إلى قتال أهل الردة من بني حنيفة ، وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب ، وقال : كيف يقتخر على مُضَرٍّ ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر ؟ فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .

ومن افتخر بالكثرة أوس ابن مفرء قال :

مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا عِنْدَ أَخْرَانَا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بأباه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه ؛ لأن كثيراً من الناس لا يكونون كأبائهم ، والذي ذهب إليه حسن .

وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله :

مَا يَقْوَى شَرَفْتُ بِنِ شَرَفُوا نِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي

وإما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول :

وَمَا سَوَدَتْ عِيَالًا مَا تُرْغِمُهُمْ وَلَكِنْ بَهُمْ سَادَتْ عَلَى غَيْرِهِمْ عَجَلُ

قال : وهذا معنى سوء يقصر الممدوح ، ويفض من حسبه ، ويحقر من شأن سلفه ، وإما طريقة اللدح أن يحمل الممدوح يشرف بأباه ، والآباء تزداد شرفاً به ؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي اللدح نصيباً ، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين ، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ، ومنقول إلى ولده كأنقل ماله ، فإن رعى وحرس ثبت

وازداد ، وإن أهل وضَّع هلك ونَادَ . وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر ، والخط الأكبر .

قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول
من المختار
في الفخر
للقول الليثي :

إنا وإن أحسابنا كَرُمَتْ لَسْنَا عَلَى الْأَحْسَابِ شَكْلٌ ^(١)
نَبِيٌّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفرى :

فإني وإن كنت ابنَ سيدِ عامر وقارِسَهَا للشهور في كل موكب
فَمَا سَوَّدَتْنِي عامرٌ عَنْ وَرَائِهِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمِّ وَلَا أَبِ
ومن أفرح ما قال المولودون قول إبراهيم الموصلي يفخر بولائه من خزيمة بن
حازم التهليلي :

إِذَا مَضَرَ الْحَمَاءُ كَانَتْ أُرُومَتِي وَقَامَ بِمَجْدِي حَازِمٌ وَابْنُ حَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفِي شَاعِحًا وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثَّرِيًّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

ومن قول السيد أبي الحسن يفخر بقومه بني شيبان :

يَا آلَ شَيْبَانَ لَا غَارَتْ نُجُومُكُمْ وَلَا خَبَتْ نَارُكُمْ مِنْ بَعْدِ تَوْكِيدِ
أَتَمْتُ دَعَائِمَ هَذَا الْمَلِكِ مَذْرُوعَتِ قُبْلُ الْخِيُولِ لِإِبْرَامَ وَتَوْكِيدِ
لِلنَّعُونَ إِذَا مَا أَزَمَةُ أَلْهَمَتْ وَالْوَاهِبُونَ عَتِيقَاتِ الزَّائِدِ
سَيُوفَكُمْ أَقْدَتُ كَسْرَى مَرَازِبَهُ فِي يَوْمٍ ذِي قَارَ إِذْ جَاءُوا لِمَوْعِدِ
وهذا هو الفخر الحلال غير اللدعي فيه ولا لِنَتَحَلَّ .

وعما عابه الأسمى وغيره قول عامر بن مشر بن أسحم يصف أسيراً أسروه :

من شعر
أبي الحسن
في الفخر

عما عابه
الأسمى

(١) في نسخة « لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ . . . يَوْمًا » .

فظل يخالـس المذقـاتِ فينا يُقَادُ كأنه جَملٌ رَيقُ
وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالـس القليل المذوق من اللبن ، وإنما
ذلك من الجهد .

ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السموأل بن عدياء اليهودي^(١)
فإنها جمعت ضروب المباح وأنواع المفاخر ، وهي مشهورة .

(٧٦) - باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود
به ميت مثل « كان » أو « عدنا به كيت وكيت » وما يشاكل هذا ولعلهم
أنه ميت .

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التضجع ، بين الحسرة ، مخلوطاً بالتلطف والأسف
والاستغلام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً ، كما قال النابغة في حصن بن
حذيفة بن بدر:

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ
وَلَمْ تَلْفِظْ الْمَوْتَ الْقُبُورُ ، وَلَمْ تَزَلْ نَجْمُ السَّمَاءِ ، وَالْأَدِيمُ صَحِيعُ
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَيْمُهُ فَظَلَّ نَدَى الْحَى وَهُوَ يَنُوحُ

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجليّة ، وإلى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية

حين قال :

* مَاتَ اتَّخِلِفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ *

(١) التي أومأ لها :

إذا للره لم يدنس من القوم عرشه فكل رداء يرتديه جميل

فرقع الناس رهوسهم ، وفتحوا عيونهم ، وقالوا : نَمَاءٌ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ،
ثم أَدْرَكَهَ اللَّيْلُ وَالْقَتْرَةُ فَقَالَ :

* فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ *

يريد : إني بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا
وكل أحد ينكر ذلك على ، ويستعظمه من فعلي ، وهذا معنى جيد غريب في
لفظ رديء غير مُعَرَّبٍ عما في النفس .

وَمِنْ أَفْضَلِ الرِّثَاءِ قَوْلُ حُسَيْنِ بْنِ مَطِيرٍ يَرَى مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ ، وَيُرْوَى لِابْنِ
جَبْرِ الرِّثَاءِ أَبِي حَفْصَةَ :

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كَفْتُ أَوَّلَ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ حُطَّتْ لِلْمُجَاهِدَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ ؟ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسَعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصْدَعَا
فَتَيَّ عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بِحَرِّ مَرْتَعَا
وَمَا قَصَرَ أَبُو تَمَامٍ فِي رِثَائِهِ مُحَمَّدَ بْنَ حُجَيْدٍ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فَيَجَاجُ سَبِيلَ النَّفَرِ وَاشْفَرُ النَّفَرُ
فَتَيَّ كَلِمًا فَاضَتْ عِيُونُ قِيَمَةٍ دَمَا ضَحِيكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالنَّشَرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ بِوَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشَّمَرُ
فَتَيَّ مَاتَ بَيْنَ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ مَيِّتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
وَقَدْ كَانَ فُوتَ الْمَوْتَ سَهْلًا فَرْدَةً إِلَيْهِ الْخِفَافُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَرُّ
وَنَفْسٌ تَخَافُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَوْ ذُوهُ الْكَفَرُ
فَأُثْبِتَ فِي مَسْتَقْنَعِ الْمَوْتِ رِجْلُهُ ^(١) وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْصَكَ الْحَشْرُ

وقد أجاد أيضا في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر السامي يقول فيها :

(١) في نسخة « في مستقنع الموت رحله » .

ولم أنس سقى الجود خلف سريره بأكف بالو يستقل وَيَظْلَمُ
وتكثيره خمسا عليه مئالتا وإن كان تكثير المصلين أربع
وما كنت أدري - يعلم الله - قبلها بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداءات المراتى المولدة مثل قوله :

أصم بك الناعى وإن كان أئمتما وأصبح مفعى الجود بعدك بلفعا
برئ بها محمد بن حميد ، وجعل خاتمتها :

فإن أرم عن عمر تدانى به المدى فأنك حتى لم تجدعه منزعا
فاكنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعتمها ثم انثنى فقطعما

وأبو تمام من المدودين في إجابة الرثاء ، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك
الجن ، وهو أشهر في هذا من حبيب ، وله فيه طريق انفراد بها ، وذلك أنه قتل
جاريته واتهم بها أخاه ، ثم قال يرثيها :

يا مبهجة جثم الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى يديها
رويت من دمها القراب ، وربما روى الموى شفق من شفقتها
حكمت سيفي في مجال خناقها ومدامى تجرى على خديها
فوحق نعلها لما وطىء الحصى شىء أعز على من نعلها
ما كان قتلها لأنى لم أكن أحنى إذا سقط القبار عليها
لكن بخلت على الأنام بحسنا وأفت من نظر العيون إليها

وقال أيضا فيها على بعض الروايات :

أشفقت أن يرد الزمان بدمر أو أبتلى بعد الوصال بهجره
قتلتها ، وله على كرامة ملء الحشا ، وله القواد بأسره
فرد أنا أستخرجته من دججه لبلى وزفقت من خدره
عهدى به ميتا كأحسن نائم والحزن ينحر دمعى في محره

الذى أعرف « ينحر مقلتي » وهو أصبح استمارة .
لو كان يدرى الميتُ ماذا بعده بالحيِّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ
فَصَصَّ نَكَادُ تَفِيضُ مِنْهَا نَفْسَهُ وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ
والرواية الأخرى أن المنتم بالجارية غلام كان يهواه قتله أبصاً ، فصنع فيه
هذه الأبيات ، فصنعت فيه أخت الغلام :

يا ويح ديك الجن ، بل تباً له ماذا تَضْمَنُ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ
قتل الذي يهوى وعُمرَ بعده ياربُّ لا تَمُدُّدُ له فِي عُمرِهِ
ويكون الرثاء مجلاً كللدح الحمل فيقع موقعا حسنا لطيفاً : كقول ابن المعتز
في المعتضد :

فَصَوَّأَ مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا إِمَامَ الْخَيْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَصَلُّوا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَأَنَّهُمْ صُغُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلامِ عَلَيْهِ
وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

قَدِ اسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْإِسْكَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ : أَيْنَ الرِّجَالُ !
هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي نَشْهِ قَوْمُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ
يَا نَاصِرَ الْمَلِكِ بَارَأْتَهُ بِسَدِّكَ لِلْمَلِكِ لَيْسَالٍ طَوَّالٍ
وذكر غير واحد أن أرقى بيت قيل :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ رُءُوبِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْفَرِّ

ومن عادة القدماء أن يضرّبوا الأمثال في المراتى بالملوك الأعزة ، والأمم
السالفة ، والوعول المقتنة في قُلُلِ الجبال ، والأسود الخادرة في الفياض ، وبحمر
الوحش المنصرفة بين القفار ، والنسور ، والعقبان ، والحيات ؛ أبأسها وطول
أعمارها ، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر .

يكون الرثاء
مجلاً

أرقى
بيت

من عادة
القدماء في
الرثاء

قال أبو علي : فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل ، ومذهبهم في الرثاء أمل ، في وقتنا هذا وقبله ، ورر بما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذوا يستهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الآخر وراثيه فيهما فائتان وقافية مشهورات : إحداهن قوله :

لَا تَبْلُ الثَّمَرُ فِي الْمَضَابِ وَلَا شَفَوَاهُ تَقْدُورُ خَيْنٍ فِي لُجْفِ

والثانية قوله : * لو كان حيًّا وأثلا من التلّف * .

والثالثة قوله في أبي البيداء :

هَلْ مَخْطِئُ يَوْمُهُ عَفْرُ بِشَاهِقَةٍ تَرَعَى بِأَخْيَانِهَا شِمًا وَمُطَابِقًا

وكما صنع ابن المعتز يرى أمه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل :

رُبَّ حَتَفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الرِّثَاءِ ظِلٌّ مُتَقَسِّلٌ

وهي أيضاً معروفة ، ولولا اشتها هذه القصائد ، ووجودها ، وخيفة التطويل بها ؛ لأثبتها في هذا الموضع .

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في لا يقدمون نسيباً على الرثاء الملح والمهجع ، وقال ابن الكلبي — وكان علامة — : لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أَرْتَجِدُ الْحَبْلَ مِنْ أُمِّ مَمَيِّدٍ بِمَافِيَةٍ وَأَخْلَفْتَ كُلَّ مَوْعِدٍ ؟

وعن علي بن سليمان ، عن أبي العباس الأحول ، أن القصيدة التي لأبي قحافة أعشى باهلة ، إنما هي لابنة المنتشر ، واسمها الدجحاء .

قال : وقال علي بن سليمان : حدثني أبي أن أولها .

هَاجَ الْفَوَادُ عَلَى عِرْفَانِهِ الذِّكْرُ وَذَكَرْ خَوْدٍ عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَذَرُ

قَدْ كُنْتُ أَذْكَرُهَا وَالِدَارِ جَامِعَةً وَالْدهْرِ فِيهِ هَلَاكَ النَّاسِ وَالشَّجَرُ

هكذا أنشده النحاس والذي أعرف « وذ كرميت » وأعرف أيضاً « والدهر فيه هلاك الناس والنهر » كذلك أنشدني للوصلي في الأغاني ، ثم عطف النحاس فقال : هذان اليتان لا يترقان في أول هذه القصيدة ؛ وما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشيب إلا قصيدة دريد ، وأنا أقول : إنه الواجب في الجاهلية والإسلام ، وإلى وقتنا هذا ، ومن بعده ؛ لأن الأخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة ؛ وإنما تنزل دريد بعد قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ ثأره ، وأدرك طلبته . وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء « تركت كذا » أو « كبرت عن كذا » و « شغلت عن كذا » وهو في ذلك كله يتنزل ويصف أحوال النساء ، وكان السكيت ركباً لهذه الطريقة في أكثر شعره ؛ فاما ابن مقبل فن جفاء أعرابته أمرني عثمان بن عفان رضى الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على مافي النفس ، ثم عطف وقال :

فَدَعْ ذَا ، وَلَكِنْ عَقَلْتُ حَبْلَ عَاشِقٍ لِإِحْدَى شَعَابِ الْحَيْنِ وَالْأَتْلِ أَرِيْبٍ
وَلَمْ تُنْسِنِي قَتْلِي قَرِيْشٍ ظَمَائِئًا تَحْمَلْنَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرِبُ
يَطْفَنُ بِسُرْيَدٍ يَطْلُ ذَا الصَّبَا إِذَا رَامَ أَرْصُوبَ الْفَوَايِدِ أَرْكَبُ
مِنْ الْهَيْفِ مَبْدَانِ تَرَى نَظْفَاتِهَا بِمَهْلَكَةِ أَحْرَاصِهِنَّ تَذْبَذِبُ

والنسب في أول القصيدة على مذهب دريد خير ما ختم به هذا الجلف ، على تقدمه في الصناعة ، إلا أن تكون الرواية « ظلمات » بالرفع .

ومما عيب به السكيت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ ، وَبُورَكَ بِهِ - وَلَهُ أَهْلٌ - بِذَلِكَ يَثْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَزَمًا وَنَائِلًا عَشِيَّةً وَارَاهُ الضَّرِيحُ الْمَنْصَبُ

مما عيب في
الرثاء

حكاه الجاحظ وغيره ، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين ، فاما الأول فحيد .

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطيب في تأبين قيس بن عاصم :
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا
 نَحْمُهُ مِنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً إِذَا زَارَ عَنْ شَعَطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُيِّنَ قَوْمٍ تَهْدَمَا
 ويقول الكيت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا القول ، فها
 قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها :

أَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
 فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ
 فَلَيْكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَيْتِيكَ مُضَرٌّ وَكُلَّ يَمَانِي
 وَلَيْكِهِ الطُّوْدُ الْمُتَعَطِّمُ جَوْهَ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ
 يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ الْبَارِكِ صَنُوهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ
 صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم وعظم .

والنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة ، وأشددم جزعا على هالك ؛ لارَّكَبَ
 الله عز وجل في طبعهن من الخَوَرِ وضمف العزيمة .

على الجزع
 بيني الرثاء

وعلى شدة الجزع بيني الرثاء ، كما قال أبو تمام :
 لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَدَعَى هَضْبُ الْحَى وَصَفَا الْمُسْفِرُ أَنَّهُ حَزْزُونَ
 فانظر إلى قول جليلة بنت مرة ترى زوجها كليا ، حين قتله أخوها جساس ،
 ما أشجى لفظها ، وأظهر الفجعة فيه !! وكيف يثير كوامن الأشجان ، ويقدم
 شَرَرَ النيران ، وذلك :

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتَ فَلَا تَعَجَّلِي بِالْوَمِّ حَتَّى تَسْأَلِي

فإذا أتت تَبَيَّنْتَ التي عندها القَوْمُ قَلَوِي وأَعْدَلِي
إن تكن أختُ امرئٍ لِمِتْ هَلِي جَزَعُ منها عَلَيَّ قَافِئِي
فَلْ جَسَّاسٍ عَلَى ضَعْفِي بِهِ قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُذْنِ أَجَلِي
لَوْ بَيِّنٌ فُذِيتُ حَتَّى سَوَى أختها وافقَاتُ لَمْ أَحْفَلِ
تَحْمِلُ المِثْلَ قَدَى المِثْلِ كَا تَحْمِلُ الأُمَّ قَدَى مَا تَفْعَلِي
إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ فَلِلَّهِ أَنْ يَرْتَحِلَ لِي
يَا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ عِلِّ
وَرَمَى قَدْرَهُ مِنْ كُتْبِي رَمِيَّةَ الْمُصْنَى بِهِ لِلتَّصَلِّ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثُهُ وَسَعَى فِي هَدْمِ بَيْتِي الأولِ
مَسْنَى قَدْرُ كَلْبٍ بِلَطْفِي مِنْ وَرَائِي وَلَفِي مُسْتَقْبَلِي
لَيْسَ مِنْ يَكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَكِي لِيَوْمٍ يَنْجَلِي
دَرْكُ الثَّائِرِ شَافِيهِ^(١) وَفِي دَرْكِي ثَائِرِي تَكْلُ لِلشَّكْلِ
لَيْتَهُ كَانَ دَمِي فَاحْتَلَبُوا دِرَّارًا مِنْهُ دَمِي مِنْ أَكْلِي

أشد الرثاء
صعوبة
ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرى طفلاً أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب - وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون - في قوله يذكر أم سيف الدولة:

صلاة الله خالقنا حُطوطٌ على الوَجْهِ المَكْفَنِ بالجمال

فقالوا: ماله ولهذا العجز يصف جمالها؟ وقال صاحب بن عباد: استعارة حداد في عرس، فإن كان أراد صاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف، وإن كان أراد استعارة الكفن بجمال المجوز فقد اعترض في موضع اعترض إلى

(١) يروى * يشغى المدرك بالتأثر . . * ويروى أيضاً * درك التأثر
لشافيه . . *

مواضع كثيرة في هذه القصيدة ، على أن فيها ما يحوكل رثة ، ويبقى على كل إساءة
قال صاحب بن عباد : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة نذل
مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في
أمه بقوله :

رِوَاقُ الْمَرْفُوقِ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَلَى ابْنِكَ فِي كَالِ

ولعل لفظة الاسطرار في مرثي النساء من الخذلان الصفيق الرقيق ، وأنا
أقول : إن أشد ما هجَّن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بقولك ؟
بجاء عملا تاما لم يبق فيه الإفضاء .

ومن صعب الرثاء أيضا جمع تعزية وتهنئة في موضع ، قالوا : لما مات معاوية . ^{الجمع بين}
^{التهنئة والتعزية} اجتمع الناس بباب يزيد ، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية ، حتى
أتى عبيد الله بن تمام السُّلُوي فدخل فقال : يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ،
وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزيت عظيما ، وأعطيت جسيما ،
فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزيت ، فقد قدَّرت خليفة الله ،
وأعطيت خلافة الله ، ففارقت جليلا ، ووهبت جزيلا ؛ إذ قضى معاوية بحبه ،
ووليت الرئاسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ، ووفقت
لصالح الأمور .

فاصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا قِمَّةٍ واشكركَ حياءَ الذي بالملك أصفا
لارزءُ أصبح في الأقوام سلمهُ كما رزيتَ ولا عُنْفَى كعُقبَا كا
أضحيختَ والى أمر الناس كلهم فانتَ ترعاهمُ والله يرعا كا
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ إذا نبئتَ ولا تسمعُ بمنعَا كا^(١)

فتفتح للناس باب القول .

(١) في عامة الأصول «إذا بقيت ولا نسمع بمعناكا» وهو تحريف ولا يسم معننى

وعلى هذا السَّيْن جري الشعراء بعده ؛ فقال أبو نواس يمزى الفضل بن الربيع
عن الرشيد ، ويهنته بالأمين :

تَفَرَّ أبا العباس عن خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ رَحَى كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
حوادثُ أيام تَدُورُ صَروْفُهَا لَهْنٌ مَسَاوِي مَرَّةً وَنَحَّاسِنُ
وفى الحى بالميت الذى غَيَّبَ التَّرى فلا أَلُكُ مَغْبُونٌ ولا لَوْتُ غَابِنُ

ويروى : * فلا أنت مغبون *

واتبعه أو تمام بالقصيدة التى أولها :

* مَا لِدُمُوعِ رَوْمٍ كُلِّ مَرَامِ *

يقولها للواتق بعد موت المتصم ، صَرَفَ الكلام فيها كيف شاء ، وأطنب
كما أراد ، واحتجج فيها فأسهب ، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من
الشعراء ، وأراد ابن الزيات مجاراته فلم من نفسه التقصير فاقصر على قوله :

قد قلتُ إذ غَيَّبُوكَ واضطفقت عليك أيدي بالتربِ والطينِ
أذهبَ فنعَمُ المَعِينُ كُنتَ على الدُّ نِيَا وَنِعَمَ الظَّهير للدينِ
لَنْ يَجْزِيكَ اللهُ أمةً فقدتُ مثلكَ إلَّا بمثلِ هارونِ

ومن جيد مارتى به النساء وأشجاء وأشدّه تأثيراً فى القلب وإثارة للحزن قول
محمد بن عبد الملك هذا فى أم ولده :

ألا من رأى الطُفْلَ للْفَارِقِ أُمُّهُ بُعِيدَ الْكَرَى عِيَاهُ تَبْتَدِرَانِ
رأى كلَّ أُمٍّ وَأَبْنَاهَا غَيْرَ أُمِّهِ بيتان تحتَ الليلِ يَنْتَحِيانِ^(١)
وإن وَحِيداً فى القَرائِشِ نَحْنُ ملالُ قَلْبٍ دَائِمٍ الْخَلْفَانِ

يقول فيها بعد أبيات :

ألا إن سَجَلًا واحدًا قد أَرَقَّتُهُ من الدمع أَوْ سَجَلَيْنِ قد شَفَّيَا
فلا تَلَحِّيَايَ إن بكيت ؛ فإنما أداوى بهذا الدمع ما تَرِيَانِ
وإن مكاني في الثرى حُطَّ لَحْدُهُ لمن كان في قلبي بكل مكان
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والموى فهل أُنَا إن عَجَبْتُ مُنْتَظَرَانِ

ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة :

فهبني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لأني جَلِيدٌ ، فمنِ الصبر لأبنِ ثَمَانِ ؟
ضَمِيمِ الْقَوَى لا يعرف الأجر حِسَبَهُ ولا يَأْنِسُ بالناس في الحدَّانِ
ألا من أمني للى فَأَعْدُهُ لمسة أياى وصرفِ زمانِ
ألا من إذا ما جئت أكرمَ مجلسى وإن غِيتُ عنه حَاطَني وَرَعَانِ
فلم أرَ كالأقدارِ كيف تصيبي ولا مِثْلَ هذا الدهرِ كيف رمانِ

فهذه الطريق هي الغاية التي يجري حُدُثُ الشعراء إليها ، ويعتمدون في
الرثاء عليها ، ما لم تكن الرثية من ساء الملوك ، وبنات الأشراف ، وغير
ذوات محارم الشاعر ؛ فإنه يجتنى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها ، نحو قول
أبي الطيب :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كُنْنَ قَدَدَانَا^(١) لَفُصِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وقوله في هذه القصيدة :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حُفَاةً كَأَنَّ التُّرُوفَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ
ونحو قوله لأخت سيف الدولة :
يَأْخُذُ خَيْرَ أَخٍ ، يَأْخُذُ خَيْرَ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النِّسْبِ
أَجِلْ قَدْرَكَ أَنْ تَدْعَى مُوَأْتَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْمَرْبِ

ورثاء الأطلال أن يذكر غيايلهم ، وما كانت الفراسة تُعطيهم فيهم ، مع
تَحَزَن لمصائبهم ، وتفتجع بهم ، كالقلى صنع أبو تمام في ابني عبد الله بن طاهر .

٧٧ - باب الاقتضاء والاستنجاز

ما يستوجبه الاقتضاء حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً ، واقتضاؤه لطيفاً ، وهجاءه إن هجا
عفيفاً ؛ فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب النع والحرمان ، وداعية القطعية
والهجران ، وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا
أرى غير هذا المذهب أضوَبَ ؛ فالأقتضاء طلب حاجة ، وباب التلطيف فيه
أجود ؛ فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة ، وفيه
توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين ،
وساوا بينهما .

أحسن المختار من أحسن الاقتضاء - على ما تخيرته ، ونحوت إليه - قول أمية بن
في الاقتضاء أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| أأذكر حاجتي أم قد كفاني | حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء |
| وعلمك بالحقوق وأنت قرع | لك الحسب الملهذب والسناء |
| خليل لا يفتره صباح | عن انطلق الجميل ولا مساء |
| فأرضك كل مكرمة بلفتها | بنو تيم وأنت لها سما |
| إذا أئني عليك للمرء يوماً | كفاه من تعرفه القناء |
| تباري الريح مكرمة وجوداً | إذا ما الكلب أبحرته الشتاء |

فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يُبلن الصخر ، ويستنزل القطر ، ويحط

النظم إلى السهل ؟ ؟

ومثله قول الآخر :

لأشكرنك متروفاً همت به إن اهتياك بالمعروف معروف

ولا أومك إن لم يُمضِه قَدْرٌ قالشيء بالقَدْرِ المحنوم مَعْرُوف
وأما ما نسب قول محمد بن يزيد الأموي ليسى بن فرخان شاه ؛ إذ يقول
له مستبطنًا :

أبا موسى ، سقى أرضَكَ دَانٍ مُسْبِلَ القَطْرِ
وزادَ الله في قَدْرِكَ ما أَخْلَتَ من قَدْرِي
لقد كُنْتُ أَرْجِيكَ لما أَخشى من الدهر
قد أصبحتَ من أَوْكَدِ أسبابِي إلى الفقر
أرضي لى بأن أرضي بضميركَ في أمرى؟
وقد أَفْنَيْتَ ما أَفْتَيْتَ في شُكْرِكَ من عَمْرِي
مواسِدَ كما أَخْبَتَ سرابَ اللهمِ الفقر
فن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر
فلم أَخْصُلْ على قِيَمَةٍ ما قُلْتُ من ظَفَرِي
لعلَّ الله أن يصنع لى من حيث لا أدرى
فألقاك بلا شُكْرٍ وتلقانى بلا عِزْرٍ
ولا أَرْجوك في الحالين لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب المُعْرِضُ ، والتوبيخ الذى دونه الْجَلْدُ بالسوط ، بل
بالسيف !!

وبما صنمته في العتاب على هذا الشكل بعد اليأس للمستحکم على ما شرطته :
رَجَوْتُكَ للأمرِ المُهِمِّ وفي يَدِي بَقَايا أُمْنَى النَفْسِ فيها الأَمَانِيَا
فساوَقْتُ بى الأيامَ حتى إذا خَضْتُ أواخر ما عندى قَطَعْتَ رَجَائِيَا
وكنْتُ كَأَنى نازِفِ البَيْتِ طالِبَا لإِجَامِها أو يَرْجِعَ للاء طافِيَا
فلا هو أَبْقَى ما أَصابَ لِنَفْسِهِ ولا هى أعطته الذى كان راجِيَا

ومن أملح ما رأيته في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي التهاية امرئ بن العلاء^(١)
وابن المتريسي هذا النوع مزجاً يراه الجد ، وهو :
أصابت علينا جودك العين يا عمر
فصحن لما نبني التمام والنشر
سنزقك بالأشعار حتى تملها
فإن لم تُفّق منها رقيقاك بالسور
وكنّت أنا صنعت في استبطاء :

أحسنت في تأخيرها مئة لو لم تؤخر لم تكن كائله
وكيف لا يحسن تأخيرها بعد يقيني أنها حاصله؟؟
وجنة الفردوس يُدعى بها آجلة للره لا عاجله
لكما أضف من همى أيام عمر دونها زائله
والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ؛ لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد
يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلا في حاجة .

٧٨ — باب العتاب

عقب العتاب العتاب — وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء — فإنه باب من أبواب
الخلدية ، يسرع إلى المجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا
قل كان داعية الألفة ، وقيد الصحبة ، وإذا كثر خشن جانبه ، وقفل صاحبه
للعتاب طرائق وللعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة ؛ فنه ما يمازجه
الاستعطاف والاستتلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانصاف ، وقد يعرض
فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف .
أحسن الناس وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة
طريقاً في أبو عبادة البحري الذي يقول :
العتاب العتاب

يُرَبِّبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرِكَ أَنْ أَسْتَرِيحَ

(١) انظر ص ١٣٣ السابقة ثم انظر ص ١٨٤ الآتية .

وأكره أن أتمادي على سبيل اغترار فألقى شعوبا
 أ كذَّب على بأن قد سَخِطْتَ وما كنت أعهد على كذوبا
 ولو لم تكن سَخِطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا
 ولا بد من لومة أنتحي عليك بها مخطئا أو مصيبا
 أبصيح وزدى في ساحتك طرفاً ومرعاً مَخْلَاجديبا؟
 أبيع الأحيوة بيع السوام وآسى عليهم حيبا حيبا
 ففي كل يوم لنا موقف بشق فيهِ الداع الجيوباً
 وما كان سُخْطُكَ إلا الفراق أفاض الموع وأشجى القلوبا
 ولو كنت أعلم ذنباً كما تخالجنى الشك في أن أنوبا
 سأصبر حتى ألقى رضا لك إما بيعيداً وإما قرّيبا
 أراقب رأيك حتى يبيع وأنظر عطفك حتى يؤوبا^(١)
 والذي يقول أيضاً :

ليجترى في
 العتاب أيضا

وأصيد إن نازعته الحظ ردّه كليلاً، وإن راجسته القول جَنجَباً
 ثناء المدى غنى فأصبح مُعْرِضاً وأومح الواشون حتى تَوَّهَها
 وقد كان سهلاً واضعاً فتَوَعَّرَتْ رُبَاهُ وطلقاً ضاحكاً فتَجَبَّهَها
 أمتخذ عِنْدِي الإساءة محسنٌ ومتنقم مني امرؤ كان منما ؟
 ومكتسب في اللامة ما جدد يرى الحمد غنماً ولللامة مفرماً
 يخوفني من سوء رأيك معشرٌ ولاخوف إلا أن تجور وتظلمنا
 أعيدك أن أخشاك من غير حادثٍ تبيّن أو جرّم إليك تقدما
 ألت الموال فيك غرّ قصائدٍ هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
 فلا كأنّ الروض فيه مُنَوَّرٌ ضحّا، وكان الوشى فيه مُتَمَنِّمًا

(١) في الديوان « حتى يثوبا » واللفظ واحد .

ولو أتني وَتَرْتُ شَرِي وَفَارَهُ
لَأَكْثَرْتَ أَنْ أَوْيَ إِلَيْكَ بِأَصْبَحَ
يَكُنَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ هَيْئًا
وَلَكِنِّي أَغْلِي عَهْلًا أَنْ أَرَى
وَأَجَلْتُ مُدَحِي فَيْكَ أَنْ يَتَهَضَّبَا
تَضَرَّعَ أَوْ أَدْنَى لِمَذْرُوعَا
عَلَى وَلَوْ كَانَ الْحِمَامُ لُفْقَدَمَا
مُدِلًّا وَاسْتَحْيَيْكَ أَنْ أَتَقَطَّلَا
فَهَذَا عَتَابٌ كَمَا قَالَ :

عَتَابٌ بِأَطْرَافِ التَّوْفَاقِ كَأَنَّهُ
طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُتَكَسَّرِ

للتؤلف في
العتاب
وقد نَحَوْتُ أَنَا هَذَا النَحْوُ فِي كَلِمَةِ عَاتَبْتَ بِهَا الْقَاضِي جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْكُوفِيُّ قُلْتُ فِيهَا :

وَقَدْ كُنْتُ لَا أَتِي إِلَيْكَ مُعَاتِلًا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ لِلدَّحْ فَرِيضَةً
قَعَمْتُ بِمَا لَمْ يَخْفَ عَنْكَ مَكَانُهُ
وَلَوْ غَيْرُكَ لِلْوَسْوَءِ عَنِّي بَرِيَّةُ
فَلَا تَتَخَالَجُكَ الظُّنُونُ فَلَيْسَ
فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللَّوْمِ فِيكُمْ
وَلَا مَلْتُ عَنْكُمْ بِالْوَدَادِ ، وَلَا انْطَوَيْتُ
بِإِرْبَاعٍ أَوْ كَرُمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَكُنْ
وَلَمْ أَرْضَ بِالْحِظِّ الزَّهِيدِ ، وَلَمْ أَكُنْ
فَبَايَنْتُ لَا أَنَّ الْعِدَاوَةَ بَايَنْتُ
أَلَوْدُ بِأَكْنَابِ الرَّجَاءِ ، وَأَتْنَى
لَدَيْكَ ، وَلَا أَتْنَى عَلَيْكَ نَصْنَعًا
عَلَى إِذَا كَانَ اللَّدِيحُ تَطَوُّعًا
مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى ضَاقَ مَا تَوْسَعَا
لَأَعْطَيْتُ مِنْهَا دَعَى الْقَوْلِ مَا دَعَى
مَا نَمُّ ، وَأَتْرُكُ فِي اللَّعْنَتِ مَوْضِعًا
لِسَانًا ، وَلَا عَرَضْتُ لَلَّذَمِ مَسْمَعًا
حِبَالِي ، وَلَا وَلَّى ثَنَائِي ، مَوْدَعَا
وَأَجَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذَلَّ وَتَخَضَّعَا
تَقِيلاً عَلَى الْإِخْوَانِ كَلَّا مُدْفَعَا
وَقَامَلْتُ لَا أَنَّ الْوَفَاءَ تَقَطَّلَا
شَمَاتُ الْعِدَا ، إِنْ لَمْ أَحِذْ عَلَيْكَ مَطْلَعًا

وَمِنْ مِثَابَاتِ أَبِي تَمَامٍ قَوْلُهُ لَابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَلْبِيِّ :

لَنْ هِمِّي أَوْ جَدَّتْنِي فِي تَقْلِي
وَلِنْ دِمْتُ أَمْرًا مُدِيرَ الْوَجْهِ إِنِّي
مَا لَا لَقْدَ أَقْدَنْتِي مِنْكَ مَوْزِلًا
لَأَتْرُكُ حَقْلًا فِي فَنَائِكَ مُقْبِلًا

لأبي تمام في
العتاب

وإن كنت أخطو ساحة الملح إني لأترك روضاً من جدالك وجد ولا
كذلك لا يلقى المسافر رَحْلَهُ
إلى منقل حتى يُخْلَفَ منقلاً
ولا صاحب التطواف يغمُر منهلًا
وربما إذا لم يُخْلَ رُبَّمَا وَمَنْهَلًا
ومن ذا يداني أو ينائي ؟ وهل قى
يحلُّ عَرَى التُّرَحَالِ أو يترحلا ؟
فَمَزِنِي بِأَمْرِ أَحْسُوذِي فَإِنِّي

أرى الناس قد ائروا وأصبحت مُرِيًّا
فسيان عندي صادفوا لي مطلقًا
أعابُ به أو صادفوا لي مَقْتَلًا
ومن قصيدة أخرى لأبي تمام :

تَقَلَّمت الأسبابُ إن لم تُقرها
سوى مُطَلِّبٍ يُنْضِي الرجاءَ بطوله
وقد تألف العينُ الدجى وهو قَيْدُهَا
ولى عِدَّةٌ تَمْضِي المصور وإنها
سَيُونُ قَطَمَنَاهُنَّ عَشْرًا كَأَنَّ مَا
وإنَّ جزيلات الصنائع لا مرىء
وإنَّ للمصالي يُسْتَرَمُّ بناؤها
ولو حاربت شَوْلٌ عذرت لقاحها
منحتكم انشفي الجوى وهو لا عِجْ
تردُّ قوافيها إذا هي أرسلت ،
وكيف إذا حليتها بِحُلِيِّهَا
أَكْبَرْنَا ، عطفًا علينا ؛ فَإِنَّا

وقال ابن الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل يماثبه في قصيدة جيدة مختارة :

(١) في الديوان (٢٥٩) « ولى همة تمنى الصور . . . لحامل » .

(٢) أى : كأن الذى قطعناه مراحل .

لابن الرومي
جانب إسماعيل
ابن بلبل

«تَقِيلُ الندى ، أطلق مدائح جة
وَكُنْتَ مَنى تُشَدُّ مديحاً ظلمته
عذرتك لو كانت سماء تَقَشَّتْ
ولكنها سقياً حُرِثَتْ رَوِيها
وأكلأ معروف حيت مَرِيها
فيا لك بجرأ لم أجد فيه مَشْرَباً
مديحي عصاً موسى ، وذلك لأنني
فيا ليت شعري إن ضَرَبْتُ به الصفا
كذلك التي أبدت رى البحر يا بسا
سأندحُ بعض الباخرين لَسَلَه
خواسي حَسَرَى قد أبت أن نَسْرَحَا
يكن لك أهجى كلما كان أمدا
سحائبها أو كان روضُ تَصَوَّحَا
وعارضها مُلْقٍ كلال كل جُنْحَا
وقد عادمها الحزنُ والسهل مَسْرَحَا
وإن كان غَيْرِي واجداً فيه مَسْبَحَا
مَرَبْتُ به بحر الندى فَتَضَحَّضَحَا
أحدث لي فيه جدأول سُبْحَا
وَشَقَّتْ عُيُوناً في الحجارة سُبْحَا
إذا طَرَدَ للقياسُ أن يَلَسَّمَحَا

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ، ولا يجارى سبقاً ، على أن البحري قد تقدم

إلى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان :

غَمَامٌ خَطَانِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسَبِّلٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
وَمَا بَخَلَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بِالندى
ولكنها الأقدارُ تُفْعَلُ وَتَحْرُمُ
وَبَحْرٌ عَدَانِي فَيْضُهُ وَهُوَ مُفْعَمٌ
وَمَوْضِعُ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مَظْلَمٌ

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة ، وى عتابه شدة ، وكان كثير
التحامل ، ظاهر الكبر والأفقة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة :

للشبيبي جانب
سيف الدولة

يَا أَعْدَلُ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعَامِلِي
أَعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِثْلَ صَادِقَةٍ
وَمَا انْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
أَنَا الْفَرَى نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصَمُ وَالْحَكَمُ
أَنْ تَحْسَبَ لِلشَّحْمِ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وَأَسَمَّتْ كَلَامِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أَنَامُ مِيلَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِهَا وَيَسْهَرُ النَّاسُ جِرَاهَا وَيَخْتَصِمُ
وَجَاهِلُ مَدَّةً فِي جَهْلِهِ ضَحَكِي حَتَّى أَتَهُ يَدُ فِرَاسَةٍ وَقَمُ
إِذَا رَأَيْتَ يُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً فَلَا تَطْلُنَّ أَنَّ اللَّيْلَ يَبْتَسِمُ

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنه من جهة الواجب والسياسة
غاية في القبح والرداءة ، وإعما عَرَضَ يقوم كانوا ينتصرونه عند سيف الدولة
ويعارضونه في أشعاره ، والإشارة كلها إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد أبيات :

يَا مَنْ يَبْزُ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمُ وَجَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِدَمِكَ عَدَمُ
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكَ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَعْرَضَ مِنْ أَسْرَانَا أَمَمُ
إِنْ كَانَ سَرَّكَ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَا لْجُرْحُ إِذَا أَرْضَاكَ أَلَمُ
وَبَيْنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ دِمَمُ
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيَمْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ !
مَا بَعْدَ اللَّيْلِ وَالنَّقْصَانُ مِنْ شَرَفِي أَنَا الْفَرَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْمَرْمُ
لَيْتَ النَّهَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَائِقُهُ يَرْطَهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّمَمُ
أَرَى النَّوَى يَقْتَضِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ
لَنْ تَرُكْنَ ضَمِيرًا عَنْ مِيَامِنَا لِيَحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَعْتَهُمْ نَدَمُ

وإعما قال أولا * ليحدثن لسيف الدولة الندم * ثم بدله ، وليس هذا عتابا ،
لكنه سباب ، و بسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس إنشادها ،
وهذا الضرر بعينه .

فأما عتاب الأَكْفَاءِ ، وأهل المودات ، والمتشقين من الظرفاء ، فَبَابُ أُخْرَى
جارية على طريقتها .

قال إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغير
عليه لما وَزَرَ :

عتاب
الأَكْفَاءِ

قصوى يعاتب
ابن الزيات

وَكُنْتُ أَخَى بِإِخَاءِ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتُ حَرَبًا عَوَانًا
وَكُنْتُ أَدُمُّ إِلَيْكَ الزَّمَانَ فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَدُمُّ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أَعْدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وهذا عندي من أشد العتاب وأوجعه .

لأبي الحسن

ومن أكرم العتاب قولُ السيد أبي الحسن أدام الله سيادته وسعادته :
وإني لأطرى كلَّ خَلٍّ صَحْبَتُهُ وَأَنْتَ تَرَى شَتْمِي بِغَيْرِ حِيَاءٍ
سَتَعْلَمُ يَوْمًا مَا أَسَاتَ لِصَاحِبِهِ تَكْرُثُ أَخْلَاقِي وَحُسْنَ وَفَائِي
ومن مليح ما سمعتُ قولُ سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له :

لسعيد بن حميد

أَقِيلُ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ وَالذَّهْرُ يَمْدُلُ تَارَةً وَيَمِيلُ
لِمَا بَكَ مِنْ زَمَنٍ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
فَالْمُتَمَوِّنَ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ وَإِنْ حُصِّلُوا أَفْنَاهُمُ التَّحْصِيلُ
وَلَمَّا أَحْدَثَ لِلنِّفَةِ وَالزُّدَى يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَنَحْوِلُ
وَلَمَّا سَبَقْتُ لَتَبِكِينَ بِحَسْرَةٍ وَلَيْسَ كَرَنَ عَلَى مَنْكَ عَوِيلُ
وَلَمَّا جَعَلَ مَخْلَصِي لَكَ وَامِقٌ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولُ
وَلَمَّا سَبَقْتُ، وَلَا سَبَقْتُ، لِيَصْنَعَنَّ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ لَدَى خَلِيلُ
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهِاءُ كُلِّ مَرُوءَةٍ وَثِيْقَقْدَنُ جَمَاهَا لِلْمَأْهُولُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفَ بِالسَّابِ وَوَدُّنَا صَافٍ، عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدُّدًا لِلذَّوِي الْإِخَاءِ جَمَالُهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بَهْجَةُ وَقَبُولُ
وَلَمَّا أَيَّامُ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ فَصَلَامُ يَكْثُرُ عَقْبُنَا وَيَطُولُ
إلى ههنا أو ما أبو العليب بقوله :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُعْمًا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمَفْطَرُ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ

وأشار إليه أيضا بقوله ، وأردت البيت الأخير :

زَوَّدِينَا بِحَسَنِ وَجْهِكَ مَا دَا مَ فَحَسُنُ الْوَجُوهَ حَالُ نَحْوُلُ
وَصَلِينَا نَعْمَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْقَامَ فِيهَا قَلِيلُ
والجميع من قول الأول :

ولقد علمتَ فلا تكن متجنبا أن الصدود هو الفراق الأول
حَسْبُ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُم رَبُّبُ اللَّوْنِ فَمَا لَنَا نَسْتَجِبُلُ
إلا أن ابن حديد قد فتن وبين ، وشرح ما أجمل غيره بقوله « لئن سبقتُ
أنا » « ولئن سبقتُ أنت ، ولا سبقتُ أنت » فله بذلك فضل بين ، ورجحان ظاهر .

وما أحسن إيجاز القدي قال :

المسمر أقصر مدةً مِنْ أَنْ يُمَحِّقَ بِالسَّابِ

لبشار بن برد

وقال أبو المحدثين بشار :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلقَ القدي لا تماثبه
فيسن واحدا أو صِلَ أخاك فإنه مُقَارِفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجُحَانِيَّةُ
إذا أنت لم تشربَ مراراً على القدي ظلمتُ ، وأى الناس تصفو مشاربُهُ

٧٩ — باب الوعيد والإنذار

كان المقلاء من الشراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ، ويحذرون من سوء
الأخذ ونة ، ولا يمتصون القول إلا لضرورة لا يحسن السكوت معها .

لابن مقبل

قال ابن مقبل :

بني عامر ، ما تأمرون بشاعر تخير آيات الكتلب هجانيا؟
أغفوك كما يغفو الكريم فأنى أرى الشغبَ فما بيننا متدانيا

أَمْ أَغْضُ بَيْنَ الْجُلُودِ وَاللَّحْمِ غَضَةً بِمَجْرَدِ رُوى يَقْطُ النُّوَاصِيَا
فَأَمَّا سِرَاقَتُ الْمَجَاءِ فَفِيهَا كَلَامٌ تَهَادَاهُ التَّامُّ تَهَادِيَا
أَمْ أَخْطِطُ خَبْطَ الْفِيلِ هَامَةً رَأْسِهِ بِمَجْرَدِ فَلَا يُبْقَى مِنَ الْعَظْمِ بَاقِيَا
وعندى الدهيم لو أحلَّ عقابها فتصبح لم تعلم من الجن حاديا
شبه لسانه بمجرد روى لمضائه ، وشبه القصيدة التي لو شاء هجّام بها بالدهيم
وهي الداهية ، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبّان الدّهلي التي حملت ردوس
بنيه معلقة في عنقها ، فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية .

لجريد

وقال جرير لبني حنيفة ، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه :
أَبْنَى حَنِيفَةً أَخْصَمُوا سَفَاهَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضِبَا
أَبْنَى حَنِيفَةً إِنِّي إِنْ أَهْجَكُمُ أَدْرِعُ الْيَمَامَةَ لَا تَوَارِي أَرْبَا
« أَحْكُوا » كَفُوا ، مِنْ حِكْمَةِ الْجَبَامِ .

وقال أيضا لثيم الرباب رهط عمر بن لُجَأ :
يَا ثَيْمُ ثَيْمٌ عَدِيٌّ لَا أَبَا لَكُمْ لَا يَلْقِيَنَّكُمْ فِي سَوَاةٍ مُعَرٍّ
وكان على بن سليمان الأخفش في صباه يعبث بابن الرومي لما يعلم من طيرته ،
فيجمل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الأسماء ، فيمنعه ذلك من
التصرف ، فقال يتوعده :

لابن الرومي

قُولُوا لِنَعْوِيْنَا أَبَى حَسَنٍ إِنْ حَسَايَا مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
وَإِنْ نَبِيلٌ مَتَى تَهَمَّتْ بِأَنْ أَرعى نَصَلْتُهَا بِمَجْرَدِ غَضَى
لَا تَحْسَبَنَّ الْمَجَاءَ يَجْفَلُ بِالسَّرْفِ وَلَا خَفَضُ خَافَضُ خَفَضَا
وَلَا تَحَلَّ عَوْدَتِي صَكْبَادَتِي سَاسَطُ السَّمِّ مِنْ عَصَى الْحَضَضَا
أَعْرِفْ فِي الْأَشْقِيَاءِ لِي رَجُلًا لَا يَتَنَهَى أَوْ يَصِيرَ لِي غَرَضًا
يُلِيحُ لِي صَفْحَةَ السَّلَامَةِ وَالسُّلُومِ ، وَيُخْفَى فِي قَلْبِهِ الْمُرَضَا

يَضْحِي مَغِيظًا عَلَى أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَلْتُ مِنْهُ رِضًا
وَلَيْسَ تُجَدِّدِي عَلَيْهِ مَوْعِظَتِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاتَهُ قَبَعَتِي
كَأَنِّي بِالشَّقِيِّ مُتَذَرًّا إِذَا الْقَوَايِ أَدَقَّتْهُ مَصَفَا
يَنْشُدُنِي الْمَهْدَ يَوْمَ ذَلِكَ وَالْمَهْدُ خَفَارٌ إِذَا لَهُ قَبْضَا
لَا يَأْمَنُ السَّغِيهَ بِأَدْرَتِي فَإِنِّي عَارِضٌ لِمَنْ عَرِضَا
عِنْدِي لَهُ السُّوْطُ إِنْ تَلَوَّمَ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي الْإِجَامُ إِنْ رَكَضَا
أَسْمَعْتُ أَنْبَاءَ صِيتِي أَبَا حَسَنِ وَالنَّصْحَ لَأَشْكُ نَصْحَ مَنْ مَحَا
وَهُوَ مُخَافٌ مِنَ السَّهَادِ فَلَا يَمْجَلُ فَيُشْرَى فِرَاشُهُ قَصَصَا
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غُفْرَتَ لَهُ إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ تَبَيَّنَا

وكذلك قد فعل ، وقد مرّقه بالهجاء كل عرق ، وجعله مُثَلَّةً بين أصحابه ،
على أن الأخفش كان يتجلد عليه ، ويُظهر قلة اللبالة به ، وهيبات ! وقد وسمه
سمة الدهر ، وسامه سوم انخسف والقهر . وعما قلته في هذا الباب :

للؤلؤ في
الوعيد

يَا مُوجِسِي شَتَاً عَلَى أَنَّهُ لَوْ فَرَكَ الْبَرْغُوثَ مَا أَوْجَمَا
كُلُّهُ لَه مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَأَافَةُ النَّحْلَةِ أَنْ تَلْسَمَا

وقلت من قعيبة خاطبت بها بعض بني مزاد :

مَنْ يَصْحَبِ النَّاسَ مَطْوِيًّا عَلَى دَخَلٍ لَا يَصْحَبُوهُ ؛ فَخَلُّوا كُلَّ تَذْخِيرٍ
لَا تَسْطِيلُوا عَلَى ضَمْنِي بِقَوْتِكُمْ إِنْ الْبَرْغُوثَةُ قَدْ تَمَدَّدُوا عَلَى الْفِيلِ
وَجَانِبُوا الْمَرْزَحَ ؛ إِنْ الْجَذِ يَتَّبِعُهُ وَرُبَّ مُوجِعَةٍ فِي لُحْرِ تَقِيلُ
ومنها بعد أبيات لا تليق بللوضع خوف الحشو :

يَا قَوْمَ لَا يَلْقَانِي مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي الْمَهْلَكَاتِ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ مَغْلُولٍ
لَا تَدْخُلُوا بِالرِّضَا مِنْكُمْ عَلَى غَرَرٍ فَتَخْرِجُوا اللَّيْتَ غَضَبَانَا مِنَ الْفِيلِ
إِلَّا نَكُنْ نَحْنُ حَمَلَاتٍ خَيْرًا ضَامِرَكُمُ أَكُنْ تَائِبًا شَرًّا نَاكِحَ التُّوَلِ

(٨٠) — باب الهجاء

خير الهجاء

يروى عن أبي عمرو بن التلاء أنه قال : خَيْرُ الهِجَاءِ مَا تَنْشُدُهُ الْمَرْءَاءُ فِي خَدْرِهَا فَلَا يَبْقِيحُ بِمِثْلِهَا ، نَحْوُ قَوْلِ أَوْس :

إِذَا نَاقَةُ شُدَّتْ بِرَحْلِ وَغَرِقَ إِلَى حَيْكَلِكُمْ بِنْدِي فَضْلٌ ضَلَّاهَا
وَاخْتَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ قَوْلَ جَرِير :

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَعَمَتْ أَحْسَابُهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالَ
وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

فَقَضِ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ تَمِيمٍ فَلَا كَيْفًا بَلَفَتْ وَلَا كِلَابًا

الهجاء
المقذع

وبين الاختيارين تناسب في عفة المذهب ، غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل ، فقد حكى محمد بن سلام الجُمُحِي عن يونس بن حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الإقذاع عندهم .

عقوبة الهجاء
في الإسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هَدَرَ » ولما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له : إياك والهجاء المقذع ، قال : وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ، وتبني شرأ على مدح قوم وذم لمن تعادىهم ، فقال : أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ، ولكن حبانى هؤلاء فمدحتهم وحرمتى هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئا ، وصرفت مدحى إلى من أراده ورغبت به عن كرهه وزهد فيه ، يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها :

وَأَيَّتُ التَّشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ أَوِ الشَّعْرَى فَطَالَ بَى الْإِنَاءِ

وهي أحببت ما صنع . وفيها أذن من أجلها قال خلف الأحمر : أشد المجهاء
أعفه وأصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عَفَ لفظه وصدق معناه ، ومن كلام صاحب
الوساطة : فأما المجهو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت ، وما اعترض بين
التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسَهَّلَ حفظه ، وأسرع عُلُوقَهُ بالقلب
ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفخاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه
إلا إقامة الوزن .

وما يدل على صِحَّةِ ما قاله صاحب الوساطة وحُسنِ ما ذهب إليه إعجابُ
الحذائق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تشككه وتهزله ونجاده فيما يعلم :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فإن تكُنِ النساءُ مُحَبَّاتٍ فَحَقُّ لِكُلِّ مُحَصَّنَةٍ هُذَاءُ

وإن هذا عندهم من أشد المجهاء وأمتعّه .

ولما قدم النابغة بعد وقعة حِشْيِ سأل بني ذبيان : ما قاتم لمارس بن الطقيّل
وما قال لكم ؟ فأنشدوه ، فقال : أخشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل
ذلك ، ولكني سأقول ، ثم قال :

فإن يكَّ عامرٌ قد قال جهلاً فإن مَطِيَّةَ الجَهْلِ ^(١) السَّبَابُ

فكن كأيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب ^(٢)

فلا يذهب بليك طائشات ^(٣) من أخليلاه ليس لمن باب

(١) في إحدى روايات الديوان * فإن مطية الجهل . . . وفيه « السباب »

(٢) في الديوان * تواضعك الحكومة

(٣) في الديوان * فلا تذهب بليك طاميات * والطاميات : الرضعات ،
والخلاء : التكبر والاختيال ، وقوله « ليس لمن باب » معناه لا يتكشفن عنه ولا
مفرج له منهن .

فإنك سوف تعلمُ أو تنكهي^(١) إذا ما شبت أو شلب الترابُ
 فإن تسكن القواريس يوم حيي أصابوا من لثائك ما أصابوا
 فما إن كان من سبب بعيد^(٢) ولكن أدركوك وهم غَضَابُ
 فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شَقَّ عليه ، وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني
 النابغة ، جعلني القوم رئيساً ، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي !

وروي أن شاعراً مدح الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأحسن عطية ،
 فموتب على ذلك ، فقال : آثرون [أي] خفت أن يقول إنى لست ابن فاطمة
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكن
 خفت أن يقول : لست كرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولست كعلي ، فيصدق
 ويحمل عنه ، ويبقى مخلياً في الكتب ، ومحفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر :
 أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني ، وقد وقع الحسن بن زيد بن
 الحسين بن علي في بعض ما قال جَلْدُهُ ، قال فيه ابن عاصم اللديني ، واسمه محمد بن
 حمزة الأسلمي :

له حقٌ ، وليس عليه حقٌ ومهما قال فالحسنُ الجليل
 وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر المجهاد أجود ، وترك الفحش فيه أصوب ،
 إلا حريراً فإنه قال لبني : إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ، وإذا هجوتهم فخالقوا ، وقال
 أيضاً : إذا هجوت فأضحك . وسلك طريقته في المجهاد سواء على بن العباس
 ابن الرومي ، فإنه كان يطيل ويُنَحِّشُ ، وأنا أرى أن التصريح أهدى من التصريح ؛

مذاهب
 الشعراء في
 المجهاد

(١) في الأصول . . سوف تحكم . . والتصويب عن الديوان .

(٢) في الديوان * فما إن كان من نسب سيد *

لاتساع الظن في التعريض ، وشدة تعمق النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصرّيحاً أحاطت به النفس علماً ، وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو مَلَل يمرض ، هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه ؛ فأما إن كان لا يوقظه التلويح ، ولا يؤله إلا التصريح ؛ فذلك ، ولهذا العلة اختلف هجاء أبي نواس ، وكذلك هجاء أي الطيب فيه اختلاف ؛ لاختلاف مراتب المهجوين .

لريسة الرقي في
الهجاء

فن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي :

لشَتَانِ مَا بَيْنَ الْبَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَعْرُ بْنُ حَاتِمٍ
فَهَمْ الْقَتَى الْأَزْدِيُّ لِتَلَفُ مَالِهِ وَهَمْ الْقَتَى الْقَيْسِيُّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ أَى هَجَوْتَهُ وَلَسَكُنَى فَصَلَّتْ أَهْلَ الْمَكَارِمِ

زياد الأعجم

ومن الاستحقاق والاستخفاف قول زياد الأعجم :

قَعْمٌ صَاغِرٌ يَا شَيْخَ جَرْمٍ فَأَمَّا يُقَالُ لَشَيْخِ الْمَدَقِ : قَعْمٌ غَيْرُ صَاغِرٍ
فَنَ أَنْتُمْ ؟ إِنَا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرَبِّحْكَ مِنْ أَى رِيحِ الْأَعَاصِرِ !!
أَنْتُمْ أَوَّلِي حِثَّتُمْ مَعَ الثَّمَلِ وَالذَّبَا فَطَارَ ، وَهَذَا شَيْخُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ بِقِيَّةِ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا عَن كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تَدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَ الْخَوَافِرِ

للطرماح

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال :

وَمَا خُلِقْتَ تَيْمٌ وَعَبْدُ مَنْأَمِيَا وَصَبَّةٌ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ

لجرير

ومن الاستحقار أيضاً قول جرير في التيم :

وَيَقْضَى الْأَثَرُ حِينَ تَتَيْبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ
فَبَاكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْسِدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قَالَتْ : أَهُمْ الْقَبِيدُ ؟

لأبي هفان في
التهكم

ومن مليح التهكم والاستخفاف قول أبي هفان :
سَلِيمَانُ مَثِيمُونَ النِّقِيَّةِ حَازِمٌ وَلَكِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ الْمَزَامُ
الْأَعْوَدُ مِنْ تَوَالِي فُتُوْحِهِ عَسَاهُ تَرُدُّ التَّيْنَ عَنْهُ التَّنَائِمُ
وفيه يقول ابن الرومي :

قَرْنُ سَلِيْمَانٍ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَلْفُهُ
كَمْ يَبْعُدُ الْقَرْنَ بِالْقَاءِ ؟ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيَخْلِفُهُ ؟
لَا يَكْرِفُ الْقَرْنَ وَجْهَهُ ، وَبَرَى قَفَاهُ مِنْ فَرَسَخٍ فَيَعْرِفُهُ
أخذ معنى البيت الأخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور : أي أصحابي
كان أشد إقداماً في مبارزتك ؟ فقال : ما أعرف وجوههم ، ولكن أعرف
أقضاءهم ، قُلْ لَهُمْ يَدْبُرُوا لِأَعْرَفِ .

أجود المجاهد أجود ما في المجاهد أن يلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من
بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من اللمايب فالمجاهد به دون
ما تقدم ، وقدامة لا يراه هجوا البتة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات
من النقص والفساد لا يراه غيباً ، ولا يعد المحبو به صواباً ، والناس - إلا من
لا يُتَدَقَّلُ - على خلاف رأيه ، وكذلك يوجد في الطباع [وقد جاء] ما أكد
ذلك من أحكام الشريعة .

وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه
في المجاهد صواباً ، فقال :

وَحَلَّ لَا سَبِيلَ لَصَرْمِ حَبِيلِهِ تَعَرَّضَ لِي مَعْتَفٍ فَرَطَ جِهَلِهِ
رَدِيَّ الظَّنَّ لَا يَأْوِي خَلْقٍ وَلَا يُؤْوِي إِلَيْهِ لِسُوءِ فَعْلِهِ
يُصَدِّقُ هَاجِسًا يَغْرِي ، وَيُغْرِي بِتَكْذِيبِ الْعِيَانِ لَضَعْفِ عَقْلِهِ
وَيَشْنَأُ كُلَّ ذِي دِينٍ وَعِلْمٍ وَأَصْلَ ثَابِتٍ لِفَسَادِ أَصْلِهِ

وكان السيد أبو الحسن في هذا الباب الذي سلكه من الهجاء كما قال ولئ
إحصائه :

إذا لم تجد بداً من القولِ فانتصف بحمد لسان كالحسام المهندِ
فقد دفع الإنسانُ عن نفسه الأذى بمقوله ، إن لم يدافع به اليدِ
ويقال : إن أهجى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بنى يربوع رهط أهجى بيت
جرب :

قوم إذا استنج الأضيافُ كلَّهمُ قالوا لأهم : بُولى على النارِ
لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء : فنسبهم إلى البخل بوقود النار لثلاث
يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسالبة ، ورماهم بالبخل
بالحطب ، وأخبر عن قلتها وأن بؤة تطنثها ، وجعلها بؤة مجوز ، وهى أقل من
بؤة الشابة ، ووصفهم بامتهان أهم وابتذالها في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على
المقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضمار ذلك بيبخلهم
بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصارى : إنه رماهم في هذا البيت
بالمجوسية ؛ لأن المجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ، ولا أدرى أنا كيف هذا والبول
ماء غير أنه ماء بمس قذر ؟

وقيل لبنى كليب : ما أشد ما هُجيتُم به ؟ قالوا : قول البعيت :
أَلَسْتُ كَلِيباً إِذَا سِمَ خَطَةً أقر كإقرار الخليفة للبعلِ
وكل كليمي صحيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعلِ
وكان النابتة الجمعدى يقول : إني وأوسا لنبندر باباً من الهجاء ، فن سبق
منا إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :

لعمرك ما تبلى سراويلُ عامرٍ من القوم مادامت عليها جلودها
قال النابتة : هذا والله البيت الذي كنا نبتدره . والقتى أراه أنا على كل

حال أن أشد المجاء ما أصاب الفرض ، ووقع على النكته ، وهو الذى قال
خلف الأحمر بعينه .

(٨١) باب الاعتذار

وينبغى للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره القدار
إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجبياً ،
وليعرف كيف يأخذ بقلب المتذمر إليه ، وكيف يمسح إعطافه ، ويستجلب رضاه ،
فإن إتيان المتذمر من باب الاحتجاج وإقامة الليل خطأ ، لاسيما مع الملوك وذوى
السلطان ، وحقه أن يطف برهانه مدججاً فى التضرع والدخول تحت عفو الملك ،
وإعادة النظر فى الكشف عن كذب الناقل ، ولا يترف بما لم يمنه خوف تكذيب
سلطانه أو رئيسه ، ويحيل الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الإخوان
فذلك طريقة أخرى

ولقد أحسن محمد بن على الأصهبانى حيث يقول :
المذرُ يلحقه التحريف والكذب وليس فى غير ما يرضيك لى أرب
وقد أسأتُ فبالنعمى التى سَلَفَتْ إلا مَنَنْتَ بعفو ماله سَبَبُ
وقال إبراهيم بن المهدي للأمان فى أبيات يعتذر إليه :
اللهُ يعلمُ ما أقولُ فيها جهد الألية من مُقرٍ خاضع
ما إن عصيتك والنواة تمدنى أسبابها إلا بِنَيْة طامع
وقد سلك أبو على البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بعد إنكار الجناية ،
فقال :

لم أجنِ ذنباً فإن زَعَمْتَ بأن جَنَيْتُ ذنباً فغيرُ معتمدٍ
قد تطرف الكفُ عَيْنَ صاحبها ولا يرى قطعها من الرشدِ
ونحوت أنا هذا النحو قلت :

للؤلف

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دُعَاةَ بَيْتٍ عَلَى نَارِهَا
وَلِنْ تَأْذَيْتُ فَيَارِجِمَا تَأْذَتْ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وَأَجَلٌ مَا وَقَعَ فِي الْاِعْتِذَارِ مِنْ مَشْهُورَاتِ الْعَرَبِ قِصَائِدُ النَّابِغَةِ الثَّلَاثِ : اعتذارات
إحدها من : الناجية الديواني

• يَادَارُ مَيَّةً بِالتَّلْيَاءِ فَالسَّنَدِ (١) •

يقول فيها :

فَلَا لِمَرُّ الَّذِي مَسَّحَتْ كُفَيْتَهُ وَمَاهُ رِيْقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
وَلِلْمُؤْمِنِ الْمَائِذَاتِ الْقَطِيرَ تَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْفِيلِ وَالسِّنْدِ
مَا قَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذَا فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
إِذَا فَصَاقَنِي رَبِّي مُسَاقَبَةً قَرَّتْ بِهَاعَيْنُ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ (٢)
إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا (٣) كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قِرْعًا عَلَى الْكَبْدِ
تُبْنَتْ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ
وَالثَّانِيَّةُ :

• أُرْسِمَا جَدِيدًا مِنْ سَعَادٍ تَجَنَّبُ (٤) •

(١) عجزه • أقوت وطال عليها سالف الأمد •

(٢) في الديوان « بالفند » وهو بفتحين : الكذب.

(٣) في الديوان شقيت بهم قرعاً على كبدي .

(٤) لم أقف على هذا للطلع في نسخ الديوان التي بين يدي ، ولا في غيرها من
الراجع ، وكل ما وقفت على قوله أن بعض الرواة يذكر هذه الآيات من كلمة أولها :

أُنَانِي - أَيْبِتِ الْعَيْنَ - أَنْكَ لَتَنِي وَتَلَكِ الَّتِي أَهَمَّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
فَبِتْ كَانِ الْمَائِذَاتِ فَرَعْنَ لِي هَرَسَا بِهِ يَحْلِي فَرَأَيْتُ وَيَقْشِبُ

(١٢ - السدة ٢)

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبَةً وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لبلفك الواشي أغشُ وأكذب
ولكنني كنتُ امرأً لى جَانِبِ من الأرض فيه مُسْتَرَادٌ ومهرب
ملوك وإخوان إذا مَالَتِهم أَحْكُمُ في أموالهم وَأَقْرَبُ
كعفك في قوم أراك اصطفيتهم فلم تَرْهُمْ في شكرهم لك أذنبوا
فلا تَتْرُكْنِي بالوعيد كأنتي إلى الناس مَطْلِي به القار أجرب
وذلك أن الله أعطاك سَوْرَةً ترى كل مَلِكٍ دونها يتذبذب
فإنك شمسٌ والملك كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهن كوكب
والثالثة :

• عفا ذو حسي من فَرْتَنًا بالقَوَارِعِ ^(١) •

يقول فيها بعد قَسَمٍ قَدَّمَهُ على عادته :

لَسَكَلْتُني ذَنْبٌ أَمْرِي بوتر كته كذى المرءُ يُكْوِي غيره وهو رافع
فإن كنتَ لاذوا الضننَّ عَنِّي مُكَذِّبٌ ولا حَلْفِي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنتَ بأمرٍ لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلْتُ أن للتأني عنك واسع
وقد تطلق بهذا اللفظ جماعة من الشعراء : قال سَلَمُ الخَاسِرُ يمتذر إلى
المهدي :

إلى أعوذ بخير الناس كلهم وأنتَ ذاك بما نأى ومجنب
وأنتَ كاللَّهْرِ مَبْنُوثًا حَبَابُهُ واللَّهْرُ لا مَلْجَأَ منه ولا هربُ
ولو ملكْتُ عِنانَ الرِّيحِ أَصْرِفُهُ في كل ناحية ما فانتك الطلبُ

لسلم
الخاسر

(١) عامه • فشطا أريك فالتلاع السوافع •

فليس إلا أُنْتَظَرَى مِنْكَ عَارِفَةً فِيهَا مِنَ الْخَوْفِ مُنْجَاةٌ وَمُنْجَلَبٌ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله
بن عبد الله
بن طاهر

وَإِنِّي وَإِنْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنْفِي أَفْوَتُكَ إِنِّي الرَّأْيَى مِنِّي لَعَاذِبُ

لَأَنْتَ لِي مِثْلُ الْمَكَانِ الْمَحِيطِ لِي مِنَ الْأَرْضِ أَنِّي اسْتَنْهَضْتُ لِلذَّاهِبِ

للتنبي

وإلى هذه الناحية أشار أبو العلي بن قتيبة :

وَلَكِنَّكَ اللَّهُ نِيَا إِلَى حَبِيبَةٍ فَسَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ

إلا أنه حرف الكلم عن مواضعه .

لعلي بن جبة

وَأَخْتَارَ الْعِلْمَاءُ لِهَذَا الشَّأْنِ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ :

وَمَا لِأَثَرِي بِحَاوَلَتِهِ عَنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمْ

بِلى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظَلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاعِلٌ

لأنه قد أجاد مع معارضته النابغة ، وزاد عليه ذكر الصبح ، وأظنه

اعتدى بقول الأعمى في بيت النابغة : ليس الليل أولى بهذا الليل من النهار

وفي هذا الاعتراض كلام يأتي في موضعه من هذا الكتاب ، إن شاء

الله تعالى .

وأفضل من هذا كله قول الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ

اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَمْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا

بِسُلْطَانٍ) .

لأبي الهول
الجبيري

ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الجبيري فدخل إليه فأنشده :

كَسَانِي وَعَيْدُ الْفَضْلِ ثَوْبًا مِنَ الْبَلِيلِ وَإِعَادَةُ لِلْوَتِّ الَّذِي مَالَهُ رَدُّ

ومال إلى الفضل بن يحيى بن خالد من الجرم ما يحشى على مثله الحقد

فَجِدْ بِالرِّضَا لَا أَبْتَغِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوْدَتِي بَعْدُ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب : لا أحتمل والله قولك : « ورايك فيما كنت عودتي » قال أبو المول : لا تنظر أعزك الله إلى قصر باي ، وقلة تميزي ، وفضل بي ما أنت أهله ، فأمر له بجال جسيم ، ورضى عنه ، وقرّبه .

وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون من الهو ، كأنك محوت آثار الموجدّة ، من قولهم : اعتذرت للنازل ، إذا درّست ، وأنشدوا قول ابن أحر :

اشتقاق
الاعتذار

أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتِي فَقَدْ جَمَلْتَ
أَطْلَالُ إِلْفِكَ بِالْوَدَّاهِ تَعْتَذِرُ^(١)

والثاني : أن يكون من الأقطع ، كأنك قطعت الرجل عما أسك في قلبه من المودة ، ويقولون « اعتذرت للياء » إذا اقطعتم . وأنشدوا للبيد :
شُهُورُ الصَّيْفِ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ نِطَاقُ الشَّيْطَانِ مِنَ السَّمَاءِ
والقول الثالث : أن يكون من الحُجْرِ والمنع . . . قال أبو جعفر : يقال « عذرت الدابة » أي جعلت لها عذاراً يحجزها من^(٢) الشَّرَادِ ، فمضى « اعتذر الرجل » احتجز ، وعذرت له جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والتمسّ عليه ، ومنه « تَعَذَّرَ الأمر » احتجز أن يُقْضَى ، ومنه « جارية عَذْرَاء » .

(١) قبل هذا البيت قوله :

بأن الشباب وأقضى ضعفه العمر لله درك أي الميش تنتظر ؟
هل أنت طالب شيء لست مدركه ؟ أم هل لقلبك عن ألفه وطر ؟

(٢) العذار - بوزن الكتاب - الأجسام ، وبحجزها : بمنها ، والشَرَاد - بكسر الشين - الفناء والجماع .

(٨٢) - باب سيورة الشعر ، والحظوة في المدح

كان الأعمى أشبه الناس شعراً ، وأعظمهم فيه حظاً ، حتى كاد يُنسى الناس أصحابه المذكورين معه ؛ ومثله زهير ، والناينة ، وامرؤ القيس ؛ وكان جرير ناينة الشعر مظفراً ، قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رُزِقَ من سيورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كَلَبَتْهُمْ
قَالُوا لِأَمْسِهِمْ : بُولِي عَلَى النَّارِ
وقال هو :

وَالْتَفَافِي إِذَا نَفَخْنَا لِلْقَرَى حَكَّ اسْتَهْ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَلَا
فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته . قال الأعمى : لحسكاه بسيرة الشعر
قال الحسين بن الضحاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :
وشاطرىَّ اللسان مَخْتَلَقَ التَّكْرِيمِ شَابَ الْمُجُونِ بِالدُّنْكَ
إلى أن بلغت إلى قولي :

كَأَنَّمَا نُصَبَّ كَأْسُهُ قَرُّ يَكْرِعُ فِي بَعْصِ أَجْمِ الْعَلَا
فنفرت نفرة منكورة ، قلت : مالك فقد أفرغتي ؟ ! ! قال : هذا معنى مليح
وأنا أحقُّ به ، وسترى لمن يروى ، ثم أنشدني بعد أيام :

إِذَا عِبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلْعُهُ يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا
قلت : هذه مصالتيه بأعلى ، قال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأما في الحياة ؟ !
وأنت ترى سيورة بيت أبي نواس كيف نسي معها بيت الخليع ، على أن
له فضل سبق ، وفيه زيادة ذكر القمر ، وقد أرى ابن الرومي عليه ما جيعاً بقوله :

الذين
سار شعرهم
في الجاهلية
وفي الإسلام

بين الخليع
وأبي نواس

أَبْصَرْتَهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْهُ وَيَنْ أَتَمَلِّحُ تَحْسِبُ
وَكُنْهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمَرٌ يُقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ
ولكن بيت أبي نواس أملاً للغم والسم ، وأعظم هيبه في النفس والصدر
ولذلك كأن أسير .

وفي زمانها ذاقوم يريدون ليطغوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .
وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت ، وعيرت ؛ فخط الشر بعضاً
منهم عواقبة الحقيقة ، ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف
موضع الرمية .

فمن الذين لم يحك فيهم هجاء إلا قليلاً على كثرة ما قيل فيهم : تميم بن مرة ،
وبكر بن وائل ، وأسدي بن خزيمه ، ونظراؤهم من قبائل التميم .
ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل عزٍّ على تقدمهم في الشجاعة والفضل
أحياء من قيس : نحو غني وباهلة ابني أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، واسم غني
عمرة ، وكانوا موالى عامر بن صعصعة : يحملون عنهم الديات والنواب ، ونحو محارب
ابن حصيفة بن قيس عيلان ، وجسر بن محارب^(١) حالفوا بني عامر بن ربيعة بن عامر
ابن صعصعة على لوم الحلف ، ومن ولد طابخة بن إلياس بن مضر : تميم وعُكَيْل ابنا
عبد مَنَاة بن أد ، صادف الشعر سباء كان وقع عليهم في الجاهلية ، فاستهانت العرب
بهم ، وانطبع الهجاء فيهم ، وعدى بن عبد مَنَاة ، كانوا قطينا لحاجب بن زُرارة ،
وأراد أن يستملكهم ملك رقي بسجل من قبل المنذر ، والخطبات ، وهم ولد الحارث
ابن عمرو بن تميم ، وسعى الحارث الخطيب لعظم بطنه ، شبهوه بالجل الحبط ،
وهو الذي انتفخ بطنه مما رعى اتخلاً ؛ فأما سَؤْلُ قد قال فيهم أبو زياد

قبائل
لم يهتك هجاؤهم
إلا قليلاً
قبائل شقيت
بالهجاء

(١) في الأصول « حسي بن مخالف » وجسر بن محارب : ابن حصيفة بن قيس
عيلان .

الكلابي : كرام من كرام من صمصمة ، لم يحالفوا ، ولم يدخلوا في صفار ، وإنا كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم ، يريد قوله « أغدّة كخدة البعير وموت في بيت سلوية » قلت : أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يصنع بقول السموأل بن عاديا :

ونحن أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامرٌ وسلول
والسموأل في زمان امرئ القيس ، وبين امرئ القيس ومبشّر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة

قال الجاحظ : لم تمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم الذين حظوا بالمدح
قال : وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم ،
قال : ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد ، وقد كان
يزيد بن يزيد وعنه معن بن زائدة عن أحفاده الشعر ، ولا أعلم في الأرض
نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً .
قلت أنا : أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن ،
وقرّسها منه بالاستحقاق ، فقرت مقرها ، ونزلت منزلها المختار لها ، وأحيا الله
لبنى شيبان حمداً لم يشبهه ذم ، وجوداً لم يعقبه قدم ، مما زاد على يزيد ، ولم يدغ
لمن معنى في الجلود .

وقال غيره : كان عمر ^(١) بن الهلاء ممدوحاً ، وفيه يقول بشار بن مرد :

(١) هذا الاسم قد وقع في ترجمة أبي التماهية من الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق)
مع الأبيات السابق ذكرها في ص ١٣٣ من هذا الجزء « عمرو بن العلاء » ففتح
العين وسكون اللام وبالواو الفارقة ، وكذلك وقع في ترجمة بشار بن برد من الأغاني
(٣ / ٤٦) مع ثلث هذه الأبيات ويتبين من أبيات أبي التماهية ، وكذلك
في مهذب الأغاني (٨ / ٤٨) ولكن أبيات بشار لا تستقيم إلا على قراءته بضم
العين وفتح اللام وبدون واو ، وهو الصواب . وانظر - مع ذلك - ص ١٨٤ الآية

قل للخليفة إن جثته نصيبها ولا خير في التهم
 إذا أيقفتك حروب الداء فنبه لها محمراً ثم نم
 فتي لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم
 دعاني إلى عمر جوده وقول العشيرة بحر خضم
 ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدح ربحانة قبل شم

وله يقول أبو المتاهية :

إن المطايا تشتكك لأنها قطعت إليك سباسباً ورملاً
 وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب (٢).

قال أبو عبيدة : لم يمدح أحد قط بنى كليب غير الحطيئة بقوله :

لمرك ما المجاور في كليب بمقيى الجوار ولا مضاع
 هم صنعوا جارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصنّاع
 ويحرم سِرُّ جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

مفاخر
 تميم

كانت قيس تفتخر على تميم : لأن شعراءهم تضرب للثل قبائل قيس ورجالها

فأقامت تميم دهرأ لا ترفع رءوسها حتى قال لييد :

أبنى كليب كيف تنقي جفرك وبنو ضينة حاضرو الأجياب
 قتلوا ابن عروة ثم لعلوا دونه حتى يحاكمهم إلى جواب
 يرعون منخرق الحديد كأنهم في المزاهرة حاجب وشهاب
 متظاهري حلق الحديد عليهم كبنى زُرارة أو بنى عتاب
 قوم لهم عرفت ممد فضلها والتفضل يعرفه ذوو الألباب

وقال زبان بن منصور القزاري :

فجاءوا مجتمعاً محزّلاً كأنهم بنو دارم إذ كان في الناس دارم

فتكلمت تميم واقتخرت؛ لمكان هذين الشاعرين للعظيمى القدر فى قيس،
فدل هذا على أن قيساً أعطى بللدح من تميم.

الأوبد
من الشعر

والأوبد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال، وأكثر ما تستعمل الأوبد
فى الهجاء، يقال: رماها بأبدة، فتكون الأبدة هنا الباهية، قال الجاحظ:
الأوبد الدواهي، ومنه أوبد الشعر، حكاه عن أبى زيد، وحكى:
الأوبد الإبل التى تتوحش فلا يُقدر عليها [إلا] بالتقر، والأوبد الطير التى
تقيم صيفاً وشتاء، والأوبد الوحش؛ فإذا حلت أبيات الشعر على ما قال
الجاحظ كانت المعانى السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة، وإن شئت
المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كقائمة الطير التى ليست بقواطع، وإن
شئت قلت: إنها فى بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش فى نفارها
من الناس.

المجدودون
فى التكسب
بالشعر

وأما المجدودون فى التكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم: سلم الخاسر
مات عن مائة ألف دينار، ولم يترك وارثاً، وأبو المتاهية صنع:

تعالى الله يا سلمُ بنَ عمرو أذلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرجالِ

وكان صديقه جداً، فقال سلم: ولى من ابن القاعة، جمع القناطير من
الذهب ونسبني إلى مآرون من الحرص، ولم يرد ذلك أبو المتاهية، لكن
دعاه بمجبه كما يفعل الصديق مع صديقه، ومروان بن أبى حفصة: أعطى
مائة ألف دينار غير مرات، وكان لا يقابل إلا بالكثير، وهو لعمري من
ذوى البيوتات، والمرقين فى التكسب بالشعر، وكان أبو نواس محظوظاً
لا يدرى ما وصل إليه، لكنه كان مثلاً ستمحاً، وكان يتساجل فى الإنفاق
هو وعباس بن الأحنف وصرع الفوائى، وكان البهترى ملياً قد فاض
كسبه من الشعر، وكان يركب فى موكب من عبيده، وأبو تمام فما وفى

حقه مع كثرة ما صار إليه من الأموال ؛ لأنه تبذل ، وجاب الأرض ، وكذلك أبو الطيب .

(٨٣) — باب ما أشكل من المدح والهجاء

لرجل
سعدى
أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الحسين بن إبراهيم
الآملى ، لرجل من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم :

تَصَيَّفَنِي وَهَنَا ، فَقُلْتُ : أَسَابِقِي إِلَى الزَادِ؟ شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ
وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ عُرْيَانٌ جَائِعٌ
لَمْ يَرِدْ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ ذَنْبًا
لِقِيهِ لَيْلًا ، فَقَالَ : أَنْسَبِقِي أَنْتِ إِلَى الْأَكْلِ ؟ أَيْ : تَأْكُلْنِي ، شَلَّتْ إِذْنُ أَصَابِعِي
إِنْ لَمْ أَرْمِكْ فَأَتَقَتِكَ فَأَكُلْ مِنْ لَحْمِكَ ١١ ثُمَّ قَالَ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ : لَمْ تَلْقَ
لِلسَّعْدِيِّ - يَعْنِي نَفْسَهُ - ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ لَا مُسْتَعْتَبَ فِيهَا - يَعْنِي الذَّنْبَ - إِلَّا وَهُوَ جَائِعٌ ،
يَقُولُ : فَهَوَ لَا يَبْقَى عَلَيَّ لَأَنِّي بِشَيْئِهِ .

ومن أناشيدهم :

عما أنشدوه

أَبُوكَ الَّذِي نُبِّئْتُ يُحْبِسُ خِيْلَهُ غَدَاةَ النَّدَى حَتَّى يَجِفَّ لَهَا الْبَقْلُ
قَالُوا : إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَنْبَتَتْ بَقْلًا فِي أَصُولِ بَقْلِ قَدِيسٍ
فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ النَّشْرُ ، وَهُوَ النَّعِيرُ ، فَتَأْكُلُهُ الْإِبِلُ ، فَيَأْخُذُهَا الشَّهَامُ ، وَلَا
سَهَامَ فِي الْخَلِيلِ ؛ فَصَابَهُ بِالْجُهْلِ بِالْخَلِيلِ .
وَقَالَ الْأَمْصِيُّ : هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ ، بَلْ مَدَحُهُ بِمَعْرِفَةِ الْخَلِيلِ ؛ لِأَنَّ النَّشْرَ مُؤَذِّ
لِكُلِّ مَنْ يَأْكُلُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ سَهَامٌ .

وقال سليمان بن قنفة في رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما ، وذكر آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويروى لقرزوق :

لسليمان
ابن قنفة

أَوَّلِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكُنْ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلِّتْ
أَرَادَ لَمْ يَغْمِدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَضْرِبْكَ
وَلَمْ تَجْنِ عَلَى إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتَ عَلَى ؛ وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ لَمْ يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ
إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَلْقُكَ وَلَمْ أَحْسِنْ إِلَيْكَ إِلَّا وَقَدْ
أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ ، وَالْقَوْلَانِ جَمِيعًا صَحِيحَانِ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

كَمْ الْكَلْبُ

وَيَنْشُدُونَ قَوْلَ الْآخَرِ :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجْ إِمَّا الْكَلْبُ نَاجٍ

وَيُرْوَى :

دُفِنْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ - نَاجٍ
قَالُوا : فَالَّذِمْ أَنْ يَكُونَ إِمَّا يَكْمُهُ لثَلَا يَغْفِرَ الضُّيُوفَ ، وَالَّذِمْ أَنْ يَكُونَ
ذَلِكَ لثَلَا يَنْبِجْ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ الضُّيْفَ ، وَأَنَا أَعْرِفُ هَذَا الْبَيْتَ فِي هَجَاءِ مَحْفُضٍ لِلرَّامِ
هَجَا بِهِ الْخَطِيئَةَ ، وَهُوَ :

أَلَا قَبِجَ اللَّهِ الْخَطِيئَةَ ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَافَى مِنَ النَّاسِ سَالِحٌ

وَيُرْوَى : * عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ *

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِجْ إِمَّا الْكَلْبُ نَاجٍ
بَكَيْتَ عَلَى مَذْقِ خَيْبَتِ قَرِينَتِهِ أَلَا كُلَّ عَيْبَى عَلَى الرَّادِ نَاجٍ

وَأَنشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :

تَجَنَّبُ
الْجِيُوشُ

تَجَنَّبُكَ الْجِيُوشُ أَبَا خَبِيبٍ وَجَادَ عَلَى مَنَازِلِكَ السَّحَابُ

وَيُرْوَى : * أَبَا رَيْبٍ * قَالَ : إِنْ دَعَا لَهُ فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَغَافِيَ مِنَ الْجِيُوشِ ،
وَأَنْ يَجُودَهُ السَّحَابُ فَتُخَصِّبَ أَرْضَهُ ، وَإِنْ دَعَا عَلَيْهِ قَالَ : لَا بَقِيَ لَكَ خَيْرٌ تَطْعَمُ
فِيهِ الْجِيُوشُ ، فَحَى تَجَنَّبُ دِيَارَكَ لَعَلَّهُمْ بِقَسْلَةِ الْخَيْرِ عِنْدَكَ ، وَيَدْعُو عَلَى
مَحَلَّتِهِ بِأَنْ تَدْرُسَهَا الْأَمْطَارُ .

وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لمحك وغمك ، ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر :

وَحَيْفَاءَ أَلْهَى النَّيْبُ فِيهَا ذِرَاعُهُ فَسَرَّتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمَعْرَمٍ

أى : فسرت كل ماشية ، وساءت كل فقير .

وأشد [أبو عبد الله] أيضا :

إِنِّي عَلَى كُلِّ لِبَاكِ وَمُفْسِرَةٍ أَدْعُو حَيْشًا كَأَدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ

وروى اللبرد : * أَدْعُو حَنِيفًا *

ابنة
الجبل

يريد أنه يجيب بسرعة كالصعدى ، وهو ابنة الجبل ، وقيل : ابنة الجبل الصخرة للنحدرة من أعلاه ، وزاد أبو زيد في روايته بيتاً ، وهو :

إِنْ تَدْعُهُ مَوْهِنًا يَمُجِّلُ بِجَانِبِهِ عَارِي الْأَشَاجِعِ يَسْتَمِي غَيْرَ مُسْتَعِيلٍ

فهذا مدح لا محالة ، ومنهم من حمله على قول الآخر :

كَأَنِّي إِذْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَى لَهْمُ الْجَبَالِ

ورواه قوم : * بنى سليم *

فن مدح جله كالأول في سرعة الإجابة ، ومن دَمَّ نسبهم إلى النخل عن إجابته مثل الجبال .

ومن اللهاء الذى يدخل في هذا الباب قول الآخر :

تَفَرَّقَتْ غَنَى يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا : يَا رَبِّ سَلْطَ عَلَيْهَا الذَّنْبُ وَالضَّمِيمَا

قيل : لأنها إذا اجتمعا لم يؤذيا ، وشغل كل واحد منهما الآخر ، وإذا تفرقا آذيا ، وقيل : إن معناه في اللهاء قتل الذنب الأحياء عينا ، وأكل الضيع الأموات ، فلم يبق منها بقية .

ومن لطيف ما وقع في هذا الباب قول النابغة الذبياني :

يَعْدُوُّ الشَّاعِرُ الثَّنِيَّانُ عَنِّي صُدُودَ الْبُسْكِ عَنْ قَرْمٍ هَجَانٍ

الثنيان

لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفعل ، لكن أراد التصغير بالنسبة لهاجه ،
فجعله ثانياً ، وقال الآخر :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمَثَلِ أَبِي وَجَدَى يَجِيءُ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي
أراد وهو ثان من عنائه ؛ لأنه يسبق متمهلاً .

وقال ابن مقبل :

إِذَا الرَّاقُ أَتَاخُوا حَوْلَ مَنْزِلِهِ حَلُّوا بَنَى فَجَرَاتِ زَمْدُهُ وَارِي
قال ابن السكيت « بنى فجات » أى : يتفجر بالسخاء والمطاء ، ويدل

على ما قال ابن السكيت أن لصيق هذا البيت :

جَمُّ الْمُخَارِجِ ، أَخْلَاقُ الْكَرِيمِ لَهُ ، صَلَّتِ الْجَبِينِ ، كَرِيمِ انْخَالِ مِفْوَارِ
وعما يمدح به ويدم قومه « هو بيضة البلد » فمن مدح أراد بها أصل الطائر ،
ومن ذم أراد أنها لأصل لها ، قالت أخت عمرو بن عبيدود في علي بن أبي طالب
رضي الله عنه لما قتل أخاهما :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ قَدْ بَكَيتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبْدِ
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ
فهذا مدح كما تراه .

وقال الراعي النخعي يهجو عدى بن الرقاع العاملي :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يَهْجِي هَجْوَكُمْ يَا أَبْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قَضَاعَةُ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ
وأنشد بعض العلماء :

وَإِنِّي لَطَلَّامٌ لِأَشْعَثَ بَائِسٍ عَرَانَا ، وَمَقْرُورٍ بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ
وَجَارٍ قَرِيبَ الدَّارِ ، أَوْ ذِي جِنَايَةٍ غَرِيبٍ بَعِيدَ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَفَرُ
يظنه السامع هجاء نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر ، وإنما مدحها بأنه يظلم

الفاقة فينحدر فصيلها من غير علة ولا داء ، إلا لعنيفة هذا الأشمث ، والجار ، وأشباههما .

(٨٤) — باب في أصول النسب ويونات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام ؛ لأن جميع من كان قبله قد هلك ، وإنما بقي من ولده سام ، وحام ، وياث ؛ فولد يافث الصقالية وبرجان والأشبان ، وكانت منازلهم أرض الروم ، من قبل أن تكون الروم ، ومن ولده الترك ، والخرز ، ويأجوج ومأجوج ؛ وولد حام كوش وكنعان وقوط ؛ فأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده ، وأما كوش وكنعان فأجناس السودان ، والثوبة ، والزنج ، والزغارة ، والحبشة ، والقطب ، وبربر من أولادها ؛ وولد سام إرم ، وإرخشد ، فداد بن عوص بن إرم ، وطشم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، ومنهم المالقي ، ومنهم فراعنة مصر ، والجبابرة ، ومنهم ملوك فارس ، وأجناس القرس كلها ولده ، وعمود بن عابر بن سام ، وماش بن إرم نزل بيايل ، و [من] ولده عمرو الذي فرق الله الألسنة في زمانه ، وهو الذي بنى المصرح بيايل ، ويقال : إن التبط من ولد ماش ؛ ويقال أيضاً : إنهم من ولد شاروخ بن فالغ بن إرخشد ، والأنبياء كلها عربها ومجيبها ، والعرب كلها يعنيها ونزارياها من ولد سام بن نوح ، حكى جميع ذلك ابن قتيبة ، ومن ولد إرخشد قحطان بن عابر بن شالح بن إرخشد ، وكان مسكن قحطان اليمن ، فكل يمان من ولده ، فهم من العرب الماربة . ويقطن بن عابر ، وهو أبو جرم ، وكانت مساكن جرم اليمن ، ثم نزلوا مكة فسكنوا بها ، وتزوج إسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم ؛ فهم أحوال العرب المستعربة .

أصل
الأنساب

قال الزبير بن بكار : العرب ست طبقات : شعب ، وقبيلة ، وعمارة ،

طبقات
العرب

وبطن ، وغذ ، وفصيلة : فمضر شعب ، وريصة شعب ، ومدحج شعب ، وحبر شعب ، وأشباههم ، وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل لأن العائر تقابلت عليها : أسد قبيلة ، ودودان بن أسد عمارة ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأخاذ ، والأخاذ تجمع الفصائل : كنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم غذ ، والمباس فصيلة .

وزعم أبو أسامة — فيما رأيت بخطه ، وقد عاصرته ، وكان علامة بالغة — أصل تسمية الطبقات أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الإنسان الأرفع فالأرفع ؛ فالشعب أعظمها ، مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قبلته ، ثم العمارة ، قال : والعمارة الصدر ، ثم البطن ، ثم الغذ ، ثم الفصيلة ، قال : وهي الساق ، أو قال : للفصل ، الشك مني أنا ، قال : والحق أعظم من الجميع ؛ لا اشتغال هذا الاسم على جملة الإنسان .

وأما أبو عبيدة فجعل بعد الغذ العشيرة ، قال : وهم رَهَطُ الرجل دنيا^(١) ، ثم الفصيلة ، قال : دون ذلك بمنزلة للفصل من الجسد ، وهم أهل بيت الرجل ، فأما البيوتات فكل يدعى لنفسه سابقة ، ويمتد بفصيلة ، غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء ، وتداوله الرواة .

قال ابن الكلبي : كان أبي يقول : العدد من نعيم في بني سعد ، والبيت في بني دارم ، والفرسان في بني ربوع ، والبيت من قيس في غطفان ، ثم في بني فزارة ، والعدد في بني عامر ، والفرسان في بني سليم ، والعدد من ربيعة [في بكر] والبيت والفرسان في شيبان .

(١) في الأصول « دنيا » بتقديم الياء على النون ، والصواب العكس كما أثبتناه

مفاخر
القبائل

قال ابن سلام الجعفي : كان يقال : إذا كنت من تميم فقاخر بمَنْظَلَة ،
وكاثر بسعد ، وحارب بعمرو ، وإذا كنت من قيس فقاخر بَطَقَان ، وكاثر
بهُوْازَن ، وحارب بَسْكِيم ، وإذا كنت من بكر فقاخر بشييان ، وكاثر بشييان ،
وحارب بشييان .

فرسان
العرب

قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد ولا أكره
فرساناً من بني ثعلبة بن عُكَّابَة ، وكان يقال له : الأغر والحسن ، وبنوه شييان ،
وذهل ، وقيس ، وتميم الله . قال : فقارس غطفان الربيع بن زياد العبسي ، وفاتكها
الحارث بن ظالم ، وحاكها هَرِيمُ بن ثعلبة^(١) ، وجوادها هرم بن سنان للري ،
وشاعرها النابتة القدياني ، وفارس بني تميم عتيب^(٢) بن الحارث بن شهاب أحد
بني يربوع ، وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري ، وفارس دارم عمرو
ابن عمرو بن عُدُس ، وفارس سعد قَدْرِكِي بن أعبد للتقري^(٣) ، وفارس الرباب
زيد القواوس بن حصن الضبي ، وفارس قيس عامر بن الطَّقِيل ، وفارس ربيعة
بِسْطَام بن قيس .

بيوتات
العرب

قال أبو عبيدة : بيوت العرب ثلاثة : فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة
ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شَيْبَانَ ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم
بنو عبد الله بن دارم ، ومركزه بنو زُرَّارَة .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم إلى الزُّبَيْرِ قَانِ بن بدر من
بني بَهْدَلَة بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بني ضبة بنو ضرار بن

(١) ويقال « قطنة » انظر (ج ١ ص ٥٣) .

(٢) هكذا في النسخ ، والمحمول « عتية » وشاهده قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثلثت مروهم بعتية بن الحارث بن شهاب

(٣) هوجد عمرو بن الأهم لأمه ؛ فإن أم عمرو ميا بنت قدي بن أعبد .

عمرو^(١) الرديم ، وبيت بنى عدى بن عبد مناة آل شهاب من بنى ملكان ،
و بيت التميم آل النعمان بن جساس .

قال : وليس في الرب جساس غيره .

قال الجحى : فارس المين في بنى زُبَيْد عمرو بن معدى كرب ، وشاعرها
امرؤ القيس ، وبيتها في كِنْدَةَ الْأَشْعَثُ بن قيس ، لَا يُخْتَلَفُ في هذا ، وإنما
اختلف في نزار .

قال : وأما الشرف [ف] ما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد النبي
واتصل في الإسلام .

قال أبو إلياس البصرى : كان بيت قيس في آل عمرو بن ظَرِب المدَوْنى ،
ثم في غُفَى في آل عمرو بن يربوع : ثم تحول إلى بنى بدر ، فجاء الإسلام
وهو فيهم .

وقال الأخفش على بن سليمان : فرعا قریش هاشم وعبد شمس ، وفرعا غطفان
بدر بن عمرو بن لؤذان وسيار بن عمرو بن جابر ، وفرعا حنظلة رياح وثلبة ابنا
يربوع ، وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وبكر ابنا كلاب ، وفرعا قضاة
عُدْرَةَ والحارث بن سمد .

(٨٥) - باب مما يتعلق بالأنساب

قال أبو عبيدة : قریش البطاح قبائل : كعب بن لؤى بن عبد مناف قریش البطاح
وبنو عبد الدار وعبد العزى ابنا قصى ، وبنو زُهْرَةَ بن كلاب ، وبنو مخزوم
ابن يَظْلَةَ ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو جَحْجَح وبنو هصيص بن كعب ، وبعض
بنى عامر بن لؤى .

(١) قال المجيد في القاموس : « والرديم كأمير : لقب فارس منهم » ١٠١ .

- قريش الظواهر : بنو محارب والحارث ابنا فُهر ، وبنو الأذرم بن غالب ابن فُهر ، وعامة بني عامر بن لؤي، وغيره .
- القاب لبعض القبائل : كان يقال : مازن غسان أرباب للوك ، وحمير أرباب العرب ، وكندة كندة الملك ، ومذحج مذحج الطمان ، ومهدان أحلاس الخليل ، والأزد أسد البأس ، والذهلان : أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة ويشكر ، والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، والاهزمتان : إحداهما عجل وتيم اللات ، والأخرى قيس بن ثعلبة وعَنْزَة ، وكلهم من بكر بن وائل ، إلا عَنْزَة بن أسد بن ربيعة .
- الأحايش : حلفاء قريش .
- قال ابن قتيبة : هم بنو المصطلق ، والحياة بن سعد بن عمرو بنو المون بن خزيمية : اجتمعوا بذنب حُبشئ - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليدٌ على غيرنا ما سَجَا ليلٌ وأوضح نهار ، وما أرسى حبشئ مكانه ^(١) .
- وقال حماد الراوية : إنما تُثَمُّوا بذلك لاجتماعهم ، والتحابش : هو التجمع في كلام العرب .
- الطيون : حيد مناف ، وزهرة ، وأسد بن عبد المزي ، وتيم ، والحارث ابن فُهر ، وعبد قُصي .
- الأحلاف : غزوم ، وعدى ، وسهم ، وُجَمَح ، وعبد الدار .
- سموا أولئك الطييين خلوق صنعتهم لهم أم حكيم فتمسوا أيديهم فيه ، وسموا الآخرون أحلافًا لجزور نخروه ، فدافوا دمه في جَفَنَة فسوه بأيديهم ولحقوا منه ، وسموا «الأحلاف» و«لَعَقَة الله» .
- الأرقام : جُشَم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ، قال أبو علي : ليس في المِسرَب نصراني غيره .

(١) في القاموس « ووضح نهار ، وما رسا - إلخ » .

البراجم : خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ،
والظالم ، وهو مرة ؛ تبرجموا على إخوتهم يربوع وربيعة ومالك ، وكلهم أبوهم
حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرة .

التمليات : تملية بن سعد بن ضبة ، وتملية بن سعد بن ذبيان ، وتملية بن
عدى بن فزارة ، وأضاف إليهم قوم تملية بن يربوع .

الرباب : هم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدى ، وعوف . وهو عُكْلٌ -
وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مناة بن أد بن طابخة ^(١) :

الأجارب : خمس قبائل من بني سعد : وهم ربيعة ، ومالك ، والحارث -
وهو الأعرج - وعبد السزى ، وبنو حمار .

الحرام : بنو كعب بن سعد بن زيد مناة .

الضباب : هم أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ،
وحسّيل ، بنو معاوية بن كلاب ، كذا زعم ابن قتيبة وغيره .

وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : هم بنو عمرو بن معاوية بن
كلاب ، وإما سموا ضباباً لأنه سمي فيهم ضيا وحسلا وحسيلا ، فقال له الرجل
وسمعه يهتف بهم : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضباب ، فسمو الضباب إلى اليوم ؛
قال : ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب : ضب ، وحسل ، وحسيل ، وحصن ،
وحصين ، وخالد ، وعبد الله ، وقاسط ، والأعراف ، وتولب ، وشقيق ، وخزيم ،
والوليد ، وزهير ؛ فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة ، وهم الضباب جميعاً .

(١) قال المرتضى : « والرباب أحياء ضبة ، وهم تيم وعدى وعكْل ، وقيل :
تيم وعدى وعوف وثور وأحيب ، وضبة عنهم . مما يؤكد لتفرقهم ؛ لأن الربة الفرقة
وذلك إذا نسبت إلى الرباب قلت ربي ، بقدره إلى واحد » ٥١ .

الأكابر

الأكابر : شيان ، وعامر ، وجليحة ، والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب
ابن علي بن بكر بن وائل .

بنو أم البنين

بنو أم البنين : عامر ، والطفيل ، وربيعة ، وعبيدة ، ومعاوية ، بنو مالك
ابن جعفر بن كلاب ، هكذا عند أكثر الناس ، قالوا : وإنما اضطرت^(١) القافية
ليبدلنا فجعلهم أربعة وهم خمسة .

وقال أبو يزيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : إن بني أم البنين أربعة ،
كما قال ليبد : ابتكرت عامراً ملاعب الأسنة ، وثنت بالطفيل ، ثم تزوج عليها
مالك سلامة السلميَّة ، فنارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكوراً ، وجاءت السلميَّة
بثلاثة ، وهم : سلى ، وعبيدة ، وعنتبة ، فأدار مالك الحيلة على أم البنين وأخياها
زهير بن خِذَاش بن زُهَيْر ، حتى أخذ عليها حكماً بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملاً
فولدت معاوية مَعُوذَ الحِمْيَر^(٢) ، ثم ثَلَّثَ بربيعة أبي ليبد ، وزعم بعض شيوخه
الذين أخذ عنهم أنه سمي معوذ الحِمْيَر^(٣) من أجل أنه تولى حكماً عن زهير بن
عمرو على أخيه ، وروى أبيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحِمْيَر^(٤)

(١) في قوله أمام العمان بن النذر :

نحن بني أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعبه
وانظر هذا الكتاب (ج ١ ص ٥٩) .

(٢) معوذ الحِمْيَر - بالفتح للمجعة كما في اللسان عن ابن بري - والذى في
القاموس وشرحه « معوذ الحِمْيَر » بالفتح مهجلة ، ومنهم من يلقبه « معوذ
الحِمْيَر » جمع حليم - باللام - ومنهم من يلقبه « معوذ الحكم » والذى في القاموس
أولى ، قال : « ومعوذ الحِمْيَر لقب معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب لقوله :

أعود مثلاً الحِمْيَر يمدى إذا ما الحق في الأشياخ نابا

ونابا : عرا ، ويروى في مكانه « بابا » أى ظهر ، ويروى في مكان الشطر الثاني
● إذا ما معضل الحدثان نابا » ١ هـ ، مع زيادات من الشرح ، وفيه بعض تصحيف
وانظر ص ٢٢٩ الآتية

زيد الخليل ، غير أنه لم ينشد البيت ، وزعم أنه ناقض بها طُفَيْلاً
القنوي .

قال : وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياه .

الكلمة : بنو زياد القُبيسيون ، وهم : أنس الحفاظ ، ويقال له أيضاً : أنس
القوارس ، وعارة الوهاب ، وربيح الكامل ، وقيس الجواد ، هكذا رويناه
عن النحاس .

قال للمبرد وغيره : ربيع الحفاظ ، وعارة الوهاب ، وأنس القوارس ، أمهم
فاطمة بنت أنثرب الأثمارية .

الحس : هم قريش ، وكنانة ، ومن ذانَ بدينهم من بني عامر بن صعصعة .
قال أبو عمرو بن العلاء : الحس من بني عامر : كلاب ، وكعب ، وعامر ،
بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم محبة بنت النيم الأدرم بن غالب بن فهر
ابن مالك ، وكانوا في الجاهلية يتعمسون في أدنانهم ، أي : يتشددون ، لا يستفلون
أيام مَنى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، وقيل : سموهم أشدة بأسهم ، ويعلمون
في الحس خزاعة .

النابس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ،
بنو أمية بن عبد شمس .

والأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والميص ، وأبو الميص ، وبنوه أيضاً
أم القبائل : هند بنت نعيم بن مر ، ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله ، وأوس
الله ، وعائذ الله ؛ وولدت لوائل بن قاسط بكرأ ، وتغلب ، وعزرا ، وقيل :
هو عزير بن وائل ؛ وولدت لعبد القيس بن قصي القبولك بن عبد القيس ، وبعضهم
يقول : اللبوء - بالهمز وبضم الباء - وفيه اختلاف بين العلماء .

الجرات : جهرات العرب : ضبة ، وعبس ، والحارث بن كعب ؛ سمو بذلك
الجرات .

لأن أهم الخشب بنت مرة — فيما يقال — رأت في المنام كأن ثلاث جرات خرجت منها ، قال أبو عبيدة : فطقت من الجرات اثنتان : الحارث بن كعب حالقت في غطفان ، وضبة حالقت الرُّبَاب وسعداً ، وبقيت حبس لم تطفأ ؛ لأنها لم تحالف ، وأما الجاحظ فجلها عسا وضبة ونميراً . وأشار إلى أن في تميم جداراً أيضاً ، وصرح بذلك للفضل ، فقال : هم بنو ربوع ، وزعم الفرزدق أنهم بنو العَدَوِيَّة ، نسبو إلى أهم ، وهم زيد ، وصدي ، وجشيش ، بنو مالك بن حنظلة ، وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمه بن تميم بن جل بن عبد مناة بن أد ، غير أنهم جعلوا مكان جشيش ربوعاً ، ومن الجرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير ابن عامر بن صعصعة ؛ لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب .

قال الجاحظ : إنما قيل لكل واحد منها جرة ؛ لأنهم تجمعوا حتى قوا على عدوهم واشتدوا ، قال : ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجدير المرأة شعرها ، وإذا ضفرته قيل : قد جرت ، وقال غيره : ومنه «خف بجر» إذا كان مجتمعا شديداً .

بنو طيبة طهية بنت عَبْشَمَس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوقا ، وأبا سود ، وربيعة ، وآخر لم يعرفه ابن الكلبي ، فمرف أولادها بها .

للوالى الموالى ثلاثة : مولى اليمين المحالف ، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب ابن الم والقراية . قال الشاعر :

نبئت حياً على نيمان أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

(٨٦) - باب ذكر الوقائع والأيام

قد أبت في هذا الباب ما تأدى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، مستخرجة من التفاضل وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها ؛ إذ كان في أقل مما

جُثْتُ بِهِ غَنَى وَمَقْنَعٌ ، وَلَأَن أَبَا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرتُ ؛ فَإِنَّمَا هَذِهِ
الْقِطْعَةُ تَذَكُّرٌ لِلْعَالَمِ ، وَتَذَرِيْعَةٌ لِلتَّعَلُّمِ ، وَزِيْنَةٌ لِهَذَا السِّكِّتَابِ ، وَوَفَاءٌ لَشَرْطِهِ ، وَزِيَادَةٌ
لِحَسَنِهِ ؛ إِذْ كَانَ الشَّاعِرُ كَثِيْرًا مَا يُوَفِّي عَلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَأَنَا أَذْكُرُ مَا عَلَّمْتُمَنِي
ذَلِكَ فِي أَقْرَبِ مَا أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْتِصَارِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، بَعْدَ أَنْ أَقْدِمَ فِي
صَدْرِهِ أَيْمَانَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَقَاتِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ؛ لِأَنَّهُ
أَوَّلِيَّ بِالْتَّقْدِيمِ ، وَأَحَقُّ بِالْتَّعْظِيمِ ، وَلِأَنِّي أَرْجُوهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ اسْمِهِ ، وَافْتِخَارِهِ
الْقَصَصِ بِذِكْرِهِ .

مغازي
الرسول

غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ «وَدَّانَ» عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ مِنَ الْمُهْجَرَةِ ،
مِمَّ غَزَا عِوَارًا قَرِيشَ بَعْدَ شَهْرٍ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ غَزَا فِي طَلَبِ كُرْزِ بْنِ خُصَفٍ حَتَّى
بَلَغَ بَدْرًا بَعْدَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَوَجَّهَتْ الْقِبْلَةَ إِلَى السَّكْبَةِ ، ثُمَّ غَزَا «بَدْرًا» فَكَانَ
يَوْمَ بَدْرِ لِسِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ
يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، وَالْمُسْلِمُونَ ثَلَاثِمِائَةً وَبَضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَقُتِلَ مِنْ
لِلْمُشْرِكِينَ خَمْسُونَ رَجُلًا ، وَأَسْرَأُ بَضْعَةُ وَأَرْبَعُونَ ، وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةُ
عَشَرَ رَجُلًا .

يَوْمَ أَحَدَ : كَانَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي سَبْعِمِائَةٍ ، وَقَرِيشَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ ، وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ اسْتَشْهَدَ حَمْزَةُ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ .

يَوْمَ الْخَلْدِقِ : كَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ

يَوْمَ بَنِي اللَّصْطَلِقِ وَبَنِي ثُلَيْحَانَ : فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ

يَوْمَ خَيْبَرَ : فِي سَنَةِ سِتٍّ

وَكَانَ يَوْمَ «مُوتَةِ» فِي سَنَةِ ثَمَانٍ ، وَاسْتَشْهَدَ فِيهِ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَمِيرُ
الْجَيْشِ ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْجَيْشِ أَيْضًا بَعْدَهُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ

أمير الجيش بعدهما ، وقام بأمر الناس خالد بن الوليد ، وكانوا في ثلاثة آلاف .

وكان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان ، وبعده بخمسة عشر ليلة سار إلى « حُتَيْن » في شوال ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هَوَازِن في شوال للنصف منه ، فانهزم المسلمون ، وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه ، وأمين بن عبد الله ، وهو ابن أم أيمن ، واستشهد ذلك اليوم ، وريضة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وفي رواية أخرى أبو بصير ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابنه ، وأبو سفيان بن الحارث ، وريضة بن الحارث ، وأمين ، وأسامة ، ثم رجع الناس من وقتهم ، وانهزم المشركون ، وكانت الكفرة عليهم الله ورسوله .

ثم سار بعد حنين إلى « الطائف » فحاصرها شهراً ، ولم يفتتحها ، وغزا بلد الروم في رجب من [سنة] تسم ؛ فبلغ تبوك وبقي بها مسجداً ، وهو بها إلى اليوم وفتح الله عليه في سفره ذاك « دومة الجندل » على يدى خالد بن الوليد ، وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قللت فيما رأيت من هذه الطريقة ، والله المستعان ، وعليه توكلت

يوم إراب وهذه أيام العرب : يوم « إراب »^(١) لبني ثعلبة بن بكر : رئيسهم الهذيل بن حسان ، على بني رياح بن يربوع ، وكان الهذيل سبي نساء بني

(١) إراب - بكسر الهمزة وآخره باء موحدة - قال ياقوت : بخط البريدي في شرحه « إراب ماء لبني رياح بن يربوع بالحزن » ١ هـ .

رياح ، والتقى بهم على إراب ، وقد سبقه بنو رياح إليه لينموهم الماء ، حتى يرد السبي ، فأقسم المذليل : لئن رددتم إلينا ماء فارغاً لأتيناكم فيه برأس إنسان تعرفونه فاشترؤا منه بعض السبي ، وأطلق البعض .

يوم «نف فشاوة» لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، على بني يربوع ، قتل فيه بجراً ، وأسر أباه أبا مليل ، ثم من عليه من وقته ، وترك له مليلاً ولده ، وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله .

يوم «نجران» للأقرع بن حابس في قومه بني تميم ، على اليمين ، هزمهم وكانوا أخلاطاً ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وأخوه ، وفيهم ابن باكور السكلاعي الذي اعتق في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا .

يوم «الصمد» ^(١) وهو يوم «طلح» ويوم «بلقا» ويوم «أود» ويوم «ذي طلوح» كلها يوم واحد ، لبني يربوع على بني شيبان ورئيسهم الحوقزان ، ورئيس الهازم أبحر بن بجر ^(٢) السجلى .

يوم طخفة ^(٣) وهو أيضاً يوم «ذات كهف» ويوم «خزاز» في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم على المنذر بن ماء ^(٤) السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، وابنة قابوس ، وجرت ناصية قابوس ، وكان ذلك بسبب إزالة الرذافة عن عوف بن عتاب الرياحي

(١) الصمد - بفتح فسكون - أصله الصلب من الأرض .

(٢) القدي في ياقوت «أبحر بن جابر السجلى» .

(٣) طخفة - بكسر الطاء وروى بفتحها مع سكون الحاء - موضع بعد التباغ وبعد إمرة ، في طريق البصرة إلى مكة ، وقال الأصمعي : جبل أحمر طويل حذاه بر ومنهل .

(٤) في ياقوت «على قابوس بن المنذر بن ماء الباء» .

يوم المروت يوم « المروت »^(١) : وهو يوم « إرم الكلبة » تقاً قريب من النياج ،
لبنى حنظلة وبنى عمرو بن تميم ، على بنى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
صحصة ، وكان المذكور فيه لبنى يربوع ، وإنما أغارت قُشَيْر على بنى العنبر فاستنقذ
نوى يربوع أموال بنى العنبر وسكنهم من بنى عامر

يوم مليحة يوم « مليحة »^(٢) : لبنى شيبيان على بنى يربوع ، رئيسهم^(٣) بِسْطَام بن
قيس ، وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار ، فلما رآه بسطام قال : ما قتل هذا
إلا لتشكّل رجلاً أمه ، قتل به يوم المظالي قاتله الهبش بن المقاس

يوم اللوى يوم « اللوى » : لفزارة على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة ، وأنحن
أخوه ذَرِيد

يوم الصليفاء يوم « الصليفاء »^(٤) : لهوازن على فزارة وعُثْب و أشجج ، وفيه قتل دريد
بأخيه ذؤيب بن أحماء .

يوم الهبابة يوم « الهبابة »^(٥) : وهو « يوم الجفر » لبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة

(١) للمروت - بفتح الليم وتشديد الراء مضمومة وبعد الواو تاء مثناة - اسم
نهر ، وقيل : واد بالعالية كانت فيه الوقعة .

(٢) مليحة - على زنة المنصر - اسم جبل في غربي سلس أحد جبال طبرستان ، وبه
آبار كثيرة وملح ، وقيل : مليحة موضع في بلاد تميم .

(٣) هو رئيس بنى شيبيان .

(٤) كذا هو في الأصول ، وليس صحيحاً ، وإنما الصحيح « الصلحاء » بالمعنى
للهمزة بعد السلام . قال أبو محمد الأسود : أغار دريد بن الصمة على أشجج بالصلحاء
وهى بين حاجر والنقرة « اه من ياقوت ، والصلفاء : يوم غير هذا .

(٥) الهبابة : هى أرض يبلاد غطفان كانت فيها الوقعة ، وجفر الهبابة :
مستنقع فى هذه الأرض .

ابن بدر وأخوه حَمَل سيدا بنى فزارة ، وكان يقال لحذيفة «رب معدة» .
يوم «عُرَائِر»^(١) : لتلبس على كلب وذبيان ، وفيه قتل مسعود بن مصاد يوم عراعر
الكلبي ، وكان شريفاً .

يوم «الْفَرُوق»^(٢) : بين عيس وبنى سعد بن زيد مناة ، قاتلوه فمئمت يوم الفروق
عيس أنفسهم وحريمها ، وخابت غارة بنى سعد ، وقيل لقيس بن زهير - ويقال
عنقرة - : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : مائة فارس كالأهب ، لم نكثر فنفضل
ولم نقل فنذل .

يوم «شعب جبلة»^(٣) : قال أبو عبيدة : كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم
كلاب رييمة ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذى قار ، وكان يوم الشعب لبنى عامر
ابن صمصمة وعيس حلفائهم على الحليفتين أسد وذبيان ، ورئيسهم حصن بن حذيفة
يطلب عيساً بدم أبيه ، وتطلب عيس بن بغيض بدم أبيهم ، ومعهم معاوية بن
الجنون الكندي في جمع من كندة ، وعلى بنى حنظلة بن مالك والر باب رئيسهم
يقيط بن زُرارة يطلب بدم مقبذ أخيه ، ويَقْرِى بن عدس ومعهم حسان بن الجنون
أخو معاوية - وقيل : بل عمرو بن الجنون - وحسان بن مرة الكلبي أخو النعمان
ابن المنذر لأمه .

وقال غير أبي عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث

-
- (١) عراعر - ضم العين الهمزة الأولى وكسر الثانية - ماء لكلب بناحية الشام .
(٢) الفروق - بفتح الفاء - عقبة دون هجر إلى نجد بين هجر وهب الشمال .
(٣) قال ياقوت : « جبلة - بالتحريك - اسم لعدة مواضع : منها جبلة -
ويقال : شعب جبلة - الموضع الذي كانت فيه اللقمة المشهورة بين بنى عامر وتميم
وعيس وذبيان وفزارة . وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف - مصغرا -
والشريف . والشريف : ما . لبي خير . والشريف : ماء لبنى كلاب .

ابن عمرو بن آكل الزَّار ، ومع بنى حفظة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون مع اللوك بالحيرة وغيرها ، وهم الرابطة ، وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ، ولم يتخلف منهم إلا بنو سعد ؛ لزعيمهم أن عصمة هو ابن سعد ، ولم يتحلف من بنى عامر إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر ، وشهدت غني وباهلة وناس من بنى سعد بن بكر وقبائل بجيلة إلا قشيراً ، وشهدت بنو عيس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معهم نفر من عُسَكل ، فاتتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً .

وجاء الآخرون في عدد لا يحله إلا الله عز وجل ، ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله ، فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم ، وقتل لقيط بن زرارة ، طعنه شريح بن الأحوص ، فحمل مرتقاً مات بعد يوم أو يومين ، وأسر حسان بن الجون ، أسره طفيل بن مالك ، وأسر معاوية بن الحارث بن الجون ، أسره عوف بن الأحوص ، وجَزَّ ناصيته وأطلقه على الثواب ، ولقيه قيس بن زهير فقتله ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيصة مالك بن سلمة بن قشير ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المنتقى ، فجزَّ ناصيته وأطلقه على الثواب ، وكان يوم جَبَلَة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، وفي يوم الشعب ولد عامر ابن الطَّلِيل ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، وروى عنه غيره خلاف ذلك .

يوم أقرن : لبي عيس على بنى تميم ، وبخاصة بنى مالك بن مالك بن حفظة ، وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس ، وابنه شُرَيج ، وأخوه ربي ، وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للثمان بن النذر ، فسي سبياً من

عبس ، وغنم مالا ، وابتنى بجارية من السبي ، فأدركته عبس فكان من أمره ما كان .

يوم زبالة ^(١) : لبنى بكر بن وائل ، وبخاصة بنى شيبان وبنى تميم الله ، رئيسهم بسطام ، على بنى تميم ورئيسهم الأفرع بن حابس ، أسر فيه الأفرع وأخوه فراس ، واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة .

يوم جدود ^(٢) : لبنى سعد بن زيد مناة على بنى شيبان ، وكانت بنو شيبان أغارت مع الحوفزان على سعد ، فأدركهم قيس بن عاصم المنقرى قتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم ، وفاته الحوفزان لصلابة فرسه ، فلما يئس من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركه فالتفتضت عليه بعد حول فأت منها ، وسالت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وقبض ثياب ، فهيرتهم بذلك منقر .

يوم الكلاب الأول : يوم « الكلاب الأول » لسلمة بن الحارث بن عمرو لأقصود ، ومعه بنو تغلب والحمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع ، على أخيه شرحبيل

(١) زبالة - بضم الزاي - قال ياقوت : « منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والعلبية ، وقال أبو عبيد السكوني : زبالة بعد القاع من الكوفة ، وقبل الشقوق ، فيها حصن وجامع لبنى عاضرة من بنى أسد . يوم زبالة من أيام العرب ، قالوا : سميت زبالة بزلها الماء أى بضبطها له ، وقال ابن الكلبي : سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العماقة تزتها » ١ هـ .

(٢) جدود - بفتح الجيم - اسم موضع في أرض بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سميت الهامة . . . وكانت فيه وقتان مشهورتان عظيمنتان من أعرف أيام العرب ١ هـ من ياقوت .

ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرياب ، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً ، وإنما تَرَبَّبُوا بعد ذلك ، حكاه أبو عبيدة ، قُتِلَ شرحبيل : قتله أبو حنن عاصم ابن النعمان الجشمي ، ويقال : بل قتله ذو النثية حبيب بن عتبة الجشمي ، وكانت له سن زائدة ، وهو أخو أبي حنن لأمه ، وهي سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي مهمل ، هكذا أئبوا في هذا الموضع أن علياً أخو مهمل ، ويسمى الكلاب الأول أيضاً .

يوم الشمية^(١) [وهو] يوم « الكلاب الثاني » لبني تميم وبني سعد والرياب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن اللأمور ؛ وهو مذحج وحمذان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عدي بنوث بن وقاص الحارثي وهتم فم سمى بن سنان ، بعد أن أسر رئيس كندة : هتمه قيس بن عاصم بقوسه ، وانزع عدي بنوث من يدي الأهم بعد أن شرط للأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل ، انزعته التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، ويسمى الكلاب الثاني أيضاً .

يوم « حر الوابر » قال أبو عبيدة : لم يشهد من تيم إلا الرباب وسعد حر الوابر خاصة ، وكان الفئلة من الرباب لتيم ، ومن سعد لمقاص يوم « ذى يعض » أغار الحوفزان على بني يربوع فسبوا نسوة منهم ، فأمرحتهم بنو مالك بن حنظلة ، واستنقذوا النسوة ، وأسروا الحوفزان : أسره حنظلة بن بشر بن عمرو ، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم « الصمد » .

(١) شمية - يضم ففتح - واد أعلاه من أرض كلاب ، وصب في سد قناة ، وهو واد

يوم « عاقل » : لبنى حنظلة على هوازن ، وفيه أسر الصمة بن الحارث ابن جُشم ، وهزم جيشه ، وكان الذي أسره الجند بن الشياح أحد بني عدى ابن مالك بن حنظلة ، ثم أطلقه بعد سنة ، وجز ناصيته على أن يثيبه ، فأناء على الثواب ففرب الصمة عنقه ، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه الجاشعي ، وأسر رجل من بني أسد - وكان نزيلا عند ابن أخت له في بني يربوع - ابناً للصمة ، فاقضى الصمة نفسه ، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسدى النازل في بني يربوع ، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله ؛ لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية ، فبنو مجاشع تغير بذلك .

يوم « عَيْنَيْن »^(١) : لبنى نهشل على عبد القيس ، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا مُتَنَارِينَ من البحرين ، فرضت لهم عبد القيس ، واستغاثوا بني نهشل فحومهم واستقدمهم .

يوم « قَلْبِي »^(٢) : منمت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن عيس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزارة ومرة ، حتى أخذوا دية عبد العزى بن جذار ومالك بن سبيع .

يوم « بُرَاخَةَ » : لبنى ضبة على محرق النسانی وأخيه فارس مودود ، أغاروا

(١) عَيْنَيْن ، هذا هو صوابه على صورة متنى العين ، ووقع في الأصول خطأ « عَيْن » قال أبو عبيدة : عينان بهجر ، وكان بها بين بني منقر وعبد القيس وقعة وفيها يقول الفرزدق :

ونحن كففنا الحرب يوم ضرية ونحن منعنا يوم عَيْنَيْن منقر
(٢) قَلْبِي - بفتح القاف واللام جميعاً في ذكر سيويه ، وذكر غيره أن السلام ساكنة - وفيه وفي هذا اليوم يقول مقبل بن عوف التميمي :
تظل دماؤهم ، والفضل قينا ، على قلبي ونحك ما تريد

على بنى ضبة بيزاخة في طوائف من العرب من إباد وتغلب وغيرها ، فأدركتهم بنو ضبة ، فأمرَ زيد الفوارس مُحَرِّقًا ، وأمر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلها بعد أن هزم مَنْ كان معهما ، وقتل معهما عدة .

يوم إضم : لبنى عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مُزَيْقِيَا لَلْكَ النَّسَائِي ، وهو عمرو بن عامر ، وفيهم كان ملك عسان بالشام في آل جَنْفَةَ ... علثة بن عمرو بن عامر قتل بنى عائذة قتلا ذريعًا ، وفي ذلك اليوم قتل الرديم ، وحمل رجل من بنى عائذة بن قيس يدعى عامر بن ضامر فقال : والله لأطمنن طعنة كنخز الثور النمر ، ثم قصد ابن مُزَيْقِيَا فطعنه فقتله وانهمز أصحابه هزيمة فاحشة ، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم « بزاخة » .

وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا ، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده ، والله أعلم .

يوم قها الحسن : يوم « قها الحسن »^(١) : الحسن شجر ، سمي بذلك لحسنه ، وقيل : هو جبل ، وهذا اليوم لبنى ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل ، وفيه قتل بسطام بن قيس : قتله عاصم بن خليفة أخو بنى صباح ، وكان رجلاً أعسرَ فأصاب صدَّغُه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن .

يوم أعيار : يوم « أعيار » : وهو أيضاً يوم « النقيعة » لبنى ضَبَّةَ على بنى عَبَسَ ، وفيه قتل عمارة الوهاب : قتله شرحاف بن اللثم بابت عم له يدعى مفضلاً كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب ، وكان حينئذ غلاماً ، فحين شَبَّ أخذ يثأر ابن عمه يوم النقيعة ، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس ، وقد كانوا أدركوهم في اللَّبَرِاجِي .

(١) في المقد الفريد (ج ٣ ص ٩٠) « بقاء الحسن » .

يوم « رَحْرَحَانَ الْأَوَّلِ » : غزا يَثْرِبَ بنُ عُدُسَ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ دارمَ بنِ عامرِ بنِ صَمْعَةَ ، وعلى بنِ عامرِ قَرِيطُ بنِ عَيْيَدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ ، وقتل يَثْرِبَ .

يوم « رَحْرَحَانَ الثَّانِي » : لَبِنَى عامرِ بنِ صَمْعَةَ ، وَرَثِيسَهُمُ الْأَخْوَصَ ، على بنِ دارمَ ، وفي ذلكَ اليومِ أَسْرَ مَتَيْدَ بنَ زُرَّارَةَ : أَسْرَهُ عامرُ بنُ مالِكٍ وَأَخُوهُ طَفِيلٌ وَشَارِكُهُمَا فِي أَسْرِهِ رَجُلٌ مِنْ غَنِي يُقَالُ لَهُ : أَبُو عَمْرٍةَ عَصَمَةَ بنَ وَهَبٍ وَكَانَ أَخَا طَفِيلٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَفِي أَسْرِهِمَ مَاتَ مَعْبِدٌ ، شَدُّوا عَلَيْهِ الْقِدَّ وَبَشَوْا بِهِ إِلَى الطَّائِفِ خَوْفًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَنْ يَسْتَفْظِنُوهُ ، كَانَ هَذَا كُلُّهُ بِسَبَبِ قَتْلِ الْحَارِثِ بنِ ظَالِمٍ لِلرُّبَى مِنْ مَرَّةٍ بَيْنَ سَعْدِ بنِ ذِيانٍ خَالِدِ بنِ جَعْفَرٍ غَدْرًا عِنْدَ الْأَسْوَدِ بنِ الْمُنْذَرِ — وَقِيلَ : عِنْدَ النَّمَانِ — وَالتَّجَانُّهُ إِلَى زُرَّارَةَ بنِ عَدَسٍ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ وَقْعَةُ رَحْرَحَانَ جَمَعَ قَرِيطُ بنَ زُرَّارَةَ لَبِنَى عَامِرٍ وَأَلْبَسَهُمُ ، وَكَانَ بَيْنَ يَوْمِ رَحْرَحَانَ وَغَزْوَةِ جَبَلَةَ سَنَةً وَاحِدَةً

يوم « ضَرِيَّة » : اخْتَلَفَتْ سَعْدُ وَالرَّيَابُ عَلَى بَنِي حَنْظَلَةَ ، وَكَانَ بَنُو عَمْرٍو ابْنِ تَمِيمٍ حَاقِقُوا بِكَرِ بنِ وَاثِلٍ ، فَضَاقَتْ حَنْظَلَةُ بِسَعْدِ وَالرَّيَابِ ، فَسَارُوا إِلَى عَمْرٍو ابْنِ تَمِيمٍ فَرَدَّوهُمْ وَحَاقَقُوهُمْ ، ثُمَّ جَمَعُوا لِسَعْدِ وَالرَّيَابِ وَرَثِيسَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاجِيَةٌ بِنْتُ عَقَالٍ ، وَرَثِيسَ سَعْدِ وَالرَّيَابِ قَيْسُ بنُ حَاصِمٍ ، فَقَالَ ابْنُ خُضَافٍ لِسَعْدِ وَالرَّيَابِ : مَنْ لِمَالِكِمْ عَمْرٍو وَحَنْظَلَةُ إِنْ قَتَلْتُمْ مَقَاتِلَهُمْ ؟ قَالُوا : بَعْنٌ ، قَالَ : فَمَنْ لِمَالِكِمْ إِنْ قَتَلُوا مَقَاتِلَكُمْ ؟ قَالُوا : هُمْ ، قَالَ : فَدَعَوْهُمْ لِمَالِكِمْ وَلِيَدْعُوَكُمْ لِمَالِكِمْ ، وَتَكَلَّمَ الْأَهَمُّ بِمَثَلِ ذَلِكَ وَرَجَالَ مِنْ أَشْرَافِ سَعْدٍ ، وَسَارُوا إِلَى عَمْرٍو وَحَنْظَلَةَ إِلَى النَّسَارِ مِنْ حِمَى ضَرِيَّةٍ ، فَأَجَابَهُمْ نَاجِيَةُ بِنْتُ عَقَالٍ وَالْقَعْقَاعُ بنُ مَعْبِدِ بنِ زُرَّارَةَ وَسَنَانُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ بنِ زُرَّارَةَ إِلَى الصَّلْحِ ، وَأَبَى ذَلِكَ مَالِكُ بنُ نُؤَيْرَةَ

يوم « النَّسَارِ » : وَذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بنَ صَمْعَةَ وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ

اتبعوا بلاد سعد والرباب ، وهم يمتنون إليهم برحم ؛ لأنهم يزعمون أن
صمصمة أبا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال آخرون : إننا غضبوا على سعد لما أنهب للمزى بمكاظ ، فلقى بيني أمه
ولد مملوكة بن بكر وهوازن ، وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صمصمة
وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الأهم ، واسمه سنان بن سمي بن
سنان ، وقيل : سمي بن سنان ، وضمن هوازن مرة بن هيرة ، فسرقت خيل لدى
الرقية ، ثم اعترفت بعد ذلك ييسر عند الحنيف بن التتجف ، اعترفها بعض
القشيريين ، فضر به القشيري على ساعده ، وضر به الحنيف فقتله ، فأرادت
هوازن القود من الرباب ، فطلبهم بذلك ضامن سعد ، فأبت الرباب إلا البدية ،
ففارقهم سعد ، وضافت هوازن ، فاستمدت بنو ضبة أسداً وطيثاً والتقوا بالنصار ،
فبأت أسد لسعد والرباب لهوازن ، فانهزمت هوازن وسعد ، وكان حامي أديار
بنى عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري ، فوماه ربيعة بن أبي - وكان أرحى
الناس - قتلته ، فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألو أن يؤخذ منهم
شطور أموالهم وسلاحهم ، وقيل ذلك منهم ، وهذا يوم «الشاطرة» ويوم «النصار»
وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية ، وبنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل
يوم جيلة ، وأبو عبيدة لا يشك أنه بعده .

يوم الصرائم يوم «الصرائم»^(١) وهو أيضاً يوم «الجرف» لبني رياح بن يربوع
على بنى عيس ، وفي هذا اليوم أسر الحسك بن مروان بن زنباع العيسى ، أبوه

(١) قال ياقوت : الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعيس ، قال حميت
ابن زنباع :

وسائل بنا عيسا إذا ما لقيتها طى أى حى بالصرائم دلت
قلنا بها صبرا شريحا وجارا وقد نهلت منا الرماح وعلت

أسيد بن حياة السليطي ، وأسر بنو حمير بن رياح زنباعاً وفروة ابني مروان ابن زنباع ، واستنقنوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسرفوا ذلك اليوم في قتل بني عبس

يوم « التبيط »^(١) : لبني يربوع على بني شيبان ، وكان الشيبانيون قد غزوه متساندين على ثلاثة ألوية : الحوفزان بن شريك ، والأسود أخوه ، وبسطام بن قيس ، وفي هذا اليوم أسر الأسود بن الحوفزان وزيد بن الأسود ابن شريك ، وحمل بسطام آخر القوم حتى حسموه قتل وأسر ، ورتاء بعضهم بمراث عذبة ، وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم التبيط هو يوم « الأباد » ويوم « المغطلى » سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وهانيء بن قبيصة ومقرون ابن عمرو والحوفزان بن شريك تماثلوا على الرئاسة .

وقال مرة أخرى : لم يشهد الحوفزان يوم المغطلى ، قال : وهو أيضاً يوم « الإفاقة » ويوم « أعشاش » ، ويوم « مليحة » .

يوم « ذى نجب »^(٢) لبني يربوع على بني عامر ، وفيه قتل حسان بن يوم ذى نجب معاوية بن آكل للرأرأ للملك ، قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع ، وقيل : بل هو عمرو بن معاوية - أخى المقتول - وأما حسان فأسر ، أسره

(١) قال ياقوت : غبيط الفردوس : في ديار بني يربوع ، وفيه يوم لبني يربوع دون مجاشع ، وفيه يقول جرير :

ولا شهدت يوم التبيط مجاشع ولا تهلان الخيل من قلبي نسر

(٢) قال ياقوت : نجب - بفتح أوله وثانيه - موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة . . . وفيه يقول سحيم بن وثيل الرياحى :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد ، وضررنا عبيدة بالهم

بذى نجب إذ نحن دون حريمنا على كل جيش الأحرار مرمم

دريد بن اللندبر ، وكانت بنو عامر أنت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم
جيلة بعام ، فقتلهم لهم بنو مالك بن عمرو بن عمرو بن عدس ، وتركوا في صدورهم
بني يربوع ، فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة ، وأسر يومئذ يزيد بن الصبيح ،
وقتل بنو نَهْشَل خليف بن عبيد الله النخري ، وأسر يزيد بن ثعلبة الحصان ،
وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، وقتل خالد بن ربيع النهشل عمرو
ابن الأحوص ، وكان رئيس بني عامر يومئذ .

يوم خزازي يوم «خزازي»^(١) : ويقال : « خزاز » واختلف فيه : فقال قوم : كان
رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة . وقال آخرون : رئيسهم زرار بن عدس ، وقال
آخرون : بل ربيعة بن الأحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن الملا جميع ذلك والذي ثبت
عنده أنه قال : هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف مَنْ هو منهم ،
وأما ربيعة فيقول : لا شك أنه يوم « خزاز » لكليب بن ربيعة على مذحج
وغيرهم من اليمن ، وكان بقب يوم الشلان ، فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتتلوا ،
فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن .

يوم ملزق يوم « ملزق »^(٢) وهو أيضاً يوم « الشويان » كان لبني تميم على عبس

(١) قال ياقوت : ويوم خزاز كان بقب السلان . وخزاز وكبير ومتالع :
أجبال ثلاثة بطيخة ، ما بين البصرة إلى مكة : فتالع عن يمين الطريق للذاهب
إلى مكة ، وكبير عن شماله ، وخزاز بنهر الطريق ، إلا أنها لا يمر الناس
عليها ثلاثها .

(٢) ملزق - الأكثرون على كسر اللام وفتح الراء وآخره قاف ، وفيه يقول
أوس بن مضاء :

ونحن بملزق يوماً أبرنا فوارس عامر لما لقونا

وعامر بعد أن قاتل ثميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم لباد ، وبلحارث بن كعب ، وكتب ، وطي ، وبكر ، وتبعل ، وأسد ، كانوا يأتونهم حياً حتى قتلهم ثميم وتغيبهم عن البلد ، وآخر من أتاها بنو عيس وبنو عامر .

يوم « الوند » وهي بالدهناء ، أغارت بنو هلال على نهم - بن نهم - . يوم الوند فازلتهم بنو نهم بالوند - وهي بالدهناء - فما أفلت من بني هلال إلا رجل واحد يقال له : فراس طواف ؛ وقيل أواب .

يوم « فيف »^(١) الريح ، ورأيت بخط البصري « فيفا » مقصوراً في يوم فيف الريح مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلبي .

وأشد أبو زياد لعامر بن الطفيل :

وبالقيفا من اليمن استنارت قبائل سكان البهم غاروا

القيفا : جبل طويل من جبال خشم يقال له : فيفا الريح ، وكان الصبر فيه والشرف لبني عامر ، وقد اجتمعت كلها إلى عامر بن الطفيل . على قبائل مذحج ، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بني الحارث بن كلب وبنو يزيد وزيد وقبائل سعد المشيرة ومراد وصدي ونهد ، ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي ، واستناروا بخشم ، فجاءت شهران ونهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك ، وأسرع القتل في الفريقين ، فافترقوا ، ولم تغم طائفة منهم طائفة ،

(١) فيف الريح - بفتح الفاء وسكون الياء - بأعلى نجد . قال ياقوت : وهو يوم من أيامهم ، قتلت فيه عين عامر بن الطفيل ، فقأها مسهر الحارثي بالرمح ، وفيه يقول عامر :

لعمرى ، وماعمرى على بهين ، لقد شان حر الوجه طعة مسهر

وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر ، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الريح هو يوم « طلع »

يوم ذي بهدي يوم « ذى ^(١) بهدي » : لبني يربوع على تغلب ، أسروا فيه الهذيل ، قال جرير للأخطل يمهده بذلك :

هل تعرفون ذى بهدي فوارستا يوم الهذيل بأيدى القوم مقتسر

يوم البشر يوم « البشر ^(٢) » لبني كلاب على الأرقام ، ورئيس قيس يومئذ الجصاف ابن حكيم الكلابي ، وكان سبب ذلك تمييز الأخطل إياه

يوم الرغام يوم « الرغام » لبني تغلب بن يربوع ، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، أغار فيه على بني كلاب فأطرد إبلهم ، وقتل يومئذ أخوه حنظلة ، قتله الحوثره ، وأسروا الحوثره ذلك اليوم ، فدفع إلى عتيبة فقتله صبرا بأخيه ، وانهمز الكلابيون بعد أن أسرع فيهم القتل والأسر

(١) قال ياقوت : بهدي بوزن سكرى ، ويقال ذو بهدي : قرية ذات نخل بالجماعة ، وقيل : هما موضعان متقاربان ، ويوم ذى بهدي من أيامهم . قال ظالم بن البراء القيسي :

ونحن غداة يوم ذوات بهدي لدى الوتدات إذ غشيت نعيم
ضربنا الخيل بالأبطال حتى تولت وهي شاملها الكلوم
بضرب يلحق الضبان منه طروقه ويلجئه الأروم

(٢) البشر - بكسر فسكون - اسم جبل يمتد إلى الفرات من أرض الشام ، وكانت بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلي ، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف بن حكيم جالس عنده ، فقال الأخطل :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر يقتل أصيبت من سليم وعامر
غرح الجحاف منضبا يجر مطرفه ، فكانت الوقعة بسبب ذلك . انظر ياقوت .

يوم «المراميت»^(١) للضباب ، وم معاوية بن كلاب ، على إخوته بني جعفر يوم المراميت ابن كلاب ، وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان ، وكذلك يوم البشر

يوم «الوقیظ» كان في فتية عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو يوم الوقیظ للهازم ، رئيسهم أنجر بن بجر ، على بني مالك بن حنظلة ، فأما بنو عمرو بن تميم فأنذروهم ناشب بن بشامة السنبري ، فدخلوا الدّهناء فنبجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القمقاع بن معبد ، أسره القزr الشيباني ورجل من تميم اللات ، فجزّت تيم اللات ناصيته ، وحلّته تحت الليل مضارة للفرز ، ويسى أيضا هذا اليوم يوم «الحنو»

يوم «جرع طلال» لفرارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن يوحجرع طلال بدر ، على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بن عبد مناة ، وأخذ يومئذ شريك ابن مالك بن حذيفة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن ، وأخذ خارجة ابن حصن نفرا من التيم فأطلقهم بنير فداء ، ثم أغارت فرارة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة ، فقتلوا التيم قتلا ذريعا وأخذوا منهم مائة امرأة قسمهن عيينة في بدر ، وجعلون مع أزواجهن الأسارى ينقلن الخرى هونا لهم ، ثم أطلق الجميع بعد ذلك بنير فداء ، وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة ، ورئيسهم زيد ابن شيبان بن أبي حارثة ، فقتلوا التيم وحديا وسبوا سبيّا كثيرا لم يردوا منه شيئا ، فنقى هذا كله عليهم جرير

يوم «أوارة» الأول : لتضلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء ، يوم أوارة الأول

(١) قال ياقوت : هراميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، كان بها يوم بين الضباب وجعفر ، زعموا أن لقمان بن عاد احتضرها ، وقال أبو أحمد : وكان القتال بسبب بشر أراد أحد أن يحضرها .

على بكر بن وائل مع سلة بن الحارث ، واسم سلة معدى كرب ، وهو أيضاً التلقاء ، بعد قتل أخيه شرحبيل ، والذي قتل سلة التلقاء بن عمرو بن كلثوم ، عرفه جمل عليه حتى فتّعه السيف ، وكان سبب هزيمة بكر بن وائل ، وحلف المنذر يومئذ ليقْتَلَنَّ بكراً على رأس أواره حتى يلحق الدم بالحضيض ، فشفع لهم مالك بن كعب العجلي ، وقال للمنذر : أنا أخرجك من يمينك ، فصب الماء على الدم فلحق الأرض ، وبر يمين المنذر ، فكف عن القتل ، وكان مالك هذا رضيع المنذر

يوم أواره الأخير
يوم « أواره » الأخير : كان لمرو بن هند على بني دارم ، وذلك أن ابنا له كان مُسْتَرْضَعًا عند زرارة بن عدس اسمه أسعد ، وكان قد تَبَيَّنَا فبث بناقة لأحد بني دارم يقال له سويد ، فخرق مَرَّعَهَا ، فشد عليه فقتله ، وأتى الخيل زرارة ، وهو عند عمرو ، وكان كالوزير له ، فلحق بقومه وأدركه الموت على عقب ذلك ، ففزا عمرو بن دارم ، وحلف ليقْتَلَنَّ منهم مائة ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأتم المائة برجل من اللّجّاجين ، وفي حكاية أخرى أنه أحرَقَهُمْ ، وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطرمّاح ، وزعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرَقَهُمْ فقد أخطأ ، وذُكِرَ [له] شعر الطرمّاح ، فقال : لا علم له بهذا ، واستشهد بقول جرير :

أين الذين بسيفٍ عمرو فقتلوا أم أين استمدُّ فيكمُ المسترضعُ
يوم « زرود » الأول : لشيبان مع الحوفزان ، على بني عبس ، وأنحنى ذلك اليوم عمارة الوهاب جيراًحاً ، غير أنه سلم فلم يمت منها
يوم « زَرُود » الآخر : أغار حزيمة بن طارق التغلبي على بني يربوع ، فاستاق النعم ، فأدركوه ، فأسرهم أسيد بن حنّاة السليطي وأنيف بن جبلة الضبي وكان قتيلا في بني يربوع ، وردوا النخيلة من أيدي التغلبين

يوم « ثلث » غزت سُلَيْم مع العباس بن مِرْدَاس مراداً ، فجمع لهم يوم ثلث عمرو بن معدى كرب ، فالتقوا بثلث ، فصرى الفريقان ولم تنظر طائفة منهم بالأخرى ، وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية ، وهى إحدى النصفات .

يوم « ذى علق » كان بين بنى عامر وبنى أسد ، وفي هذا اليوم قتل يوم ذى علق ربيعة أبو ليلى .

يوم « المذيب » : كان لبنى سعد بن زيد مناة وعَنْزَة ، على مذبح وحير ، وكان رأس المين الأصهب الجعفى ، بث إليه النعمان يذكر عليه بلوغ سعد وعَنْزَة المذيب ، فشد لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتل الأخر بن جندل ، واهزمت الحامية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسهى

يوم « الصفقة » : وهو أيضاً يوم « المُشَقَّر » كان على بنى تميم بسبب غير كسرى التى كان يُحْيِيهَا هُوذة بن على السحيمى ، فلما سارت ببلاد بنى حنظلة اقتطعوا برأى صمصمة بن ناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى المُكْتَمِر عامله على هجر فاغتالهم ، وأرام أنه يرضهم للمطاء ويصطنعهم ، فكان أحدهم يدخل من باب المشرق فيزنع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل ، إلى أن قُتِلُوا ، وأصق الباب على مَنْ حصل منهم ؛ فلذلك سميت الصفقة ، وشفع هُوذة فى مائة من أسارهم فترصكوا له ، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانياً .

يوم « ذى قار » : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم ذى قار لبنى بكر بن وائل وقادمة بنى شيبان وبدم بنو عجل ، على الأعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم إِيَّاس بن قبيصة الطائى ، وكان مكان النعمان بن النذر بعد قتل كسرى إِيَّاه ، وتمت يديه طيىء وإياد وبهزاء وقضاة

والعباد وتغلب والنمر بن قاسط ، قد رأس عليهم النعمان بن زرة — أعنى النمر وتغلب — وكان سبب يوم « ذى قار » طلب كسرى تركه النعمان ابن للنفر ، وكان النعمان قد تركها وترك ابنه له وبقا عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني ، ففزع رسول كسرى من الوصول إلى ما طلب ؛ وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وكان عاملا له على الطلف ، بأن يمين إلياس ، فأخذ إلى قومه ليلا ، وحرّضهم على القتال ، وتواطأت العرب على العجم ، فطارت إيلاد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم مهزموه ، وقتل الهامرز بن خلا نذر عامل كسرى ، وأسر النعمان ابن زرة التغلبي ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاها قتله .

يوم الفجار الأول : كان بين كنانة بن خزيمة وبين عجر هوازن ، بسوق عكاظ أول يوم من ذى القعدة ، وبذلك سمي لجارا ؛ لأنهم فجروا في الشهر الحرام ، وكان سبب ذلك أن بدر بن مسهر الكناني كان يستعمل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول : أنا أعز العرب ؛ فن كان أعز منها فليضربها بالسيف فضربها الآخر بن هوازن من بني نصر بن معاوية ، وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء ، وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم الفجار الثاني : كان بسبب قتيان من غزية قريش وسكنانة رأوا امرأة وضيفة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، فسألوها أن تُسفر لهم ، فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت ، فقالوا : منمتنا رؤية وجهك وأرئتنا دبرك !! فصاحت : يالَ عامرٍ

قتلها بجوا ، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة ، حملها الحارث بن أمية ، وليس هذا القجار أيضا عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم
الفجار
الثالث

يوم « الفجار » الثالث : كان بسبب دَيْنٍ كان لأحد بنى نصر على أحد [بنى] كنانة ، فأتى النصرى بفرد فقال : من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ؟ فرأى أحد بنى كنانة قتل القرد ، فتصايح الفريقان ، ثم سكنوا ، وكان هذا سبب الأمر العظيم من قتل البراء الكنانى عُرْوَةَ الرِّمَالِ بن عيينة بن جعفر بن كلاب واتبع هوازن قريشاً ، وكانوا قد أدر كومتهم بنخلة ، حتى دخلوا الحرم ، وجنّهم الليل ، ثم انتفوا بعد حول فكانت الوقعة أيضا عليهم ، وهو يوم « شملة » ثم انتفوا أيضا بعد حول ، فكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يَخْفَرُوا أو يُقْتَلُوا ، هذه رواية أبى عبيدة ، وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكنانى هو الفجار الأول ، وقال فى آخره : ولم يكن بينهم قتال ، إنما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى ، وجعل سبب الفجار الثانى أن عيينة بن حصن ابن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون ، فقال : أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، ولئن بقيت إلى قابل ليعلمن ، ففزعهم من قابل ، وأغار عليهم ، قال : فهذا الفجار الثانى ، والحرب فيه بين كنانة وقيس ، والدائرة على قيس عيلان

يوم
الجفار
يوم
الصريف

يوم « الجفار » : للأحاليق فى ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطى . ، على بنى تميم ، واستمر القتال يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعا .
يوم « الصريف » : كانت هذه الوقعة فى أيام الرشيد ، وهى لبنى ضبة على بنى حنظلة ، وفى ذلك يقول شاعرهم ، وأظنه من ولد جرير :

صَبَرْتُ كَلْبِيَّ لِلطَّمَانِ وَمَالِكِ
يوم الصريف وَفَرَّتْ الأحال

و « الأحال » : بطون من بنى حنظلة .

وقد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إثبات ما انتهى إلى
من أيام العرب ، مجتهداً في اختصارها ، بريثاً بمواقع فيها من الاختلاف ، وإنما
عهدة ذلك على الرواة .

وسأذكر من مفاخر بني شيبان لما أختم بها هذا الباب كما بدايته ؛ لأنني
لو قصصت ذلك لأفريت العمر دون تقضي الجزء الذي لا يتجزأ منه قلة ، لكنني
ذهبت فيهم وفي سيدهم أبي الحسن مذهب أبي الطيب في إخوتهم بني تغلب وفي
سيدهم علي بن حمدان حيث يقول :

ليت اللذائع تستوفي مدائحهم فاكليب وأهل الأعصر الأول
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن النذر وفود ربيعة ومضر بن زرار ،
وكان فيهم قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك
البحريان ، وفيهم قدم عليه من وفد مصر من قيس عيلان عامر بن مالك
وعامر بن الطفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس ، فلما انتهوا
إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً :
يطعمون فيه معه ، ويشربون ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان ، فمن بدىء
به على أمره فهو أفضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من
الذي يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد ، فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع
رأسه وهو يقول :

استقي وفودك مما أنت ساقيت فابدى بكاس ابن ذي الجدين بسطام
أغرني يمينه من شيبان ذو أنف حامى النمار وعن أعراسها راى
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدا الملوك بهم أيام أبي
فأرضوا بما فعل النعمان في مضر وفي ربيعة من تعظيم أقوام
هم الجماجم والأذنان وغيرهم فأرضوا بذلك أو يؤموا بلزغام

مفاخر
بني شيبان

وفود ربيعة
عند النعمان
ابن النذر

فقال عامر بن الطقيّل :

كان التابع في دهرٍ لهم سلفٌ * وابن المَرَار وأُملاكٌ على الشام
حتى انتهى الملك من غمٍ إلى ملكٍ * بادى السنان لمن لم يَرِ به رامي
أنحى علينا بأظفار قَطُوفنا * طَوَّقَ الحِمام ياتماس وإرغام
إن يَمَكِّنَ اللهُ من دهرٍ نساء به * تَرَكَكَ وَخَذَكَ تدعو رَهْطَ بسطام
فأَنظُرْ إلى الصَّيْدِ لمَحْمُوكٍ من مضر * هل في ربيعة إن لم تدعنا حامي ؟؟
فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لمرى لئن ضَجَّتْ نَمِيمٌ وعاصمٌ * قد كُنْتُ يوماً في حلوقهم شَحِي
أروى كسمود وقيس وخالدٍ * وعرو وحيد الله ذي الباع والندى
وكانوا على أفناء بكر بن وائل * ربيعا إذا ماسال سائلهم جدى
فَسِرْتُ على آثارهم غير تاركٍ * وصيَّتهم حتى انتهت إلى تدى

مفاخرة
عند معاوية
بين عامري
وشيباني

قال : واقتصر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان : أحدهما من بني شيبان ،
والآخر من بني عامر بن صعصعة ، فقال العامري : أنا أعد عليك عشرة من
بني عامر ، فعد عليّ عشرة من بني شيبان ، فقال الشيباني : هات إذا شئت ،
فقال ^(١) العامري : خذ عامر بن مالك مَلَاعِبِ الأُسنة ، والطقيّل بن مالك قائد
هوازن وفارس قرزل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحِكماء ^(٢) ، وربيعة بن مالك فارس
ذى علق ، ونامر بن الطّفليل ، وعلقة بن عُلائة ، وعتبة بن سنان ، ويزيد بن
الصَّمِيق ، وأرد بن قيس ، وهو أربد الختوف ، فقال الشيباني : خذ قيس بن
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة ، والحوفزان
ابن شريك فارس بكر بن وائل ، وهاني بن قبيصة أمين النعمان بن النذر ،

(١) لم يذكر العامري عشرة فيما ذكر للؤلؤف ، وإعاهم تسعة .

(٢) انظر ص ١٩٦ من هذا الجزء .

وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ، ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام ، وسنان بن مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب ردوس بني تميم ، وعرمان ابن مرة الذي أسرى زيد بن الصقق مرتين ، وعمرو بن النعمان ، قَتَلَا حَتَّى ، فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال ، فدخل على معاوية فأخبره بالقضية ، فدعا بهما ، فلما دخلا عليه نَسَبهما ، فانقبا له ، فقال معاوية : عامر أفخر هوازن ، وشيبان أفخر بكر بن وائل ، وقد كفاك الله للثقة ، هذان رجلان من غير قومكما عندى يمكن أن يبنكما : عدى بن حاتم ، وشريك بن الأمور الحارثي ، احكما بينهما ، ثم قال لمعاوية للشيباني : من يعي لعامر بن مالك ؟ قال الأصم بن أبي ربيعة الذي قتل من تميم مائة رجل على دم ، فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قال : رجح الأصم على عامر بن مالك ، قال معاوية : فن يعي لعامر ابن الطفيل ؟ قال الشيباني : الحوفزان بن شريك ، قال الحكمان : رجح الحوفزان ، قال : فن يعي لمعقة بن علاثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس ، فقال : رجح بسطام ، قال معاوية : فن يعي لمعقة بن سنان ؟ قال الشيباني : مفروق بن عمرو ، فقال : رجح مفروق ، قال معاوية : فن يعي للطفيل بن مالك ؟ قال الشيباني : عمران بن مرة ، فقال : رجح عمران بن مرة ، فقال لمعاوية : فن يعي لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني : عوف بن النعمان ، فقال : رجح عوف بن النعمان ، قال معاوية : فن يعي لعوف بن الأحوص ؟ قال الشيباني : قبيصة بن مسعود ، فقال : رجح قبيصة ، قال : فن يعي لربيعة بن مالك ؟ قال : عافى بن قبيصة ، فقال : رجح عافى بن قبيصة ، قال معاوية : فن يعي ليزيد بن الصمق ؟ قال : سنان بن مفروق ، فقال : رجح سنان بن مفروق ، قال : فن يعي لأربد بن قيس ؟ قال : الأسود بن شريك ، فقال معاوية للشيباني : فأين نسيت قيس بن مسعود ؟ قال : أصاحك الله ! قيس ليس من هذه الثلاثة فاتهم نسي شيدا سلوى يلا ، فقال العامري ، في ذلك :

أعدُّ إذا عددتُ أبا براءه فكان علا على الأقوام فضلاً
 وكان الجفريُّ أبو عليّ إذا ما حاجتِ الميحاء علاً
 ووالده الذي حُدِّثَ عنه طِفْلٌ خَيْرٌنا يَفْعاً وَطِفْلاً
 وكان مَعُوذُ الحَكَمِ المِباري رِيحَ الصَّيفِ أَعْلَى القَوْمِ فضلاً
 وقد أَوْرَثَ زَنَادُ أَبِي لَيْدٍ رِيحَةً يَوْمَ ذِي عَلَقٍ فَأَبْلَى
 وعلقة بن أحوص كان كهفًا كَلَالِيَا رَحِيبَ الباعِ سَهْلًا
 وعَتَبَةُ والأغرُّ يَزِيدُ، إِي رَأَيْتُمَا لِكُلِّ الفَخْرِ أَهْلًا
 وعَوْفًا ثُمَّ أَرْبَدَ ذَا المَالِي كَفَى بِهِمَا عَلَيْكَ نَدَى وَبَذَلًا
 أولئك من كلابي ذُرَاهَا وَخَيْرُ قُرُومِهَا حَسَبًا وَثَبَلًا

فقال الشيباني محبباً له :

أعدُّ إذا عددتُ أبا خفافٍ وعمرانَ بنَ مَرَّةٍ والأصمّا
 برهاتنا الذي حُدِّثَ عنه وكان قَبِيصَةُ الأَنْفِ الأَكْمَا
 ومفروقاً وذالْتَجْدَاتِ عَوْفًا وَبَطْنًا مَّا وَوَالِدَهُ الخَضَمَا
 وأسود كان خير بني شريك وَلَمْ يَكُ قَرْنُهُ كُتَيْبًا أَجْمَا
 أولئك من عكابة خير بكر وَأَكْرَمُ مِنْ يَلِيكَ أَبَا وَأَنَا
 وأفضل من ينصُّ إلى المَالِي إِذَا مَا حَصَلُوا خَالًا وَعَمَّا
 وأكثَرُ قَوْمِهِمُ بالشَّرْطِ طَوْفًا وَأَبَدُ قَوْمِهِمْ فِي الخَيْرِ مَا

فقال معاوية للحَكَمين : ما تقولان ؟ قال : شيبان أكرم الحَمِين ، فقال معاوية :
 وذلك قولي ، فأكرمهما وَحَبَّاهُما ، وَفَضَلَ الشَّيْبَانِي عَلَى العَامِرِي .

حديث
 ذِي الجَدِينِ

قال : وكان من حديث ذِي الجَدِينِ أَنَّ المَلِكَ النَّمْعَانَ قَالَ : لَأَعْطِيَنَّ أَفْضَلَ
 العَرَبِ مِائَةَ مِنَ الأَبْلِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا لَمَلِكٍ ، فَلَمْ يَكُنْ قَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ
 فِيهِمْ ، وَأَرَادَهُ قَوْمُهُ عَلَى أَنْ يَنْطَلِقَ ، فَقَالَ : لَئِنْ كَانَ يَرِيدُ بِهَا غَيْرِي لَأَشْهَدَ ذَلِكَ

وإن كان يريدني بها لأغليتها ، فلما رأى النعمان اجتماع الناس قال لهم : ليس صاحبها شاهداً ، فلما كان من الغداة قال له قومه : انطلق ، فانطلق ، فذهبها إليه الملك ، فقال حاجب بن زرارة : أبيت الأمن ، ما هو أحق بها مني ، فقال قيس ابن مسعود : أنا فرء عن أكرمنا قصيدة ، وأحسننا أدب ناقة ، وأكرمنا لثيم قوم ، فبعت معها النعمان من ينظر ذلك ، فلما اتهموا إلى بادية حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا ألأم قومي ، وهو فلان بن فلان ، والرجل عند حوضه ويؤرد إبله ، فأقبلوا إليه ، فقالوا : يا عبد الله ! دعنا نستقي ؛ فإننا قد هلكنا عطشا وأهلكنا ظهورنا ، فتعجبهم وأبى عليهم ، فلما أعيام قالوا لحاجب : اسفر ، فسر فقال : أنا حاجب بن زرارة ، فدعنا فلنشرب ، قال : أنت ؟ فلا مرحباً بك ولا أهلاً ، فأتوا بيته ، فقالوا لامراته : هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله مارب للزلزل شاهد ، وما عندنا من منزل ، وراودوها على ذلك فأبت ، ثم أتوا رجلاً من بكر بن وائل على ماء يورد ، قال قيس : هذا والله ألأم قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم ، وهم أن يضربهم ، فقال له قيس بن مسعود : ويحك أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أورد ، ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته وقدرها يسط ، فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت ، فلما اتهموا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله من منزل ؟ قالت : نعم أنزلوني الرحب والسعة ، فلما نزلوا طعموا وارتملوا ، فأخذوا ناقتيهما ، فأناضوها على قريتين للتمل ؛ فأما ناقة قيس بن مسعود فتصورت وتقلبت ثم لم تنز ، وأما ناقة حاجب فمكثت ومكثت ، حتى إذا قالوا قد اطمانت طفقت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جد ، فأنت اليوم ذو جدين فسعى بذلك ذا الجدين ، وقيل : إنما سعى بذلك لأسيرين أسرها مرتين ، وقيل : بل سبقَ سَبَقَتَيْنِ ، هكذا جاءت الرواية .

والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن عامر ،

سُمِّيَ بذلك لأنه اشترى كسب بن ثَمَامَةَ من أيدي قوم من غزاة أسروه ، فحكم نفسه ، وعرفه عبدُ الله [وأظهر] لهم لم يشتره عن معرفة ، فوهبه كل ما تلى في طريقه من لابل أيه بعُبدانها ، وكانت سوداً وحراً وصُهباً ، وبلغ به إلى أيه فأجاز له ذلك ، وأعطاه قَبْته بما فيها ، فلما أتى الجِيزَةَ قال بعض من رآه لصاحبه : إنه لثَوَجْدَرٌ ، قال الآخر : بل هو ذو جَدَيْن ، فسمى بذلك .

(٨٧) — باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواصي مَنْ أَخَذَهُ حِفْظِي ، وبلغته روايتي ، على شريطة الاختصار والتلخيص ، بحسب الطاقة والاجتهاد ، إن شاء الله تعالى .

ملوك اليمن : قال ابن قتيبة وغيره : أول من حُيِّيَ بتحية للوك «أَبَيْتَ الْعَمَنَ» ملوك اليمن «وَأَنعم صِباحاً» يَتَرَبُّبُ بن قَطَطَان ، فولد له يشجب ، وولد لبشجب سبأ ، وقيل : إنه أول من سَمِيَ السبئي من ولد قَطَطَان . واسمه عبد شمس ، وقيل : عامر ، وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ مَلَكَ حتى مات هرمًا ، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ، حتى مضت قرون ، وصار الملك إلى الحارث الرائش ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أبًا ، خرج من اليمن ، وغزا وجَلَبَ الأموال ، فَرَأَشَ الناسَ ، وبذلك سُمِيَ الرائش ، وفي عصره مات لقمان صاحب النصور ، وهو إيمان الذي عشته عاد ليستقي لها بمكة ، وكان مُلْكُ الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة ، وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأشد ابن قتيبة :

وأحمدُ اسمه ، يَأْلِيَتَ أَنِي أَعْمَرُ بَعْدَ مَبْهَتِ بِسَامِ

ثم أَبْرَهَةُ ذو النار بن الرائش ، وكان ملكه مائة وثلاثًا وثمانين سنة ، ثم أفريقس بن أبرهة ، وهو الذي بنى أفريقية ، وبه سميت ، وكان ملكه

مائة وستين سنة ؛ ثم العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار ، سعى بذلك لقوم سيّاهم مُشْكِرِي الوجوه تزعم العرب أنهم النسناس ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراث ، وهو أبو بلقيس ، ملك سنة واحدة ثم بلقيس إلى أن أسلّت على يدَيّ سليمان صلى الله عليه وسلم ، ثم ناشر بن عمرو ابن يعفر بن شرحبيل ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، ثم شعبر بن أفريقس ، وهو الذي أخرب مدينة سمرقند ، وبه سميت سمرقند ، ومعنى كند أخربها ، وهو الذي يسمى شمر يرعش ؛ لارتعاشه كان به ، وكان ملكه مائة وسبعاً وثلاثين سنة ، ثم ابنه الأقرن بن شمر يرعش ، وكان ملكه ثلاثاً وخمسين سنة ، ثم تبعه الأكبر بن الأقرن ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وستين سنة ، ثم ابنه كليكرب ؛ ولم ينفذ حتى مات ، وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ، ثم تبعه بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط ، وكان يغزو بالبحر ويحل أعمالها كلها بأحكامها ، ويقال : إنه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القاتل فيه :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله بآرى النَّسَمِ
فلو مدَّ صُفْرِي إلى عُمرِي لَكُنْتُ وزيراً له وإنَّ عَمَ

ثم حسان بن تبع الأوسط ، وهو الذي غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها جَوْهُ اليمامة ، ثم عمرو بن تبع أخو حسان ، وكان ملكه ثلاثاً وستين سنة ، ثم عبد كلال بن مشوب ، وكان على دين عيسى يستر إيمانه ، وكان ملكه أربعاً وسبعين سنة ؛ ثم تبع بن حسان وهو الأصغر ، وكان الحارث بن عمرو بن حُجْر جد امرئ القيس ابن أخيه ، وتبع هو الذي عقد الحلف بين ربيعة واليمن ، وهو الذي أدخل في اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ، ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال ، وقيل : مرزبد ، وكان ملكه إحدى وأربعين سنة ، ثم ابنه ربيعة بن مرثد ، ملك سبعا

وثلاثين سنة ، ثم أبرهة بن العيص ، ملك ثلاثا وسبعين سنة ، وكان يكرم معداً
ويعلم أن الملك كائن في بني النضر بن كنانة ، ثم حسان بن عمرو بن تبع بن
كليكيرب ، ملك سبعاً وثلاثين سنة ، ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شققه
في أسارى من قومه ، ثم ذو الشنار ، واسمه نجيمة ينوف ، ولم يكن من أهل
بيت للملكة ، لكنهم من أبناء اللقاول ، قتل ذو نواس ، وكان غلاماً من أبناء
الملك حسن الوجه له ذؤابان ، أراد ذو الشنار على نفسه فوجأ بمنجبر كان قد
أعدّه له فقتله ، ورضيته حبر لنفسها لما أراحها من ذى الشنار ، وذو نواس
صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً ، فخذ الأخدود
لنوم من أهل نجران تنصروا على يد قبيل من آل جفنة ، وعلى أيام
ذى نواس دخلت الحبشة اليمن ، واقتحم البحر منهزماً ففرق ، وكان ملكه ثمانيا
وستين سنة ، وقام بعده ذو جلدن فهزمت الحبشة ، فاقتحم البحر فهلك ، وملك
اليمن أبرهة الأشرم ، وهو الذى زحف إلى مكة بالغيل فهلك جيشه ، وابتلى
بالأكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها ، وملك بعده ابنه يكسوم فسادت سيرته
باليمن ، فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى ، فغش له جيشاً عظيماً ، وقد مات
يكسوم ، وولى بعده مسروق أخوه ، وهو أيضاً أخو سيف لأمه ، فقتلته الحبشة ،
وسيت نساؤهم ، فقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خذله من الحبشة
ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكشت
به الظلمة ، واهتدت بهديه الأمة ، واستقر الملك في نصابه ، بسد الخلفاء الأربعة
من أصحابه ، ممن وجبت طاعته ، وصحت بيعته ، وأنا واقف عند الشبهة ، قاتل
في هذا بما قالت به الجماعة ، فقد تنازع اسم أمير المؤمنين من لا يصلح له ، ولا
يسلم إليه ؛ فذلك أعرضت عن ذكر من لم أذكره ، ولولا ذلك لذكرت كل
واحد وزمانه ، ومتهمى عمره ، إلى وقتنا هذا ، وما توفيقى إلا بالله .

ملوك الشام

ملوك الشام : كانت بالشام سليح^(١) وهم من غسان ، ويقال : من قضاة
وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم من بعده مالك
ابنه عمرو ؛ إلى خروج مزيقياس هو عمرو بن عامر - من اليمن في قومه من الأزد ،
وسمى مزيقياس لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لباسها ثم يهبطها ، ويسمى
عامر ماء السماء ؛ لأنه كان يحمي في المخيل فينوب عن النيث بالرفد والغطاء [وهو]
ابن حارثة^(٢) النطريف ، بن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن
مازن قاتل الجوع ، بن الأزد^(٣) ، ومعه رجل يقال له جذع بن سنان ،
فنزحوا بلاد عك ، فقتل جذع ملك بلاد عك ، فافترقت الأزد والملك فيهم حينئذ
فعلية بن عمرو بن عامر ، فأنصرف عامله فخارب جرم فأجلاهم عن مكة ، واستولوا
عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث ، وجاء قصي بن كلاب فجمع معداً - وبذلك
سمى مجعماً - واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزد فغلبهم ، واستولى على
مكة دونهم ، فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتفعت ، وانخرعت خزاعة لولابة
البيت - وبذلك سميت - فصار بعض الأزد إلى السواد فملسكو عليهم مالك بن
فهم أبا جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب ، وهم الأوس والخزرج ، وصار
قوم إلى عمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، فأتاه عامل للملك
في خراج وجب عليه فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال الرومي : أدخله في كذا من
أم الآخر ، فغضب جذع وقتله ، فقيل : خذ من جذع ما أعطاك^(٤) ،
وسارت مثلاً ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو مُحَرَّق ، سمي بذلك
لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، ويكنى أبا قحير ،
ثم ابنه الحارث بن أبي شمر النساني ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات

(١) في بعض الأصول « سليح » بالحاء للصجمة .

(٢) في بعض الأصول « جارية » .

(٣) في الأصول « من الأزد بن الأزد » وليس بشيء .

(٤) انظر للث رقم ١٢٤١ من مجمع الأمثال للبيداني (٢٣١/١ بتحقيقنا) .

الْقُرَظَّائِنَ ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى ، وأختها هند المنود امرأة حُجْرٍ آكل اللُّزَّار الكندى ، وإلى الحارث الأعرج زَحَفَ للنذر الأكبر فانهزم جيشه ، وقتل ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر ، وهو ولد الحارث الأعرج [ثم] عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو ثمر الأصغر ، وله يقول نابتة بنى ذبيان :

عَلَى لِعَمْرٍو رَثَمَةٌ بِمَدَنِيَةٍ لَوْلَاهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عِقَابٍ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الأصغر ، وله يقول النابتة :

هَذَا غَلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ النَّعَامِ

والنعمان هذا ثلاثة بنين : عمرو ، وحُجْرٌ ، والنعمان ، ومن ولد الأعرج أيضاً للنذر ، والأبيهم أبو جَبَلَةَ ، وجَبَلَةُ آخر ملوك غسان ، كان طوله اثني عشر شبراً ، وهو الذى تنصَّرَ في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ملوك الحيرة : أولهم مالك بن قُثَيم بن عمرو بن دَوْس بن الأزد ، مَلَكَ العرب بالعراق عشرين سنة ، ثم ابنه جَذِيمَةُ بن مالك ، وهو الأبرش ، وهو الوَضَّاح ، كان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، ويقال : إن نصرًا هو الساطرون صاحب الحضرة ، وهو جرمقاني من أهل الموصل ، وقيل : بل هو من أشلاء قنص بن ممد بن عدنان ، وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل : « سَبَّ عمرو عن الطُّوقِ » ثم امرؤ القيس ابن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وإنه الذى يدعى محرقة ، ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوَرَنَقَ ، ثم للنذر بن امرئ القيس ، وهو للنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ، ثم للنذر بن النذر ، وهو الأصغر ، ثم أخوه عمرو بن للنذر ،

وهو عمرو بن هند ، ويسى محرقة ؛ لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل
اليمامة ، ثم الثمان بن للنذر صاحب النابذة الذي يانى ، وهو آخر ملوك لَخْم ، ثم ولى
بعده لياس بن قبيصة الطائي ، ثم ابنه أشهر ، واضطرب ملك فارس وضعفوا ،
وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم ، وآتى الله عز وجل بالإسلام فمر أهله بالنبي
صلى الله عليه وسلم .

٨٨ -- باب من التسمية

- الأرحية قال ابن دريد : الإبل الأرحية منسوبة إلى أرحب بن همدان .
خفية أسد خفية^(١) وأسد خفان^(٢) وهما أجمتان من المذيب على ليلة .
البرزية الرماح البرزية : منسوبة إلى ذى بزن الملك ، ويقال الأيزنية ، قال ذو الرمة :
أرى الذى استودعن سواد قلبه هوئى مثل شك الأيزنى النواجم^(٣)
هكذا جاءت الرواية في هذا البيت .
الفرعونية الدروع تنسب إلى فرعون . قال راشد بن كثير :
بكل فرعونية لوئها مثل بصيص البهشة الغادية

(١) خفية - بفتح أوله وكسر ثانيه وباء مشددة مثناة - أجة في سواد
الكوفة ، بينها وبين الرحبة بضعة عشرين ميلاً ، ينسب إليها الأسود ، يقال : أسد خفية ،
وانظر ياقوت .

(٢) خفان - بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون - موضع قرب الكوفة
يسلكه الحاج أحياناً ، وهو مأسدة ، قيل : هو فوق القادسية ، وانظر ياقوت .

(٣) وقع في الأصول * أين الذى الأزانى النوجم * وهو
تصحيف ، والتصويب عن الديوان .

وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبع ، ومحرق ، يريدون بذلك القِدَمَ
وجوده الصنعة .

السكنائن الرُّغَرِيَّة : منسوبة إلى زغر^(١) وهو موضع بالشام تعمل فيه كنانن
الرغرية
حجر مذهبة .

قال أبو دؤاد يصف فرساً :

ككنانة الرُّغَرِيَّة زَيْسَنَهَا من الذهبِ الدلاص

السمهري : الرمح الشديد ، يقال : اسمهر الأمر ، إذا اشتد .

الأنعمية : برود منسوبة إلى أنعم^(٢) باليمن .

القَصَصِيَّة : ضرب من الأسيَّة ، تنسب إلى قَصَصَب ، رجل قشيري كان
القصصية
يسلها ، وكذلك الشَّرْعِيَّة أيضا . قال الأعمش :

وَلَنْ مِنْ أَخْطَى فِيهَا أَسَنَةٌ ذَخَائِرُ مَاسِنٍ أَبْنَى وَشَرَّعَبٍ^(٣)

والشرعية أيضا من الثياب الحارية في قول امرئ القيس :

الشرعية

فَلَمَّا دَخَلْنَاهَا أَضْفَنَّا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَارَى جَدِيدٍ مُسْطَبٍ^(٤)

قال الأصمى : اخْتَبَرُوا بِمِثَالِ سَيَوْضَم

(١) زغر - بضم ففتح - قرية بمشارف الشام .

(٢) وقال للرتضى : « قال شيخنا : والباء في الأنعمى ليست للنسب على الأصح » ٨١ .

(٣) في الديوان (ص ١٣٨) « فيه أسنة »

(٤) في الديوان (ص ٢٠) « فلما دخلناها » ومعنى « أضفنا » أسندنا .
وللشطب : الخطط ، على ما فسرهُ أبو عبيدة .

قال أبو عبيدة : ما نسبت إلى الخيرة سيف قط ، وإنما يريد الرجال كما قال الآخر : .

• مشدودة برحال الخيرة الجُدَدِ^(١)

قال ابن الكلبي : أول من اتخذ الرحال علاف ، وهو زبان بن جرم ؛ فقللك قيل لرحال « علافية » وأول من حمل الحديد من العرب المالئ ابن مراد بن أسد بن خزيمه ؛ فذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكى .

الملافية
والهالكى

قال أبو عبيدة : أجود السهام التى صنعتها العرب فى الجاهلية سهام بلام ، وسهام يثرب ، وهما بلدان قريبان من حبر اليمامة ، وأنشد الأعشى :

• بسهام يثرب أم سهام بلام^(٢)

سَلُوقُ ؛ قرية باليمن ، وإليها تنسب الكلاب والدروع .

السلوقية

سيف مشرف : منسوب إلى مشرف ، وهى قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ، وليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشئ عند العلماء ، وإن قاله بعضهم .

للمشرف

والسيوف السريجية : منسوبة إلى سريج^(٣) رجل من بني أسد ، قال محمد ابن حبيب : هو أحد بنى معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكانوا قيونا .

السريجية

- (١) هذا عجز بيت لثناثة القديانى ، وصدرة • والأدم قد خيست فتلا مراقبها • والأدم : البيض من التوق . وخيست : ظلت ، فتلا : بانت عن أباطها مراقبها والرجال : جمع رجل ، وهو شبه السرج ، الجدد : جمع جديد .
- (٢) لم يذكر ياقوت بلاما ، والذي فيه وفى القلموس وشرحه ، « ويلدان موضع باليمن أو بالهند أو بالسند منه السيوف اليلمانية الجيدة » ١ هـ .
- (٣) فى الأصول « السريجية . . . سريج » وهو تحريف .

الدروع الحطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن الحطمية
كثير^(١) بن عبد القيس بن أفضى .

وقال ابن الكلبي : هي منسوبة إلى حطم ، وهو أحد بني عمرو بن حنن
من بني قيس بن ثعلبة ، وقال الأصمعي : لا أعلم ما تنسب إليه .

الحطية : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرماح ، قال الأصمعي : ليست تنسب
الرمح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع فقيل للرمح حطية .

والسك الداري : منسوب إلى دارين ، يعني عطاراً بالبحرين ، زعم ذلك
أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والأكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة
موضعان بالشام .

فحول إبل النعمان : عصفور ، وداعر ، وشاعر ، وذا الكلبيين : فحول إبل النعمان بن المنذر .

عصافير النعمان : أولاد عصفور الفحل ، وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون .

والقسي العصفورية : منسوبة إلى رجل يسمى عصفوراً ، حكاه الجاحظ .

وأشد لابن بشر :

عطف السيات بواقع في بذلها تُعزَى إذا نُسِبَتْ إلى عصفور

يعني قسي البندق ، دعا بها على حمام جاره .

ويقال للقسي أيضاً « الماسخية » منسوبة إلى رجل من الأزد ، واسمه ماسخة

هو أول من عملها .

والإبل المسجدية والمبدية والمانية : إبل ضربت فيها الوحوش .

والإبل الشذقية والجنديلية عن غيره منسوبة إلى شذقم وجديل ، وهما فحلان

مشهوران .

الحر الأخرية : منسوبة إلى حر يسمى أخدر ، وقيل : هو فرس كان لبعض

الملوك ، أغلته أزدشير بن بابك ، توحش فضرب في عانة^(٢) فتسبب أولاده إليه ، وهو

(١) في الأصول « بكير » تصحيف (٢) العانة : القطيع من الإبل ، هنا .

أَقْرَبُ الْحَجَرِ ، هَكَذَا تَزْعُمُ الْعَرَبُ ، وَالْعَادَةُ أَنْ يَكُونَ مَا تَنَاجِي مِنْهُ بَنِي إِسْرَءِيلَ . فَأَمَّا السَّكْدَادُ
فَحِمَارٌ مَعْرُوفٌ مِنَ الْوَحْشِيَّةِ تَنْتِجُ . قَالَ الْقُرْزُقِيُّ :

حِمَارٌ لَهِمْ مِنْ بَنَاتِ السَّكْدَادِ يَدْمِجُ بِالْوَطْبِ وَالزُّوْدِ
وَالْبَنَالُ يَزْعُمُونَ أَنَّ قَارُونَ أَوَّلَ مَنْ أُتْبِعَهَا ؛ فَعِنِّي تُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وَقِيلَ : بَلْ
أُتْبِعَ الْبَنَالُ أُتْبِعَهَا قَبْلَهُ أَفْرِيدُونَ .

(٨٩) — بَابُ الْمَتَاقِ مِنَ الْخَيْلِ وَمَذْكُورَاتِهَا

وَأَوَّلُ مَا أَذْكَرُ مِنْهَا خَيْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَرَاكِبَهُ ، جَرِيماً
عَلَى الْعَادَةِ فِي التَّبَرُّكِ بِاسْمِهِ : فَهِيَ « السَّكْبُ » وَهُوَ فَرَسُهُ يَوْمَ أُحُدٍ ، حَكَاةُ ابْنِ
قَتِيْبَةٍ ، وَمِنْهَا « لِلرَّيْحِزِ » وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ يُقَالُ « الْفَزَازُ » وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ « الضَّرْبُ »
وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ « اللَّجِيْفُ » وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ « الْوَرْدُ » وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ قَتِيْبَةٍ فَرَساً يُقَالُ
لَهُ « سَحَّةٌ » وَكَانَتْ بَنَاتُهُ يُقَالُ لَهَا « دَلِيلُ » وَكَانَ حِمَارُهُ يُقَالُ لَهُ « يَغْفُورُ »
وَكَانَتْ رُكَّابُهُ « الْقُصُوءَى » وَ « الْجُدْعَاءُ » وَ « الْمَضْبَاءُ » .

وَهَذِهِ خَيْلُ الْعَرَبِ : قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ : الْفَرَابُ وَالْوَجِيْهِ وَلاَحِقُ
وَمَنْهَبٌ وَمَكْتُومٌ كَانَتْ لَهَا لَفْيٌ .

وَقَالَ أَحَدُ بَنِي سَعْدِ السَّكَاتِبِ : كَانَ أَعْوَجُ أَوَّلًا لَكِنْدَةً ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ سَلِيمٌ ،
ثُمَّ صَارَ لِبْنِي عَامِرٍ ، ثُمَّ لِبْنِي هَلَالٍ ، قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ : رُكِبَ رَطْبُهَا فَأَعْوَجَتْ قَوَائِمُهَا
وَكَانَ مِنْ أَجُودِ خَيْلِ الْعَرَبِ ، وَأُمُّهُ سَبِيلُ كَانَتْ لَفْيٌ ، وَأُمُّ سَبِيلِ الْبَشَامَةِ ، كَانَتْ
لِجَسَدَةٍ ، وَلَهَا أَيْضًا الْقِيَاضُ .

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : وَالْوَجِيْهِ وَلاَحِقُ لِبْنِي سَعْدٍ ، قِيلَ : وَحَلَابُ لِبْنِي تَغْلِبُ ،
وَالصَّرِيْحُ لِبْنِي نَهْشَلٍ ، وَزَعَمَ غَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ لَأَلِ الْمُنْذَرِ ، وَجُلُوبُ لِبْنِي ثَعْلَبِ
ابْنِ يَرْبُوعٍ ، وَذُو الْعَقَالِ لِبْنِي رِيَّاحِ بْنِ يَرْبُوعٍ ، وَهُوَ أَبُو دَاخِصٍ ، وَكَانَ دَاخِصٌ

والغبراء لبني زهير ، وهى خالة داحس ، وأخته من أبيه ذى العقال ، [و] قرزل
 وانطار والحفاه لحذيفة بن بدر ، وهى أخت داحس من أبيه وأمه ، [و] قرزل
 آخر للطفيل بن مالك ، [و] حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضا لسخر
 بن عمرو [بن] الشريد ، [و] الشقراء لزهير بن جذيمة العيسى ، والزعفران لبسطام
 ابن قيس ، والوديقة ونصاب وذو الجار لمالك بن نويرة ، والشقراء أخرى لأسيد
 ابن حنادة السليطي ، والشيط لأثيف بن جبلة الضبي ، والوجيف لعامر بن الطفيل
 والكلب والمزنوق والوردة أيضا ، وانلثي فرس لعمر بن عمرو بن عدس ، [و] الهداج
 فرس الريب بن شريق السعدى ، وجزة فرس يزيد بن سنان المرى فارس غطفان ،
 والنعامة للحارث بن عبياد ، وابن النعامة لمنقرة ، والنحام فرس السليك بن السككة
 السعدى ، والمصا فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، والمراوة لميد القيس بن
 أنفى ، والبهجوم فرس النعمان بن المنذر ، وكامل فرس زيد الخليل ، والربد فرس
 الحوفزان ، وأبو الزعفران فرس بسطام ، والقرادة ^(١) فرس السككعبة البربري ،
 انتهى كلام أحد بن سمد

وعن ابن دريد : القطيب فرس كان للمرب ، وكذلك البطين والعماب
 والعباءة فرس حرث بن ضميرة النخشل ، والمدعاس فرس الثواس بن عامر
 المجاشعي ، وصهباء فرس البر بن تولب ، وحافل فرس مشهور ذكره حرب بن
 ضرار في قوله :

كيت عبنة السراة نبي بها إلى نسب الخيل الصريح وحافل
 والسجدى لبني أسد ، والشموس فرس زيد بن حذاف العبدى ، والضيف
 لبني تغلب ، وهراوة القراب فرس الريان بن حويص المنبري ، يقال : إنها جاءت
 سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على المزاب يتكسبون عليها في السباق
 والغارات ، والحرون فرس تنسب إليه الخيل ، وكان لسلم بن عمرو بن أسيد الباهلي

(١) في الأصول « والجمالة » وانظر (أنساب الخيل ٤٧) .

والزليف فرس مشهور ، وهو من نسل الحرون ، ومناهب فرس تنسب إليه الخيل أيضا ، قال الشردل .

لأغل ثلاثة سمينا مناهبا والضيف والحرونا

والعلمان : فرس أوى ملك عبد الله بن الحارث اليربوعي .

ومن أقدم الخيل زاد الراكب ، وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزد كانوا أصهاره .

وكان إسماعيل عليه السلام أول من ذلل الخيل وركبها ، وكانت قبل من سائر الوحوش .

(٩٠) — باب من المعاني المحدثه

قال أبو الفتح عثمان بن جنى : للمولود يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألقاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعاني إنما اتسمت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فصرّوا الأمصار ، وحضروا الحواضر ، وتأقنوا في الطعام والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره ، وإنما خصصت التشبيه لأنه أصعب أنواع الشعر ، وأبعدها متاعى ، وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو قوة ، وعجز أو قدرة ، وصفة الإنسان ما رأى يكون لا شك أصوب من صفته ما لم ير ، وتشبيه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيه ما أبصر بما لم يبصر ، ومن هنا يحكى عن ابن الرومي أن لا تمسأ لامة فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده في صفة الهلال :

عن يصح
الاستشهاد
وسره

فانظر إليه كزورق من فضة قد أقتلته حولة من عنبر

قال : زدني ، فأنشده :

كان آذريوتها . والشمس فيه كاليه

تَدَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

فصاح : وَأَقْوَمَاهُ ، يَا اللَّهُ ، لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْمَهَا ، ذَلِكَ إِنَّمَا يَصِفُ مَا عَوَّنَ بَيْتَهُ ؛ لِأَنَّهُ ابْنُ الْإِخْلَافِ ، وَأَنَا أَيْ شَيْءٌ أَصْفُ ؟ وَلَكِنْ انظُرُوا إِذَا وَصَفْتَ مَا أَعْرَفَ ابْنُ يَقَعِ النَّاسُ كُلَّهُمْ مَنِي ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ قَطُّ أَمْلَحُ مِنْ قَوْلِي فِي قَوْسِ النِّهَامِ :

صفة قوس
قوس لابن
الرومي

وَقَدْ تَشَرَّتْ أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِفًا

عَلَى الْأَرْضِ دُكْنَا وَهِيَ خُضِرَتْ عَلَى الْأَرْضِ
يَطْرُقُهَا قَوْسُ النِّهَامِ بِأَصْفَرٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ وَسَطٍ مُبَيَّضٌ
كَأَذْيَالِ حَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَاثِلِ مُصَيَّبَةٍ وَالْبَصْمِ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ
وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة :

وصف الرقاقة
وخبازها له

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ خَبَازًا مَرَرْتُ بِهِ يَذْخُو الرِّقَاقَةَ وَتَشْكُ اللَّحْمَ بِالْبَصْرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُفْرَةٌ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا زَهْرَاءُ كَالْقَمَرِ
إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

وهذا كلام إن صح عن ابن الرومي فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الترك ؛ لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجدته في ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذر — فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً ، الأهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق : أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاتب هذا تارة ، وأستعطف هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندى تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مليح التشبيه مادونه النهايات التي لا تبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز .

ولم أدل بهذا البسط كله على أن العرب خلت من للماني جملة ، ولا أنها

أفسدتها ، لكن دلت على أنها قليلة في أ شمارها ، تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول ، وهي كثيرة في أ شمار هؤلاء ، وإن كان الأولون قد نهجوا الطريق ، ونصبوا الأعلام للمتأخرين ، وإن قال قائل : ما بالك معشر المتأخرين كلما تبادى بك الزمان قلت في أيديكم المعاني ، وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : أما المعاني فما قلت غير أن العلوم والآلات ضعفت ، وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص ، وأن الدنيا على آخرها ، ولم يبق من العلم إلا رمقه معلقاً بالقدرة ، ما يسكه إلا الذي يسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

تكثر المعاني كلما
تقدم العصر

وإذا تأملت هذا تبين لك مافى أ شمار الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمتحضرين ، ثم مافى أ شمار طبقة جرير والفرزدق ولهما صاحبهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة والفلة المفردة ، ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهل ولا مخضرم ولا إسلامي ، والمعاني أبدأت ترد وتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي ضيقاً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، ويصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يميت ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد ، ثم نجد من بعده [مَنْ] لا ينتهي في في الشعر ، بل لا يشره ، قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ، ووجه له وجهة حسنة ، لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شره لم يتركها عن قُدرة ، ولكن الإنسان مبنى على التقصان .

منزلة ابن
الرومي في
توليد المعاني

وسأورد عليك من معاني المتقدمين ، وانظرها بأمثالها من أقوال المولدين لا أعذوها ليتبين البرهان ، هذا ، على أنى ذمت إلى الحديثين أنفسهم في أما كن من هذا الكتاب ، وكشفت لهم عوارهم ، ونعت لهم أ شمارهم ، ليس هذا جهلاً بالحق ، ولا ميلاً إلى بنيات الطرق ، لكن غصاً من الجاهل للتعاطي ، وللتحامل الجاني ، الذي إذا أعطى حقه تماطى فوقه ، وادّعى على الناس الحسد ،

وقال : أنا ولا أحد ، وإلى كم أعيش لكم ؟ وأى علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً ؟ فإذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو مُتَّهم ، أو طول بجملة في لحن أو شاذ ، أو نوظف في كلمة من ألفاظ العرب مُصَحَّفة أو نادرة ، قال : هكذا أعرف ، وكأننا أعطى جوامع الكلم ، حاشَ لله ! وأستغفر الله ، بل هو العسى الأكبر ، وللموت الأصفر ، وبأى إمام يرضى ، أو إلى أى كتاب يرجع ، وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه ، بل فضيلة عنه ، فهو كما قال حمادُ عَجْرَدٍ في يونس بن فروة :

أما ابنُ فروةَ يونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحارِ القاسم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما خلاك بهائم

وأبن من ذكر من بشار بن برد حين قيل له : بم قُتَّ أهل عرك وسبقتَ أبناء عصرك : في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأنني لم أقبل كل ما تورده على قريحتي ، وينايجني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مفارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحككت سيرةً ، وانتصت حرماً ، وكشفت عن حقائقها ، واحتزرت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء مما آتى به .

وكم في بلدنا هذا من الخفاش قد صاروا ثعابين ، ومن البغاث قد صاروا شواهد ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُمرَفوا بسد اليوم بتخليد ذكرهم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جملة من يمد خطله ، ويمسح زله ؛ لقد كرت من لحن كل واحد منهم وتصحيحه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يملك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادَّعَوْها باطلاً ، وانتسبوا إليها انتحالا ، وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أني أخذت عنه

بشار يبين
سبب تفوقه

مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما عليها ، والامتحان يقطع الدعوى ،
كما قال بعض الشعراء :

من تحلى بنير ما هو فيه قَضَحَ الإِمْتِحَانُ ما يدعيه
وكنْتَ غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه أنفاً من
ذكره ، وعُزُوفاً بهنقى عن الانحطاط إلى مُساواته ، ولكن رأيت السكوت عنه
هجرًا وتقصيرًا ، كما قال أبو تمام :

تَرَكْتُ الثَّيْمَ ولم يُمَزَّقْ عَرْضُهُ نَقَصَ عَلَى الرَّجُلِ الْكَرِيمِ وَعَارُ
وكا قال أبو الطيب ، وقد استحق للمنى عليه :

إذا أنتَ الإسَاءة من وضع ولم أَلَمْرُ للسَّاءِ فَن أُلُومُ ؟
ثم أعود إلى التَّسْطِيرِ فَأُطْرَحُ عن المحدث للولد ما كان من جنس تشبيه النعامة
للطرماح^(١) ، وصفة الثور الوحشى له أيضاً ، وصفة مغارز ريش النعامة إذا أمرط
للشماخ ، ومثل بيت التكميوت فيما يمتد من لُفَامِ الناقاة تحت لحيمها في شعر الحظيئة ؛
وتشبيه القباب بالأجذم ، ولحى التراب بالجلم لمنقرة ، وأشباه هذا مما انفردت به
الأعراب والبادية كعادتها ، كافرادها بصفات النيران ، والقلاوِث الموحشة ،
وورود ميالها الآجنة ، وتَمَشُّفِ طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً ؛
إذ كان المحدث غير مأخوذ به ، ولا محمول عليه ، ألا ترى إلى أبي نواس —
وهو مُتَقَدِّمٌ في المحدثين — لما وصف الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده
قط إلا مرة في العمر إن كان شاهده ؛ دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزة
وشبههما بعيون الخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشقامة وجه
الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زيد وغيره لتؤور عينيه مما هو أعلم به
من أخذ عليه ، وأكثر ظنى — والله أعلم — أن أبا نواس إما رَجَعَ بالصفة

(١) انظر التشبيهات القم التي أوردها المؤلف في الباب الأربعين (ج ١ ص

إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبرز جفنيه من علامات النياط والخلق على أقرانه في الحرب .

وكذلك لما تعاطى الأعراى أبو نُخَيْلَةَ^(١) ما لا يعرف قال :

• ولم تَذُقْ من البُقُولِ القُسْمَقَا •

فجعله بقلا^(٢) على ما في نفسه من لعاع البقل .

على أن المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة فيه ، كما خاطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البرق والرعد ، والفيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ، ولكني أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون ، وآتى ها هنا من هذين النوعين بما يسد خلة المفترق إلى سماحه من المبتدئين .

ما جاء في
طول الليل

قال النابتة يذكر طول ليله :

كليفى لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بلى الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمقضى وليس الذى يرى النجوم بأيب

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :

أعيدوا صباكي فهو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لفظ الجباب

فإن نهارى ليلة مدلهمة على مقلة من قد كد فى غياهب

فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن التقصيد ، على أن يبقى النابتة عندهم في غاية الجودة .

(١) في أكثر الأصول « أبو جيلة » وهو تصحيف ، وقبل هذا البيت قوله :
« جارية لما كل الرقعا » (٢) ويحمله بعضهم « ولم تذق من القول » جمع قول ، بالنون .
(١٦ — المدة ٢)

ما جاء في
حلق الشعر

وقال يزيد بن الطخثري حين حلق أخوه ثور جثته :
فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها
وهذا البيت من أفضل الأوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره
وقال بعض التأخرين ، وأحسبه الزبدي ، في غلام حلقه وفركته :
حلقوا رأسه ليكسوه قُبْحاً غيرَ منهم عليه وشُحاً
كان صُبْحاً عليه ليلٍ بهمٍ فَمَحُوا ليلَهُ وأَبْقَوْهُ صُبْحاً
وقال رؤبة بن المعجاج :

أستِمْثَوَاتِي كَالصَّفَاةِ صَفْصَفَا
فصارَ رأسي جَبْهَةً إِلَى الْقَفَا
قَالَ ابن الرومي وأحسن ما شاء :

يَجْنِبُ مِنْ قَرْتِهِ طَرَةً إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ نَيْلِهِ
فَوَجْهَهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ أَخْذَ نَهَارِ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ

ولو تبيحت هذا لأطلت في غير موضع الإطالة .

فأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :

يَا قَوْمِ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأَذُنُ تَمُتُّ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا
قَالُوا: بِنِ لَانَرِي تَهْذِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ :
الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُؤَوِّي الْقَلْبَ مَا كَانَا
وَكُرَّرَهُ فَقَالَ :

قَالَتْ عَقِيلُ بْنُ كَسْبٍ إِذْ تَمَلَّقَهَا قَلْبِي وَأَمْسَى بِهِ مِنْ حُبِّهَا أَمْرٌ :
أَتَى وَلَمْ تَرَهَا تَهْذِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ :
إِنْ الْقَوَادِ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ كَانَ حَدِيثَهُ بِأَذْنِي - وَإِنْ غَيِثَ قَرُطٌ مُتَمَلِّقٌ
وَإِخْتِرَاعَاتُهُ كَثِيرَةٌ ، وَاشْتِهَارُهُ بِذَلِكَ يَفِي عَنِ الْإِنْشَادِ لَهُ .
وَكَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ الْبَرْدُ أَنَّهُ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ :

كما انفرد
به بشار

بما اُخبر به
أبو نعيم

أيها الرائحانُ يا لولم لوما لا أذوق للنعام إلا شميماً
نالى بالسلام فيها إمام لا أرى لى خلافة مستقيماً
فاصرهاها إلى سواى فإنى لست إلا على الحديث نديماً
كبرُ حطى منها إذاهى دارت أن أراها أو أن أشم النسيماً
فكأنى وما أزيئُ منها قعدى يزيئُ التحكيماً
كل من حمله السلاح إلى الحر بفاوصى المطيق أن لا يقيماً

« القعدة » : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به ، وتعد عنه .

وقوله أيضاً :

بينما على كسرى سماء مدامة مكلة حافاتها بهجـوم
فلورد في كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفاني دون كل نديم
وهذا المعنى أيضاً لم يتناوله أحد قبله .
وكذلك قوله :

قد قلتُ للعاسِ معتزلاً من ضف شكريهِ ومعتزلاً :
أنت امرؤٌ جَلَّتني نسا أوهت قوى شكرى فقد ضَمُتْما
فإليك منى اليومَ تَقْدِمةً تلقاك بالتصريح منكشفاً
لا تُسَدِّينَ إلى عارقة حتى أقوم بشكر ما سلفاً
وقال أيضاً في صفة النساء الخجارات ، ويروى لابن المنز :

وتحت زنايِرٍ شَدَدَنَ عقودها زنايِرُ أعكانٍ مصادفها السرز
فهذا تشبيه ما علمت أنه سبق إليه .

وقال أيضاً :

لست أدرى أطال كَيْلى أم لا كيف يدري بذلك من يتقلى ؟
لو تفرغتُ لاستطالة لَيْلى ولزحى النجوم كنت غلا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .

وأكثر المولدين معاني وتوليدا - فيما ذكره العلماء - أبو تمام ، غير أن ما اُخترد به أبو تمام القاسم بن مهرويه^(١) قد زعم أن جميع ما لأبي تمام من المعاني ثلاثة : أحدها قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويّت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتغال النار فيما جاوَزَتْ ما كان يعرف طيب عَرَفِ العود

والثاني قوله :

بني مالك، قد تَبَهَّتْ خايلُ الثرى قبُورُ لَكُمْ مستشرقات للعالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها عُلّا لا يرتقى بالسلام

والثالث قوله :

يأبى على التصريد إلا نائلاً إن لم يكن محضاً قرأحاً يمدق
تزرأ كما استكرهت عائر نضجة من فأرة الملك التي لم تغفد

وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه . . ولا بد هاهنا من نبذ بسيرة أشغل بها للموضع : منها قوله :

صفي لسينك حين تنظر مقتل لكن لحظك سبهم حتف مرسل
ومن العجائب أن مَنى واحداً هو ملك سبهم وهو مَنى مقتل
وقوله في خطاب :

توددتُ حتى لم أَدع مَتَوَدِّداً وأفويتُ أقلامي عتاباً مُرَدِّداً
كأنى أستدعي بك ابن حنيفة إذا اللزع أدناه من الصدر أبداً
وقوله في أبيات يفضل فيها ، وإن كان قد كرر المعنى :

نظرت فأفصدت القواد بلحظها ثم اثنتُ عنه فظل يهيم
فالموت إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام وتزعَّمَنُ أليم

(١) انظر للوازنة للأمدى (ص ١١٤ بتحقيقنا) وفي الأبيات بعض اختلاف لا يشير للمنى .

ما اُخترد به
أبو تمام

أكثر الشعراء
اختراعاً ابن
الرومي

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه :

وما يسترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تبيختر
وغير عجيب طيب أنفاس روضة متورقة بانت راح وتمطر
كذلك أنفاس الرياض بسحرة طيب ، وأنفاس الورى تنضير

(٩١) - باب في أغاليط الشعراء والرواة^(١)

ولابد أن يؤتى على الشاعر المنطق ، والعالم المتقن ؛ لما بنى عليه الإنسان من
النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ، ولا يتأذى
على الباطل بكمالة وأنفة من الخطأ ؛ فإن تماديه زيادة في الخطأ الذى
أنف منه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الأمدى ، عن على
ابن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاهى مسلم بن الوليد
وأبو نواس ، فقال [مسلم] : ما أعلم بيتاً لك يحط عن سقط ، فقال أبو نواس :
أذكر شيئاً من ذلك ، فقال : بل أنشد أنت أى بيت شئت ، فأنشد
أبو نواس :

ذكر الصُّبُوحَ بسحرة فارتاحا وأمله ديكُ الصباح صياحا
فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديكُ الصباح ، وهو يبشره بالصبح ،
وهو الذى يرتاح إليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت ، فأنشده :

عاصى الشَّبابِ فراحَ غيرَ مُفْتَدٍ وأقامَ بينَ عزيمةٍ وَجَمَلٍ
فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنه راح ، والروح لا يكون إلا بالانتقال
من مكان إلى مكان ، ثم قلت « وأقام » فجملته منتقلا مقياً في حال ، هذا متناقض .

(١) ألف الرزبانى كتابه « للوشح » فى مأخذ العلماء على الشعراء ، وألف
المسكرى كتاب التصحيف والتحريف ، فيما ورد فى عبارات الرواة ورواياتهم
من التحريف .

قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له فخر جاز لم يفته .

مأخذ الأسمى على زهير ورده قال الأصمى : وأخطأ زهير في قوله « كاحمر عاد^(١) » ولا أدري لم خطأه وقد سمع قول الله عز وجل * (وأنه أهلك عاداً الأولى) * فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى ؟ وهي هلكت بالثل من ولد قحطان . قال قيس بن سعد ابن عبادة :

* سراويل عادٍي نمتُهُ نمود *

وكان يقال لنمود « عاد الصغرى » .

وخطأ الشماخ [في قوله] في وصف ناقته :

* رَحَى حَبْرُومَهَا كَرَحَى الطَّحِينِ^(٢) *

فلنه يصفها بالكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلاية لا غير .

وأخذ ابن بشر الأمدى على البحترى قوله :

مأخذ على الشماخ

مأخذ الأمدى على البحترى

(١) هذه قطعة من بيت زهير يقع في مملقته ، وهو بتامة :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كاحمر عاد ، ثم ترضع فتفطم

وحصل اعتراض الأصمى أن قوله « كاحمر عاد » فيه نسبة قدار عاقر ناقه نمود إلى عاد ، وهو مالا يصادقه عليه المارقون بالنسب والتاريخ ، وقد أجيب عن هذا الاعتراض بما ذكره المؤلف من أن عاداً يسمى به جماعتان ، وأنه يقال لنمود « عاد الأخرى » بدليل الآية ، وأنصار الأصمى لا يقرون هذا الجواب ويرحمون أن « الأولى » في قوله تعالى (عاداً الأولى) معناه السابقة التي كانت قبل نمود ، وليس يدل على أن هناك عادين . وحصل هذا أن الوصف آتى به للإيضاح لا للاحتراز .

(٢) صدره * فضع للرحمى ركبت إليه * والرحمى : الذي يرجى لنوابه الدهر . وركبت إليه : بركت عنده . ورحى حيزومها : كر كرتها ، شبهها بالرحى في الصلاية ، لافي العظم ؛ لأنه مما يعاب في الإبل ، وسيدكر لك المؤلف ذلك

هَجَرْنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبِيهَا فِي الصُّدُودِ تَهْتَرُ وَشَقَى
قال : هذا غلط^(١) ؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، يقظى كانت
أو وشقى أو ميتة ، والجيد قوله :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكُرَى إِنْ جِثْتُ وَشَنَانَا
وأنا أقول : إن مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها^(٢) عليه لآزاره في المنام إلا
مهجوراً ، ولآزار جملة ، فالمنى حينئذ صحيح لافساد فيه ، ولا غلط ، ولعل
الرواية « وكادت^(٣) » وهذا موجود في كلام الناس اليوم ، ومثله يقولون « فلان
لا يرى لي مناماً صالحاً » وليس بين يتي البحرى تناسب من جهة المعنى جملة
واحدة ؛ لأنه أولاً يحكى عنها ، وثانياً يحكى عن نفسه ، بل إن في اللفظ
اشتراكاً ظاهراً .

وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله :

مما الوحش إلا أن هاتاً أو انسُ قَنَّا انْطَلُ إِلَّا أَنْ تَلِكْ ذَوَابِلُ

قال : فيه غلط من أجل أنه نفى عن النساء لين القنا ، وإنما قيل للمراح
« ذوابل » لئليها وتثنيتها ، فنفى ذلك أبو تمام عن قنود النساء التي من أكل
أوصافها اللين والتثني والانطاف .

قلت أنا : أما أبو تمام فقوله الصواب ؛ لأنهم يقولون « رمع ذابل » إذا
كان شديد الكعوب صلياً ، وهو الذي تعرف العرب ، ومنه قولهم « ذبلت
شفتاه » إذا ييستا من الكرب أو العطش أو نحوها ، فأما كلام المعترض فغير
معروف إلا عند المولدين ؛ فليهم يقولون « نَوَارَةٌ ذَابِلَةٌ » وليسوا بقدوة ؛ على
أن كلامهم راجع إلى ماقلناه ، إنما ذلك لقلة اللائية وابتداء اليبس ، وإنما
نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الأمدى^(٤) .

(١) انظر كتاب الموازنة للأمدى (ص ٣١٤ من الطبعة الثانية بتحقيقنا) .

(٢) كذا ، ولعله « ونحوها عليه » (٣) هي كذلك في جميع نسخ ديوانه

(٤) انظر للموازنة ١٣٠ .

قال الأصمعي^(١) : قرأتُ على أبي محرز خلف بن حيان الأحمري شِعْرَ جرير ،
فلما بلغت إلى قوله :
جمد
ورده

وليل كاهبهم الجباري محبب إلى هواه غالب لي باطله
رزقنا به الصيد التريير ولم نسكن كن نبله محرومة وحياله
فيالك يوماً خَيْرُهُ قبل شره تنيب واشيه وأقصر عاذله

قال خلف : ويحه ، ما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ قلت : هكذا قرأته على
أبي عمرو بن العلاء ، قال : صدقت ، وكذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح
لألفاظه ، وما كان أبو عمرو ليقترنك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يكون
قال : الأجود أن يكون « خيرهُ دون شره » فاروه كذلك ، وقد كانت الرواة
قديمًا تصلح أشعار الأوائل ، قلت : والله لا أرويه إلا كذا .

قلت أنا : أما هذا الإصلاح فمليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ، وذلك
أن الشاعر أراد أنه كان ليلة في وصال ، ثم فارق حبيبته نهاراً ، وذلك هو الشر
الذي ذكر ، والرواية جملة لم يفارق فغير عليه المعنى ، إلا أن تكون الرواية
* ويوم كاهبهم الجباري * فحينئذ .. على أن « دون » تحتل ما قصد ، وتحتل
معنى قبل ؛ فهي لفظة مشتركة ، وتكون أيضاً بمعنى بعد ؛ لأنها من الأضداد ،
ولكن في غير هذا الوضع .

مأخذ على بشامة
ابن الغدير
وخطأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته :
وصدّر لها مهيع كالخليف تخال بأن عليه شليلا
لأن من صفة النجائب قلة البربر .

مأخذ على كعب
ابن زهير
وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته :
فَمَهْ مَقِيدُهَا مَضَحْمٌ مَمْلُدا *
لأن النجائب دقيقات الذماح .

ونبه أبو الفضل بن الصيد على البحترى في بيت كسره ، وهو قوله :
ولماذا تَدْبَحُ النفسُ شيئاً جعلَ الله الفردوسَ منه جزاء
قال ننشده :

* جعل الله أخلطَ منه جزاء *

ليستقيم ، حكى ذلك الصاحب بن عباد . . وأنشده أيضاً :

أبا غالب بالجود تذكر واجبي إذا ماغنى الباخلين نسيه

وزعم أنه لحن ، ولست أرى به بأساً ، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه
بناء القافية ، فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تسكن الهاء إلا مكسورة إبتداءً لما
قبلها ، لا سيما وهي طَرَفٌ ، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة . . وقال
رؤبة :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرَفِ *

ولم يقل أَيْدِيَهُنَّ بالضم استقلالاً ، وإيضاً فكأنه - أعني البحترى - نوى
الوقوف ، ثم جر القافية كما دتهم في تحريك الساكن أبداً إلى الجر
وأنشد الصاحب بن عباد قال : أنشدني علي بن المنجم ، قال : أنشدني أبو
النوثر لأبيه :

وأحقُّ الأيام بالأنس أن يؤثرفيه يوم المهرجان الكبير

وأنا أقول : إن أبا النوثر جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية ، فويل
للآباء من أبناء السوء ، ودع المثل القديم ، ولا أظن البحترى قال إلا :

وأحقُّ الأيام بالأنس أن تؤثرفيه يوم المهرجان الكبير

وأخذ الأحمر على الفضل روايته في قول امرئ القيس :

* تَمَسُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا *

مأخذ على
البحترى

مأخذ على
الفضل في
روايته

وما هو إلا « نمش » أى : نمسح ، وللشوش اللنديل .
وكذلك قول الفضل :

وإذا ألم خيالها طرقت عيني فناء شجونها^(١) سَجَمُ
وإنما هو « طرفت » بالفاء .
وأخذ عليه الأصمعي في قول أوس :

* تصمت لئلا تُولِّكَا جَدْعَا *^(٢)

وإنما هو « جدعا » بدال مكسورة غير معجمة ، ولأمر ما قال ذو الرمة
لموسى بن عمرو : اكتب شمرى ، فالكتاب أعجب إلى من الحفظ ؛ لأن الأعرابي
ينسى الكلمة قد تمب في طلبها ليلة ، فيضع في موضعها كلمة في وزنها ، ثم ينشدها
الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام .

قال الأخطل : أخطأ الفرزدق حيث قال :

أبني غَدَانَةَ إِنِّي حَرَرْتُكُمْ مَوْهَبَكُمْ لِعَطِيَّةِ بْنِ خُفَالٍ
لَوْلَا عَطِيَّةٌ لَاجْتَدَعْتُ أَنْوَفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأَيْمِ أَوْجُهُ وَسِبَالٍ

كيف يكون وهب له وهو يهجوم هذا الهجاء ؟ فأنبرى له فتى من بني تميم
فقال : وأنت الذي قلت في سويد بن منجوف^(٣) :

فما جَذَعَ سَوْءَ خَرَقِ السَّوْسِ بَطْلَنَهُ لَمَّا حَمَلْتَهُ وَائِلٌ بِمَطِيقِ
أردت هجاءه فزعت أن وائلا تعصب به الحاجات ، وقَدَّرُ سويد لا يبلغ
ذلك عندهم ، فأعطيته الكثير ، ومنعته القليل ، وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان
الباهلي ، وأن تصغر شأنه ، وتضع من قدره ؛ فقلت :

وَسَوْءَ حَاتِمًا أَنْ لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّبْرَانِ نَارُ

(١) أحسبه * ... شاء شؤونها . . . *

(٢) صدره * ودات هدم عار نواشرها * وقد عاب قوم على أوس هذا
البيت ؛ لأنه مسمى الصبي « توليا » وإنما هو ولد الجمار .
(٣) انظر للوشح للفرزدق ١٣٣ وما بعدها .

ما أخذ على
الفرزدق ، وعلى
الأخطل

فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ، ومنعته مالا يضر منه ؛ وأردت أن تمدح سماكا الأسدي قتل : .

نعم المجير سماك من بني أسد بالطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالآن طير عن أبواب الشر^(١)
فانصرف الأخطل خجلا .

قال الحسن لمي بن زيد : أرايت قول الشاعر :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتي وبنت القبيلة
مدحه أم هجاء ؟ قال : مدحه وهجا قومه ، فقال الحسن : ما مدح من
هجي قومه .

معذرة عن
الناينة

وقال من اعتذر للناينة في قوله :
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن اللئى عنك واسع
إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم
إنما كانت فيه ؛ لشدة حر بلادهم ، فصار ذلك عندهم متعارفا .
وكذلك اعترفوا زهير [في قوله] يصف الضفادع^(٢) :

معذرة عن
زهير

يخرجن من شرابات ماؤها طحل على الجدوع يحفن القمر والفرقا
فقال : لم يرد أنها تخاف الفرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب
من الحيوان من الماء ، فسكانه مبالغة في التشبيه ، كما قال الله عز وجل :
(وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال) وقال : (وبلغت القلوب الحناجر)
والقول فيهما عمول على « كاد » هكذا ذكر الحذاق من المفسرين ، مع أنا
نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة ، خوفاً على نفسها من
الملسكة ، فكانه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشرابات ، وإنما اقتدى فيه
بقول أوس بن حجر :

فباكرن جونا للملاجير فوقه مجالس غرقى لا يحل ناهله

(١) في الأصول « فأنبؤه » (٢) انظر للوازنة ص ٣٥ .

مأخذ على
أبي نواس

وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله :
رأيتُ كلَّ من كان أحقًا معنوهاً في ذا الزمان صار المقدَّم الوجيها
ياربَّ نذل وضعيع نوهته تنوحيها هجوته لَكيا أزيدَه تشويها
ولم يقل أبو نواس - فيما علمتُ - إلا « رب وضعيع نذل » وهذا أفرط
في التعمص والحية على أبي نواس وغيره لمن لا يُجْزَى في حَلْبَتهم ولا يُشَقَّ
غبارهم .

(٩٢) - باب ذكر منازل القمر

سر ذكر المؤلف لهذا الباب
ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنوائها ؛ لأنها مسقف
ببوتهم ، وسبب معاشهم واتجاعهم - غلطوا فيها فقال أحدهم : من الأنجم
المرزُ والراححة .. وقال امرؤ القيس .

« إذا ما التُّرْبِيَّا في السماء تَمَرَّضَتْ »^(١)

فأتى بمرض الجوزاء ، ورأيت كل من عُني بالنجوم من المحدثين واستوفى
جميع المنازل مخطئاً ، لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها ،
والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ، ولذلك قلت أنا احتياطاً في الليل من نسيب
قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه :

قد طَالَ حتى خلتهُ من كل ناحية وَسَطُ
وتكررت فيه لنا زَلُّ مِنْهُ لا مِثْلُ الضَلَطِ

وجب أن أذكر هذه المنازل وأنوائها ، واختلاف الناس فيها ، وعولت
في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، مجتهداً فيما
استطعت من البيان والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

(١) مجزة * تمرض أثناء الوشاح الفصل * وهو بيت من معلقته .

السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً ، زيد فيه يوم لتشكل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثنى عشر ، لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ، وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته ؛ لأنها تسر ثلاثين درجة : خمسة عشر من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت ، هكذا قال الزجاجي .

وإذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالعداء ويغرب رقبه فلذلك النوء لا يتفق لكل منزلة إلا مرة واحدة في السنة ، وهو مأخوذ من « ناء ينوء » إذا نهض متثاقلاً ، والعرب تجمل النوء للغارب ؛ لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى : (ما إن مفاعه لقتوه بالصبية أولى القوة) أى : تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب ، قال : وبعضهم يحمله للعالم ، وهذا هو مذهب المنجمين ؛ لأن العالم له التأثير والقوة ، والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال للبرد : النوء على الحقيقة للعالم من الكوكبين ، لا الغارب ، وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ، ويغرب في المغرب ، كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته .

الربع الأول من السنة ، وابتدأه من سبعة عشر يوماً من آذار ، وبعضهم
الربع من السنة
الربيع يجعله في عشرين يوماً منه ، فيستوى حينئذ الليل والنهار منه ، ويطلع مع العداء
المواء فرج الدلو الأسفل ، وهو المؤخر ، ويسقط المواء ، وإليها ينسب النوء ، وهى
تمد وتقصر ، وصفتها خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب إلى اليسار ،
وبذلك سميت ، وتقول العرب : عويت الشيء ، إذا عطفته ، وقال آخرون :
بل هى كأنها خمسة أكلب تموى خلف الأسد ، قال ابن دريد : هى دبر الأسد ،
والعواء فى كلامهم الدبر .

نوء السباك

النوء الثاني : السباك ، وهما سما كان : أحدهما السباك الأعزل ، نجم وفاد ، شبهوه بالأعزل من الرجال ، وهو الذي لا سلاح معه ، وهو منزل القمر ، والآخر : كوكب تقدمه آخر ، شبهوه بالرمح ، وهما سافا الأسد ، وسى سماكا لعلوه ، ولا يقال لشيره إذا علا سباك ، هكذا قال سيويوه مما حكى الزجاجى عن أبى إسحاق الزجاج ، غير أنه قال فى الأعزل : وقيل إنما سبى أعزل لأن القمر لا ينزل به .
وأنا أقول : القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ، ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم .

الفقر

النوء الثالث : الفقر ، وهو ثلاثة كواكب غير زُهر ، وبذلك سميت ، من قولك : غَفَرْتُ الشيء ، إذا غَطَّيْتَهُ ، ومنه سميت الففارة التى تلبس ، وقيل : إنما سبى غفراً من الففرة ، وهى الشعر الذى فى طَرْفِ ذَنْبِ الأسد ، وقال أبو عبيدة : الفقر كل شعر صغير دون الكثير ، وكذلك هو فى الریش ، وقال قوم : هو من التمسك فى المرض ، يقال : أغفر للمريض ، إذا نكس ، كأن التمسك غطاء المافية .

الزبانان

النوء الرابع : الزبانان ، كوكبان مفترقان ، وهما قَرْنَا المقرب ، وقيل : يداها ، وسميا زبانيْن ليعد كل واحد منهما عن صاحبه ، من قولهم : زَبَنْتُ كذا ، إذا دفعته لتبعده عن نفسك ، ومنه اشتقاق الزبانية : لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

الإكليل

النوء الخامس : الإكليل ، ثلاثة كواكب على رأس المقرب ، وبذلك سميت إكليلًا .

القلب

النوء السادس : القلب ، كوكب أحمر وفاد : جملوه للمقرب قلبًا ، على معنى التشبيه .

الشولة

النوء السابع : الشولة ، كوكبان أحدهما أخفى من الآخر ، وهما ذَنْبَا المقرب ،

وذنب العقرب شائل أبداً ، فشيبه به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب ، وهم أهل الحجاز ، وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

الربع الثاني : الصيف ، أول أنواته « النعام » وهي ثمانية كواكب نيرة :
 من السنة أربع منها في الهجرة تسمى الواردة ، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت
 بالصيف بالخشبات التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء .

الثاني من الصيف « البلدة » وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، لكن بمجوارها
 كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيها بالفرجة التي بين
 الحاجبين ، إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه : رجل أبلد ، ويقال : بل شبهت
 بالبلدة ، وهي باطن الراحة كلها ، وقيل : باطن ما بين السبابة والإبهام .

الثالث منه « سعد الدايح » وهما نجمان صغيران : أحدهما مرتفع في الشمال
 معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح ، والآخر هابط في الجنوب .

الرابع منه « سعد بلع » وهما كوكبان صغيران مستويان في الهجرة ، شبها
 بضم مفتوح ، يريد أن يبتلع شيئاً ، وقيل : إنما قيل بلع كأنه بلع شاته ، وبلع غير
 مصروف ؛ لأنه معدول من بالغ ، مثل زفر وقم ، وسعد مضاف إليه .

الخامس منه « سعد السعود » وهما كوكبان : أحدهما أنور من الآخر ، سمى
 بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات .

السادس منه « سعد الأخبية » وهما كوكبان عن شمال الخباء ، والأخبية أربعة
 كواكب : واحد منها في وسطها يسمى الخباء ؛ لأنها على صورة الخباء ، وزعم
 ابن قتيبة أنه سمى بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام ، وخروج ما كان
 مختبئاً .

السابع : فرع الدلو الأعلى ، وهو للقدم ، وبعضهم يسميه المرقوة العليا تشبيها بفرع الدلو الأعلى

بمرقوة الدلو ، وهما كوكبان مفترقان نيران ، وقيل له « دلو » لأنه تأنى فيه الأقطار العظيمة ، ويقال : بل سميا بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذى يفرغ منه الماء .

ربيع السنة الثالث الحريف مضيئان بينهما بعد صالح يقتبعان المرقوة العليا .

الحوت ثم الحوت ، وهو كوكب أزهر نيرى وسط السمكة .

الشرطان ثم الشرطان ، وهما كوكبان مفترقان مع الشمال ، منهما كوكب دونه فى القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جمل نفسه علامة فقد شرطها ، ومنه سمي الشرط ؛ لأن لهم علامة عرفوا بها .

البطين ثم البطين : وهو ثلاثة كواكب طمس خففيات ، وهو بطن الحمل ، إلا أنه قد صفر .

الثريا ثم الثريا ، وهو النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق ، وأكثر الناس يحملها سمعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعا ، سميت بهذا لأن متعرجا عنه تكون الثروة وكثرة العدد والفنى ، وهى تصغير ثرى ، ولم ينطق بها إلا مصغرة .

الدبران ثم الدبران ، كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص ، وقيل له « دبران » لأنه دبر الثريا ، أى : جاء خلفها ، ويقال له أيضا « الراعى » و « التالى » و « التابع » و « الحادى » على التشبيه .

الحقعة ثم الحقعة ، سميت بهذا تشبيها بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس ، وصورتها ثلاثة أنعم صغار متقاربة كآثار رءوس أصابع ثلاث فى ترى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإمهام ، وهى رأس الجوزاء .

الربع الرابع: الشتاء ، وهو آخر أرباع السنة ، وأول أنوائه « المنعة » سميت بذلك لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منطفئ على صاحبه ، من قولك : هتفه ، إذا غطف بعضه على بعض ، واقترانهما في الهجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة .

الذراعان ثم الذراعان ، وهى ذراع الأسد للبسطة والمقبوضة : كوكبان يتران بينهما كواكب صغار تسمى الأظفار .

النثرة ثم النثرة ، وهى لطحنة لطيفة بين كوكبين ، وهى عندهم ما بين فم الأسد وأنفه ، ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حيال وَرَةِ الأنف ، وقيل : إنما سميت نثرة لأنها كقطعة سحب نثرت .

(الطرف) ثم الطرف ، عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى عينا الأسد مرأى العين .

الجبهة ثم الجبهة ، أربعة كواكب معوجة ، فى المياني منها بريق ، وهى جبهة الأسد عندهم .

الزبرة ثم الزبرة ، نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ، ويقال لهما « الخرتان » كأنهما نفذا إلى جوف الأسد ، والعيان يبطل ذلك ، كما قال الزجاجى .

الصفرة ثم الصفرة ، كوكب وقاد عنده كواكب طمس ، سمى بذلك لانصراف البرد لسقوطه .

فهذه عدة المنازل وصفاتها ، وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس ، وحظهما فيه واحد ؛ لظهورها معه ، وتسمى نجوم الأخذ ، كأن الأرض تأخذ عنها بركات المطر ، وقيل : لأخذ الشمس والقمر سمتهما فى سيرها .

(٩٣) — باب في معرفة الأماكن والبلدان

حد الحجاز قال أبو عبيدة : الحِجَاز هو ما بين الجحفة وجبل طي ، وإنما سمي حجازاً لأنه حَبَّرَ ما بين مجد والقوز ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي : إذا خلقت حَجْراً مُصْعِداً فقد أُنْجِدَتْ ، فلا تزال مُنْجِداً حتى تنحدر من ثلأيا ذات عِرْقٍ ، فإذا ضلت فقد أَتَهَتْ إلى البحر ، فإذا عرضت لك الجِرَارُ وأنت مُنْجِدٌ فذلك الحجاز ، وإذا تَصَوَّيْتُ من ثلأيا التَرْجِ واستقبلت المَرْخَ والأراك فقد أَتَهْتَ ، وسمي حجازاً لأنه حَجَزَ ما بين نجد وتهامة ، فأما محمد بن عبد الله الأسدي فقال : حد الحجاز الأول بطن تَحْنَلَة وظهر جدة ، والحد الثاني مما يلي الشام شَمْعِي ^(١) وبَدَا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع ساية [و] ودان ، ثم تنحدر إلى الحد الأول بطن نخل .

الجزيرة وأما الجزيرة فإِنَّهَا ما بين دِجْلَة والفُرَات والموصل ، والسودان : سواد البصرة والأهواز ودست ميسان وفارس ، وسواد الكوفة كسكر إلى الزاب وحاولان إلى القادسية.

جزيرة العرب وجزيرة العرب قال أبو عبيدة : هي في الطول ما بين حَقِيرِ أَبِي مُوسَى إلى أَقْصَى الثَمِين ، وفي العرض ما بين يَمِينِ إِلَى السَّوَاةِ .

وقال الأصمعي : هي ما بين بَجْرَانِ والمُذَنَّبِ ، حكاه ابن قتيبة عن الرياشي ،

(١) في الأصول « شعب » بالعين للهمة ، وصوابه ما أثبتناه ، وفيه وفي « بدا » يقول كثير :

وأنت التي حَبِيت شَمْعِي إلى بَدَا ، وأوطاني بلاد سواها

قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق ، وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام .

العراق

وقيل : سمي العراق تشبيهاً بعراق الزائدة ، وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ، وقال بعضهم : هو جمع عرق ؛ لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض ، وقيل : إن اسمه كان بالقارسية « إيران شهر » أي : أسفل الأرض ، فمررت .

الشام واليمن

وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمية ، وهي الشمال ؛ لأن اليمن يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ، ويقال « شام » بالهمز والتخفيف ، ومنهم من جعل الشام جمع شامة ، وهي النكثة تكون في الجسم سوداء أو نحو ذلك ، وكذلك في الأرض .

قال ذو الرمة :

وإن لم تكوني غير شامٍ بفقرتي نجر بها الأذيل صيفية كدري

(٩٤) — باب من الزجر والعيافة

الفرق بين
القال والطيرة

وعنهما يكون القول والطيرة ، وبين الطيرة والقول فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ؛ وذلك أن القول تقوية للعزيمة ، وتخصيص على البنية ؛ وإطماع في النية ؛ والطيرة تكسر النية ، وتصد عن الوجهة ، وتثني العزيمة ، وفي ذلك ما يعطل الإحالة على المقادير .

الرسول يحب
القال ويكره
الطيرة

وقد تفادى النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة في قوله : « لا عدوى ، ولا طيرة » ، ولا هامة ، ولا صقر وقد تقدم ذكرها ، وقيل في الهامة : إنها هذه المعروفة .

والطيرة من أحد شيئين : مشتقة إما من الطيران ، كأن الذي يرى ما يكره اشتقاق الطيرة

أو يسمي طير ، كما قال بعضهم :

عَوَى الذَّبُّ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذَّبِّ إِذْ عَوَى
وَصَوَّتْ لِنَسَانٍ فَكَيْدَتْ أَطِيرُ

وإما من الطير، وهو الأصل والختار من الوجوه، هكذا ذكر الزجاجي. وكانت العرب تزجر الطير والوحش؛ فن قال بالقول الأول احتج بأن الوحش يُطَيَّر بها، وزجرت مع الطير، ومن قال بالقول الثاني قال: إنما كان الأصل في الطير، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يطلب أحد الشئيين على الآخر فيذكر دونه ويراد أن جميعاً.

الرجوع عند
العرب

أنشد الجاحظ :

ما يصفُ اليومَ في الطير الدَّوْحَ من غُرَابِ البَيْنِ أَوْ تيسِ بَرَحٍ
قال: فجعل التيس من الطير؛ إذ قدم ذكر الطير وجهه من الطير في معنى التطير، والعرب تتطير بأشياء كثيرة: منها المعطاس^(١)، وسبب تطيرهم منه دابة يقال له المعاطوس يكرهونها، والغراب أعظم ما يتطرون به، والقول فيه أكثر من أن يُطلب عليه شاهد، ويسمونه حاتمًا؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك؛ إذ كان أصح الطير بصراً، ويقال: سعى أعور لقولهم: «عَوَّزْتُ الرجلَ عن حاجته» إذا

(١) وفيه يقول امرؤ القيس:

وقد أغتدى قبل المعطاس بهيكل شديد، منيع الجيب، ثم للمطق
أراد أنه يتنبه للصيد قبل أن يتنبه أحد لئلا يسمع عطاساً فيتشام به؛ وكانوا إذا عطس من عبثه قالوا له: «عمرأ وشبابا» وإذا عطس من عبثه قالوا له: «وريا وقحابا» والورى - بفتح فسكون - داء يصيب الكبد فيفسدها؛ وكان الرجل منهم إذا عطس قال: «كلاي» وكان تشاؤمهم بالمعلقة الشديدة أشد.

رددته عنها ، وقد اعتذر أبو الشَّيْصِ الغراب وتَعَطَّرَ بالإبل — وإن كان غير مسبقه
إلى المعنى — فقال :

الناسُ يَلْمَحُونَ غِرا بَ البين لما جعلوا
وما على ظهر غرا بَ البين تطوى الرحلُ
ولا إذا صاحَ غرا بَ في الديار احتملوا
ما فرَّقَ الأحبابَ بَدَّ الله إلا الإبلُ
وما غرابُ البينِ إلا لاءَ ناقةٌ أو جملُ

هكذا رويته ، وبعضهم يحمل الشعرُ * ما قرب الأحباب * وبعده * والناس
يلحون . . * بواو مكان المزمرة يعطف بها

وقال آخر ملح وظرف :

زعموا بأنَّ مَطَبَهُمْ عَوْنُ النوى وللمؤذناتُ بَفَرْقةِ الأحباب
لو أنها حَتَفِي لما أَبْضَتْها ولهاهم سَبَبٌ من الأسباب

ويتطرون بالمرْد ، ومن أسمائه الأَخِيل ، والأَعْطَب ، ويقال : الأَخِيل ما يتطرون به
الشقراق ، ويقال : بل طائر يشبهه ، والولق أيضاً المرْد ، قال ^(١) زبَّان بن منظور
الفَرَازى في حديث له كان مع نابعة بنى ذبيان — وقد تعلير من جرادة سقطت
عليه فرجع من الفزو ومضى زبَّان ففتقر وغنم :

(١) روى للؤلؤ هذه القصيدة معكوسة ، ولم يصب في ضبط أعلامها . والصواب
فيها أن النابعة الديباني كان يسير مع زياد بن سيار يريدان الفزو ، فرأى زياد
جرادة ، فقال : حرب ذات ألوان ، ثم رحع ، ومضى النابعة في سبيله ، فصار خج غانما قال :
يلاحظ طيرة أبدا زياد لتخبره ، وما فيها خير
أقام كأن بسمان بن عاد أشار له بحكته مشير
وبعد هذين البيتين البيتان اللذان رواهما للؤلؤ (وانظر ديوان النابعة ص ٦٥).

تَلَمْ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَكَلِّفٍ ، وَهِيَ الثَّبُورُ
بِلى شئٍ يوافق بعض شئٍ أَحَابِيتَنَا ، وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ
يَقُولُهَا فِي آيَاتٍ لَا أَقِفُ عَلَى ^(١) جَعْلَتَهَا .

وَقَالَ شَاعِرٌ قَدِيمٌ لُزْبَانَ أَيْضًا :

لَا يَجْمَعُنِيكَ مِنْ بَقَا ۖ الْخَيْرُ تَعَقَادُ التَّحَامُ
لَا ، وَالتَّشَاؤُمُ بِالْعَطَا ۖ سِ وَلَا التَّيَامُنُ بِالْمَقَامِ
وَقَدْ عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ
وَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا ۖ مِنْ ، وَالْأَيَامُ كَالْأَشْأَمِ
قَدْ خُطَّ ذِكُّهُ فِي الزُّبُو رِ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمِ
وَيَتَشَاءُمُونَ بِالْثُبُورِ الْأَعْصَبِ ، وَهُوَ لِلْكُسُورِ الْقَرْنِ .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ يَنْفَى الطَّيْرَ وَيُدْفِعُهَا عَنْ قَبْضِهِ :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرُ هُمُ ۖ أَصْلَحَ غَرَابُ أُمِّ تَمْرُضَ تَمْلَبِ
وَلَا السَّاحَتُ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةَ ۖ أَمْرٌ صَحِيحُ الْقَرْنِ أُمُّ مَرٍّ أَعْصَبِ
وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ يَشْبَهُ بَيْتَ الْأَعْشَى الَّذِي أَنْشَدَهُ الْجَاهِلِيَّةُ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ «فَلَانُ كِبَارِحُ الْأُرُي» فِيهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأُرُيَ
يُتَشَاءَمُ بِهَا ، فَإِذَا كَانَتْ بَارِحًا فَقَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي قُرُونِ
الْجِبَالِ ، وَلَا تَكَادُ تَكُونُ سَاعِمَةً وَلَا بَارِحَةً .

وَفِي السَّاحِ وَالْبَارِحِ اخْتِلَافٌ : قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ : سَأَلَ يُونُسُ رُبُوبَةً عَنْ
السَّاحِ وَالْبَارِحِ ، فَقَالَ : السَّاحِ مَا وَلَاكَ مِيَامُهُ ، وَالْبَارِحُ مَا وَلَاكَ مِيَامَرُهُ ،

السَّاحِ
وَالْبَارِحِ

(١) انظر الهامشة التي قلناها في الصفحة السابقة .

قال ابن حريذ : السانع يقيم به أهل نجد ويتشامون بالبارح ، ويخالقهم أهلُ العالية فيتشامون بالسانع ويتيمينون بالبارح .

قال الشاعر الهذلي يذكر امرأته :

زَجَرْتُ لها طير السنيع فإن يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنبها
قال : والسانع : الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك ، والبارح الذي يلقاك وشماله
عن شمالك ، والجابج والناطح : اللذان يستقبلانك ، والقميد : الذي يأتيك
من ورائك .

قال صاحب الكتاب : السكارس الذي ينزل عليك من الجبل ، حكاة
التمالي ، قال أبو جعفر النحاس : السنيع عند أهل الحجاز : ما أتى عن اليمين إلى
اليسار ، والبارح عندهم : ما أتى من اليسار إلى اليمين ، وهم يتشامون بالسانع ،
ويتيمينون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانع عندهم هو البارح عند
أهل الحجاز .

وقال المبرد : السانع : ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح : ما أراك
ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

وقد يتطرون من البازي والتراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ، ويتيمين
بها آخرون .

ومن مליح ما رأيت في الزجر والعيافة ، قال الصولي : كان لأبي نواس
إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسول
معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً ، وحزموه بزير وختموه بخار ، وتقدموا إلى
رسولهم أن يرى بالكتاب من وراء الباب ، فرمى به ، فلما رآه استعلم خبرهم فلم
أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فأنشدهم :

زجرت كتابكم لما أتاني كزجرت سوانح الطير الجوارى

من مليح
الزجر

نظرت إليه غزوماً بزير على ظهر ، وغضوماً بقار
قلت : الزير لمهية ومُلهي وقلت : القار من دن العقار
وقلت : الظهر أهيف وذو جال تركب صدغه فوق العذار
فجئت إليكم طرباً وشوقاً فا أخطأت داركم بداري
فكيف ترونني وترون زجري آئت من الفلاسفة الكبار؟!

(٩٥) — باب ذكر المماثلة والتشبيح

حققة المماثلة العظام في التوافق : التضمين ، حكاة التحليل بن أحد ، وزعم قدامة أن المماثلة
واشتقاقها سوء الاستعارة ، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ، ومنه « تماثلت
الجراد والكلاب » وأنشد قدامة بيت أوس بن حَجَر:
وذاث هذيم عارٍ نواشِرُهُما تُصِمْتُ بالماء تَوَلَّبا جدعا^(١)
لأنه قد أساء الاستعارة عنده ؛ لجله الطفل تولبا ، وهو ولد الحمار .

التشبيح وأما التشبيح فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال « كلام مشبيح » حتى
يكون هكذا ، ويقال : رجل مشبيح الخلق ، إذا كان طويلاً في اضطراب ،
والتشبيح عند الصولي في الخط ألا يكون بيتاً ، وكذلك هو الكلام .
رأى آخر وزعم قوم أن المماثلة تداخل الحروف وتراكبها ، كما عيب على كعب بن
في المماثلة زهير قوله :

تجملو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه مُنْهَلٌّ بالراح مَمْلُؤُ
وعاب ابن العميد حبيباً لقوله :

كريم متى أمده أمده والورى متى مالت له لته وحدى
بالسكر يرفى « أمده أمده » مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة ، وهما مما
من حروف الخلق ، وقال : هو خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل النفاذ ،
حكى ذلك عنه الصاحب بن عباد .

(١) انظر ص ٢٥٠ السابقة .

وزعم آخرون أنها ترصيب الشيء في غير موضعه ، كقول الكيت رأى ثالث في
ابن زيد :

وقد رأينا بها حوراً مُنَمَّعةً بيضاً تكلّ فيها الدلّ والشنبُ
وهذا البيت مما عابه عليه نصيب .
ومثله عندي قول أبي الطيب :

يحمل المسك عن غداثرها الريح ويفترّ عن شنب^(١) برود

(٩٦) — باب الوحش المتكلف ، والريك المستضعف

الوحش من الكلام : ما فر عنه السمع ، والتكلف : ما بُدّ عن الطبع ،
والريك : ما ضمت بنيته ، وقَلَّتْ فائدته ، واشتقاقه من الرِّكة ، وهى للطر
الضعيف ، وقيل : من الرك ، وهو الماء القليل على وجه الأرض .
والريك

وأشد النحاس

تهادى كقوم الرِّكة يقطعه الحيا بأبطح سهل حين تمشى تأوداً
و«فلان ريك» أى : ضيف العقل ، ويقال للوحش أيضاً : حوشى ، كأنه
منسوب إلى الحوش ، وهى بقايا إبل وبَآر بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها
ونفت عنها الإنس ، لا يطلوها إنسى إلا حَبَلُوه .
قال رؤبة :

* جَرَّتْ رجالاً من بلاد الحوش *

وإذا كانت اللفظة حَشَنَة مستترية : لا يملها إلا العالم اللبّز ، والأعرابي القح؛

(١) فى الأصول « عن شنب » وهو تصحيف ، والشنب : الثغر الذى فيه
الشنب ، وهو حدة الأسنان ، وقيل : الرقة والمنوبة . والبرود - يفتح الباء -
البارد

فذلك وَخَشِيَّةٌ ، وكذلك إن وقت غير موقعها ، وأتى بها مع ما ينافرها ، ولا يلائم شكلها .

وكان أبو تمام يأتي بالوَخَشِيَّةِ الخشن كثيراً ويتكلف .

وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته ، نحو قوله :

* كل آخائِهِ كرام بنى الدنيا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ كَرَامٌ *

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر ؛ لأن قوله « كل إخوانه » يقوم مقامه بلا مناهة .

ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شبابة :

هَبْنِي ظِلْمْتُ وما ظَلَمْتُ عَلَى ظَلَمْتُ أَفْرَكِي يَزِدَادَ طَوْلَكَ طُولاً
إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ لِلْأُمُولِ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ كَأَنَّهُمَا لَمْ يَخْرُجَا مِنْ بَنِي بَعِثَ وَاحِدٌ .

قال إبراهيم بن المهدي لمهدي لم يبد الله بن صاعد كتابه : إِيَّاكَ وَتَتَّبِعَ الْوَشْيَ مِنْ الْكَلَامِ طِمَعًا فِي نَيْلِ الْبَلَاغَةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْيُسْرُ الْأَكْبَرُ ، عَلَيْكَ بِمَا سَهَلَ مَعَ تَجَنُّبِكَ أَفْظَافِ السَّقْلِ .

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة :

لَمْ يَتَّبِعْ شُعْبَ اللُّغَاتِ ، وَلَا مَشَى رَشْفَ الْقَيْدِ فِي طَرِيقِ الْمُنْفَقِ
يَنْشَقُّ فِي ظِلِّ الْمَعَانِي إِنْ دَجِبَتْ مِنْهُ تَبَاشِيرُ الْكَلَامِ لِلْفَسَاقِ
وَقَالَ عَلَى بْنِ بَسَلَمَ :

وَلَا خَيْرَ فِي الْقَفْظِ الْكَرْبِيهِ اسْتِمَاعُهُ وَلَا فِي قَبِيحِ اللَّحْنِ وَالْقَصْدُ أَزْيَنُ

قال علي بن عيسى الرماني : أسباب الإشكال ثلاثة : التشهير عن الأغلب كالقديم والتأخير وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك ، وكل

أبو تمام وولده
بالوحي
واللتبي

أمثلة من
التكلف

من كلام
أبي تمام في
البلاغة

أسباب إشكال
الكلام

ذلك اجتمع في بيت القرزوق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبو يقر به

فالتنكير عن الأغلب سوء الترتيب ؛ لأن التقدير « وما مثله في الناس حتى يقر به إلا مملكا أبو أمه أبو » يريد بالملك هشام بن عبد الملك ، والممدوح هو إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك ؛ وأما سلوك الطريق الأبدي فقوله « أبو أمه أبو » وكان يُجْزئه أن يقول « خاله » وأما المشترك فقوله « حتى يقر به » لأنها لفظة « حتى » تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان [للتصف] بالحياة ، قال : وإذا تفقدت آيات المعاني رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة .

وحكى الصولى قال : أنشدني بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول البحرى في وصف البلاغة

البحارى للحسن بن وهب :

وإذا دَجَّتْ أَقلامُهُ ثم اتحت
فألفظُ يقربُ فهمه من بعده
حكمُ سحائبها خلالَ بنائه
كالروض مؤتلفاً بحمرةِ توره
وكانها والسمعُ معقودُ بها
وجه الحبيب بدا لعين محبه

واستاعدها أبو العباس حتى فهمها ، ثم قال : لو سمع الأوائل هذا الشعر لما فضّلوا عليه شعراً .

(٩٧) - باب الإحالة والتنكير

وهذه ملح أنيت بهما تدل من عرفتها على ردايتها ، وتدعو إلى كراهتها واجتنابها ، وقد وقعت في أشعار الجلالة من المتقدمين ، والنس لهم فيها العذر لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان ، وليس المولد الحضري منهم في شيء .

أمثلة من
الإحالة

فمن الإحالة قولُ ابن مقبل :
أما الأداةُ ففينا ضمرٌ صَنَعَ جودٌ حواجزَ بالأبوابِ واللجمِ
ونسج داود من بيضِ مصاعفٍ من عهدِ عادٍ، وبعدُ الحى من إرم
فكيف يكون نسج داود من عهد عاد ؟ اللهم إلا أن يريد فينا ضميرُ صنع
من عهد عاد ؛ فذلك له على سبيلِ المبالغة ، مع أن الإحالة لم تفارقه ، وكَم بين
قيس عيلان وبين عاد ، فـ_____ لا عن بُنى المجلان ؟ !

وقال عبد الرحمن بن حسان :
وإن مالَ الضبيجِ بها فدَعَسُ من السكُّبانِ مُلتَبِدٌ مَهِيلُ
قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهيلاً ؟ هذا مستحيل متناقض ، والذي عندي
فيه أنه صواب ؛ لأنه إما أراد بالتبادة صلابة لمس المجيزة ، وأنها غير مُسترخية
وجعله مهيلاً لارتدادِه واضطرابِه من العظم ، كما قال ابن مقبل :
يمشِينَ هَيْلَ النَّفَّاسَاتِ جَوَانِبُهُ يَهْأَلُ طُوراً ، وينهاهُ التَّرى حِيناً
فقد جعله مرة ينهال ، ومرة ينهال الترى والثنى الذى فيه . .
وقال جميل فى التخيير :

أمثلة من التخيير

لاحسناً حُسْنٌ ، ولا كدلالها دَلٌّ ، ولا كوقارها توقيرٌ
فغذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسناً^(١) ، وقد يغيرون
اللفظ كما قال النابغة :

ونسج سليم كلَّ قضاء ذائلٍ^(٢)

وهذا أسهل من قول الآخر :

(١) هذا فى قولها « لا حسناً حسن » لأنه يريد لا مثل حسنها حسن ، أو نحوه
(٢) فى الأصل « ذابل » بالباء موحدة ، وفى الديوان « ذائل » بالهمز ،
وصدر هذا قوله * وكل صوت ثلة تبمية * والصموت : السرعة الثقيلة التى =

مِنْ نَسَجَ دَاوُدَ أَيْ سَلَامٍ .
وهذا كثير يخرج منه في هذا للوضع ما ذكرت .

(٩٨) باب الرخص في الشعر

وأذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله إذا اضطرَّ إليه ، على أنه لا خير في
الضرورة ، على أن بعضها أسهل من بعض ، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل
به ؛ لأنهم أتوا به على جيلتهم ، والمولد المحدث قد عرف أنه عيب ، ودخوله
في العيب يلزمه إياه .

فمن ذلك قصر المددود على مذاهب أهل البصرة والكوفة جميعا ، وله -
على ما أجاز الكوفيون - وصل ألف القطع ، وهو قبيح . . قال حاتم طي :
أبوه أبي ، والأمهاتُ أمهاتُنَا فَأَنعمُ فذاك اليومُ أهلى وممشى
قال بعضهم : إنما الرواية « والأم من أمهاتها »
وله تخفيف المشدد في القافية ، وأما في حشو البيت فذكروه جداً ، وحذف
التنوين لالتقاء الساكنين ، وربما حذفوا النون الساكنة . . كما قال :
فَلستُ بِآتيهِ . وَلَا أَستطيعُهُ وَلَا أَستقيُّ إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ^(١)
وَأَنْتَ يَحذفُ لِلألفِ وَاللامِ أَوْ الإِضافة مَا يَحذفُ لِلتنوينِ مِثْلُ قولِ
خُفَّاف :

== إذا صبت لم يسمع لها صوت . والثقة - ومثلها الشرة - الواسعة من الدروع ،
والقضاء : الدرع للسحرة الحفنة للئس من جدتها لم تنسحق بعد ، والدائل :
الطويلة القليل ، ويقال : درع ذائل ودائلة .

(١) البيت للنجاشي (انظر كتاب سيويه ج ١ ص ٩) . وأصل الكلام :
« ولكن اسقى » لكنه لما اضطر حذف نون « لكن » تشبيها لها بالتنوين

كَتَوَاحِرِشْ حَامَةِ نَجْمَدِيَّةٍ وَمَسِيحَتِ رِبَالِثَيْنِ عَصَفَ الْإِمَامِ^(١)

وأن يحذف حرفاً من الكلمة كقول العجاج :

• قَوَاطِلًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَيَى •^(٢)

وحرفين كقول علقمة بن عبدة :

• مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَانِ مَلُفُومٌ •^(٣)

يريد بسبائب الكتان ، وأن يحذف من المسكن في الوصل ما يحذف منه

في الوقف . . كقول الشاعر :

• سَاجِلُ هَيْبَةٍ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا •^(٤)

وأقبح منه أن يحذف من المسكن المفصل كقول الآخر :

فَبَيِّنَاؤُ بَشْرِي رَحْلَهُ قَالِ قَاتِلُ : لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمَلَاطِ نَجِيبُ ؟

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير الموث . . أنشد قطرب :

أَمَا تَقُولُ بِهِ شَاةٌ فَيَا كَلَهَا أَوْ [أَنْ] تَبِيْعَةً فِي بَعْضِ الْأَرَاكِبِ

أراد « تبيعها » غذف الألف ، قال : ولا يجوز استعمال هذا المحدث

(١) أراد « كنواحي ريش - إلخ » غذف الياء مع الإضافة ضرورة تشبيها

بحال الأفراد والتثنية وحال الوقف ، يصف شفق امرأة فشبهها بنواحي ريش
الجمامة في رقتها ولطافتها وحوتهما ، وأراد أن لثانها تضرب إلى السمرة فكأنها
مسيحت بالإنماد .

(٢) أراد « إلجام » فغيرها إلى ماري ، وفي ذلك وجوه أحسنها أن يكون قد

حذف اليم الثانية للضرورة ثم قلب الألف ياء بعد كسر اليم الأولى .

(٣) صدره • كَانَ لِأَرْيَقِهِمْ ظِلٌّ عَلَى شَرْفٍ •

(٤) هذا عجز بيت المالك بن خريم الحمدي ، وصدره • فَإِنْ يَكُ غَثَا أَوْ

مَعِينَا فَإِنِّي • أراد « لنفسه » غذف الياء ضرورة . وصف ضيفاً وهو يقول : سأقدم
إليه ما عندي غثا كان أو معينا ، وأحكمه فيه ليختار أفضل ما ترى عيناه فيقتنع بذلك .

لشذوذه وقبحه ، ويجوز له حذف الهاء والواو من المضمر المذكر لكثرة وطراده ،
وللشاعر أن يحذف اسم « ليت » إذا كان مضمرًا . . . أنشد الفضل لعلق
ابن زيد :

فليت دفت المم عن ساعة فبتنا على ما خيلت نأمن بال
يريد « ليتك » وله حذف الفاء من « افتعلته » من التقوى وماتصرف منها ،
أنشد الفضل لخداش بن زهير :

تقوه أيا الفتیان؛ إني رأيت الله قد غلب الجدودا
وأنشد أبو زيد الأنصاري :

إنّ المنية بالفتیان ذاهبة وإن تقوها بأرماح وأدراع
وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال :

يا أفرع بن حابس لا أفرع إنك إن يصرع أخوك تصرع^(١)
قال سيبويه : تقديره^(١) إنك إن يصرع أخوك فتصرع .

ومثله أيضاً :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثان
يريد « فالفه يشكرها » وهذا أبين من الأول ، وحذف النون من تنبيه
« الذي » وجمعه

(١) في الأصول * إنك إن تصرع أخاك تصرع * وهو غير رواية سيبويه
وغیره من النحويين ، ولذلك أثبتنا روايتهم ، وفيما نقله المؤلف عن سيبويه خطأ
غير وجه الكلام وجعل المعنى فلسفاً ، وعبارة سيبويه (ج ١ ص ٢٣٦) هكذا
« وأراد إنك تصرع إن يصرع أخوك » ومعنى هذا أن جواب الشرط محذوف ، وجملة
« تصرع » مع نائب الفاعل في محل رفع خبر إن .

قال الأخطل :

أَبْنَى كَتَّيْبٍ إِنْ عَمِيَ الْقَدَا قَتَلَا الثُّلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ

وأنشد سيبويه :

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ يَفْلَحُ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ

أراد « الذين » وعلى هذا قال أبو الطيب :

أَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ ، وَمِنْ قَتْلَانِهِمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ

ويموز أن يكون جعل « الذي » للجماعة والواحد كما جعل « مَنْ » وقد حكى ذلك الزجاجي .

قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل : (كُتِلَ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُمُ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ) : إن « الذي » هنا بمعنى الدين ، والله أعلم .

وحذف الياء من « الذي » ففهم من يسكن الدال بعد الحذف ، ومنهم من يذهبها مكسورة على لفظها ، أنشد البصريون والكوفيون جميعاً :

فَظَلْتُ فِي شَرِّ مِنَ الْأَدِّ كَيْدًا كَمَنْ تَرَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدًا

ويروى * كَالَّذِ تَرَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدًا * فجمع بين اللفظين ^(١) . ونظير هذا

حذف الياء من « التي » وإسكان التاء ، وأنشدوا :

قُلْ لَّيْتَ تَلَوْتُكَ : إِنْ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُنْعَوُذُ بِالْقَتِيمِ

وحذف الياء والتاء من « القواني » ، أنشد الزجاجي :

(١) كلا ، بل هاتئة واحدة ؛ فإن ذال الكلمتين في الشطر الأول والثاني على الرواية الثانية — وهي المشهورة للمروفة في أكثر كتب النحو والأدب — ساكنة ، يعلم ذلك من له أدنى مسكة بعلم .

تَجَمَّعَتْهَا مِنْ أَيْتُنِي غِيَارٍ مِنْ اللُّوَا شَرَفْنَ بِالصَّرَارِ
وحذف الموصول وترك الصلة . كما قال يزيد بن مفرغ ؛
عَدَسْنَ مَا لَمَّ بَادِ عَظْمِكَ إِمَارَةً تَجَمُّوتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ
أراد « وهذا الذي تحملين » حذف^(١) .

وحذف اسم « إن » و « لكن » . كما قال :
وَلَكِنْ مَنْ لَا يَلْقَى أَمْرًا يَنْوِبُهُ يَحْدُثُهُ يَنْزِلُ بِهِ وَهُوَ أَغْرَلُ
لحذف الماء من « لكنه » لأنه قد جازى بمن ، ولو أعمل فيها « لكن »
لم يميز أن^(٢) يجازى بها .
ومثله قول الآخر^(٣) :

إِنْ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظِلَاءَ
أراد « إنه » . ويدخلون من الحروف السالمة حروف المد واللين ، وأنشدوا :

(١) في كلام المؤلف خطأ ، وبيان الموضوع أن الكوفيين ذهبوا إلى جواز
جاء أسماء الإشارة أسماء موصولة مع اتصال حرف التنبيه بها ، واستشهدوا على ذلك
بهذا البيت فقالوا : إن « هذا » اسم موصول بمعنى الذي ؛ فليس هو من حذف
الموصول وإبقاء صلته عندهم ، والبصريون يمنعون جيء « هذا » وغيره من أسماء
الإشارة مع حرف التنبيه أسماء موصولة ، وعندهم أن « هذا » اسم إشارة مبتدأ ،
وخبره « طليق » في آخر البيت ، وجملة « تحملين » في محل نصب على الحال ، أي
وهذا طليق حال كونه محمولا عليك ؛ فتخرج به للبيت لا يوافق أحد للذهبيين .

(٢) أي : لأن أسماء الشرط لها الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها ،
ومن الذي تستحقه أن يتأخر عنها ما يعمل فيها نحو قوله تعالى : (أيا ما تدعوا فله
الأسماء الحسنى) وهنا لا يمكن ذلك ؛ لأن « لكن » حرف ، وهو لا يعمل متأخرا
فذلك تقدم « لكن » وقدر اسمه ضمير شأن ، وجملة الشرط والجواب في محل
رفع خبر « لكن » فافهم ذلك .

(٣) ينسب للأخطل .

لها أشار من لحم تُثَمَّره من الثعالى ووخر من أرائها
أراد « من الثعالب » « ومن أرائها » ويلينون المعرة ، وذلك كثير
جدا جائز فى المتنور والتصحيح ، وله حذف ألف الاستفهام ، كما قال الأخطال :
كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ غَلَسَ الظَّلامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالًا
وهذا ردىء فى المتنور جدا .

ونقصان الجوع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة :

• حقى إذا بَلَّتْ حَلَامِى الْخَلْقِ •

يريد « الخلق » وترك صرف ما ينصرف ؛ لأنه يحذف منه التنوين وهو
يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، إلا أنه قد جاء فى الشعر . قال
عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يَقْوَانِ مِرْدَاسَ فى مَجْمَعِ
وعلى هذا اللذهب قال أبو نواس :

عبَّاسُ عباسٌ إذا احتدم الوغا وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّيْعُ رَيْعٌ
ويروى • إذا حضر الوغا • والقراء يرى ترك الصرف لكمة واحدة ، وهى
التصريف ، والبصريون يخالفونه فى ذلك ويأبونه .

ومن أقيح الحذف حذف حركة الإعراب للضرورة ، وأنشدوا لأمىء القيس :

فاليوم أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
ومثله لفرزدق :

رَحَّتْ وَفى رَجَلَيْكَ مَا فِيهَا وَقَدْ بَدَّاهُنْكَ مِنَ اللَّيْزِ

وزعم قوم أن الرواية الصحيحة فى قول أمىء القيس • اليوم أَشَقَى •
وبذلك كان البرد يقول ، وقال الآخرون : بل خاطب نفسه كما يخاطب ^(١) غيره ،

(١) يريد أن قوله « أشرب » فل أمر مبنى على السكون ، وليس فعلا مضارعا
فورد على هذا أن الهمزة فى « أشرب » همزة قطع ، ونحن نعلم أن همزة أمر الثلاثي
همزة وصل ، قيل : إن الرواية « فاليوم فاشرب » وقد أشار المؤلف إلى هذا الجواب .

قَالَ : فالْيَوْمَ فَأَشْرَبَ ، وَفِي بَيْتِ الْفَرْزَقِ * وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَزِّ * كُنْيَاةٍ
عَنِ الْمُنِّ ، وَهَذَا مِمَّا يَسْمَعُ وَيَحْكِي ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ الْبَتَّةُ .

هَذَا صَدْرٌ جَيِّدٌ مِمَّا عَلَّمَتْهُ يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ مِنَ الْخُذْفِ وَالنَّقْصَانِ .

ضرورات
الرواية

وَالَّذِي يَجُوزُ لَهُ مِنَ الزِّيَادَاتِ أَنَا ذَا كَرَمَتِهِ أَيْضاً مَا وَسَمَتْهُ قَدَرَتِي ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى :
فَنَ ذَلِكَ صَرَفٌ مَالَا يَنْصَرَفُ ، وَإِجْرَاءُ الْمَعْتَلِّ مَجْرَى الصَّحِيحِ ؛
فِي مِرْبَافٍ فِي حَالِ الرَّفْعِ وَالْخَفْضِ ، تَقُولُ : هَذَا الْقَاضِيُ ، وَمَرَرْتُ بِالْقَاضِيِ ، وَزَيْدٌ
يَقْفِضِي وَيَفْزُو ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْمَثُورِ مِنَ الْكَلَامِ ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُ قَيْسِ
ابْنِ زَهْرٍ :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ
كَأَنَّهُ يَقُولُ فِي الرَّفْعِ يَأْتِيكَ بَعْضُ الْبَيَاءِ ، فَلَمَّا جَرَمَهَا أَسْكَنَهَا .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْدِلُ مِنَ الْبَيَاءِ هَمْزَةً ، وَهُوَ الْقَلِيلُ ، فَيَقُولُ : الْقَاضِيُ ، وَالْعَازِيُ ،
وَأَنْشَدَ :

يَا دَارَ سَلَى بِدَا دِيكَ الْبُرْقُ سَقِيًّا وَإِنْ هِجَبَتْ شَوْقَ الْمُشْتَقِ
هَمْزَ الْبَيَاءِ ، وَلَيْسَ أَصْلُهَا الْهَمْزَةُ .
وَلَهُ إِظْهَارُ التَّضْعِيفِ كَقَوْلِهِ :

يَشْكُو الْوَحْيَ مِنْ أَظْلَلٍ وَأَظْلَلٍ

وَإِنَّمَا هُوَ « الْأَظْلَى » وَهُوَ بِاطْنِ خَفِّ الْبَحِيرِ .

وَتَقْصِيلُ الْخَفْفِ فِي وَصْلِ الْكَلَامِ عَلَى نِيَّةٍ مِنْ يَقِفُ عَلَى التَّقْصِيلِ ، وَأَنْشَدُوا :

يَبَاكِرِلِ وَجَنَاءِ أَوْ عَيْهَلْ كَانَ مَهْوَاهَا عَلَى الْكَلْكَلْ

مَوْقِعُ كَفَى رَاهِبٍ يُعَلَّى

فَتَقْلُ « الْمَيْهَلُ » وَهِيَ السَّرِيمَةُ ، وَ« الْكَلْكَلُ » فِي صَلَاةِ الشَّعْرِ ، وَهِيَ مُخَفَّفَتَانِ

وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب ، وإنما تدخل فيما ليس
بواجب ، نحو الأمر والنهي والاستفهام . قال القطامي :

وهم الرجال ، وكل ذلك منهم يمحزون في رَحْبٍ وفي مُتَصَيِّقٍ
وأشدوا لآخر ، وهو جذية الأبرش :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَـلَمٍ تَرَفَعْنَ قَوْبِي شِمَالَاتٍ

وله إدخال الفاء في جواب الواجب ، والنصب بها على إضمار « أن » .
قال طرفة :

لنا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ الْبَيْتُ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا لِلسَّجِيرِ قِيَمَتُهَا
فنصب بالقاء على الجواب .

وقال آخر :

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي نَيْمٍ وَالْحَقُّ بِالْهَجَازِ فَاسْتَرِيحَا
وقطع ألف الوصل لأنه زيادة حركة ، والجزم بحرف وحرفين ، وأكثر من
ذلك ، وقد نفى فيما تقدم من هذا الكتاب .

وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر :

تَنَفَّى يَدَاها الْحَصَى فِي كُلِّ هَلْجَةٍ تَنَفَّى الدَّرَاهِمُ تَفْقَادُ الصَّيَارِفِ
فزاد ياء في « الدرام » وياه في « الصيارف » إن لم تكن الرواية تختلف ،
على أن الدرام لا يضطر فيها إلى زيادة الياء ؛ إذ كان الوزن يقوم دونها ،
وإن قيل في بعض اللغات « دِرْهَام » .

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد للقصور ، وقد أزم ابن ولاد
البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة

وبجوزله التقديم والتأخير ، كما قال السَّجِيرُ السَّلُولِي :

وما ذاك إن كان ابن عمي ولا أخى ولكن متى ما أملك الضَّرَّ أَهْجُ

بالرفع ، أراد ولسكن أنفع متى ما أملك الضر ، ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين * إن يُضْرَعْ أخوك تصرع * حيث فرقوا بينهما ^(١) غير أنا نسلم لم كما سلم من هو أتعب منا حسا وأذكى خاطرا

وقال عمرو بن قتيبة :

لمسرات سائدا ما استعبرت^٢ لله دره اليوم من لأمها
وهذه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغة وإحكاما لا تصرفا وضرورة ، وإذا
وقع مثلها في الشر لم ينسب إلى قائله عجز ولا تقصير ، كما يظن من لا علم له
ولا تفتيش عنده :

من ذلك أن يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا ، كما قال
الله عز وجل : (وإذا رآوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) . أو يحمل الفعل لأحدهما
ويشرك الآخر معه ، أو يذكر شيئا فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره ،
كقوله تعالى في أول سورة الرحمن : (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد ذكر
الإنسان قبل هذه الآية دون الجان ، وذكر الجان بعدها .

وقال اللغز المبدى :

فما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أمهما يليني
الخير الذي أما أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني
فقال « أيها » قبل أن يذكر الشر ؛ لأن كلامه يقتضي ذلك .

وأن يحدف جواب القسم وغيره ، نحو قوله عز وجل : (ق والقرآن المجيد ،
بل عجبا أن أحدهم مندرهم) وقوله : (والنازعات غرضا) إلى قوله : (يوم
ترجف الراجعة) فلم يأت بجواب ؛ دلالة الكلام عليه ، وقال عز وجل :

(١) قد عرفت ما علمناه لك عن سبويه أن مخرجهما في العربية واحد ، فلا

محل لما قال .

حذف
جواب القسم
وعبره

(ولولا نضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤفٌ رحيم) أراد « لمذبكم » أو نحوه
ومن هذا قول امرئ القيس :
ولو أنها نفسٌ تَمُوتُ حَيِّمَةً ولكنها نفسٌ تَسَاقُطُ أنفَسَا
وقد تقدم ذكره .

ومن ذلك إضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه : (حق توارت بالحجاب)
يعنى الشمس ، وقوله : (فآثرن به نقما) ولم يحرك الواو ذكر
وقال حاتم طي :
إضمار
ما لم يحرك
هـ ذكره

أماوى ، ما ينقى الثراء عن النقى إذا حشرتْ يَوْمًا وضاقتْ بها الصدورُ ؟
يعنى النفس ، وأنشد ابن قتيبة عن القراء :
إذا مَوَّي السفيه جرى إليه وخالف ، والسفيه إلى خلاف
يعنى « جرى إلى السفيه »

وحذف « لا » من الكلام وأنت تريد بها ، كقوله تعالى (يحجز بعضكم
لبعض أن يحبط أعمالكم) وزيادة « لا » في الكلام كقوله سبحانه (وما يشرككم
أنها إذا جاءت لا يؤمنون) فزاد « لا » لأنهم لا يؤمنون ، هذا قول ابن قتيبة ،
وقال جل اسمه : (ما منعك أن لا تسجد) أى : ما منعك أن تسجد ، قال :
وإنما تزداد « لا » في الكلام لإيهاء أو جعده ، وقال : (لئلا يعلم أهل الكتاب
أن لا يتقربون على شيء من فضل الله) أى : ليعلم .
وقال أبو النجم :

• فما ألوم النجم أن لا تسهرا •

يريد « أن تسهرا » .

وحذف للننادى كقوله تعالى : (ألا يا اسجدوا لله) كأنه قال « ألا يا هؤلاء
اسجدوا لله » وقال ذو الرمة في مثل ذلك :
حذف
الننادى

الا يا سلى يا دارسى على البلى ولا زال مُتَهَلِّلاً بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطَر

وأن يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة ، أو يخبر عنه ، كقوله تعالى : خطاب الواحد
(إِنَّ الَّذِينَ يَبْنُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرَاتِ) وإنما كان رجلاً واحداً ، وقوله (أَلْقِيَا)
في جهنم (وإنما يخاطب مالكا خازن النار ، وقيل : بل أراد أَلْقَى أَلْقَى ، فتنى ^(١))
الفعل ، وقوله : (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) مخاطب الاثنين بخطاب
الواحد ، وقوله : (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) وقوله : (وَأَلْقَى الْأَوَّلُ) وهما لوحان
فيما زعم المفسرون ، حكاه ابن قتيبة ؛ وأن يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله :
(وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا) .

ومن غرائب هذا الباب أن يأتي المفعول بلفظ الفاعل ، كقوله تعالى :
لأعاصم اليوم من أمر الله (أى : لا معصوم ، وكذلك قوله : (من ماء دافق)
أى : مذقوق ، وقوله : (فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ) أى : مَرْضَى بها ، وقوله : (وَجِئْنَا
آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) أى : مُبْصِرٌ فيها ، وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله
تعالى : (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) أى آتياً .

وقد جاء الخصوص في معنى العموم في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ)
وجاء العموم بمعنى الخصوص في قوله : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا)
ومن الجمل على للمنى قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
فَتَلَّ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) كأنه قيل : مَنْ زَيْنُهُ ؟ قيل : شُرَكَاؤُهُمْ .

الجمل
على للمنى

والجمل على للمنى في الشعر كثير ، ومن أنواعه التذكير والتأنيث ، ولا يجوز
أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ، ولا أن تذكر مؤنثاً .

(١) وويل : الألف هي نون التوكيد الخفيفة ، عاملها في الوصل معاملة ما في
الوقف ، وإنما في هذا الموضوع بحث طويل ووجوه كثيرة من الاستدلال في شرحنا
على الملاحظات .

قال ابن أبي ربيعة الخزومي :

فكان مَجْنُونٌ دون من كنت أتقى ثَلَاثُ شُخُوصٍ كاعيان ومُصِرُّ
فَأَنْتَ الشُّخُوصُ عَلَى اللَّغَى . وكل جمع مكسر جائز تأنيته وإن كان
واحدةً مذكراً حقيقياً .

ومما أنث من اللذك رحلا على اللفظ قول الشاعر ، أنشده الكسائي :

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتُهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذَاكَ السَّكَالِ

ومثل هذا في الشعر كثير موجود .

٩٩ — باب السرقات ، وماشا كلها

وهذا باب متسع جداً ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ،
وفيه أشياء غامضة ، إلا عن البصير الخاذق بالصناعة ، وآخر فاضحة لا تخفى على
الجاهل للغفل ، وقد أتى الخاتمي في «حلية المحاضرة» بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها
محصول إذا حققت : كالاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ،
والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، وقد استعمل
بعضها في مكان بعض ، غير أني إذا كررها على ما خيلت فيما بعد .

لا يدعى
السلامة منه
أحد .

وقال الجرجاني — وهو أصح مذهبا ، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في
هذا الشأن — : ولست تمد من جبابنة الكلام ، ولا من فُقَادِ الشعر ، حتى تميز
بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علما برتبة ومنازله ، فتنفصل بين السَّرَقِ والنصب
وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك
الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، واللبتل الذي ليس واحد أحق به من الآخر ،
وبين المختص الذي حازه للبتلدي فليسكه واجتباء السابق فاقتطعه .

رأى
الجرجاني

قال عبد الكريم : قالوا : السَّرَقُ في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد

السرقة عند
عبد الكريم

فى أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة^(١) حين لم يختلفا إلا فى القافية ؛ فقال أحدهما « وتحمل » ، وقال الآخر « وتحمل » ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون التامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل .

والسرق أيضاً إنما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر ، لافى للمانى فىم تكون السرقة ؟
للشركة التى هى جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، بما ترتفع الظنة فيه عن الذى يؤرده أن يقال إنه أخذه من غيره .

قال : واتكال الشاعر على السرقة بلاذة وعجز ، وتركة كل معنى سبق إليه جهل ، ولكن المختار له عندى أوسط الحالات .

وقال بعض الحذاق من المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً ، فإن غيّر بعض اللفظ كان ساعاً ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه .

وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم ، وسماء « كتاب للنصف » مثل مسمى الدنيغ سليماً ، وما أبعد الإنصاف منه .

والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن الاصطراف

(١) هما بيتان متشابهان وقما فى معلقى امرئ القيس وطرفة بن العبد : أما بيت امرئ القيس فقوله :

وقولها بها صبي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتحمل
وأما بيت طرفة فقوله :

وقولها بها صبي على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتحمل
فأنت ترى أن البيتين لم يختلفا إلا فى القافية كما حكى المؤلف .

بقية أنواع
السرقه

صرفه إليه على جهة اللئ وهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاء جملة فهو انتحال ، ولا يقال «ممتحل» إلا لمن ادعى شراً لغيره وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مُدَّعٍ غير ممتحل ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبه فتلك الإغارة والغصب ، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإن أخذه هبة فتلك للرافدة ، ويقال : الاسترقاد ، فإن كانت السرقه فيما دون البيت فتلك هو الاهتمام ، ويسمى أيضاً النسخ ، فإن تساوى اللعنان دون اللفظ وخفي الأخذ فتلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلزام ، فإن حول المعنى من نسيب إلى مدح فتلك الاختلاس ، ويسمى أيضاً نقل المعنى ، فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فتلك هو السكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع يقول الآخر — وكانا في عصر واحد — فتلك للوارد ، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فتلك هو الالتقاط والتلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركب ، ومن هذا الباب كشف المعنى والحدود من الشعر ، وسوء الاتباع ، وتقصير الأخذ عن المأخوذ منه ، وسأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لكل واحد من هذه الأقباب مثالا يعرفه العالم ، ويقتدى به المتعلم ، إن شاء الله تعالى .

الاصطراف على ضربين أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين : أحدهما : الاجتلاب ، وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت ، والآخر : الانتحال ؛ فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها تصفق في راووقها حين تنقلب
تمررتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دَنَوْا فتنصروا

فاستلحق البيت الأخير فقال

وإجانبه رَجَا السرور كأنها إذا غمت فيها الزجاجة كوكبٌ
تمزنتها والدليك يدعو صباحه إذا ما بنو نعل دَنُوا فَتَصَوُّرُوا
وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت ؛ فلا يكون في ذلك
بأس ، كما قال عمرو ذو^(١) الطوق :

صدت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأسُ بجراه البينا
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصحبنا
فاستلحقهما عمرو بن كلثوم ؛ فهما في قصيدته ، وكان عمرو بن العلاء وغيره
لا يرون ذلك حيبا ، وقد يصنع المحدثون مثل هذا .

قال زياد الأعجم :
أشُم إذا ما جئتَ للمَرْفِ طالبا حَبَاك بما تحوى عليه أنامله
ولم يكن في كفه غيرُ نفسه لجَادَ بها فليَتَّقِ اللهَ سَائِلُه
ويروى هذا لأخت يزيد بن الطُّخَيْفِ ، واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو
في شعره .

وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :
ستمُّ من يكون أبوه قينا ومن كانت قصائده اجتلابا
فإنما وضع الاجتلاب موضع السَّرَقِ والاتحال لضرورة القافية ، وهكذا ذكر
العلاء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجحى فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل
للثل ليس اجتلابا ، مثل قول أبي الصَّلْتِ بن أبي ربيعة الثقفي :
تلك للكارم لا قمين من كبن شيبا بماه فعادا بعد أنوالا .
ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ، والرواة
مجمعون أنه لأبي الصَّلْتِ ؛ فقد ذهب الجحى في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ،
ولم أر محدثا غيره يقول هذا القول .
والانتحال عندهم قول جرير :

الانتحال

(١) هو عمرو بن عدى ، ابن رقاش أخت جذيمة الأبرش .

إِن الدِّينَ غَدَاوَابِلُكَ غَادَرُوا وَغَلَا بِعَيْنِكَ لَا يَرَالُ مَعِينَا
عَيْفَنَ مِنْ عَيْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي : مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْمَوَى وَلَقِينَا ؟
فإن الرواة مجمعون على أن البيتين للمعلوط السعدي استحلهما جرير ، وانتحل
أيضاً قول طفيل النعوى :

ولما التقى الخثيان أَلْقَيْتِ الْمَصَى وماتَ الهوى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
ولذلك قال الفرزدق :

إِن تَذْكُرُوا كَرْمِي بَلُؤْمِ أَيْكُمُ وَأَوَابِدِي تَنْتَحِلُوا الْأَشْجَارَا
وكانا يتقارضان المجهاء ، ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه ، وليس
ذلك عيباً في المناقضات ، ولما قال الفرزدق في بني ربيع :

تَمَنَّتْ رَبِيعٌ أَنْ يَجِيءَ صَخَارُهَا بِخَيْرٍ ، وَقَدْ أَغْيَا رِبِيعَا كِبَارُهَا
أَحْذَهُ الْبَيْعِثُ بِمِثْنِهِ فِي بَنِي كَلِيبٍ وَهَطَ جَرِيرٌ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :
إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شَرُوداً تَنْتَحِلُهَا ابْنُ خَرَّاءِ الْمِجَانِ
يعني البعيث ؛ وكان ابن سُرَيْة .
وأما قول البحتري :

رَمَتْني غَوَاةُ السَّفَرِ مِنْ بَيْنِ مَفْخَمٍ وَمُنْتَحِلٍ مَالِمْ يَفْلَهُ وَمُذْعِي
فيشهد لك بما قدمت ذكره ؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفخم قد عجز عن
الكلام وصلا عن التحلي بالشعر غير أنه يبيع الشعراء ؛ والآخر متمحل لأجود من
شعره ، والثالث مدح جملة لا يحسن شيئاً .

والإغارة : أن يصنع الشاعر بيتاً ويختار معنى مليحاً فينقله من هو أعظم
منه ذكرأ وأبعد صوناً ، فيروى له دون فائله ، كما فعل الفرزدق بحميل وقد
سمعه بشد .

تَرَى النَّاسَ مَا مَرَّ بِسَيْرُونِ خَلَقْنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

فقال : متى كان المُلْكُ في يدي عُذْرَةٌ ؟ إنما هو في مُضَرٍّ وأنا شاعرها ، فقلب
الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ولا أستقطه من شعره .

وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تَجَافَى عنه ، فتجافى جميل عنه ، والأول
أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره وللغنى
بأسره ، والسرقة أخذ بعض اللفظ أو بعض اللغى ، كان ذلك لما صر أو قدِم .

التنصّب

وأما التنصّب فمثل صنيعة بالشردل اليربوعي ، وقد أنشد في محفل :

فَمَا بَيَّنَّ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمًا وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزٍّ الْخِلَاقِمِ

فقال الفرزدق : والله لقد عَنَّهُ أولئك عن عَرْضِكَ ، فقال : خذه لا بارك الله لك فيه .

وقال ذو الرمة بمحضرته : لقد قلت أبيانًا ، إن لها لمروضًا وإن لها لمرادًا ومعنى

بيدًا ، قال : وما قلت ؟ فقال : قلت :

أَحِينَ أَعَاذْتُ بِي تَمِيمٍ نِسَاءَهَا وَجُرُودَتْ تُجْرِيْدُ الْيَمَانِيَّ مِنَ التَّنْدِيرِ

وَمَدَّتْ بِصَبَّيِّ الرَّبَابِ وَمَالِكُ وَعَمْرُو وَسَالَتْ^(١) مِنْ وَرَائِي بَنُو سَعْدِ

ومن آل يربوع زهاء كانه دجى الليل محمود النكابة والرقد

فقال له الفرزدق : إليك وإياها لا تعودن إليها ، وأنا أحق بها منك ، قال :

والله لا أعود فيها ولا أنشد لها أبدًا إلا لك

وسمعت بعض المشايخ يقول : الاضطراب في شعر الأموات كالإغارة على

شعر الأحياء ، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله .

(١) في الديوان « وشالت » وبعد الأبيات الثلاثة التي رواها المؤلف قوله :

تمنى ابن راعي الإبل شتمى ، ودونه معاقل صعبات طوال على المبد

معاقل لو أن التميرى رامها رأى نفسه فيها أقله من القرد

للمرافدة

وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما قال جرير لدى الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي^(١) ، فأنشده قصيدته :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحَزْوَى تَحْتَهُ الرِّيحُ وَامْتَنَحَ الْقَطَارَا
فَقَالَ : أَلَا أَعَيْنَكَ ؟ قَالَ : بَلَى بَابِي وَأُمِّي ، قَالَ : قُلْ لَهُ :

يَعْدُ النَّاسِيُونَ إِلَى تَيْمٍ بُيُوتَ الْجِدِّ أَرْبَعَةَ كِبَارَا
يَعْدُونَ الرِّبَابَ وَالْأَلْ سَعِيرَا وَعَمْرَأُ نَمِ حَنْظَلَةُ الْخِلَارَا
وَيَهْلِكُ بَيْنَهَا لِلرُّمَى لَفْوَا كَمَا الْغَيْثُ فِي الدَّيَّةِ الْخَوَارَا

فلقيه الفرزدق فاستنشدته ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاده ، فقال : كلا والله ، لقد علمك من هو أشد لحيتين منك ، هذا شعر ابن المرافعة . واسترشد هشام المرئي جريراً على ذى الرمة فقال في أبيات :

يُمَانَى عَدِيًّا لَوْهَا مَا تَجَنَّبَهُ مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا
فَقُلْ لِمَدَى تَسْتَنْ بِسَائِهَا عَلَى قَدِّ أَعْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا
أَذَا الرَّمَّ ، قَدْ قُلِدْتُ قَوْمَكَ رَمَةً بَطِيئًا بِأَيْدِي الْمَاقِدِينَ انْخِلَالُهَا

ويروى * بأيدى المطلقين * فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتا ، هذا والله شعر حنظلي ، وغلب هشام على ذى الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستعجلاً عليه . وقد استرشد نابغة بني ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده .

والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك ، إذا كانت

(٢) في الأصول « المرى » وهو خطأ ، وصوابه « للمرئي » كما أثبتناه ، وهشام أحد بني امرئ القيس بن سعد مناة ، هذا ، ورواية الديوان (ص ٣٣) في البيت الثاني * يعدون الرباب لهم وعمرا * وسعدا ثم . . . ورواية البيت الثالث في غير هذا الكتاب * ويسقط منها للمرئي . . . *

شبهة بطريقته ، ولا يمد ذلك عينا ؛ لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز .

الاهتمام

والاهتمام نحو قول النجاشي :

وكت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يدُ الحدّثان
فأخذ كثير القسم الأول واهتم باق البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ ، فقال :
* ورجل رمى فيها الزمانُ فقلتِ *

النظر
ولللاحظة

وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهمليل :

أنبضوا معجب التسي* وأبرقنا كما تواعد الفحولُ الفحولاً
نظر إليه زهير بقوله :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا أطمئنا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقنا
وأبو ذؤيب بقوله :

مُروِبٌ لهاماتِ الرجالِ سيفه إذا حنَّ تَبِيهٌ بينهم وشريمُ
والإيلام : ضرب من النظر ، وهو مثل قول أبي الشيبس :
* أجِدُ الملامةَ في هواكِ لَدِينَةَ *

الإيلام

وقول أبي الطيب :

* أحبه وأحب فيه ملامة *

البيت ، وقد تقدم ^(١) ذكرهما في التناير .

الاختلاس

وأما الاختلاس فهو قول أبي نواس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القلوبِ مِثْلَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
اختلسه من قول كثير :

(١) انظر (ص ١٠٣) من هذا الجزء ، وفيها تمام يبقى أبي الشيبس وللتنبئ .

أُرِيدُ لَأَنْتَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
وَقَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَصْعَبٍ :

كَأَنَّكَ كُنْتَ مُحْتَكَا عَلَيْهِمْ تَحْزِينُ الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ
وَيُرْوَى * كَأَنَّكَ جِئْتَ مُحْتَكَا عَلَيْهِمْ * اخْتَلَسَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :
خَلَيْتَ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَفْضَى مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَاكْدَسَتْ مِنْهُ طَرِيقُهُ ثُمَّ زَادَتْ فَضْلًا مَا تَهَبُ
أَرَدَتْ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ .

وَمِنْ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُ أَمْرِءِ الْقَيْسِ :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلَدَانُ حَيِّنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ مُخْطَبًا^(١)
قَالَ ابْنُ مَقْبَلٍ إِلَى الْقَدَحِ قَالَ :
إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَقْدِ عَصَابَةٍ عِدَارِيَّة^(٢) قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ
قَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ إِلَى الْهَازِي قَالَ :

قَدْ وَفَّقَ الْقَوْمَ لَهُ بِمَا طَلَبَ فَهُوَ إِذَا عَرَى لِصَيْدٍ وَاضْطَرَبَ
* صَرَوْا سَكَ كَيْنَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ *^(٣)
قَالَ أَنَا إِلَى قَوْسِ الْبَنْدُقِ قَعَلْتُ :

طَيْرُ أَبَابِيلٍ جَاءَتْهَا فَمَا بَرَحَتْ إِلَّا وَأَفْوَاسُنَا الطَّيْرِ الْأَبَابِيلُ
تَرْمِيهِمْ بِجَحْصِ طَيْرٍ مُسَوَّمَةٍ كَأَنَّ مَعْدِنَهَا لِلرَّمَى سَجَّيْلُ
تَعْدُو عَلَى تَفَةٍ مِنَّا بِأَطْيَبِهَا فَالنَّارُ تَقْدَحُ وَالطَّنَجِيرُ مَفْسُولُ
وَالْمَوَازِنَةُ مِثْلُ قَوْلِ كَثِيرٍ :

لِلْمَوَازِنَةِ

تَقُولُ مَرَضْنَا فَمَا عُدْنَا وَكَيْفَ يُعَوِّدُ مَرِيضٌ مَرِيضًا
وَأَزِنَ فِي الْقِسْمِ الْآخَرَ قَوْلُ نَابِثَةَ بَنِي تَغْلِبَ :

(١) فِي الْدِيَوَانِ « وَلَدَانُ أَهْلُنَا » . (٢) فِي نَسْخَةِ « غِذَارِيَّةِ » .

(٣) فِي دِيَوَانِ ابْنِ الْمَعْتِزِ (٤ / ٧) « فَهُوَ إِذَا جَلَى » وَفِي نَسْخَةِ مِنْهُ « فَهُوَ إِذَا جَلَى » وَفِي نَسْخَةِ فِي ثَلَاثِ هَذِهِ الْآيَاتِ « سَلَوْا سَكَ كَيْنَهُمْ » .

بَحْثُنَا لُبْخَلِكِ قَدْ تَمَلَّيْنِ وَكَثِيفَ يَصِيبُ بِحَيْلٍ بِحَيْلًا؟

المكس

والعكس قول ابن أبي قيس ، و يروى لأبي حفص البصرى :
ذهب الزمان برهط حسان الأولى كانت مناقبهم حديث الغابر
وبقيت في خلف يحل ضيوفهم منهم بمنزلة اللثيم النادر
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عطية .

وَأما الموارد فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس^(١) وطرفة ، ولا أظن
هذا مما يصح ؛ لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شابت حول العشرين ، وكان
امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس ؛
فكيف يكون هذا موارد ؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت ، حتى
استحلف أنه لم يسمعه قط خلف ، وإذا صح هذا كان موارد ، وإن لم يكونا
في عصر ، وسئل أبو عمرو بن العلاء : رأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان
في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت
على ألسنتها ، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع
الحافر على موضع الحافر .

الالتقاط

والتلفيق

وَأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثيرة :
إذا مارأى مُقْبِلًا غَضَّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله
فأوله من قول جميل :

إذا ما رأوني طالما من ثنية يقولون : من هذا ؟ وقد عرفوني

(١) ذكرناها أول الباب فانظر (ص ٢٨١) من هذا الجزء .

ووسله من قول جرير :

فَقَضَّ الطرفَ إناكَ من نَمِيرٍ فَلَا كُعبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلابًا
وعجزه من قول عنتره الطائي^(١) :

إذا أبصرتني أعرضت عني كأن الشمس من حولي تدورُ
فأما كَشَفُ المعنى فتحو قول امرئ القيس :

كشف
للمعنى

نَشُّ بأعراف الجياد أ كَفْنَا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب
وقال عبدة بن الطيب بعده :

ثُمَّ قَمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أعرافهن لأيدبنا مناديلُ
فكشَفَ المعنى وأبرزه .

وأما المجلود من الشعر فتحو قول عنتره العبسي :

الشعر المجلود

* وكَا غَلِمْتَ تَبَائِلِي وَتَكْرُمِي *^(٢)

رزق جدا واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشائلي ما قد علّت ، وما تَبَحَّتْ كِلَابِكَ طَارِقًا مِثْلِي

ومنه أخذ عنتره ، والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ،
غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده - بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو
يبسطه إن كان كراً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن
كان سَفْسَافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً - فهو أولى به من مبتدعه ،
وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر ، فأما إن ساوى المبتدع

مق يكون
الآخذ أولى
بالمعنى ؟

(١) هو عنتره بن عكبرة الطائي ، وهى أمه ، وأبوه الأخرس بن ثعلبة : فارس

شاعر ، ذكره الأمدى فى اللؤلؤف والمختلف .

(٢) صدره * وإذا صحوّت فما أقصر عن ندى *

فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ، وسقوط همه ، وضعف قدرته .

فما أجاد فيه التبع على المبتدع قول الشاعر :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَتَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةٌ أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
 قال أبو نواس :

أَقُولُ لِنَاقِي إِذْ بَلَّغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنِّي بِالْمِينِ
 فلم أَجْتَلِكِ لِلغُرَبَانِ نَحْلًا وَلَا قُلْتُ «أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ»
 وكرره فقال :

وَإِذَا الْوَلِيُّ بِنَا بَلَّغَنِي مُحَمَّدًا فَظَهَرُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
 قَرَّبْنَا مِنْ خَيْرِنِ وَطَلِيءِ الْخَصِي فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ
 وبما يتساوى فيه السارق والمسرقة منه قول امرئ القيس * فلو أنها
 نفس^(١) * البيت ، وقول عهدة بن الطيب * فما كان قيس^(٢) * البيت .

وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنا ثم يأتي من
 بعده فيتبعه فيه على رداءته ، نحو قول أبي تمام :

بِأَشْرَتْ أَسْبَابِ الْغَنَى بِمَدَائِحِ صَرَبْتُ بِأَبْوَابِ الْمَلِكِ طُغْيُولًا
 فقال أبو الطيب :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيِّئًا لِلدَّوْلَةِ فِي النَّاسِ بُوقَاتُ لَهَا وَطُغْيُولُ

(١) هذه قطعة من بيت سبق ذكره مرارا ، وهو بيتاه :

فلو أنها نفس تموت جيعة ولكنها نفس تساقط أنفاسا

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بيتاه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وسبق ذكره مرارا أيضا .

فسرق هذه اللفظة لثلاث قوتوه .

ومما قصر فيه الآخذ عن الآخوذ منه قول أبي دهل الجحى فى معنى بيت الشماخ :

ياناقُ سِيرى وأشرق بدم إذا جئتُ السَّيِّرة

سَيِّبُنِي أُخْرَى مِرَاكِ ، وتلك لى منه يسيره

فأنت ترى أين بلغت همته ؟؟

ومما يد سرقا وليس بسرِّق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة :

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّتْ لَهَا بِحَيْلٍ عَلَيْهَا الْأَسَدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارَا

وقول عمرو بن معدى كرب :

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّتْ لَهَا بِحَيْلٍ نَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ خَرَبٌ وَجَيْعٌ

وقول الخنساء ترى أخاها صخرأ :

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّتْ لَهَا بِحَيْلٍ فَدَارَتْ يَتْنُ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا

ومثله :

وَحَيْلٌ قَدْ دَلَّتْ لَهَا بِحَيْلٍ تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأَسَدِ

وأمثال هذا كثير .

أولى الشعراء وكانوا يقضون فى السرقات أن الشاعر إذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما

يالمعنى

موتا ، وأعلاما سنا ، فلن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان ،

وإن كانا فى مرتبة واحدة روى لهما جميعا ، وإنما هذا فيما سوى المختص الذى

حازره قائله ، واقتطعه صاحبه ، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله :

وَفِي كُلِّ عَالِمٍ أَنْتَ جَاثِمٌ غَزَوِيَّةٌ تَشْدُ لَأَقْصَالِهَا عَزِيمٌ عَزَائِكَا^(١)

مُورْتَةٌ بِجَدٍّ ، وَفِي الْأَصْلِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوٍ نَسَائِكَا^(٢)

(١) روى أبو عبيدة * ... حاشم رحلة *

(٢) فى الديوان (ص ١٢) * مورثة مالا وفى المجد . . . * وروى أبو

عبيدة * وفى الذكر رفعة * ولو ضاع

فأخذه النابغة فقال :

شُعْبُ الْمَلَأَقِيَّاتِ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ وَالْمَحْصَنَاتِ عَوَازِبُ الْأَطْهَارِ (١)
و بيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره ، وبما فيه من المناسبة بذكر
الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك ، وأخذ الناس من بعده ، فلم يقلبه
على معناه [أحد] ، ولا شاركه فيه ، بل جعل مقتدياً تابعاً ، وإن كان مقدماً
عليه في حياته ، وسابقاً له بماتته .

وقال أوس بن حجر :

كَانَ هَـمًّا جَنِيْبًا عِنْدَ غَرَضَتِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ رَجُلِيهَا وَخَزِيرُ
فلم يتر به أحد ، وكذلك سائر للماني المفردة والتشبيهات المقم تجري
هذا الجرى .

وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر ، وهذه ملحمة منه . قال نادب نظم النثر
الإسكندر « حركنا الملك بسكونه » فتناوله أبو المتاهية فقال :

قَدْ لَمْ مَرَى حَكِيْمَتِي لِي فَخُصَّ التَّوَنُ تِ وَحَرَّ كَتَفِي لَهَا وَسَكَنَتَا
وقال أرساطاطا لبس يندبه « قد كان هذا الشخص واعظاً بليفاً ، وما وعظ
بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكونه » وقال أبو المتاهية في ذلك :
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها مثل
ما يجازى به أهلُ الحسنات ، أجل لا يجنَى الشوك من العنب .

(١) شعب : جمع شعبة ، وهى مرج بين أعواد الرحل ، ومن السرج ما بين
قربوسه ومؤخرته . والملاقيات : رحال منسوبة إلى حى من اليمن اسمه علاف
(وانظر ص ٢٣٢ السابقة) . والمحصنات : يعنى نساء م. عوازب : عبيدات . الأطهار :
جمع طاهر . يريد أنهم دائماً على صهوة الخيل فوق السروج أو فوق رحال الإبل ؛
فلا يشتغلون عن العزو بنسائهم .

قال ابن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتُ انْزَافًا فَخَذَرْتُ عَدَاوَتَهُ
مَنْ يَزْرِعُ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُهُ عَنَبًا
وأخذ الكتاب قولهم « قذعت قبلك » من قول الأقرع بن حابس ،
ويروى لحاتم :

إِذَا مَا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا
يَمُوتُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ
وقولهم « وأتم نعمته عليك » من قول عدي بن الرقاع العاملي :
صَلَّى الْإِلَآهَ عَلَى اسْرِىءَ وَدَعَّاهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
فاجرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الخذاق ، وفي أقل
ما جئت به منه كفاية .

(١٠٠) — باب الوصف

أكثر الشعر يرجع إلى الوصف وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه ، وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه ، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذلك مجاز وتمثيل .

أحسن الوصف وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع ، كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً اقترب من جوادراً :

فَبَاتَ يَذْكُرُهُ بِسِيرِ حَدِيدٍ أَخُو قَنْصٍ يَمْسِي وَيَصْبِحُ مَفْطَرًا
إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كَرَامًا تَحْرَكَتْ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَفَرَفَرَا
فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ، ومثل للوصوف في قلب سامعه . قال قدامة : الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والميئات ،

ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر للمعاني التي للموصوف بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه ، وأولاها به ، حتى يحكيه ويمثله للحس بنمته .

وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرًا . وأصل الوصف الكشف والإظهار ، يقال : قد وصف الثوب الجسم ، إذا نم عليه ولم يستره ، ومنه قول ابن الرومي :

إِذَا وَصَفْتَ مَا نَوَقَ جَمْرِي وَشَاحِيهَا غَلَايِلَهَا رَدَّتْ شَهَادَتَهَا الْأَزْرُ
إلا أن من الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه ، وطلب النابية القصوى التي لا يدورها شيء : إن مدحا قدحاً ، وإن ذمًا قدما .

والناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم تفاضل الناس من يمجيد وصف شيء ولا يمجيد وصف آخر ، ومنهم من يمجيد الأوصاف كلها في الوصف وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها : كأمريء القيس قديما ، وأبي نواس في عصره ، والبحتري وابن الرومي في وقتها ، وابن المعتز ، وكشاجم ؛ فإن هؤلاء كانوا متصرفين يمجدين الأوصاف ، وليس بالحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها ، والقنار ومياها ، وحر الوحش ، والبقير ، والظلمان^(١) ، والوعول ؛ ما بالأعراب وأهل البادية ؛ لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم أن الشاعر إنما يتكلفها تكلفا ليجري على سنان الشعراء قديما ، وقد صنع ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شاكلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في أشعارهم : كرائية الحسن في الخصيب ، وجيبية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل .

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شاكلهما ، وما كان مناسبا لهما كالسكوس والقناني والأباريق ، وتفتح التحيات ، وباقات الزهر

(١) الظلمان : جمع ظليم ، وفي الأصول «والظلمات» وأعتقد أنه تحريف ما أثبت

إلى ما لا بد منه من صفات الحدود ، والقُدود ، والنهود ، والرجوه ، والشعور ،
والريق ، والثبور ، والأرداف ، والخصور ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور ،
وما شا كل المولدين ؟ فإن ارتفعت البضاعة فصفت الجيوش وما يتصل بها من
ذكر الخليل ، والسيوف ، والرماح ، والدروع ، والقيس ، والنبل ، إلى نحو ذلك
من ذكر الطبول ، والبَنُود ، والنحرفات ، والمنجنيقات ، وليس يتسع بنا هذا
للموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف ؛ غنية أدل على مظانها دلالة
مجملة ، وأذكر مما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة يعرف بها التعلم كيف العمل
فيها ومن حيث المسلك إليها ، إن شاء الله تعالى .

ذكر شعراء
اشتهروا في
وصف أشياء
أما نَمَات الخليل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد ، وطُفَيْل الغنَوي ، والنابغة
الجمدِي ، وأما نَمَات الإبل فطَرَنَة في مملقته من أفضلهم ، وأوس بن حَجَر ،
وكعب بن زهير ، والشماع ، وأكثر القدماء يحميد وصفها ؛ لأنها مرا كهم ،
ألا ترى رُؤبة لما غلط في وصف الفرس كيف قال : أذِنِي من ذَنَبِ البعير ،
وكان عُبيد بن حُصَيْن الراعي النُبَيري أوصَفَ الناس للابل ، ولتلك سمي راعيا ،
وأما الحر الوحشية والقيس فأوصف الناس لها الشماع ، شهد له بذلك الخطيئة
والقرزدي ، وهذان يحمدان صفات الخليل والقيس أيضاً والنبل ، وأما الخمر فن
أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نُوَاس وابن المعتز ، ولأبي نواس أيضاً وابن المعتز
المسيد والطرد ، فما شئت من هذه الأوصاف فالتبسها حيث ذكرت ، ومن
الأوصاف القليلة المثل قول رؤبة يصف القيل :

أجرْدُ أَخْضَرِ طَوِيلِ النَّائِنِ مشرب اللحي صنير القمبين^(١)

وصف
قيل

(١) لا يشق هذا ووزن الرجز ، وقد وقع في نسخة :

أيض كالحصن طويل النابن مشرب اللحي صنير العينين
ولم أجد هذا البيت في ديوان أراجيزه .

• عليه أَذْنَانِ كفضل الثوبين •

وقال آخر يصفه ، أنشده عبد الكريم :

من يركب القيل فهذا القيلُ إن الذي يحمله محمولُ
على تهاويلٍ لها تهاويلُ كالطَّودِ إلا أنه ييسولُ

• وَأُذُنٍ كَأَنَّهَا مَنَدِيلُ •

هكذا أنشده ، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطتها ، وقد أنشدها

غلام تطلب عنه عن ابن الأعرابي .

في وصف القيل
أيضا

وقال عبد الكريم فجمع ما فرقاه وزاد عليهما :

وأضخمَ هندیَ النجارِ تُمْدَهُ ملوكُ بنى ساسان إن رابها أَسْرُ
من الورقِ لامن ضر به الورقِ ترتى أضاح ولامن ضر به الخمس والعشر
يحمي به كلَّود جائل فوق أربع مُضَيَّرَةٌ لمت كما لمت الصخر
له فخذان كالكتيبين لبدا وصدرُ كأوفٍ من المَضَيَّةِ الصدرُ
ووجهٌ به أنف كراووق خرة ينالُ به ما تدركُ الأمل العشر
وأذنٌ كنصف البرد يسمه الندأ خفيا وطرف ينقصُ النيب مزورُ
ونابان شقًا لا يريك سوامها قناتين سمرأوين طعنهما نثرُ
له لونٌ ما بين الصباح وليله إذا نطق المصفور أو غلس الصقر

وصنعت أنا في زرافة أنت في الهدية من مصر إلى مولانا خلد الله ملكه من في وصف زرافة

قصيدة طويله :

وأنتك من كَسَبَ الملوك زَرَافَهُ شقى الصفات لكونها أثناء
جمعت بحاسنَ ما حكت فتناستبت في خلقها وتناقت الأعضاء
تحشها بين أنثو أفاق مشية بادٍ عليها الكبرُ وأنثيلاء

وتمدُّ جيمذًا في الهواء يزينا
حطَّت مآخرها وأشرَفَ صدرها
وكانَ فُهرَ الطيبِ مارَجتَ به
ونخيرتَ دونَ الملابسِ حُلَّةً
لونا كلون الزيل إلا أنه
أو كالسحابِ المكفهرة خيطة
أو مثل ما صدئت صفائحُ جوشنٍ
نم التجافيفِ التي اذَّرتَ به
وصنعت أنا أيضاً :

مُدَّلَّةَ الظهرِ لَرَآكِبٍ
بمثل السَّنامِ بلا غَارِبٍ
يُحْنَاهُ وَفِي يَدِ السَّكَابِ
خُلُجٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ [؟] ^(١)

وقال كشاجم يصف اصطرباً :

في وصف
اصطرب

ومستدير كجرم البدر مسطوح
صُلْبٌ يُدَارُ عَلَى قُطْبٍ يُقْبِنُهُ
مثل البنان وقد أوقت صفائحهُ
كأنما السَّيْفَةُ الْأَفْلَاكُ مُحْدَقَةُ
تنبيك عن طالع الأبراج هيئته
وإن مَعَتَّ ساعة أو بعضُ ثانية
وإن تَرَضَّى فِي وَقْتٍ يَقْدَرُهُ
(١) كذا ، وليس عندنا بمستقيم .

عن كل رابعة الأشكال مصفوح
كَمَثَالِ طَرْفٍ بِشَكْمِ الْحَذَقِ مَشْبُوحٍ
على الأقاليم في أقطارها النبيع
بالماء والنار والأرضين والريح
بالشمس . طوراً وطوراً بالمصاييح
عرَفَتْ ذاك بعلم منه مشروح
لك التشكُّكُ جَلَاءٌ بِتَصْحِيحِ

عِزٌّ فِي قِيَّاسَاتِ النُّجُومِ لَنَا بَيْنَ اللَّسَانِ مِنْهَا وَالنَّالِجِ
 لَهُ عَلَى الظُّلَمِ عَيْنَا حِكْمَةٍ بِهَا يَحْوِي الضِّيَاءُ وَيَجْنِيهِ مِنَ الْوُح
 وَفِي الدَّوَائِرِ مِنْ أَشْكَالِهِ حَكْمٌ تَلْقَحُ الْفَهْمُ مِنْهُ أَيْ تَلْقِيحُ
 لَا يَسْتَقِلُّ لَهَا فِيهَا بِمَعْرِفَةٍ إِلَّا الْحَصِيفُ الْلطِيفُ الْحَسْبُ وَالرُّوحُ
 حَتَّى تَرَى الْغَيْبَ عَنْهُ وَهُوَ مُتَعَلِّقُ الْأَبْوَابِ عَنْ سِوَاهُ جَدِّ مُفْتَوِّحِ
 نَتِيجَةِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّفَكُّيرِ صَوْرَهُ ذَوُو الْعُقُولِ الصَّحِيحَاتِ الْمَرَاغِبِ
 وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ تَحْتَ حِسَابِ الْمُهَنْدِسَةِ :

وَقَلَمٌ مِثْلُ دَاوُدَ تَرَابُ فِي صَفِّ سَطُورِهَا حِسَابُ
 يَكْثُرُ فِيهِ الْخَطُ وَالْإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَوِّدَ الْكِتَابُ
 حَتَّى يَبَيِّنَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ وَلَيْسَ إِعْجَازٌ وَلَا إِعْرَابُ
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا اِرْتِيَابُ

وَقَالَ يَسْتَهْدِي بِرَكَارَا :

جُدُلِي بِرَكَارَكِ الَّذِي صَنَعْتَ فِيهِ يَدَا قَيْنَةَ أَعَاجِبَا
 مَلَامَ الشَّقَرَتَيْنِ مُتَعَدِّلٌ مَاشِيْنَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيَا
 شَخْصَانِ فِي شَكْلِ وَاحِدٍ قَدْرَا وَرَكْبَا فِي الْعُقُولِ تَرْكِيَا
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِبَاهِهِمَا بِصَاحِبٍ لَا يَمَلُّ مَصْحُوبَا
 أَوْثَقَ مِمَّارِهِ وَغَيْبَ عَنْ نَوَاطِرِ النَّاقِدِينَ تَغْيِيْبَا
 فَبَيْنَ مَنْ يَحْتَلِيهِ تَحْسَبُهُ فِي قَالِبِ الْاِعْتِدَالِ مَصْحُوبَا
 وَضَمَّ شَطْرِيهِ مُحْكَمٌ لَهَا صَمٌّ مَحِيْبٌ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مَبْطَرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبَنَاتِ تَقْلِيْبَا
 قَوْلُهُ كَلَّمَا تَأَمَّلْهُ طُوبَى لِمَنْ كَانَ ذَالَهُ طُوبَى

فِي وَصْفِ
 بِرَكَارَا

ذو مُقَلَّةٍ بصرته مذهبة لم تأله زينة وتذهيباً
 ينظر منه إلى الصواب به فلا يزال الصواب مطلوباً
 لولاه ماصحَّ شكلُ دائرة ولا وجدنا الحساب محسوباً
 الحق فيه. فإن عدلت إلى سواء كان الحساب تقريباً
 لوعَيْنُ إقليدس به بصُرَتْ خر له بالسجود مكبوباً
 فابسته واجئبه لي بمسطرة تلقى الموى بالثناء مجنوباً
 لازلتَ تجدى وتجدى حكماً مستوهاً للصدق موهوباً

وقال في صفة البنكام :

في وصف
البنكام

روح من الماء في جسم من الصُّفْرِ مؤتلف بلطف الحس والنظر
 مستعبر لم يَنْبُ عن إلهه سَكَنٌ ولم يبت قطُّ من طعن على حذر
 له على الظاهر أجنانُ مُحَجَّرَةٌ ومقلةٌ دمعها يجرى على قَدْرِ
 تنشأ له حركات في أسافله كأنها حركات الماء في الشجر
 وفي أعاليه حسابان يُفَصِّلُهُ للناظرين بلا ذهن ولا فكر
 إذا بكى دار في أحشائه فذلِكَ خافى السير وإن لم يبك لم يَدْرِ
 مترجم عن مواقيت تخبرنا عنها فيوجد فيها صادق الخبر
 تقضى به الخس في وقت الوجوب ، وإن

فَطَى على الشمس سِرَّ النجم والمطر
 وإن سَمِرَتْ لأسبابٍ تودقني عَرَفْتُ مقدار ما ألقى من السهر
 مُحَرَّرٌ كل ميقاتٍ تخبره ذوو التخيير للأسفار والحضر
 ومخرج لك بالإجراء ألفتها من النهار وقوس الليل والسحر
 نتيجة السلم والأفكار صَوَّرَهُ يا حبيذاً بدعُ الأفكار في الصور
 وقال يصف زرومانج آبنوس :

في وصف
زمرانج

نعم للمعين على الآداب والحكم
لا تستمد مداداً غير صبغتها
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها
وأمكن الخوفها الكف فانتست
حليتها بلجين وانتخب لها
فالكيم يعبق منها حين تودعه
لو كن ألواح موسى حين يفضيه
صائف حلك الألوان كالظلم
فيسر ذى اللب منها غير مكتنم
ثوباً ولم يخش منها نبوة القلم
لما تضمن من ثبر ومنتظم
وقاية من ذكرى العود لا الأدم
عرفاً تنسّم منها أطيب النسم
هارون لم يلقها خوفاً من التدم

وله من قصيدة ذكر فيها طاووساً مات له :

في وصف
طاووس

رَزَقَهُ رَوْضَةٌ بِرُوقٍ ، ولم
جَثَلَ الدُّقَابُ كَانَ سُدَّةً
مُتَوَجِّجاً خَلَقَهُ حَيَاءَ بَهَا
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُ مُنْتَصِباً
يُطْبِقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْسِرُ عَنْ
أَدْلٍ بِالْحَسَنِ فَاسْتَدَالَ لَهُ
ثُمَّ مَشَى مِشْيَةَ الْعُرْسِ ؛ فَن
نَسَجَ بَرُوضٍ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
زُرَّتْ عَلَيْهِ مَوْشِيَةُ الْعِلْمِ
ذُو الْفِطْرِ لِلْعِجْزَاتِ وَالْحَكَمِ
يَبْقَى قَيْثُ إِلَى مَآرِ الْعِجَمِ
فَصَيْنَ يَسْتَبْحَنُ فِي الظُّلَمِ
ذِيلاً مِنَ الْكِبَرِ غَيْرَ مَحْتَسِمِ
مُسْتَظَرَفٍ مُسَجَّبٍ وَمِنْسَمِ

فهذا طرف مما شرطه كافٍ ، يرى به للتمتع بهذه الطريقة ، إن شاء

الله تعالى .

(١٠١) باب الشطور ، وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين : إما أن يراد بالشطر نصف البيت ،
وإما أن يراد به القصيد ، وذلك أنهم إذا ذكروا الشطور فرموا أنشدوا أبياتاً
كاملة ، وليست أُنسمة ؛ فيكون هذا من قوله تعالى : (قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ

للسجد الحرام) وكذلك القسم أيضاً : يجوز أن يكون نصف البيت ، ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن ؛ لأن الحظ يقال له قسيم وقسم .

قال جرير :

أَتَارِكَةٌ أَكَلَ الْخَزِيرَ مُجَاشِعٌ . وَقَدْ خَسَّ إِلَّا فِي الْخَزِيرِ قَسِيمُهَا

يريد حفظها . وقالت ابنة^(١) المنذر بن ماء السماء :

يَسِينِ أَبَاغٌ فَأَسَمْنَا الْمُنَايَا فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه .

الطويل : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فَعُولُنْ مفاعِلنْ » ثمانى مرات^(٢) وزحافه : الْقَبْضُ ، التَّلْمُ ، الرَّمْ ، الْكَفْ ، الْحَذَفُ . ومسده أن يحذف منه مفاعِلنْ الآخرة من كل قسم .

اللدید : مثنى محدث ، مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلائنْ فاعلنْ » ثمانى مرات^(٣) وعلى ذلك أنى محدثه ، وبيت مر بعه السالم :

بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي غَادَرَتْ قُوَّيَ سُدَى

قال : وهذا شعر قديم ، إلا أن التحليل لم يذكروه . زحافه : النلبن ، الكف ، الشكل ، القصر ، الحذف ، الصلم .

البسيط : مثنى قديم ، مسدس قديم ، مربع محدث ، أجزاءه « مستفعلنْ فاعلنْ » ثمانى مرات^(٤) ومسده « مستفعلنْ فاعلنْ مستفعلنْ » مكررة ، قال :

(١) الذي في ياقوت أن هذا البيت لابنة فروة بن مسعود ترى أباه ، وكان قد قتل بين أباغ - بضم الهمزة ، وفي آخره غين معجمة - وبعد هذا البيت : وقالوا سيذا منكم قتلنا كذلك الرمح يكلف بالكريم
(٢) صوابه « أربع مرات » .

وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع ، وقد قصص منه « فاعلن » الأولى والثالثة وبيته المربع المحدث :

دَارٌ عَفَاها الْقِدَمُ بَيْنَ الْبَلَى وَالْقِدَمِ

زحافه : الخلين ، الطي ، الخليل ، القطع ، الإزالة ، التخليع . ومعنى التخليع : قطع « مستغفلن » في العروض والضرب جميعاً .

الوافر : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلتن » ست مرات ، ولم يحمى عن العرب في مسدسه بيت صحيح . زحافه : المصب ، القطف ، النقص ، العقل ، المضب ، القص ، القص ، الجم .

الكامل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلن » ست مرات ، زحافه : الإضمار ، الوقص ، الخزل ، القطع ، الخرم ، الترفيل ، الإزالة .
المزج : مسدس محدث ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعيلن » أربع مرات ، بيته المسدس المحدث :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَعْمَانُ إِذْ بَانُوا وَإِذْ صَاحَتْ بِشَطِّ الْبَيْنِ غِرْبَانُ

زحافه : الخزم ، الكف ، القبض ، الحزب ، الشتر ، الحذف .

الرجز : مسدس ، مربع ، مثلث ، مثقبي ، كله قديم ، موحد محدث ، أجزاءه « مستغفلن » ست مرات ، زحافه : الخلين ، الطي ، الخليل ، القطع ، الفرق ، الوقف ؛ ومعنى قوله الفرق : أن يفرق الوند المجموع في حشو مسدسه فيعود مستغفلن مستغفلن — بتقديم النون — فيكون وزنه مفعولات .

قال : وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ، ولم يحمى ضربه إلا مغزياً ، وفي صدره ربه ، قال : وهو الذي يسميه الخليل المتعصب ، وفي ضرب مثناه ومثله إلا أنه ساكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون إلا متحركاً ، وذلك هو الوقف .

الرمل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن » ست مرات ، زحافة : الخين ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، الإسباغ .

الخفيف : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن » مكرر ، ومربيه « فاعلاتن مستفعلن » قال : وقد ركب منه مربع آخر ، وهو الذى يسميه الخليل مجتثا ، وقد قص منه « فاعلاتن » الأولى والرابعة . زحافة : الخين ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، التشعيث ، الإسباغ ، العلى .

المضارع : مربع قديم لا غير ، أجزاءه « مفاعن فاعلاتن » مكرر ، ولم يجىء من العرب فيه بيت صحيح . زحافة : القبض ، الكف ، الحذف ، الشتر ، الخين .

المتقارب : مشن قديم ، مسدس مربع محدث ، أجزاءه « فصولن » ثمانى مرات . زحافة : القبض ، التلم ، الهم ، القصر ، الحذف ، البتر ، وبيت مربيه المحدث :

وَقَفْنَا هُنَا بِأَحْلَالٍ مَيَّةٍ

للتدارك : مشن قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فاعلن » ثمانى مرات ، وبيته السالم من مثمنه :

كَمْ يَدْعُ مَنْ مَعَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرَ فَضْلَ عِلْمٍ سَوَى أَخْذِهِ بِالْأَنْزُرِ

وشعر عمرو الجنى مخبون . زحافة : الخين ، القصر ، الإذالة ، الترفيل . . وهذا شرح الألقاب عن أى زهرة التحوى وغيره . كل ما حذف ثانيه الساكن فهو مخبون ، وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوى ، وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض ، وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف ، وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول ، وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان

فهو مشكول ، وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص ، وما حذف خامسه للمتحرك فهو معقول ، وما حذف سابعه للمتحرك فهو مكشوف عند التليل ، ولم يمتد به الجوهري ، وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مغزول ، وما أسكن ثانيه للمتحرك فهو مُضْمَر ، وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب ، وما أسكن سابعه للمتحرك فهو موقوف ، وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور ، وإن كان هذا العمل في وَتَدٍ فهو مقطوع ، وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء القى هو فيه فهو مُسْتَبَع ، وإن كان ذلك في وتد فهو مُدْكَيل ؛ فإن زيد على التود حرفان فهو مُرْقَل ، وكل ما حذف منه وتد مجموع فهو أَحَدٌ ، فإن حذف وتد مفروق فهو أَهْمٌ ، وإذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك القى عليه فهو مقطوف ، وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت لحذف أول التود فهو مخروم ، وإن كان ذلك في « فصول » فهو أَتْلَمٌ ، فإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أَرَمٌ ، وإن كان الخرم في « مفاهلن » فهو أعصب ، وإن كان مع ذلك عصب فهو أقصم ، وإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أعقص ، وإن كان فيه مع الخرم عَقْلٌ فهو أَجْمٌ ، وإذا خرمت « مفاهلين » فهو أخرم ، وإذا كففته مع ذلك فهو أخرب ، وإذا خرمته وقبضته فهو أَشْتَرٌ ، وما ذهب منه جزءان من العروض والضرب فهو مُجْزُو ، وما يذهب منه شعره فهو مشطور ، وما ذهب ثلثاه فهو مَتَهْوَكٌ ، وما سلم من الزحاف - وهو يجوز فيه - فهو سالم ، وما سلم من الخرم فهو موفور ، وما استوفى دائرته فهو تام ، وما استوفى أجزاء دائرته وكان في بعض الأجزاء نقص فهو وَاقٍ ، وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح ، وإن خالف الحشو فهو مثل ، وبخلافه الحشو: أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو ، أو يمتنع من النقص

الذى يدخل الحشو ، والمحتدل على أريسة أوجه : ابتداء ، وفصل ، وغاية ، واعتقاد . وقد شرحتها فيما تقدم .

(١٠٢) — باب بيوتات الشعر والمُعرِّقين فيه

بيت أبي سلمي منها في الجاهلية بيتُ أبي سُلَيْمٍ : كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير كان شاعراً ، وله خثولة في الشعر : خاله بَشَامَةُ بنُ (١) الغدير ، وكان كَتَبَ وَبُحِّرَ ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

بيت حسان بن ثابت ومن المخضرمين حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حزام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبدالرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر ، ذكر ذلك المبرد وبعدهذين بيت النعمان بن بشير ، وبنوه : أبان ، وبشير ، وشبيب ، وابنته النعمان بن بشير حميدة ، ومن بني عبد الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد ابن النعمان ، وأم النعمان عمرة بنت رَوَاحَةَ شاعرة ، وخالهُ عبد الله بن رَوَاحَةَ أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم .

بيت نهشل بن حري ومن للمُعرِّقين في الشعر — عن عبد الكريم — نَهْشَل بن حَرِيٍّ بن ضمرة نهشل بن حري بن جابر بن قطن ، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً وشرافاً وفضالاً . وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصَّلْتِ ، وهو القائل :
قوم إذا نزل التريبُ بدارم تركوه رَبَّ سَوَاهِل وقيان
وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة .

بيت جرير ومن بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجده الخَلْقَانِي شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيهم شعراء . . قال أبو زياد السكلابي :

(١) في الأصول «أسامة بن العذير» وهو تصحيف من وجهين ، وصوابه ما أثبتنا

رأيت باليمامة نوحا و بلالا بنى جريرا و هما يتسايران ولهما جمال و هيمة و قدر عظيم ،
و أشعر من باليمامة يومئذ حنّاء بن نوح بن جرير ، وكان عقيل بن بلال شاعرا ،
و عمارة ابنه شاعرا ، أدرك الطائي حبيبا و لقيه المبرد .

ابن رؤبة

بن السجلج

بيت

أبي حفصة

ومن المرقين عُقبة بن رؤبة بن الصجاج .

ومن البيوتات بيت أبي حفصة : كان مروان شاعرا ، و جماعة بيته شعراء
يضرّبون بالسنتهم أنوفهم ، حكاه الجاحظ ، وكان يحيى جد مروان شاعرا
يهاجى اللعين المقرئ ، و جريرا ، و أكثر أهل بيته شعراء رجالا و نساء .

بيت

أبي عينة

و [بيت] أبي عينة بيت شعر : منهم مجد و بنوه أبو عينة و عبد الله و داود
و عباد بن داود لقّبه الخرق لقوله :

أما الخرقُ أعراضِ اللثامِ كما كان المرقُ أعراضِ اللثامِ أبى

بيت

الرقاشيين

و بيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل و ابنه الفضل و العباس ،
و أكثرهم شعراء .

بيت

اللاحقين

و بيت اللاحقين : كان تَمَذَّان شاعرا ، و ابنه ، و أبوه أبان شاعرا ، و جده
عبد الحميد شاعرا ، و لاحق أبو عبد الحميد شاعر ، و إليه نُسِبُوا ، وهو مولى الرقاشيين ،
و أكثر أهل هذا البيت شعراء .

بيت

أمية الكاتب

و بيت أمية الكاتب ذكرهم دعبيل ، وهم أمية و إخوته : علي ، و محمد ،
و العباس و سعيد ، و من أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية و أخواه علي و عبد الله ،
و ابن ميم محمد بن علي بن أبي أمية .

بيت رزين

و بيت رزين بيت شعر ، منهم عبد الله شاعر ، و ابنه أبو الشَّيْخ شاعر ،
و اسمه محمد ، و منهم علي شاعر ، و ابنه دعبيل و علي شاعران .

بيت حميد

و بيت حميد بن عبد الحميد : كان حميد شاعرا ، و بنوه أهرم و أبو عبد الله
و أبو نصر و أبو تَهَشَّل شعراء ، ذكرهم دعبيل

القرق بين
القرق ودي
البيت
والقرق بين القرق وبين ذى البيت أن القرق من تكرار الأمر فيه وفي
أبيه وفي جده فصاعداً ، ولا يكون مُعْرِقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ، وعلى
هذا فسر قول أبي الطيب :

الماض المهنّ ابن المارض المهنّ ابن المارض المهنّ
قالوا : إنما أراد أنه مُعْرِق ، وزاد واحداً على الشرط المتعارف ، وإنما أخذه
أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيّات :

ما كان يندردنا ويؤمن سربنا ويحيرنا من شر كل مخيفة
إلا مقام خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة
يعنى الواقف بن الملتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، فصدق وحسن في
معناه ، وقصص المتنّى بواحد بعد سرقة .

وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينهما .
ومن الإخوة ومن لم يعرق : لبيد وأخوه لأمه أريد ، والشماخ وأخوه
جزء يزيد - وهو مَزْرَد - وبنو ابن مقبل وهم عشرة إخوة ، تميم ، وفصالة
وحيان : ورقاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعقد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو الشمال ،
وأم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين آتفا شعر ؛ وقيس
أبن عمرو النجاشي وأخوه خديج ، وعمرو بن أحر وأخوه سنان وسيار ، وغيلان
ذو الرمة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحرثاس ، شعراء خمسهم ، ومسلم
أبن الوليد وأخوه سليمان الكفيف ، وأشجع الثلثي وأخوه أحمد .

وَأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له « الثَّنِيَّان » حكاه عبد الكريم عن
من الثمانيان
من الشعراء
غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب .

(١٠٣) - باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس : اختلف العلماء في كُتِبَ « بسم الله الرحمن الرحيم » الاختلاف في جواز كتابتها
 أمام الشعر ؛ فذكره ذلك سعيد بن السيب والزهري ، وأجازوه النخعي ، وكذا
 يروى عن ابن عباس ، قال : أكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر
 وغيره ؛ قال أبو جعفر : ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال : ينبغي أن
 يكتب أمام الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنه يجيء بعده « قال فلان »
 وما أشبه ذلك . . قلت أنا : إنما هذا في الشعر إذا دُوِّنَ ، فأما قصيدة رفعها
 الشاعر إلى مدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها ، لكن بعدها ، وإذا كان الأمر
 هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة ؛ لأن المذرحينئذ ساقط .

(١٠٤) - باب أحكام القوافي في الخط

إذا صارت الواو الأصلية والياء الأصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما
 يسقط واو الوصل ويأؤه ، مثل واو « يغزو » للواحد ، و (يغزوا) للجماعة
 إذا كانت القافية على الزاي ، ألا ترى أنهم أسقطوها في اللفظ فضلا عن الخط . .
 قال الراجز :

• كَرِيْمَةٌ قَدَرُهُمْ إِذَا قَدَّرَ •

يريد « إذا قدروا » قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين وقد
 سأله عن هذا : لا يجوز حذف هذه الواو إلا في أشد ضرورة ، للرب لا للولدين ؛
 لأنها علامة جمع وإضمار ؛ فحذفها يلتبس بالواحد ، قال : وهذا مذهب سيبويه
 والبصريين ، ومثل واو « يغزو » وياء « يقضى » للنائب « ونقضى »

للمؤنة الغائبة وللذكر المخاطب . وكذلك ياء تم القاضي والغازي هـ إذا كانا معرفين بالألف واللام ، هذا هو الوجه ، فإن كتب يائبات الواو والياء فعلى باب للساحة ، والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً في الغرض ، وكذلك ياء الضمير نحو غلامى هـ إذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء ، فإن كتبت مساعده في الغرض كما قدمت ، وقد أسقطها بعضهم في اللفظ . سر أنشدنى أبو عبد الله للأعشى :

ومن شأني كاسيف وجهه إذا ما أنسبت له أنكرن

قال : يريد « أنكرنى » غذف الياء ، فأما ما يكون مثنوئاً نحو « قاض ، وغاز » أو مجزوماً نحو « لم يقض ، ولم يفر » فلا يجوز أن يثبت فيها الياء والواو على للساحة ؛ لأنها سقطتا بالتثنية والعامل . . ومن العرب من يقول « هذا الغاز ، ومررت بالقاض » بغير ياء ، وهذا تقوية لمذهب من جذفها في الخط إذا كانت وصلًا لقافية .

وإن كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتبها جميعاً بالألف لتستوى القوافي ، وتشتبه صورتها في الخط .

(١٠٥) — باب النسبة إلى الروى

إذا قلت قصيدة فنسبتها إلى ما [كان] على حرفين قلت هذه قصيدة بائية وحائية ، وكذلك أخواتها ، وإن شئت جعلت المزمة واواً فقلت : ياوية ، وكان أبو جعفر الرقاشى ينسب إلى ما كان على حرفين يقول : هذا ييوى ، ويتوى ، وكذلك أخواتها ، إلا « ا. » و « لا » فإنه يقول : موى ، وتوى على قفى ، وتقول على هذا القول : قصيدة موية ولوية ، قال ثعلب : ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه إلا وجه واحد ، تقول : سينت سيناً ، وعينت عيناً ، إذا كتبت سيناً وعيناً ، فيقول على هذا : قصيدة مسينة ومسينة

كيف تنسب
إلى ما كان
على حرفين

وسينية وعينية ، وكذلك قصيدة ميمية ، ولا تقول « مؤومة » فإنه خطأ ، وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الأوسط ألف بالياء لا غير ؛ لكثرة الواوات ، فتقول : وَوَيْتُ وأوأك حسنة ، وبعضهم يحمل الواو الأولى همزة لاجتماع الواوين فيقول : أويت وأوأك حسنة ، فالقصيدة على هذا واوية ومؤوأة وموواة ، وقال بعضهم في « ما » و « لا » من بين أخواتهما : مويت ماء حسنة ، ولويت لاء حسنة ، بالمد ؛ لمكان الفتحة من ما ولا .

(١٠٦) — باب الإنشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف — إذا أرادوا التزم ومدّ الصوت في التناء والحداء — في إتباع القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب وانخفض ، كانت مما ينون أو مما لا ينون ، فإذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا : فمنهم من يصنع كما يصنع في حال التناء والتزم ؛ ليفصل بين الشعر والكلام المنشور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينون ما ينون ومالا ينون : إذا وصل الإنشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالتَّمْلِيَاءِ قَالَسَنْدِ

منونا إلى آخر القصيدة ، لا يبال بما فيه ألف ولام ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماض ، ولا مستقبل ، وهم ناس كثير من بني تميم .

ومنهم من يجرى القوافي مجراها ولولم تكن قوافي فيقف على الرفع والمكسور موقوفين ويسوض المنصوب ألفا على كل حال ، وهم ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون :

لا يبعد الله جيرانا لنا ظمنوا لم أدر بعد غداة البين ما صنع

الوقف
على لنة
قيس وأسد

يريد « ما صنعوا » . وكذلك ينشدون :

ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمي عمل
فإذا وصلوا جعلوه كالسكلام وتركوا اللدة لملهم أنها في أصل البناء .

قال سيبويه : معناه ينشدون :

« أَقْلُ الْأَوَمِّ عَاذِلَ وَالْمَتَابِ »

إذا كان منوناً أثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالسكلام المنثور .

ومن العرب من في لفته أن يقف على إشباع الحركة : فتجر الضمة واواً ،
والكسرة ياء ، والفتحة ألفاً ، فينشد هذا كله موصولاً من غير قصد غناء
ولا ترنم .

الوقف
بإشباع الحركة

ومنهم من في لفته أن لا يموض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفاً
من غير اعتقاد تقييد ، وإذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بإزاء إطلاقه ، فهو
غير جائز ؛ لأن الشعر بالقييد يكسر بقنونه كما يكسر بإطلاقه ، ما خلا الأوزان
التي قدما القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز إطلاقها وتقييدها .

ويمكن من رؤية أنه أشد قصيدته القافية للقيدة منونة ، فرد ذلك الزجاجي
وأنكره ، وذكر أنه وهم من السامع ، وأن الوجه فيه أن من العرب من يزيد بعد
كل قافية « إن » الخفيفة المكسورة إعلالاً باقضاء البيت ، فينشد :

وقايم الأعماق خاوى المحترق إن مُشْتَبِهُ الأعلام لئاعُ الخلق إن
• بكل وفد الرمح من حيث المحرق إن •

وإذا كان ما قبل حرف الروى ساكناً - وكانت لفة مُنْشِدِهِ الوقوف على
بنقل الحركة المضموم والمكسور - بنقل الحركة كما أنشد أعرابي من بني سبئ قول
ذي الرمة :

• وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمِرْعَاكَ الْقَطَرُ •

— بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف — حكى ذلك عبد الكريم ، وعلى هذا قال الآخر :

• أنا ابن مارية إذ جد النفر •

أراد « النفر » بالتخيل .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَرْتَفَى حِجْلًا عَلَى سَاقِهَا فُحْشُ الْفَوَادِ لِبَاكِ الْحِجْلِ

فقلت ولم أخف من صاحبي : ألا بأبي أصلُ تلك الرُّجْلِ

وقال : قَلَّ لاضطرار القافية .

وعا يدخل في شفاعه هذا الباب : النناء ، والحداء ، والتنبير ، قال الشاعر :

تَنْفٍ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَاتِلُهُ إِنْ النِّنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِضَارُ

ويقولون : فلان يتنفى بفلان أو بفلانة ، إذا صنع فيه شراً .

قال ذو الرمة :

أَحِبُّ لِلسَّكَانِ الْقَفَرَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي بِهِ أَتَنَفَّى بِسَمِّهَا غَيْرَ مُعْجِبِ

وكذلك يقولون : حدّا به ، إذا عمل فيه شراً .

قال المرار الأسدي :

وَلَوْ أَنِّي حَدَوْتُ بِهِ أَرْفَأَنْتَ نَمَاتِهِ وَأُبْصَرَ مَا يَقُولُ

وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والستاد ، والمزج .

أنواع
غناء العرب

فأما النصب فنشاء الركبان والفتيان ، قال إسحاق بن إبراهيم اللوصلي : وهو

الذي يقال له المرأى ، وهو النشاء الجنائبي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب

ابن عبد الله بن هبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من

أصل الطويل في العروض .

وأما الستاد فالتمثيل ذو الترجيع ، الكثير التمثات والتبرات ، وهو

على ست طرائق : التثنية الأول ، وخفيفة ، والتثنية الثاني ، وخفيفة ،
والرمل ، وخفيفة .

وأما المزج فالتخفيف الذي يرقص عليه ، ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ،
ويستخف الحليم ، قال إسحاق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام ،
وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء
الجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالميسدان والعنانيير والمعارف
والمزامير .

فرق ما بين
العرب والمعجم
قال الجاحظ : العرب تقطع الألحان الموزونة على الأَشْعار الموزونة ، والمعجم
تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على
غير موزون .

ويقال : إن أول من أخذ في ترجيعه الهداء مضر بن زرار ؛ فإنه سقط عن
جمل فأنكسرت يده فحمله وهو يقول : وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله
جرماً وصوتاً ، فأصفت الإبل إليه وجدت في السير ، فحملت العرب مثالا لقوله
هايداً هايداً يحدون به الإبل ، حتى ذلك عبد الكريم في كتابه .

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم ، كان في إبله أيام
الربيع ، فأمر غلاماً له ببعض أمر ، فاستبطأه ، فضر به بالعصا ، فجعل ينشد في
الإبل ويقول : يايداه ، يايداه ، فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الهداء من
ذلك الوقت .

وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير
ابن بكار في حديث يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار
سمع حاديهم بطريق مكة ليسلاً قال إليهم : إن أباًكم مضر خرج إلى بعض
رعاته فوجدها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا

السلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الإبل ذلك فمطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لا نقصت به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء .

وأما التثخير فهو تهليل أو تردد صوت ، بقراءة أو غيرها ، حكى ذلك ابن دريد ، وحكى أبو إسحاق الزجاجي قال : سألت بعض الرؤساء : لم سمي التثخير تغييرا ؟ قلت : لأنه وضع على أنه يرغب في الثابر - أي : الباقي ، أي : يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة - وقال غيره : إنما قيل له تغيير لأنه جعل ما يخرج من الفم بمنزلة الثبار ، فرض الجوابان على أحمد ابن يحيى ، فاستجد جوابي .

يقال للراسل في الضياء : للثالي ، حكاه غلام ثعلب

١٠٧ - باب الجوائز والصلوات

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يميزه ليذهب إلى وجهه ، وكان الرجل إذا ورد ماء قال تميمه : أجرني - أي : أعطني ماء حتى أذهب لوجهي وأجوز عنك - فكثير حتى جعلت الجائزة عطية .

قال الراجز :

يا قيم الماء قد تكت نفسي أخين جَوَازِي وَأَقِلَّ حَبْسِي

قال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف بن قيس في جيشه غازيا إلى خراسان ، فوقف لهم على قنطرة السكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مائة مائة ، فلما كثروا عليه قال : أجيزوهم ، فأجيزوا ؛ فهو أول من سن الجوائز .

اشتقاق
الجائزة
وأصلها

أول من
سن الجوائز

قال الشاعر :

فَدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنَى هَلَالٍ عَلَى عِلَّتِهِمْ عَمِي وَخَالِي
هُمْ سَتُوا الْجَوَازِ فِي مَتَدَّةٍ فَصَارَتْ سُنَّةٌ أُخْرَى الْيَالِي

البدره

والبدره : عشرة آلاف درهم ، سميت بذلك لوفورها ، قال بعضهم : ومنه
سمى القمر ليلة أربع عشرة ﴿ نُذْرًا ﴾ لتمامه وامتلائه من النور ، ويقال : لبادرته
الشمس ، وقيل : بل التدرة جللة السخلة إذا فطمت والجذع من المزبلاً مالا ،
فسمى المال ﴿ بَدْرَةً ﴾ باسم الوعاء مجازاً .

الصلة

والصلة ﴿ مَا أَخَذَهُ الرَّجُلُ مِنَ السُّلْطَانِ أَوَّلَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى
قِيلَ لِهَبَةِ لِلْكَ ﴾ صلة ﴿ .

وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب
لما جاء موضعها :

إِنِّ الذِّى صَاغَتْ يَدَى وَفَى وَجَرَى لِسَانِي فِيهِ أَوْ قَلْبِي
مِمَّا عَنَيْتَ لِسَبْكَ خَالِصَهُ وَاخْتَرْتَهُ مِنْ جَوْهَرِ الْكَلِمِ
لَمْ أَهْدِهِ إِلَّا لَتَكْسُوهُ ذَكَرًا يُجَدِّدُهُ عَلَى الْقَدَمِ
لَسْنَا نَزِيلُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ لَكِنَّهُمْ مَصَائِدُ الْكَرَمِ
فَأَقْبِلْ هَدِيَّةً مِّنْ أَشَدَّتْ بِهِ وَنَسَخَتْ عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ
لَا نَحْسِبُ الْهَدِيَّةَ أَبَا حَسَنِ تَأْنِي بِمِثْلِكَ فَاتَّقِ الْمَهْمِ

الحمد لله الذي بنعمته تكمل الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد
أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية وأعلام الدرايات ، وسلم
تسلماً كثيراً .

وبعد ، فقد نجز كتاب « العمدة » في مجاسن الشعر وآدابه « لأبي على
الحسن بن رشيق الأزدي : للولود في سنة ٣٩٠ من الهجرة (١٠٠٠ م)
المتوفى في ذي القعدة من سنة ٤٥٦ من الهجرة (١٠٦٤ م) بعد أن صقله
التحقيق ، وجلاؤه حسن الوضیع ، وزاته رونق الطبع ، وبعد أن قضيت
نصف سؤل في المراجعة ومعاودة النظر ، وقضيت من بعد ذلك ثلاثة أشهر
في الإشراف على طبعه ، لا يحملني على تجشّم هذه الأحوال إلا الرغبة
الصادقة في خدمة العربية ، والحرص على أن تكون كتبها صحيحة المعنى جميلة
الزّوا .

وإني أنفصرع إلى الله تعالى أن يثيبني على هذا بمقدار إخلاص في لوجه ؛

عبد المولى محمد بن عبد الله

فهو حسبي ونعم الوكيل .

فهرس الجزء الثاني، من كتاب

«العمدة، في محاسن الشعر وقده»

لأبي على الحسن بن رشيق، القيرواني، الأزدي

| م | الوضوع | م | الوضوع |
|----|---------------------------------|----|---|
| ١٧ | أشعر بيت قالته العرب | ٣ | باب التصدير |
| — | من أمثلة للمقابلة أيضاً | — | حد التصدير، وفائدته |
| — | من جيد للمقابلة | — | أقسام التصدير |
| — | من خفي للمقابلة | — | الفرق بين التصدير والترديد |
| ١٨ | من جيد للمقابلة في المنثور | — | أمثلة للتصدير |
| — | مما عيب من المقابلة | ٤ | من التصدير نوع يسمى «للمضادة» |
| ١٩ | منها نوع مختص باسم «الموازنة» | — | باب للمطابقة |
| ٢٠ | من أملح للموازنة وتعديل الأقسام | ٥ | حد للمطابقة، والاختلاف فيه |
| — | باب التقسيم | ٧ | رد الحدود المختلفة بعضها إلى بعض |
| ٢٠ | حد التقسيم | — | أمثلة من للمطابقة |
| ٢١ | من جيد التقسيم | ٩ | مما يظن أنه من للمطابقة، وليس منه |
| ٢١ | من جيد التقسيم في المنثور | ١١ | من أمثلة للمطابقة أيضاً |
| ٢٢ | عود إلى جيد التقسيم في الشعر | — | من عمر أبي الحسن في الطباق |
| — | أصح تقسيم | ١٢ | أمثلة مما يغلط فيه الناس من هذا الباب |
| ٢٥ | جمع الأوصاف (التعقيب) | — | باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة |
| — | من أنواع التقسيم التقطيع | ١٢ | أسباب اختلاط أحد النوعين بالآخر |
| ٢٦ | الترصيع | ١٤ | مما ظاهره التجنيس وباطنه طباق |
| — | باب التقسيم | — | باب للمقابلة |
| ٣١ | الاختلاف في تسميته، وأنواعه | ١٥ | حد للمقابلة |
| ٣٤ | من جيد التقسيم | — | أكثر ما نجىء فيه للمقابلة الأعداد |
| — | مأخذ التقسيم والتوشيح | ١٦ | نوع خاص من للمقابلة يسمى «مقابلة الاستعقاق» |
| — | باب التصدير | — | من أمثلة للمقابلة |
| ٣٥ | حد التصدير | | |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|----|---------------------------------|----|------------------------------------|
| ٦٠ | من الإيصال نوع يسمى «الاستظهار» | ٣٥ | من جيد التفسير |
| — | اشتقاق الإيصال | ٣٩ | باب الاستطراد |
| ٦٠ | أسماءه ، وميزته | — | حد الاستطراد |
| ٦١ | أصح الكلام | — | أوضح الاستطراد ، وأول من قاله |
| — | تعريف النلو لقديمة | ٤١ | من الاستطراد نوع يسمى «الإدماج» |
| — | اختلاف الناس في الإفراط | — | باب التعرّيع |
| — | قول الحامّي في النلو | ٤٢ | حد التعرّيع ، ومثله من الاستطراد |
| ٦٢ | من أبيات النلو | — | أمثلة من التعرّيع |
| ٦٣ | من علو التنزي | — | باب الالتفات |
| ٦٤ | أحسن الإغراق | ٥٥ | حد الالتفات ، والاختلاف في تسميته |
| ٦٥ | اشتقاق النلو | — | أمثلة منه |
| — | الإغراق | ٤٦ | قد يجميء الالتفات في آخر البيت |
| — | باب التشكك | — | باب الاستثناء |
| ٦٦ | قائمة التشكك | ٤٨ | تسميته ، وحده |
| — | أمثلة منه | — | أمثلة من ملحق هذا النوع |
| ٦٨ | أول من نطق بهذا المعنى | — | باب التتميم |
| — | باب الحشو وفضول الكلام | ٥٠ | حد التتميم |
| ٦٩ | أسماءه ، وحده | ٥١ | من أمثلة التتميم في القرآن الكريم |
| — | أمثلة من الحشو | — | من أمثلة التتميم في الشعر |
| ٧١ | الكلمات التي يكثر الحشو بها | — | باب المبالغة |
| ٧٢ | من الحشو نوع يسمى «التفصيل» | ٥٣ | آراء الناس في المبالغة |
| — | باب الاستدعاء | ٥٥ | من المبالغة نوع يسمى «التقصي» وحده |
| ٧٣ | حد الاستدعاء | — | ترادف الصفات |
| — | أمثلة الاستدعاء | — | الغلب |
| — | باب التكرار | — | باب الإيصال |
| ٧٣ | متى يحسن التكرار ؟ ومتى يقبح ؟ | ٥٧ | حد الإيصال |
| ٧٤ | أمثلة من التكرار | — | صفة أشعر الناس |
| ٧٧ | من تكرار المعنى | — | أول من ابتكر هذا النوع |
| | | ٥٨ | أمثلة من الإيصال |

| م | للموضوع | م | للموضوع |
|-----|--|-----|---------------------------------------|
| ٧٨ | بهاء ابن المعتز « للذهب الكلامي » | ١٠٠ | أمثلة من التناير |
| ٧٩ | أمثلة منه | ١٠٤ | باب في التصريف وقد الشعر |
| — | نوع آخر هو أولى بهذه التسمية ، وأمثلة له | ١٠٤ | مقي يحوز الشاعر قصب السبق ؟ |
| ٨٠ | باب نفي الشيء بإيجابه | — | موازنة بين جرير والعرزدق |
| — | هو من اللبافة ، ولا يختص بها | ١٠٥ | ليحيي النجم في قد الشعر |
| ٨٢ | المصيب من هذا النوع | — | من عنده علم الشعر |
| — | باب الاطراد | — | باب في أشعار الكتاب |
| ٨٢ | حده ، ومنزله | ١٠٦ | من شعر إبراهيم بن العباس الصولي |
| — | أمثلة له | ١٠٧ | من شعر محمد بن عبد الملك الرثبات |
| ٨٤ | باب التضمين والإجازة | ١٠٨ | من شعر الحسن بن وهب |
| — | يختلط على كثير من الشعراء | ١٠٩ | من شعر سعيد بن حميد |
| — | حد التضمين | — | ملا يلزم الكاتب |
| — | أمثلة من جيد التضمين | ١١٠ | من شعر أبي الحسن |
| ٨٩ | حد الإجازة ، وأنواعها | ١١٣ | باب في أغراض الشعر وصنوفه |
| — | أمثلة منها | ١١٤ | لأبي العباس الناشيء في صناعة الشعر |
| ٩٠ | اشتقاق الإجازة | ١١٤ | وصية أبي تمام للبحثري |
| ٩١ | منها نوع يسمى « التخليط » | ١١٥ | لنا شيء أيضا في صناعة الشعر |
| ٩٢ | اشتقاق التخليط | — | باب النسيب |
| — | باب الاتساع | ١١٦ | حق النسيب |
| ٩٣ | حد الاتساع ، وسببه | ١١٧ | الفرق بين الغزل والنسيب |
| — | أمثلة له | — | من مختار نسيب المتقدمين |
| ٩٦ | باب الاشتراك | ١١٨ | مما يختار من نسيب المحدثين |
| ٩٨ | أنواع الاشتراك ، أمثلة له | ١١٩ | لمسلم بن الوليد |
| — | الاشتراك في المعاني ، وأنواعه | — | للبحثري ، لأبي تمام |
| — | أمثلة له | — | للمتنبي |
| ١٠٠ | باب التناير | ١٣٠ | لأبي نواس |
| — | حد التناير ، وسببه | — | أعزل بيت ، واختلاف العلماء في اختياره |
| — | — | ١٣١ | لأبي نواس أيضا |
| — | — | — | الأسماء التي يحول الشعراء فيها |

| ص | للموضوع | ص | للموضوع |
|---------------|---|--------------|-------------------------------------|
| ١٢٣ | من عيوب هذا الباب | باب الاختصار | |
| ١٢٥ | طرد الحيال ، ومن ركبته من الشعراء | ١٤٣ | يقال في الاختصار ما يقال في المديح |
| ١٢٦ | من الأمانى غير المقبولة | ١٤٤ | أفخر بيت ، واختلاف الطاء في اختياره |
| ١٢٧ | اشتقاق التشبيب | ١٤٥ | ما أنكره قدامة في المديح |
| باب في المديح | | — | مما أنكره الجرجاني (صاحب الواسطة) |
| ١٢٨ | سبيل الشاعر في للدح | ١٤٦ | من المختار في القنخر |
| ١٢٩ | كيف يمدح الشاعر للسلوك والسوقة ؟ | — | من شعر أبي الحسن في القنخر |
| ١٣٣ | أبو العتاهية وعمر بن العلاء | — | ما عابه الأصمعي |
| ١٣٤ | ما يمدح به الكاتب والوزير | باب الرثاء | |
| ١٣٥ | ما يمدح به القائد | ١٤٧ | الفرق بين الرثاء وللدح |
| ١٣٥ | ما يمدح به القاضي ، وصاحب للظالم | — | سبيل الرثاء |
| ١٣٦ | سليمان بن عبد الملك يسجبه جماله | ١٤٨ | المختار من جيد الرثاء |
| — | ما يطالب على أبي تمام | — | لابن أبي حفصة |
| — | ما يقدم في للدح قول كعب بن زهير | — | لأبي تمام |
| — | في رسول الله صلى الله عليه وسلم | ١٤٩ | لهديك الجنب (عبد السلام بن رغبان) |
| — | ما يناسب ذلك | ١٥٠ | يكون الرثاء مجعلا كالمدح |
| ١٣٧ | من شعر الخطيئة في للدح | — | أرثي بيت |
| ١٣٨ | من شعر الشماخ | — | من عادة القدماء في شعر الرثاء |
| — | أفضل ما يمدح به للوك | ١٥١ | مذهب المحدثين في الرثاء |
| — | الشعراء يباب للتصميم | — | ليس من عادة الشعراء تقديم نسب |
| ١٣٩ | أمدح بيت ، واختلاف العلماء في اختياره | قبل الرثاء | |
| ١٤٠ | من أجود ما يختار للمحدثين في المديح | ١٥٢ | ما عيب في الرثاء شعر للكعبية |
| ١٤٣ | ما عيب في المديح شعر للكعبية في مدح النبي | ١٥٣ | على شدة الجزع بين الرثاء |
| | | ١٥٤ | أشد الرثاء صعوبة |
| | | ١٥٥ | الجمع بين التهنئة والتعزية |
| | | ١٥٦ | ممارتي به للنساء |

| م | للموضوع | م | للموضوع |
|-----|--|-----|---|
| | باب الاقتضاء والاستحجاز | | باب الهجاء |
| ١٥٨ | ما يستوجب الاقتضاء | ١٧٠ | خير الهجاء |
| — | أحسن المختار من الشعر في الاقتضاء | — | الهجاء للقدح |
| | قول أمية بن الصلت لعبد الله بن جعدان | — | عقوبة الهجاء في الإسلام |
| ١٥٩ | قول محمد بن يزيد الأموي لميسى بن فرخان | ١٧١ | أبلغ الهجاء |
| — | للمؤلف | ١٧٢ | مذاهب الشعراء في الهجاء |
| | باب العتاب | ١٧٣ | لريضة الرق في الهجاء |
| ١٦٠ | عقب العتاب | — | للطرماح |
| — | للعتاب طرائق | — | لجربري بن التيم |
| — | أحسن الناس طرعا في العتاب | ١٧٤ | لأبي هفان في التكم |
| | البجترى | — | أجود الهجاء |
| ١٦١ | للجترى أيضا في العتاب | ١٧٤ | لأبي الحسن في الهجاء |
| ١٦٢ | للمؤلف الكتاب في العتاب | ١٧٥ | أهمى بيت |
| — | لأبي تمام في العتاب | | باب الاعتذار |
| ١٦٣ | لأبي تمام في العتاب أيضا | ١٧٦ | لمحمد بن علي الأصبهاني في الاعتذار |
| ١٦٤ | لأبي الرومي يعاتب إسماعيل بن بلبل | — | لإبراهيم بن المهدي |
| — | للمتي يعاتب سيف الدولة | — | لأبي علي البصير |
| ١٦٥ | عتاب الأوكفاء ودوى للودات | — | للمؤلف |
| ١٦٦ | للمولى يعاتب ابن الزيات | ١٧٧ | اعتذارات النابغة الديباني |
| — | لأبي الحسن | ١٧٨ | لسلم الخامس يعتذر إلى المهدي |
| — | لمعبد بن حميد يعاتب صديقا له | ١٧٩ | لعبد الله بن عبد الله بن طاهر |
| ١٦٧ | لبشار بن برد | — | للمتقي |
| | باب الوعيد والإنذار | — | لعلي بن جبلة |
| ١٦٧ | لا بن مقل | — | لأبي الهول الجعري |
| ١٦٨ | لجربري | ١٨٠ | اشتقاق الاعتذار |
| — | لا بن الرومي | | باب سيورة الشعر والحظوة في الدح |
| ١٦٩ | للمؤلف ، في الوعيد | ١٨١ | لأبي سار عرهم في الجاهلية ، وفي الإسلام |
| | | — | بين حسين بن الضحاك الخليل وأبي نواس |

| الموضوع | ص | الموضوع | ص |
|-------------------------------------|-----|---|---|
| الأحلاف | ١٩٤ | ١٨٢ قبائل لم يحك هجاؤم إلا قليلا | |
| الأرقام | — | — قبائل عقيت كثيرا بالهجاء | |
| البراجم | ١٩٥ | ١٨٣ الذين حظوا بالمديح | |
| التسلبات | — | ١٨٤ مفاخر تميم | |
| الرباب | — | ١٨٥ الأوابد من الشعر | |
| الاجارب | — | — المجدودون في التكسب بالشعر | |
| الحرام | — | باب ما أشكل من اللحم والهجاء | |
| الضباب | — | ١٨٦ لرجل من بني عبيد شمس بن سعد بن تميم | |
| الأكابير | ١٩٦ | — مما أنشده العلماء | |
| بنو أم البنين | — | — لسليمان بن قنة | |
| الككة | ١٩٧ | ١٨٧ كم الككب | |
| الحسن | — | — تجنب الجيوش | |
| المناسب | — | ١٨٨ ابنة الجبل | |
| الأحياس | — | — الثنيان | |
| أم القبائل | — | ١٨٩ ذو فجرات | |
| الجرات | — | — روضة البلد | |
| ١٩٨ بنوطية | | باب في أصول النسب | |
| للوالى | — | ١٩٠ أصول الأنساب | |
| باب ذكر الوقائع والأيام | | ١٩١ أصل تسمية الطبقات | |
| ١٩٩ منازل الرسول صلى الله عليه وسلم | | ١٩٢ مفاخر القبائل | |
| ٢٠٠ يوم إرباب | | — فرسان العرب | |
| ٢٠١ يوم نصف فشاوة | | — بيوتات العرب | |
| — يوم نجران | | باب مما يتعلق بالأنساب | |
| — يوم السمدة | | ١٩٣ قريش البطاح | |
| — يوم طحفة | | ١٩٤ قريش الظواهر | |
| ٢٠٢ يوم اللوت | | — ألقاب لبعض القبائل | |
| — يوم مليحة | | — الأحابيش | |
| — يوم القوى | | — للطيون | |
| — يوم الصليفاء (الصلماء) | | | |

| ص | للوضوع | ص | للوضوع |
|-----|------------------------------|-----|------------------------------------|
| ٢٠٢ | يوم الهبة | ٢١٤ | يوم البشر |
| ٢٠٣ | يوم صراع | — | يوم الرغام |
| — | يوم القروق | ٢١٥ | يوم المراميت |
| ٢٠٣ | يوم شمس جبلة | — | يوم الوقيظ |
| ٢٠٤ | يوم أقرن | — | يوم جزع طلال |
| ٢٠٥ | يوم زبالة | — | يوم أواره (الأول) |
| — | يوم جندود | ٢١٦ | يوم أواره (الأخير) |
| — | يوم السكاب الأول | — | يوم زرود الأول |
| ٢٠٦ | يوم الشمية (السكاب الثاني) | — | يوم زرود الآخر |
| — | يوم حر السوابر | ٢١٧ | يوم تثليث |
| — | يوم ذى يعض | ٢١٧ | يوم ذى علق |
| ٢٠٧ | يوم عاقل | — | يوم العذيب |
| — | يوم عينين | — | يوم الصفقة |
| — | يوم قلبي | ٢١٨ | يوم التفجار الأول |
| — | يوم زاحة | — | يوم التفجار الثاني |
| ٢٠٨ | يوم إضم | ٢١٩ | يوم التفجار الثالث |
| — | يوم قنا الحسن | — | يوم الجفار |
| — | يوم أعيار | — | يوم الصريف |
| ٢٠٩ | يوم رحرحان الأول | ٢٢٠ | مفاخر بى شيان |
| — | يوم رحرحان الثاني | — | وقود ريمة عند النعمان بن المنذر |
| — | يوم ضربة | ٢٢١ | مفاخرة بين عامري وشياني عند معاوية |
| ٢١٠ | يوم الصراثم | ٢٢٢ | حديث ذى الجدين |
| ٢١١ | يوم النسيط | — | باب في معرفة ملوك العرب |
| — | يوم ذى نجب | ٢٢٥ | ملوك اليمن |
| ٢١٢ | يوم خزازي | ٢٢٨ | ملوك الشام |
| — | يوم ملزق | ٢٢٩ | ملوك الحيرة |
| ٢١٣ | يوم الوئدة | — | باب من النسبة |
| — | يوم قيف الربيع | ٢٣٠ | الإبل الأرحية |
| ٢١٤ | يوم ذى بهدى | | |

| ص | للوضوع | ص | للوضوع |
|---------------------------------|----------------------------------|---------------------|-----------------------------------|
| ٢٣٠ | أسد خفية | ٢٣٨ | تسكّر للماني كما تقدم العصر |
| — | الرماح الزينة | — | منزلة ابن الرومي في توليد للماني |
| — | الفرود القرعونية | ٢٣٩ | بشار بن برد بين سبب تخوفه |
| ٢٣١ | السكنان الزغرية | ٢٤٠ | معان سبق إليها المتقدمون ولا تطلب |
| — | الرمح السميري | — | من المحدثين |
| — | البرود الأعجمية | ٢٤١ | ما جاء في طول الليل |
| — | الأسنة الضمنية | ٢٤٢ | ما جاء في خلق الشعر |
| — | التياب الحارّة | — | ما انفرد به بشار بن برد |
| ٢٣٢ | الرحال الملافية | ٢٤٣ | ما انفرد به أبو نواس |
| — | الكلاب والفرود السلوقية | ٢٤٤ | ما انفرد به أبو تمام |
| — | السيوف السرجية | — | أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي |
| ٢٣٣ | الفرود الخطمية | ٢٤٥ | بين مسلم بن الوليد وأبي نواس |
| — | الرماح الخطمية | ٢٤٦ | ما أخذ للاصمعي على زهير ، ورده |
| — | السك الداري | — | ما أخذ له على الشماخ |
| — | خول إبل النمان | — | ما أخذ للامدي على البحترى |
| — | القسي الصفورية | ٢٤٧ | من المأخوذ على أبي تمام |
| — | القسي اللامنية | ٢٤٨ | ما أخذ على جرير ، ورده |
| — | خيار الإبل | — | ما أخذ على بشامة بن القدير |
| ٢٣٣ | الحجر الأخدرية | — | ما أخذ على كعب بن زهير |
| ٢٣٤ | أول من أنتج البقال | ٢٤٩ | ما أخذ على البحترى |
| باب الغناق من الخيل ومد كوراتها | | — | ما أخذ على الفضل في رواياته |
| ٢٣٤ | مراكب رسول القسلى الله عليه وسلم | ٢٥٠ | ما أخذ على الفرزدق وعلى الأخطل |
| — | خيل غنى ، أعوج | ٢٥١ | معلدرة عن النابغة الذبياني |
| — | عدة من خول الخيل | — | معلدرة عن زهير بن أبي سلمى |
| باب من للماني المحدث | | ٢٥٢ | ما أخذ على أبي نواس |
| ٢٣٦ | من الذى يصح الاستشهاد شعره ؟ | باب ذكر منازل القمر | |
| — | ويان السر في ذلك | ٢٥٢ | السبب الذى دعا للؤلؤف لذكر |
| ٢٣٧ | صفة قوس قزح ، لابن الرومي | هذا الباب | |
| — | وصف الرفاقة وخبازها ، له | ٢٥٣ | أجزاء السنة وما يتبعها |

| ص | الموضوع | ص | الموضوع |
|--------------------------------|--------------------------------|-----|-------------------------------|
| ٢٥٧ | الصرقة | ٢٥٣ | النوء |
| باب في معرفة الأماكن والبلدان | | — | الرياح الأول من السنة الريح |
| ٢٥٨ | حد الحجاز | — | المواء |
| — | الجزيرة | ٢٥٤ | نوء السماك |
| — | جزيرة العرب | — | الغفر |
| ٢٥٩ | المراق | — | الربانان |
| — | الشام واليمن | — | الإكليل |
| باب من الزجر والمباقة | | — | القلب |
| ٢٥٩ | الفرق بين القائل والطيرة | — | الشولة |
| — | كان الرسول صلى الله عليه وسلم | ٢٥٥ | الرياح الثاني من السنة السيف |
| يحب القائل ويكره الطيرة | | — | البلدة |
| — | اشتقاق الطيرة | — | سمد الداج |
| ٢٦٠ | الزجر عند العرب | — | سمد بلع |
| ٢٦١ | ما يطهرون به | — | سمد السمود |
| ٢٦٢ | الساح والبارح ، واختلاف العرب | — | سمد الأخنية |
| في التيمن والتطير بكل منهما | | — | فرع الملو الأعلى |
| ٢٦٣ | من ملبس الزجر | ٢٥٦ | الرياح الثالث من السنة الحريف |
| باب ذكر للمعاظلة والتشييع | | — | الحوت |
| ٢٦٤ | حقيقة للمعاظلة ، واشتقاقها | — | الشيطان |
| — | التشييع | — | البطين |
| — | رأى آخر في المعاظلة | — | التراب |
| ٢٦٥ | رأى ثالث في المعاظلة | — | الديوان |
| باب الوحي للتكلف والريك السضعف | | — | الحقمة |
| ٢٦٥ | بيان الوحي من الكلام ، والتكلف | ٢٥٧ | الرياح الرابع من السنة الشتاء |
| والريك | | — | البراعان |
| — | اشتقاق الريك | — | الثرة |
| ٢٦٦ | ولع أبي تمام والمتن بالوحي | — | الطرف (عين الأسد) |
| — | أمتة من التكلف | — | الجبية |
| — | من كلام أبي تمام في البلاغة | — | الزبرة |

| ص | للموضوع | ص | للموضوع |
|-----------|------------------------------|---------------------------------|---------------------------------|
| ٢٨١ | أنواع السرقة | ٢٩٦ | أسباب إشكال الكلام |
| — | الاصطراف | ٢٩٧ | للبحر في وصف بلاغة الحسن |
| ٢٨٢ | سرد بقية أنواع السرقة | ابن وهب | |
| — | الاصطراف على ضربين | باب الإحالة والتشبيه | |
| ٢٨٣ | الاستحالة | ٢٩٧ | وقفت في شعر الجلة من التتبعين |
| ٢٨٤ | الإغارة | ٢٩٨ | أمثلة من الإحالة |
| ٢٨٥ | الغصب | — | أمثلة من التشبيه |
| ٢٨٦ | الرافعة | باب الرخص في الشعر | |
| ٢٨٧ | الاهتمام | ٢٩٩ | هل يجوز للمؤلف ارتكاب الضرورات؟ |
| — | النظر والملاحظة | — | سرد أنواع من الضرورات، وذكر |
| — | الإلزام | مثال لكل نوع منها | |
| — | الاختلاس | ٢٧٥ | أنواع لضرورات الزيادة، ومثال |
| ٢٨٨ | للاوزنة | لسكل نوع | |
| ٢٨٩ | العكس | ٢٧٧ | مما جاء في القرآن على خلاف |
| — | الموارد | الظاهر، وهو من البلاغة والإحكام | |
| — | الاتقاط والتلفيق | لامن الضرورة | |
| ٢٩٠ | كشف المعنى | — | الإخبار عن واحد من اثنين |
| — | الشعر المجردود | — | حذف جواب القسم وغيره |
| — | مقى يكون الأخذ أولى بالمعنى؟ | ٢٧٨ | إضمار ما لم يحمله ذكر |
| ٢٩١ | سوء الاتباع | — | حذف « لا » وزيادتها |
| ٢٩٢ | مما يمد سرقا وليس بسرقة | — | حذف للتأدي |
| — | أولى الشاعرين بالمعنى | ٢٧٩ | خطاب الواحد كالثنين والجماعة |
| ٢٩٣ | نظم النثر، وحل الشعر | — | مجيء للقول بلفظ الفاعل، وعكسه |
| باب الوصف | | — | الحمل على المعنى |
| ٢٩٤ | أكثر الشعر يرجع إلى الوصف | باب السرقات، ومما شكلها | |
| — | أحسن الوصف | ٢٨٠ | لا يدعى السلامة منه أحد |
| ٢٩٥ | تفاضل الناس في الوصف | — | رأى القاضى الجرجاني |
| ٢٩٦ | ذكر شعراء اشتهر كل منهم في | — | السرقة عند عبد الكريم |
| وصف شيء | | ٢٨١ | فيم تكون السرقة؟ |

| من الموضوع | من الموضوع |
|---|---|
| ٣٠٨ الثنيان من الشعراء | ٢٩٦ وصف قبل |
| باب جواز كتب البسملة قبل الشعر | ٢٩٧ في وصف قبل أيضا |
| ٣٠٩ اختلاف الأئمة ، وتحديد موضع الاختلاف | — في وصف زرافة |
| باب احكام التواقي في الخط | ٢٩٨ في وصف إسطرابل |
| ٣٠٩ ياء الوصل وواوه ، والياء والواو الأصليتان | ٢٩٩ في وصف بركار |
| باب الفسبة إلى الروى | ٣٠٠ في وصف البنكام |
| ٣١٠ كيف تنسب إلى ما كان على حرفين؟ | ٣٠١ في وصف زرمانج |
| باب الإشاد وما ناسبه | — في وصف طاووس |
| ٣١١ الوقف بالترنم | باب الشطور وبقية الزحاف |
| — الوقف على لغة قيس وأسد | ٣٠١ حد الشطور |
| ٣١٢ الوقف بإشباع الحركة | ٣٠٢ الطويل ، اللديد ، البسيط |
| — الوقف بنقل الحركة | ٣٠٣ الوافر ، الكامل ، المزج ، الرجز |
| ٣١٣ أنواع غناء العرب | ٣٠٤ الرمل ، الخفيف ، الضارع ، التقارب للتندارك |
| ٣١٤ فرق ما بين العرب والعجم في البناء | باب ينوات الشعر وللمرقيين فيه |
| — أوله من حدا ، وسبب ذلك | ٣٠٦ بيت أبي سلمى للزنى |
| ٣١٥ التخيير | — بيت حسان بن ثابت ، بيت النخنان |
| باب الجوائز والصلات | بن بشر ، بيت نهشل بن حري ، بيت جرير بن عطية بن الخطمي |
| ٣١٥ اشتقاق الجائزة وأصلها | ٣٠٧ عقبة بن ربيعة بن الصجاج |
| — أوله من سن الجوائز | بيت أبي حصبة ، بيت أبي عينة |
| ٣١٦ البدرية ، وأصلها ، الصلة | بيت الرقاشيين ، بيت اللاحقين |
| — من شعر المؤلف الذي صنعه لأبي الحسن | بيت أمية السكاتب ، بيت رزين |
| | — بيت حميد |
| | ٣٠٨ الفرق بين المرق وذى البيت |
| | — من الشعراء الإخوة الذين لم يرقوا |

تمت - بحمد الله تعالى واهب القوى والقدر - فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الثاني من كتاب « العمدة » في صناعة الشعر ونقده « لابن رشيقي القيرواني ، مفصلة غاية التفصيل . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام اللتين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

